جامعة القدس المفتوحة

علم الأصوات العربية

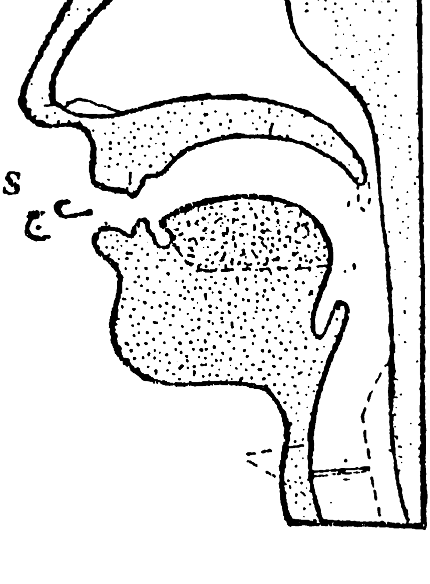
5340

2007

برنامج التربية

رقم المقرر: 5340

علم اصوات العربية



مقرر: علم اصوات العربية / رقم المقرر (5340)

اعداد المادة العلمية :	أ.د. محمد جواد النوري
التحكيم :	أ.د. نهاد الموسى
التحرير :	د. عودة ابو عودة
التصميم التعليمي :	أ. عائدة وصفي عبد الهادي
التصميم الفني :	أ. محمد ج. الطيطي
التنضيد الطباعي :	أ.عاليه ابو رمان ، أ. ندى المولا، أ. عيسى الهندي،أ. بسام العرقان، أ. احكام الدجاني
ضبط النوعية :	....

منشورات جامعة القدس المفتوحة

الطبعة الأولى: 1996

يطلب هذا الكتاب والوسائط المساندة له من جامعة القدس المفتوحة

ص.ب (77) أم السماق ☎ 822561 عمان - الأردن

رقم التصنيف :

المؤلف ومن هو في حكمه :

عنوان المصنف :

رؤوس الموضوعات :

رقم الايداع :

بيانات النشر :

* تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية *

مقدمة المقرر

عزيزي الدارس،

مرحبا بك إلى مقرر جديد من المقررات التخصصية في برنامج التربية، تخصص اللغة العربية، في جامعة القدس المفتوحة، إنه مقرر 5340 "علم أصوات العربية".

عزيزي الدارس،

تعد اللغةُ، أية لغة، الوسيلة الرئيسة التي يستخدمها المرء في عملية التواصل الإنساني، وفي عملية التعبير عن كل ما يجيش في خواطره من أحاسيس ومشاعر، وعن كل ما يدور في ذهنه من معان وأفكار، وعن كل ما يحتاج إليه، في حياته، من متطلبات ذاتية واجتماعية. ولهذا فقد كانت اللغة، وما تزال، الوعاء التاريخي الكبير، الذي يصب فيه الانسانُ خلاصةَ تجاربه في الحياة، ويجسِّدُ فيه أسمى ما يصل اليه من خبرات ومعلومات.

وتمثل الأصواتُ الكلامية الجانبَ العملي للغة، وهي؛ أي الأصوات، تعدُّ الوسيلة الأساسية والجوهرية التي يعتمد عليها المرء في بناء الصرح اللغوي العام. ولهذا فقد كان الدرسُ اللغوي بعامة، والدرس الصوتي بخاصة، من أقدم الدراسات التي شغلت الانسان، واحتلت منه موضعَ العناية والاهتمام.

ويحكى لنا التاريخ كيف أن الباحثين والدارسين، في مختلف اللغات، قد وضعوا، نصب أعينهم، منذ القدم، أصواتَ لغاتهم، فقاموا بدراستها وصفا وتحليلاً، وذلك بهدف جلائها، وتوضيحها، وتجويد النطق بها، وخاصة بعد أن ارتبطت بعض تلك اللغات بنصوص مقدسة أضفت عليها مِسْحةً من الجلال، وهالةً من القدسية.

بَيْدَ أن الدرسَ الصوتي القديم، كان يعتمد، لدى مختلف المشتغلين به في الماضي، على الملاحظة الذاتية . ويرجع ذلك، كما تعلم، عزيزي الدارس، إلى عدم وجود الآلات والأجهزة التي من شأنها أن تأخذ بيدِ الدارس والباحث الى رصْدٍ دقيق للأصوات، وما يؤديه ذلك، بالتالي، من وصف مفصل لها.

وفي الآونة الأخيرة، طرأ، كما هو معلوم، تطور ملحوظ على دراسة الأصوات، ويعود الفضل في ذلك، إلى التقدم العلمي السريع، بصورة عامة، وإلى تطور صناعة الآلات والاجهزة العلمية الدقيقة، بصورة خاصة، فخطا هذا العلم؛ أي علم الأصوات، من ثَمَّ، خطواتٍ واسعةً، واستطاع الوصول، بفضلِ جهود العلماء والباحثين، الى نتائج علميةٍ دقيقةٍ في ميدان البحث والدرس الصوتي.

عزيزي الدارس

سيتناول هذا المقرر، الذي بين يديك، وهو مقرر علم أصوات العربية، دراسة موضوعية لبعض الجوانب المهمة التي يوليها علمُ الأصوات عنايةً أساسية. وحتى تكون هذه الدراسة شمولية، إلى حدٍّ ما، فقد خصّصْنا لهذا المقرر ثلاثَ ساعاتٍ معتمدة، تم توزيعها على تسع وحدات دراسية هي :

الوحدة الأولى : تعريف بعلم الأصوات

سنحاولُ في هذه الوحدة، تحديد المقصود بعلم الأصوات، وتحديدَ منزلته من النظام اللغوي العام. كما ستشتمل هذه الوحدة، أيضا، على بيان أقسام هذا العلم، ومناهجه في الدرس والبحث، وأهميته في حياتنا الانسانية بعامة. وحتى تكونَ دراستُنا، بعد عمومها، قريبةً من فكرنا وثقافتنا العربية الخاصة بنا، كان لا بد لنا من أن نتحدث، بشيء من التفصيل، عن جهود علمائنا العرب القدماء، في ميدان الدرس الصوتي. وهي، كما سترى، عزيزي الدارس ، جهودٌ طيبةٌ ومباركة، أسهمت، مع مثيلاتها من الدراسات الصوتية لدى الشعوب الأخرى، في دفع عملية البحث والدرس الصوتي العام إلى الأمام.

الوحدة الثانية : جهاز النطق ودوره في إنتاج الأصوات

سيتناول المقرر، في هذه الوحدة، دراسةَ أعضاءِ جهاز النطق من جانبين : جانب ندرس فيه أعضاء النطق، من ناحية تشريحية، وجانبٍ آخرَ ندرسُ فيه أعضاءَ النطق نَفْسَها، من ناحية وظيفية، أي من ناحية وظيفتها في إنتاج الأصوات.

الوحدة الثالثة : الفونتيك والفونولوجيا

سنحدد، في هذه الوحدة، المقصود بالفونتيك؛ أي علم الأصوات العام، والفونولوجيا؛ أي علم وظائف الأصوات، ثم نعقدُ، بعد ذلك، مقارنةً سريعة نوضحُ، خلالها، الفرقَ بين هذين العلمين.

الوحدة الرابعة : الفونيم

سنحاول، في هذه الوحدة من المقرر، تعريفَ الفونيم، وبيانَ أهميته في علم الأصوات. وبعد ذلك، سنعرضُ لقسمي، أو نوعي الفونيم، ونقصدُ بهما الفونيمَ التركيبيَّ بجانبيه : الصوامتِ، والحركاتِ، والفونيمَ غيْرَ التركيبيِّ كالنبر، والتنغيم، والمفصل، ثم نبين الفرقَ بين نوعي الفونيم.

الوحدة الخامسة : الفونيمات التركيبية في اللغة العربية

تتناول هذه الوحدة، بشيءٍ من التفصيل، دراسة الفونيمات التركيبية في اللغة العربية، ويشمل ذلك دراسةَ الصوامت Consonants، والحركات Vowels في اللغة العربية.

الوحدة السادسة : الحركات المزدوجة

سنقدم، في هذه الوحدة، تعريفاً بالحركات المزدوجة، ثم نبينُ أنواعَها، ومفهومَها في اللغة العربية.

الوحدة السابعة : المقطع الصوتي

سنحدد، في هذه الوحدة، المقصودَ بالمقطع الصوتي، وأنواعَ المقطع في اللغة العربية، ثم سنبينُ، بعد ذلك، أهميةَ دراسةِ المقطع في علم الأصوات، ومجالات الإفادة من الدرس المقطعي في المجال اللغوي العام.

الوحدة الثامنة : الفونيمات غير التركيبية في اللغة العربية

ويشمل ذلك تحديد المقصود بمصطلح الفونيم غير التركيبي، ثم نتناولُ دراسةَ نماذجَ لهذا النوع من الفونيم، كالنبر، والتنغيم، والمفصل في اللغة العربية.

الوحدة التاسعة : الظواهر التعاملية في اللغة العربية

سنتناول في هذه الوحدة، وهي الوحدة الأخيرة من مقرر علم أصوات العربية، دراسة بعض القضايا الصوتية الصرفية في اللغة العربية، ويشملُ ذلك دراسةَ بعض الظواهر، مثل ظاهرة المماثلة، والمخالفة، والإدغام، وتقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة، وتغيرات الواو والياء والهمزة، وانقلاب الحركات المزدوجة إلى حروف مد.

عزيزي الدارس،

لعلك توافقنا، بعد أن أشرنا إلى مضمون وحدات هذا المقرر اللغوي، في أن المادة، التي ستكونُ مَوْضِعَ دراستنا معاً، تهدف الى تحقيق الأهداف العامة التالية :

الأهداف العامة للمقرر :

ينتظر منك، عزيزي الدارس، بعد دراسة المقرر وتنفيذ جميع الأنشطة والتدريبات الواردة فيه أن تكون قادرا على أن :

1- تحدِّدَ مفهومَ علم الأصوات، ومنزلَتَهُ من النظام اللغوي، وأقسامه، ومناهجه، وإدراك أهميته في حياتنا اللغوية، وفي كثير من مظاهر التقدم المادي حولنا.
2- تلمَّ بجهاز النطق ودَوْرِهِ في إنتاج الأصوات.
3- تلمَّ بعلم الأصوات العام، وعلمِ وظائف الأصوات.
4- تحدِّدَ مفهومَ الفونيم، واستخدامه في تحليل الكلمات، والمجموعات الكلامية الأخرى الى مكوناتها الأولية.
5- تميز بين الفونيمات التركيبية، والفونيمات غيرالتركيبية، من حيث وظيفَتُها في اللغة.
6- تَتعرفَ المقطع الصوتي، واستخدامه في تحليل الكلام، والتقطيع العروضي، وفهم بعض التغيرات الصوتية المرتبطة به.
7- تستوعبَ الحركات المزدوجة، ومدى تحققها في اللغة العربية، وما يطرأ عليها من تغيرات في ميدان النطق.
8- تتعرفَ بعض الفونيمات غير التركيبية في العربية، كالنبر، والتنغيم، والمفصل.
9- تدركَ أثرَ الظواهرِ التعاملية فيما أصابَ بعْضَ الكلمات من تغيرات صوتية.

عزيزي الدارس

نودُّ، في ختام هذه المقدمة، أن نذكرك بأن وحداتِ هذا المقرر تكادُ تكونُ مكتفيةً بذاتها إلى حدٍّ كبير، ولذلك، فإنك ستجدُ فيها، بإذن الله تعالى ومشيئته، ما تحتاج إليه بشكل رئيس على نحو يمكنك من فهم مضمونها، والتدريبات الملحقة بها.

ومع ذلك، فقد كنا نحيلك، في نهاية كل وحدة، الى طائفةٍ من المصادر والمراجع التي نعتقد في أن العودةَ إليها، والاطِّلاعَ على ما تضمنته من أفكارٍ ومناقشات، يعينُك على توثيق صلتك بهذا العلم اللغوي، الذي بدأ يأخذُ مكانَتَه الجديرَ بها في مناهجنا اللغوية، في كثيرٍ من الجامعات العربية.

جدول رموز الكتابة الصوتية المقترحة لأصوات العربية

وصف الصوامت	الرمز العربي	الرمز الصوتي المقترح
صامت حنجري انفجاري لا مجهور ولا مهموس	ء	
صامت شفوي ثنائي انفجاري مجهور	ب	b
صامت أسناني لثوي انفجاري مهموس	ت	t
صامت أسناني احتكاكي مهموس	ث	θ
صامت لثوي غاري مركب مجهور(الجيم الفصحى)	ج	d_3
صامت غاري احتكاكي مجهور(الجيم الشامية)	ج	j
صامت حلقي احتكاكي مهموس	ح	ḥ
صامت طبقي احتكاكي مهموس	خ	x
صامت أسناني لثوي انفجاري مجهور	د	d
صامت أسناني احتكاكي مجهور	ذ	∂
صامت لثوي مكرر مجهور	ر	r
صامت أسناني لثوي احتكاكي مجهور	ز	z
صامت أسناني لثوي احتكاكي مهموس	س	s
صامت غاري احتكاكي مهموس	ش	š
صامت أسناني لثوي احتكاكي مهموس مفخم	ص	ṣ
صامت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم	ض	ḍ
صامت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم	ط	ṭ
صامت أسناني احتكاكي مجهور مفخم	ظ	∂
صامت حلقي احتكاكي مجهور	ع	c
صامت طبقي احتكاكي مجهور	غ	o
صامت شفوي أسناني احتكاكي مهموس	ف	f
صامت لهوي انفجاري مهموس	ق	q
صامت طبقي انفجاري مهموس	ك	k
صامت لثوي جانبي مجهور	ل	l
صامت شفوي ثنائي أنفي مجهور	م	m
صامت لثوي أنفي مجهور	ن	n

صامت حنجري احتكاكي مهموس	هـ	h
نصف صامت أو نصف حركة طبقي أو شفوي ثنائي مجهور	و	w
نصف صامت أو نصف حركة غاري مجهور	ي	y

وصف الحركات	قصيرة	طويلة
حركة أمامية ضيقة (الكسرة الخالصة)	i	ii
حركة أمامية واسعة (الفتحة المرققة)	a	aa
حركة خلفية ضيقة (الضمة الخالصة)	u	uu

المحتويات

الوحدة الأولى

تعريف بعلم الأصوات

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
1. المقدمـــة	5
1.1 تمهيد	5
2.1 أهداف الوحدة	6
3.1 أقسام الوحدة	6
4.1 القراءات المساعدة	6
5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة	7
2. ما المقصود بعلم الأصوات	7
3. منزلة علم الأصوات من النظام اللغوي العام	10
4. أقسام علم الأصوات	13
1.4 علم الأصوات المخرجي، أو النطقي	13
2.4 علم الأصوات الأكوستيكي، أو الفيزيائي	14
3.4 علم الأصوات السمعي	14
5. مناهج الدرس في علم الأصوات	15
1.5 علم الأصوات الوصفي	16
2.5 علم الأصوات التاريخي	16
3.5 علم الأصوات المقارن	16
4.5 علم الأصوات العام	16
6. أهمية علم الأصوات	17
7. جهود العلماء العرب القدماء في علم الأصوات	24
1.7 أبو الأسود الدؤلي	25
2.7 يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم	26
3.7 الخليل بن أحمد الفراهيدي	27
4.7 سيبويه	31
5.7 ابن جنّي	35
6.7 ابن سينا	39
7.7 عبد القاهر الجرجاني	42
8.7 الزمخشري	43
9.7 السكاكي	43

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

نرحِّبُ بكَ في الوحدةِ الأولى، من وحداتِ مقرَّرِ علم أصوات العربية، ونرجو أنْ تَقْضيَ مَعَنا في دراستِها وقتاً ممتعاً شائقاً، وأنت تتنقَّلُ بين موضوعات هذا العلم، الذي نستطيعُ أن نَصِفَه بأنّه علمٌ جديدٌ في مناهجنا الدراسية، وإن كانَتْ بذورُه الأولى قد غُرِسَتْ في تُرْبَةِ الدراساتِ اللغويةِ بعامةٍ، مُنْذُ وقت مبكِّرٍ من تاريخِ البحثِ اللغويِّ الإنسانيِّ.

سوفَ نتناولُ، في هذه الوحدةِ، بإذنِ الله تعالى ومشيئَتِه، موضوعاتٍ متفرقةً، تدورُ، في مجموعها، حَوْلَ التعريفِ بعلمِ الأصْوات، وبيانِ مكانته المتميزة في النظام اللغوي العام، ثم نعرضُ، بعد ذلك، لأقسامِ هذا العلم، والمجالاتِ التي يُعالجُها كلُّ قسمٍ منها، ثم نُبيِّنُ مناهجَ الدرسِ والبحثِ في جوانبه المختلفة، وهي جوانبُ قَدْ نَضِجَتْ ثمارُها، واكتملت الآنَ ملامُحها، واتَّضحتْ ميادينُ دراسَتِها.

ولا بُدَّ لنا، في أثناء ذلك كلِّه، من بيانِ أهميةِ هذا العلم، والفوائد التي يمكنُ أن نَجْنِيَها من وراءِ دراسته، والبحثِ فيه. وحتى تكونَ دراستُنا لعلمِ الأصواتِ متكاملةً ومكتملةً، فإننا نجدُ لِزاماً علينا، ووفاءً منّا لحقِّ تُراثِنا اللغويِّ العظيم، أن نَتَحدَّثَ عن جهودِ علمائِنا العربِ القُدَماءِ، في مجالِ الدرسِ الصوتي، الذي كانت لهم فيه قَدَمٌ راسخةٌ، وباعٌ طويلةٌ، كما يشهدُ على ذلكَ علماءُ اللغةِ الأجانب.

عزيزي الدارس،

مرةً أخرى نرحِّبُ بك، في هذهِ الوحدة، ونودُّ أن نَبْدأ معاً رِحْلَةَ دراستِنا لعلمِ الأصوات بالتعريفِ بهذا العلم، الذي أصبحَ مادةً علميةً ثَرَّة، تشتملُ عليها المناهجُ الدراسيةُ، في كثيرٍ من الجامعاتِ المتقدِّمة، ومعاهدِ الدَّرْس اللغوي المتطورة.

وإنّا لنرجو أن تجدَ في هذه الوحدة، زاداً لغوياً نافعاً، وخيراً فكرياً يُعينُك على استيعابِ كثيرٍ من المفاهيمِ الصوتيةِ الحديثة، ويَبْعَثُ في أعماقِكَ الرغبةَ في البحثِ والإفادة، فكنْ مَعَنا، كما سنكونُ معك، بالفِكْر والصَّبْر، وأسْعَدَكَ اللهُ، وأسْعَدَ بك، وسلامُ اللهِ عليك.

2.1 أهداف الوحدة

بَعْدَ دراسةِ هذه الوحدة، والتّمعُّنِ بكلِّ ما سَيَرِدُ فيها من موضوعات، وتدريبات، وفوائدَ، يُنْتَظَرُ منك، عزيزي الدارس، أن تكون قادرا على أن:

1. تحددَ مفهومَ عِلمِ الأصوات، ومنزلته من النظام اللغوي العام، وأقسامه، ومناهجه، وتطبيقاته.
2. تشرحَ أهميةَ علم الأصوات في حياتِنا اللغوية، وفي كثيرٍ من مظاهرِ التقدم المادي حولنا.
3. تذكرَ بعضَ إسهامات علمائنا العرب القدماء في علم الأصْوات.

3.1 أقسام الوحدة

تشتمل هذه الوحدة على الأقسام الأربعة التالية :

القسم الأول : ويتناول التعريفَ بعلمِ الأصوات، وبيان منزلته من النظام اللغوي العام، وأقسامه المختلفة، ويحقق الهدف (1).

القسم الثاني : ويتناولُ مناهجَ الدّرْسِ المختلفة في علم الأصوات، ويشملُ ذلك المنهجَ الوَصْفيّ، والمنهج التاريخيّ، والمنهج المُقارنَ، ويحقق الهدف (1) أيضاً.

القسم الثالث : ويتناول الحديثَ عن أهميةِ علم الأصوات في مجالِ الدرس اللغويّ العام، وفي مجالاتِ الحياةِ الأخرى، ويحقق الهدف (2).

القسم الرابع : ويَشْتَمِلُ على دراسةٍ للجهود العظيمة التي قام بها علماءُ العربيةِ القدماء في مجال الدرس الصوتي، ويحقق الهدف (3).

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس،

عنْد دراسة هذه الوحدة، وفي أثناءِ قراءتك لما سيردُ فيها من موضوعات، فإنّنا نَنْصَحُك بالاطّلاع على بَعْض الكتب، وفصولِ بعض الكتب اللغوية ذاتِ الصِّلة بمادة هذه الوحدة، وذلك من مُنْطَلَقِ إيماننا بأنّ المطالعةَ الإضافيةَ من شأنها أن تُغْنِيَ المعلومات، وتعمّقَ الإدراكَ، ومن هذه الكتب :

1. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط 1. القاهرة : عالم الكتب، 1976.
2. بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، ط 7. القاهرة : دار المعارف، 1980.
3. بركة، بسام، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية. بيروت : مركز الانماء القومي، 1988.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس، لقد حاولنا أن نَجْعلَ هذه الوحدةَ، بما اشْتَمَلَتْ عليه من مادةٍ، وأسئلةٍ، وتدريباتٍ، وفوائدَ، متكفيةً بذاتها إلى حدٍّ كبير، وما عليك إلاّ أن تَتَبَّعَها خُطوةً خُطوة، مُسْتَوْعِباً ما جاء فيها من معلومات، ومشاركاً في مناقشة ما تخلّلها من مَوْضوعات، ومقدّماً إجاباتٍ وحلولاً ذاتيةً عمّا وردَ فيها من أسئلةٍ وأنشطة.

ومَعَ ذلك، فإننا نُعيدَ عليك، الآن، ما ذَكَرْناه لك قَبْل قليل، وهو ضرورةُ المطالعة لبَعْضِ الكُتُبِ اللُّغوية والصوتية التي ذَكَرْنا لك طَرَفاً منها، إنَّ مِنْ شأن ذلك أن يُوَثِّقَ عُرى الصِّلَةِ بينك وبين اللغة العربية بعامةٍ، والجانبِ الصوتي، أو المستوى الصوتي فيها بخاصة.

2. ما المقصود بعلم الأصوات Phonetics

عزيزي الدارس،

لا يكادُ الدارسُ اللغويُّ، يَعْثُرُ على اختلافاتٍ جوهريةٍ حادةٍ، في تعريف المعاصرينَ من اللّغويينَ لعِلْمِ الأصوات. فمعجم لاروس الفرنسي Larousse، على سبيل المثال، يُعرِّفُه بأنّه " العلمُ الّذي يَدْرسُ أصواتَ اللغة، في تَحَقُّقِها الماديِّ الملموس، دَرْساً مُسْتَقِلاً عن وظيفتها اللغوية، وذلك خلافاً للدراسة الصوتية الفونولوجية. ويرى تروبتسكوي Trobetskoy أنَّ ما يميزُ علمَ الأصوات، بوجه خاص، هو استبعادُه التام لأيّةِ عَلاقَةٍ بين المركَّبِ الصوتي المدروس، ودَلالته اللغوية، ومن ثمَّ، فإنَّ بالامكانِ تعريفَ علم الأصوات بأنّه عِلمُ الجانبِ الماديِّ لأصواتِ اللغة البشرية".[Larousse, Dictionnaire de linguistiqe, p : 373}.

ويرى العالم اللغوي ابركرومبي Abercrombie "أنَّ هذا العلم (أي علم الأصوات) يتناولُ دراسَةَ "وسط" Medium اللغة المنطوقة بجميع أوجهها وتنوعاتها. ويقصد بهذا "الوسط"، الوسط المستعمل في النُّطقِ والتَّكلُّم في جميعِ اللغات الانسانية، سواءً أكانتْ بُدائيةً، أمْ متحضِّرةً، وكما هو مستعملٌ في جميعِ أساليبِ الكلام : الحسنةِ منها والسيئةِ، العاديةِ وغيرِ العادية، وهو يؤلِّف مَعَ عِلْمِ اللغة Linguistics العلومَ اللغوية".

[Abercrombie, D. Elements of General Phonetics, p : 2]

ويرى كريستال Crystal أن هذا العلم "يدرسُ خصائصَ صُنْعِ الصوتِ البشري، وعلى نحوٍ خاص، تلك الأصوات المستعملة في الكلام، ويزوِّدُنا بطُرُقٍ لوصفها، وتصنيفها، وكتابتها".

[Crystal. D. A first Dictionary of Linguistics and Phonetics, p : 267]

أما معجم هارتمان Hartmann، وستورك Stork، فيعرِّفُه بأنه "العلمُ الذي يتناولُ، بالدرسِ، عملياتِ الكلام، وتشتملُ على الجوانبِ التالية : التشريح، وعلم الأعصاب، وأمراض الكلام، وإنتاج الأصوات، وتصنيفها، وإدراكها".

[Hartmann, R.R.K. and Stork, F.C. Dictionary of Language and Linguistics, p : 174]

ويرى لانجاكر Langacker أن علم الأصوات يَعْمِدُ إلى "تحليلِ أصواتِ الكلام، من حيثُ إخراجُها، وخصائصها الاكوستيكية (الفيزيائية)، وإدراكها".

[Langacker, R.W. Language and its Strcture, p : 6]

عزيزي الدارس،

هذه هي طائفةٌ من التعريفات، التي قَدَّمَها بعضُ المُشْتَغلين من العلماء لهذا العلم، في مَيْدانِ الدَّرْسِ الصوتيّ. وكأنّنا نَسْمَعُك وأنت تَسْألُ قائلاً : أيُّ تعريفٍ، من هذه التعريفات المختلفة، يُمكنُني الأخْذُ به، والاعتماد عليه ؟ فنجيبُ على التوِّ قائلين : إنّ كلَّ تعريفٍ، من هذه التعريفات، يمكنُ الأخذُ به، والاعتمادُ عليه، وذلكَ راجعٌ إلى أنّه لا توجدُ اختلافاتٌ حاسمةٌ، كما ذكَرْنا آنفاً، بَيْنَ تعريفٍ وآخر. ولكنَّ السؤال الذي يُمْكِنُ أنْ يُطرَحَ في هذا المجالِ هو :

هَلْ بوُسْعِنا أن نَضَعَ، من عِنْدِ أنْفُسِنا، تعريفاً لهذا العلم، بحيثُ يكونَ جامعاً لكلِّ المضامينِ الجَوْهَرِيَّةِ التي اشْتَمَلَتْ عليها التعريفاتُ المختلفةُ السابقة؟

وللإجابة عن هذا السؤال، نقولُ لك، عزيزي الدارس :

يُمْكِنُنا أنْ نعرِّفَ علمَ الأصْواتِ بأنه "العلمُ الذي يتناولُ، بالدَّرْسِ الأصواتَ الانسانيةَ في جانبِها الماديِّ، وذلك من أجْلِ وَصْفِها، وتفسيرِها، وتصنيفِها، وكتابتِها، معتمداً، في ذلك كلِّه، على النظرياتِ والمعارفِ المُسْتَمَدَّةِ من فُروعِ علمِ الأصْواتِ الثلاثة : علمِ الأصواتِ المَخْرجيِّ، أو النُّطقيِّ، وعلمِ الأصْواتِ الأكوستيكيِّ، أو الفيزيائيِّ، وعلمِ الأصْواتِ السَّمْعيِّ".

لقد أصبحتْ هذه العلومُ الثلاثةُ، في الوقتِ الحاضرِ، عُلوماً متطورةً تَسْتَعْمِلُ الآلاتِ والأجهزةَ المختلفةَ، وذلك في نطاقِ ما يُطْلَق عليه، الآنَ، مصطلحُ علمِ الأصواتِ التجريبي Experimental / Instrumental Phonetics. ويعدُّ علمُ الأصواتِ التَّجْريبيُّ من العلومِ الحديثة نسبياً التي جاءت بَعْدَ فَتَراتٍ طويلةٍ كان الدارسُ، خلالَها، يعتمدُ على المُلاحظةِ الحِسِّيَّةِ وَحْدَها. لقد بدأ العلمُ؛ أي علم الأصواتِ التجريبي، بِشَقِّ طريقه إلى مَيْدانِ الدرسِ الصوتي اللغوي، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك على يد العالم الألماني الفسيولوجي "كارل لودفيغ"، الذي اخْتَرَعَ آلةَ "الكيموجراف" Kymograph، ودراساتِ العلماء الألمان الآخرين، مثل : فون هلمهولتس، ولوديمار هيرمان.[Larousse, p:374]

وفي القرن العشرين، تقدّمت الدراسات الصوتية، حيث تمّ ابتكار الكثير من الأجهزة والطرق التجريبية المساعدة، ومنها : الراديوجرافيا Radiography، والستروبسكوبي Stroboscopy، والبلاتوجرافيا Palatography ، الأمر الذي أدى إلى تحسين دراسة الأصوات في جانبها المخرجي. ولقد قامت الآلات الكهربائية أيضاً بدور مهم في هذا المضمار، ومنها الأوسيلجراف Oscillography ، والسبكتروجراف Spectrograph.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

عزيزي الدارس،

من خلال قراءتك المتمعّنة للتعريفات المختلفة لعلم الأصوات، حاولْ أنْ تضع تعريفاً موجزاً وبسيطاً لهذا العلم.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

نرجو ألاّ نكونَ قد أثقلنا عليك، في أثناءِ عَرْضنا لبعضِ معالم التطور في علم الأصوات التجريبي، بإيرادِ أسماءٍ أجنبية غريبة لبعض الأجهزة والآلات والمناهج المستعملة في دراسة هذا العلم، ولهذا فإننا سنقدم لك توضيحاً ثقافياً موجزاً لمدلول هذه الأسماء والمصطلحات الأجنبية :

1- الكيموجراف Kymograph

هو عبارة عن جهاز يستعمل لتسجيل حركة بعض الأعضاء، كالقلب، ويسمىَّ راسم الأمواج.

2- الراديوجرافيا Radiography

ويقصد به التصوير بوساطة الأشعة.

3- الستروبسكوبي Stroboscopy

هي طريقة لدراسة حركة الأجسام السريعة، كالوترين الصوتيين، أو قياس ترددها، ويتم ذلك بإرسال ضوء متقطع بدورات يختلف ترددها بعض الاختلاف عن تردد الجسم الأصلي.

4- البلاتوجراف Palatography

هي طريقة تستعمل للتعرف الى موضع اللسان في أثناء النطق ببعض الأصوات. وتعتمد على إدخال حنك صناعي قد يكون ملوّناً في التجويف الفموي، بحيث يترك الجزء الأعلى من اللسان أثراً على موضع تلامسه مع الحنك الصناعي.

5- الأوسيلجراف Oscillograph

هو عبارة عن جهاز كهربائي يكشف عن الكميات الكهربائية التي تتغير مع الزمن، كالتيار والجهد، وقد يسجلها، وهو يحوّل الأمواج الصوتية، عندما يتكلم شخص أمام ميكرفون الجهاز، إلى شكل منظور، كما هو الحال في جهاز التلفاز.

6- السبكتروجراف Specrograph

يعدُّ الجهاز الأساسيَّ للدراسةِ الصوتيةِ الاكوستيكية للكلام. ويمكنُه استيعابُ قدْرٍ لا بأسَ به من المنطوق. وهو يقوم بعرض رسم بياني للأمواج الصوتية المتتابعة تظهر فيه العلاقة بين الزمن والشدة والتردد.

3. منزلة علم الأصوات من النظام اللغوي العام

عزيزي الدارس،

إنَّ علمَ الأصوات، الذي وَصَفْناهُ لك، قَبْلَ قليل، هو علمٌ متكامل، له أقسامُه وفروعُه المختلفة، وله مناهجهُ وأساليبهُ المستقلَّةُ في البَحْث. ومَعَ ذلك، فهو جزءٌ من نظامٍ تقومُ عليه اللغة، غير أنه يحتلُّ من هذا النِّظام مرتبةً أصيلة، ومنزلةً متميزة، فما هي تلك المرتبةُ والمنزلةُ التي يقعُ فيها داخلَ النظام اللغوي ؟

إنَّك تعلمُ، دونما شك، أن الصوتَ يُعَدُّ ظاهرةً مهمةً من ظواهر اللغة، كما يُعَدُّ عُنْصراً فعَّالاً من عناصرها، وإذا ما نظرنا إلى بناءِ اللغة، فإننا نجدُها، في أحدِ تصنيفاتها، مؤلفةً من ثلاثِ طَبَقات رئيسة، أو من ثلاثةِ عناصرَ مترابطةٍ، وهذه الطبقاتُ، أو العناصرُ، هي على الترتيب :

1- الأصواتُ المفردة :

وتعدُّ اللَّبِناتِ الأولى والأساسية لِلُغة. ويقومُ علمُ الأصوات بدراسة هذا الجانب اللغوي، من حيثُ معرفةُ خصائِص الأصوات، وملامحها، وطرائق نطقها، وما إلى ذلك من أمور ذات صلة بها.

2- الكلمة أو الكلمات :

وهي تتألف من الأصوات المفردة، ذلك أنَّ كلَّ كلمةٍ تتألفُ من مجموعةٍ من الأصوات. ويقوم علم الصرف Morphology بدراسة هذا الجانب اللغوي من حيث التعرفُ إلى كلِّ ما يَعْرِضُ لِبنْية الكلمةِ من تغيرات وتحولات.

3- الجمل أو التراكيب :

وهي تتألف من الكلمات المجتمعة والمرتبطة فيما بينها بطريقةٍ خاصةٍ مُنَظَّمَة، ويخضعُ نَسَقُ تأليفِ الكلمات، في جملٍ وتراكيبَ، لنُظُمٍ وقوانينَ ارتَضَتْها الجماعةُ الناطقةُ بها. ويقومُ علمُ النحو Syntax بدراسةِ هذا الجانبِ اللغويِّ، من حيثُ البَحْثُ في كلِّ ما له عَلاقةٌ ببناءِ الجملة، أو التركيب.

وليس من شك، في أنَّ العُنْصرَ الأول؛ أي العنصر الصوتي، هو أهمُّ هذه العناصر، لأنَّ اللُّغَةَ، بكلِّ عناصرها، لا تقومُ إلاَّ به، وهي بدونه جُثَّةٌ هامدةٌ، عديمةُ الجَدْوى، فاللغةُ المكتوبةُ لا قيمةَ لها إذا لم تكنْ مَعْروفةَ الأصوات، وطرائق النطق بها. لقد اندثرت لغاتٌ كثيرة عندما جُهِلَتْ طريقةُ نُطقِ الأصْواتِ فيها.

عزيزي الدارس،

إنَّ اللغةَ، التي يتَّخذُها علمُ اللغة Linguistics موضوعاً له، هي اللغةُ التي تقومُ على ربْطِ مضمونات الفكْرِ الإنسانيِّ بأصواتٍ يُنْتجُها [جهاز] "النطق". إنها اللغةُ التي تقومُ على إصدارِ واستقبالِ أصوات تُحْدثُها عمليةُ "الكلام". فالأصلُ في اللغة أنْ تكونَ كلاماً، وأن تكونَ "مشافهة". أما الكتابةُ، أو لغةُ الكتابة، فهي لغةٌ أخرى تَقْصد إلى تمثيل الكلامِ المنطوقِ بطريقةٍ منظورة. فالكتابةُ اختراعُ إنساني لاحق على اختراع "اللغة". [علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، للدكتور محمود السعران، ص : 58].

لقد أصبحتْ دراسةُ العُنْصرِ الأول من عناصرِ اللغة، ونعني به، كما سبق أن ذكرنا، العنصرَ الصَّوْتي -أصبحتْ علماً مُسْتَقِلاً له أهميتُه وخَطَرُه بين العلوم اللغوية، كما أصبحت له مناهجُه الخاصة، واتجاهاتُه المدرسيَّةُ المختلفة. وهو يقومُ، كما ألمحنا آنفاً، على دراسةِ الأصواتِ المفردة، من حيث مخارجُها المختلفةُ في جهازِ النطق، وصفاتُها المتعددة من جَهْرٍ وهمسٍ، وانفجارٍ واحتكاكٍ، وغيرها من الصفاتِ والملامحِ ذاتِ الصِّلَةِ بها. ويُعْرَفُ هذا الاتجاه، في الدرس اللغوي، باسم علم الأصوات Phonetics.

كما يقومُ أيضاً على دراسة مواقع الأصوات وتفاعلها في داخل الكلمات والبنى اللغوية المختلفة، ودراسة القواعد الصوتية التي تسير عليها الأصوات في لغة معينة، ويعرف هذا الاتجاه، في الدرس اللغوي، باسم علمِ الفونولوجيا Phonology، أو علم وظائف الأصوات، أو كما يسميه بعض الدارسين، علم التشكيل الصوتي، أو علم الأصوات التنظيمي، وهو يدرس الأصوات من حيثُ وظائفها في الاستعمال اللغوي. [دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، ص : 17].

فائدة (2)

عزيزي الدارس

لقد اتّضح لك، مما سبق، أنّ كلّ لغةٍ يحكُمها نظامٌ دقيقٌ تسيرُ على هديه، وأن عناصر هذا النظام ومكوناتِهِ يجبُ أنْ تَرِدَ مرتبةً متسلسلة، بحيث يقعُ كلُّ عُنْصرٍ منها، داخلَ النظام، في الموقعِ الذي يفيد فيه من سابقه، ويمهد، من خلاله، للاحقه.

فالدَّرْسُ الصوتي، على سبيل المثال، يُعَدُّ الأساسَ الأوّلَ، أو العنصرَ الأول، الذي يجبُ أنْ يسبقَ غَيْرَه من العناصر في عمليّةِ التناول، أو الدرس اللغوي. وهذا يعني، بعبارة أخرى، أن الدرس الصرفي للغة يجب أن يكونَ لاحقاً للدرس الصوتي، لا سابقاً عليه، ويعودُ السَّببُ في ذلك، إلى أن المادة، التي يقومُ بدراستها علمُ الصرف، تستمدُّ مُعْطياتِها من علم الأصوات. أما الدرس النحوي، فيجب أن يكون لاحقاً لموضوعي الصوت والصرف على الترتيب، لا سابقاً لهما، كما فعل علماؤنا العرب القدماء كسيبويه، وذلك من منطلقِ كونِ الدرسِ الصوتي يُمَهِّدُ للصَّرْف، ومن منطلقِ كونِ الدرسين الصوتي والصرفي معاً، يُعَدَّان وسيلةً ضروريةً لفهم الدَّرْس النحوي وقضاياه المختلفة.

تدريب (1)

عزيزي الدارس،

حدِّد عناصر النظام اللغوي ومكوناته الأساسية على نحو مرتّب، ثم بيِّن، على نحو مُختصر، المجالات التي يتناولها كلُّ عنصر منها بالدرس.

عزيزي الدارس،

يتناولُ علمُ الأصواتِ الحديث، دراسةَ ثلاثةِ جوانبَ متصلةٍ بأصواتِ الكلام، وهذه الجوانبُ الثلاثةُ مترابطةٌ لا يمكنُ تصورُ أحَدِها بمعزلٍ عن الآخر، وهي، بمجموعها، تمثل الأقسام الرئيسة لعلم الأصوات، وهذه الأقسام هي :

1.4 علم الأصواتِ المخرجي، أو النطقي Articulatory Phonetics

يدرسُ هذا العلمُ الطُرُق التي تُنْتِجُ بها أعضاءُ النطقِ أصواتَ الكلام، ويمكننا تعريفُه بأنه العلمُ الذي يعالجُ عمليةَ إنتاجِ الأصواتِ اللغوية، وطريقةَ هذا الانتاج.

ويعدُّ هذا الفرعُ من علم الأصوات أقدمَ فروعِ علم الأصوات، وأرْسَخَها قدماً، وأكثَرَها حظاً من الانتشار في البيئات اللغوية كلِّها، بلْ إنَّ هذ الفرعَ، من الدرس الصوتي، بقيَ الفَرْعَ الصوتيَّ الوحيدَ المهيمنَ على الدراساتِ الصوتية حتى القرنِ التاسعَ عَشَرَ تقريباً.

ويرجعُ السِّرُّ في ذلك، إلى وظيفة هذا الفرع، والى طبيعةِ الميدان المخصَّصِ له، فهو يدرسُ نشاطَ المتكلم، وذلك بالنظر في أعضاءِ النطق، وما يعرضُ لها من حركاتٍ، فيعينُ هذه الأعضاء، ويحدد وظائفها، ودور كلٍّ منها في عملية النطق، منتهياً، بذلك، الى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات، وآلياتها المختلفة من جانب المتكلم.

عزيزي الدارس،

ولعلك تسأل عن السبب في ذلك، فنقول لك : إن هذا الميدان، من الدرس الصوتي، سهلُ المنال للملاحظة الذاتية، والممارسة الشخصية عن طريق ذَوْقِ الأصوات، ونُطقِها مرةً بعد أخرى، وتحديد مواضع النطق، وتعيين حركات أعضاء النطق، وهذه أمورٌ بمَقْدورِ الباحثِ العاديِّ أن يُمارِسَها بنفسه دونما حاجةٍ إلى عناءٍ كبير، أو تدريبٍ شاق.

لقد كانت الدراساتُ الصوتيةُ ، في القديم، مبنيةً، في أساسها، على هذا الجانب النطقي، بوصفه الوسيلةَ المتاحةَ التي يمكنُ الاعتمادُ عليها، في زمانٍ لم تتوافر فيه آلاتُ البَحْثِ وأجهزتُه الفنيةُ التي تساعدُ على الكَشْفِ عن الجوانبِ الأخرى للصوت اللغوي. ويظهرُ هذا الاتجاه النطقي واضحاً في دراسات العرب اللغوية، كما تشهدُ على ذلك آثارهُم العملية، ومصطلحاتُهم وتصنيفاتهم الصوتية التي خَلّفوها وراءهم. [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص : 15-16].

2.4 علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي
Acoustic Phonetics

يمثل هذا العلمُ، وهو حديثُ العَهْدِ بالوجود نسبياً، المرحلةَ الوُسْطى بين علم الأصوات النطقي أو المخرجي، وعلم الأصوات السمعي. وهو يهتمُّ بدراسة الخصائص المادية، أو الفيزيائية لأصوات الكلام، في أثناء انتقالها من المتكلم الى السامع، أو، على وَجْه التحديد، إلى أذن السامع.

وتتركزُ وظيفةُ هذا العلم، على دراسة التركيب الطبيعيِّ للأصوات، فهو يحلّل الذّبذبات والموجات الصوتيةَ المنتشرةَ في الهواء، بوصفها ناتجةً عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النُطقي المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز. وهذا يَعْني أنَّ وظيفةَ علم الأصوات الأكوستيكي مقصورةٌ على تلك المرحلة الواقعة بين فَم المتكلم، وأذُنِ السامع، بوصفها الميدانَ الذي ينتظم مادةَ الدراسة فيه، وهي الذبذباتُ والموجاتُ الصوتيةُ التي أشْرنا اليها قَبْل قليل.

3.4 علم الأصوات السمعي Auditory Phonetics

يعدُّ هذا الفرعُ أحدثَ فروعِ علم الأصوات على الإطلاق، وهو ذو جانبين : جانبٍ عُضْويّ، أو فسيولوجي Physiological Aspect ، وجانبٍ نفسيّ Psychological Aspect.

وتتركزُ وظيفةُ الجانبِ الأول في الذبذبات الصوتية التي تستقبُلها أذنُ السامع، وفي ميكانيكية الجهازِ السَّمعَي، ووظائفه عند استقبالِ هذه الذبذبات، وتقعُ هذه المرحلةُ في مجال علم وظائف أعضاء السمع.

أما الجانبُ الثاني، فيركّزُ جُهُودَهُ على البحثِ في تأثيرِ هذه الذبذبات ووَقْعها على أعضاء السَّمْع الداخلية بوجهٍ خاص، وفي عملية إدراك السامعِ للأصوات، وكيفيةِ هذا الإدراكَ، وهذه المرحلةُ مرحلةٌ نَفْسيّةٌ خالصة، وميدانُها الحقيقيُّ هو علمُ النّفس. وتجدرُ الإشارةُ، الى أنَّ هذين الجانبين مُتّصلانِ غَيْرُ منفصلين، فهما خطوتان متتاليتان لعملية استقبال الأصوات.

عزيزي الدارس،

نودُّ، قبل أن نختم حديثنا عن أقسام علم الأصوات، أن نقول لك : إن علمي الأصوات الأخيرين، أي علم الأصوات الأكوستيكي، وعلم الأصوات السمعي، قد ظهرا متأخِّرَيْنِ بالنسبة للعلم الأول، وهو علم الأصوات النطقي، أو المخرجي، ويعودُ السَّبَبُ في ذلك إلى ارتباط ذَيْنكَ العِلْمين بمعطيات العلوم الطبيعية والنفسية، وهي علوم، كما تعرفُ، ظهرتْ متأخرةً نسبياً.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

عزيزي الدارس،

عدد أقسام علم الأصوات، ثم بيِّن المجالات التي يتناولها كل قسم منها بالدرس.

تدريب (2)

1- بيِّن الأسباب التي أدت إلى ظهور علم الأصوات النطقي في وقت مبكر من تاريخ الدراسات اللغوية بعامة، والدراسات الصوتية بخاصة.

2- يعتمد علم الأصوات السمعي، في دراسته، على جانبين، اذكرهما، ثم بيِّنْ طبيعة الدراسة التي يتناولها كلُّ جانب منهما.

5. مناهج الدرس في علم الأصوات

عزيزي الدارس،

لقد أصبحَ علمُ الأصواتِ الآن، كما ذكرنا لك سابقاً، علماً مكتملاً يتمتع بالاستقلالية، كما أصبحَ، في الوقتِ نَفْسِه، علماً متكاملاً مع علوم اللُّغَةِ الأخرى. ومن هذا المنطلق، فإن لهذا العلمِ مناهجَ درسٍ، وقواعدَ بحثٍ خاصةً به. وسنقدِّمُ لك، عزيزي الدارس، في هذه العُجالة، لمحةً سريعةً عن أهمِّ مناهج الدرس في علم الأصوات.

ويمكننا النظر الى هذا الموضوع من حيثُ المنهجُ، وطريقةُ البحث فيه، كما يمكننا النظرُ إليه من حيثُ ارتباطُ الدراسةِ بفترةٍ زمنيةٍ معيَّنةٍ، أو بفتراتٍ متعددةٍ من التاريخ.

ومن منطلقِ هذه الاعتبارات، فإن بوسعنا تقسيمَ مناهجِ الدرس والبحث في علم الأصوات على النحو التالي :

1.5 علم الأصوات الوصفي Descriptive Phonetics

يتناول منهج هذا العلم، بالدَّرْس، أصواتَ اللغة المعينة في فترة زمنية محددة، على أن يتمَّ هذا الدرسُ بطريقِ الوَصْفِ الصِّرْف، وذلك بتسجيل الأصوات المدروسة، وتحليلها على النحو الذي تبدو عليه، دونما اعتمادٍ على افتراضات، أو تخمينات، أو تأويلات، ودونما الرجوع، أيضاً، الى فترات زمنيةٍ سابقةٍ لاستمداد العونِ منها في التفسير والتحليل، كما أن هذا المنهج لا يفرضُ نوعاً معيناً من أساليبِ النُّطق. وعلى نحوٍ مختصر، يُمْكِنُنا القولُ : إنَّ علمَ الأصواتِ الوَصْفيَّ يبحثُ عن الحقيقةِ في ذاتها ليس غير. فإذا ما قام باحثٌ ما، في لغة من اللغات، بدراسةِ عُنْصُرِ الأصوات فيها، ليُعَرِّفَنا بما في هذه اللغة من أصوات، من حيثُ مخارجُها، وصفاتُها، وخصائصُها، وبما يصيبُ هذه الأصواتَ من تغيُّرٍ وتبدُّلٍ بسببِ مجاورةِ بعضها بعضاً، وما إلى ذلك من أمورٍ تتعلَّقُ بأصواتِ تلك اللغة، في فترةٍ محددة، فإنَّ ذلك العملَ يَدْخُلُ في إطارِ ما يسمَّى بعلمِ الأصوات الوصفي. وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ المنهجَ الوصفيَّ يُتَّبَعُ، في العادة، في أكثرِ البُحوث العلمية.

2.5 علم الأصوات التاريخي Historical Phonetics

يتناولُ منهجُ هذا العلمِ، بالدَّرْسِ، أصواتَ اللغةِ المعيَّنة من مَرْحلةٍ الى مرحلة، أو خلال فترة طويلة من الزمن، وذلك بهدف ملاحظة تطورها، وما أصابها من تغيرات في مسارها التاريخي، والقوانين التي حَكَمَتْ هذه التغيرات عَبْرَ العصور المختلفة.

3.5 علم الأصوات المقارن Comparative Phonetics

يتناولُ منهجُ هذا العلم، بالدَّرس، مقارنةَ الحقائقِ الصوتية بعضها ببعض. ويتمُّ ذلك، في اللغة الواحدة، عن طريقِ المقارنة بَيْنَ أصوات تلك اللغة من فترةٍ زمنية، إلى فترةٍ زمنيةٍ أخرى، كما يتمُّ ذلك أيضاً، في لغتين، أو أكثرَ من اللغاتِ ذات الصِّلَة والقرابة، وذلك عن طريقِ المُقارنة بَيْنَ أصواتِ تلك اللغات، إمَّا في الحاضِر، أو في الماضي على حدٍّ سواء، بهدف الكشف عن وجوه الاتفاق والاختلاف بينها.

4.5 علم الأصوات العام General Phonetics

يتناول منهج هذا العلم، بالدرس، عنصر الأصوات في اللغات الانسانية بعامة، فيدرسُ الجهازَ الصوتيَّ عند الانسان، ووظيفةَ كلِّ عضوٍ، في هذا الجهاز، كما يبحثُ في الطُّرُقِ المختلفة لإنتاج الصوت، ويصنِّفُ الأصواتَ، ويحاولُ، بَعْدَ استقراءِ كلِّ اللغات، أن يَجِدَ الأسبابَ التي تؤدي إلى التَّبَدُّلاتِ والتغيرات الصوتية .. وما إلى ذلك من أمورٍ صوتيةٍ تنطبق على كلِّ لغة، دون الاختصاص بلغة بعينها.

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

1- يمكننا اعتبارُ ما قامَ به علماءُ التجويد، من قبيلِ علمِ الأصوات الوصفي للعربية، ذلك أنهم قاموا بدراسةِ أصواتِ لغتهم على النّحوْ الذي كانت تنطق به في الفترة المعينة التي قاموا خلالها بتقعيد عملية النطق لكل صوتٍ من أصواتها.

2- كما يمكننا اعتبارُ ما قام به بعضُ العلماء العربِ القدماء، كابن سينا، على سبيل المثال، من قبيل علم الأصوات المقارن، ذلك أنّ هذا العالمَ، ومثلُهُ آخرون، كان يُجْري مقارناتٍ بين حروف عربية، وما يناظرها من حروف غير عربية مقارنة، وذلك من حيثُ أعضاءُ النطق المحدثة لها، والمخارج، وكيفية إنتاجها. ويغلب على تلك الحروف غير العربية، التي استخدمها ابن سينا للمقارنة، أن تكون فارسية.

تدريب (3)

عزيزي الدارس،

1- بيِّنْ أهمَّ الفُروقِ الكامنة بين علم الأصوات الوصفي، وعلم الأصوات التاريخي.

2- ما الموضوعات التي يدرسها علم الأصوات المقارن ؟ وما المجالات، والميادين التي يمكنُ أن تجري فيها دراسةُ تلك الموضوعات ؟

6) أهمية علم الأصوات

عزيزي الدارس،

لقد حدَّدْنا معاً، في الصَّفَحاتِ السابقة، المقصودَ بعلمِ الأصوات، وبيَّنا مَنْزِلَتَهُ من النظام اللغوي، ووضَّحْنا الأقسامَ الرئيسة التي ينقسمُ عليها، ثم ألمَمْنا، قبل قليل، بأهمِّ مناهجِ البَحْثِ والدرسِ في هذا العلم.

غَيْرَ أننا نشعر الآن، بأنك تتساءل، ومن حقِّك أن تتساءل، عن الأهمية المتوخّاة من وراءِ دراسةِ هذا العلم، والغاياتِ المرجوّة منه، والنفع الذي يمكن أن يعود به على دراسيه ؟

هذه أمور سنحاول، عزيزي الدارس، إجمالَها لك، على شكل نقاطٍ موجزة، هادفين، من وراء ذلك كله، إلى جعل دراستنا عمليةً وظيفية، لا مجردَ أفكارٍ نظرية. وهاك، فيما يلي من صفحات، أهمَّ هذه الغايات والأهداف المرجوة من دراسة علم الأصوات :

1 - إجادة تعلم اللغة القومية :

تعدُّ الدراسةُ الصوتيةُ وسيلةً مهمةً من وسائلِ تَعَلُّمِ اللغةِ القوميةِ تعلماً سليماً، كما تعدُّ سبيلاً من سُبُلِ رُقيِّها، والمحافظة عليها. فمتعلمو اللغة، ولا سيَّما في المراحل الأولى، معرضون للخطأ في نطقِ هذه اللغة، وللانحرافِ عن السَّمْتِ الصحيح في أدائها، ويعودُ ذلك إلى كونِ هؤلاء المتعلمين يأتونَ من مناطقَ مختلفةٍ، وينتمون إلى بيئاتٍ اجتماعيةٍ غيْرِ مُتجانسَة، ولكلٍّ واحدٍ من هؤلاء عاداتُه النطقيةُ التي يؤدي بها لَهْجَتَه المحلية.

وليس من شكٍّ، في أنَّ تلك العاداتِ النُّطقيةَ يَظْهَرُ أثرها، على نحوٍ أو آخر، في نطقِ اللغةِ القوميةِ التي تُسمَّى، في الاصطلاح اللغويِّ، باللغة المشتركة Common Language. ومن أمثلتها، في مجتمعنا العربيِّ، اللغةُ الفصحى. فإذا ما أُرْشِدَ هؤلاء المتعلمون إلى النطق السليم بأصواتِ لغتهم، سَهُلَ عليهم إجادتُها، وحُسْنُ أدائها، واستطاعوا، بالتدريج، أن يتخلصوا من العادات النطقية المحلية.

إن من شأن هذا أن يحقِّق لنا هدفين جليلين هما :

أ- التقريبُ بين العاداتِ النطقية المحلية، ونعني بها اللهجات، وتذويبُ الفروقِ القائمة بينها إلى أكبر حدٍّ ممكن.

ب- تخليصُ اللغةِ المشتركة، ونعني بها الفصحى، من الآثارِ الصوتيةِ اللهجيةِ ذات الطابَعِ المحليِّ الضيق، والحدُّ من سُلْطانها، ويُسْهِمُ هذا الأمرُ في تكوينِ لغةٍ قوميةٍ مُشْتَرَكَةٍ تصلحُ للتفاهمِ العامِّ بين أبناءِ الأمةِ الواحدة. وهذا، في حدِّ ذاته، هدفٌ سامٍ يستحقُّ منا الجُهْد، ويستأهلُ التَّضْحية.

2 - إجادة تعلم اللغات الأجنبية :

وتظهرُ أهميةُ علم الأصوات، بصورةٍ علميةٍ واضحة، في تعلُّمِ اللغات الأجنبية وتعليمها؛ ذلك أنَّ لكلِّ بيئةٍ لغوية، كما هو معلوم، عاداتها النطقية الخاصةَ بها، فإذا ما أَقْدَمَ أصحابُ لغةٍ ما على تعلُّمِ لُغَةٍ أُخْرى، كانوا عُرْضَةً لأن يُخْطِئوا في نُطقِ أصواتِ هذه اللغة الأخيرة، وأن يَخْلِطوا بين أصواتها، وأصْواتِ لغتهم، بسبب تأثرهم بعاداتهم النطقية.

ومن الأمثلة على هذا الذي نذهبُ إليه، ميلُ بعض المتعلمين العرب إلى نُطقِ الصوت الانجليزي [p]، في نحو كلمة People، كما لو كان صوتاً مجهوراً، وإلى نطق الصوت الانجليزي [v]، في نحو كلمة Victory، كما لو كان صوتاً مهموساً. ويعود السبب في هذا الخلط والخطأ، إلى تأثر هؤلاء المتعلمين بنطق نَظيريْ هذين الصَّوتَين في اللغة العربية، وهما : الباء [b]، وهو صوت مجهور، والفاء [f]، وهو صوت مهموس.

3- وضع الألفبائيات وإصلاحها :

إن دراسةَ الأصواتِ اللغوية، ذاتُ أهميةٍ كُبْرى في وضعِ الألفبائيات الجديدة للغات التي لم تكتب بَعْدُ، وفي إصلاحِ تلك الألفبائيات التي تُقَصِّرُ عن الوفاء بأغراضها.

أما بالنسبة لِوَضْعِ الألفبائيات الجديدة، فقد أصبحَ أمراً مُلحاً بالنسبة لكثيرٍ من اللغات في العالم، وبخاصةٍ في بعضِ الأقطارِ الإفريقية. إنَّ وَضْعَ الألفبائيات الجديدة يجبُ أنْ يُسْبَقَ بدراسةٍ صوتيةٍ شاملةٍ للُغاتِ المرادِ كتابَتُها، ويتطلبُ ذلك، بطبيعةِ الحال، إجْراءَ التجاربِ المفصَّلة، والبحوث المعملية الكثيرة، التي قد يطولُ مداها أو يَقْصُر، وهذا العملُ كلُّه من اختصاصِ رجالِ علم الأصوات وعلمائه وَحْدَهُم.

وفيما يتعلقُ بإصلاحِ الألفبائيات القائمة، يجبُ أنْ يكونَ المنطلقُ، في ذلك، هو أنْ تكون تلك الألفبائياتُ ممثلةً للنطق تمثيلاً صادقاً. ومن المعلوم، أنَّ كلَّ الألفبائيات المعروفة الآن، قد روعيَ فيها هذا المبدأ بالفعْل، غير أنَّ اللغةَ يُصيبُها، بمرورِ الزَّمَنِ، التغيرُ والتطور، في حين تَبْقى الألفبائيةُ على صورتها الأولى دونما تغيير، ولهذا فإنها تتعرضُ إلى نوعٍ من القصور.

4- وللدراسة الصوتية صلة قوية بالدراسة المعجمية، ولا بدَّ للمعاجم اللغوية من الاستعانة بالدرس الصوتي اللغوي. إن واجبَ المعجمِ لا يقتصرُ على تِبْيانِ معاني الكلماتِ والتراكيب، وما يطرأ عليها من تَطَوُّرٍ دلاليٍّ فقط، وإنَّما يتعداهُ إلى تمثيلِ نُطْقِ هذه الكلمات والتراكيب، وهذا أمرٌ لا يَتأتَّى إلاَّ باصْطِناعِ نظامٍ من الرُّموزِ الكتابيةِ يكونُ أدقَّ تمثيلاً للنُّطْقِ من الألفبائية التقليدية.

ومن هذا المنطلق، فإنَّ مقدمات معظمِ المعاجم، ومنها بعضُ المعاجم العربية، تَحْوِي، في الأعمِّ الأغلب، معلوماتٍ عن أصواتِ اللغة، وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على حاجةِ الدَّرْسِ المعجميِّ لشقيقه الدَّرْسِ الصوتي.

5- وتعدُّ الدراسةُ الصوتيةُ عاملاً مهماً في دراسة أيَّةِ لغةٍ في مستوياتها الصرفية، والنحوية، والدلالية، إذْ لا يمكنُ دراسةُ الصَّرْفِ دراسةً صحيحةً إلاَّ بالاعتمادِ على الوَصْفِ الصوتي. "فليس هناك علم للدلالة بلا صرف، ولا علم للصرف بلا أصوات".

[مناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، ص : 252 ,258]، فدراسةُ الأصواتِ هي المقدِّمةُ الأولى لدراسة تركيب الكلمات، أو دراسة الصرف بمعناه الخاص. [أصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص 25، علم اللغة العام للدكتور كمال بشر، ص : 185].

إنَّ الدرسَ الصرفيَّ العربيَّ بحاجةٍ حقيقيةٍ إلى الرجوعِ إلى الحقائق التي يُقَرِّرُها الدرسُ الصوتي. ومن الأمثلة على ذلك أنَّ علماءَ الصَّرْفِ التقليديين دَرَجوا على أنْ يقولوا إنَّ فِعْلَ الأمر «قُلْ»، أصله «قُوْلْ»، وفي هذه الصيغة الأخيرة، التقى ساكنان الواو، واللام، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فأصبحت : قُلْ.

والحقيقةُ أنّ صيغة فعل الأمر «قُلْ» جاءت على هذه الصورة مُنْذُ بداية الأمْر، ولم يَكُنْ من المستطاع أنْ تأتيَ على الصورة الأخرى «قُولْ» في النُّطق الفعليّ، والسببُ في ذلك سببٌ صوتيٌّ واضحٌ يرتبطُ بخواصِّ التركيبِ المقطعي في العربية الفصحى.

إن صيغة الفعل، التي افترضها الصرفيون القدماء «قُولْ»، يتألف نسيجُها المقطعيُّ من : صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت؛ أي من : ص + ح ح + ص ، أو : c+vv+c[1]، وهذا النسيجُ المقطعيُّ لا يجوزُ في العربيةِ إلاّ في حالة الوَقْف، أوْ أنْ تكونَ الحركةُ الطويلةُ مَتْلوَّةً بصامتين متماثلين مدغمين من أصل الكلمةِ نحو : شابَّة، ودابَّة، أمّا ما ذَهَبَ إليه علماؤُنا الصرفيون القدماءُ فهو عَمَلٌ افتراضيٌّ لا يُؤْخَذُ به في الدَّرْسِ اللغوي الحديث. [علم اللغة العام، الدكتور كمال بشر، ص : 185-186].

وبالمثل فإن علم النحو - الذي يعدُّ قمة البحث اللغوي، والهدف الذي يسعى إلى تحقيقه اللغويون عند النظر في اللغة المعينة - مبنيٌّ على علم الأصوات، ويتجلى ذلك في جوانبَ مختلفةٍ، وصورٍ شتّى. ومن الأمثلة على ذلك، أنّ الجانبَ الصوتيَّ هو الذي يقوم، في حالات كثيرة، في التفرقة بين الجملة الاثباتية، والجملة الاستفهامية، وذلك بالاعتماد على التنغيم Intonation، أو التلوين الموسيقي، الذي يُعَدُّ جزْءاً لا يتجزأ من النُّطق نَفْسه.

إنَّ هناك أمثلةً كثيرةً تحتوي على أداة استفهام، و هي في الوقت نَفْسه لَيْسَتْ باستفهام، ومن ذلك، على سبيلِ المثال، قولُهُ تعالى : «هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» وقوله تعالى : «ألم نشرح لك صدرك»، فقد قرَّرَ علماءُ البلاغة القدماءُ أنَّ أداتي الاستفهام «هل»، والهمزة، قد خرَجتا عن مَعْنَيَيْهما الأصلي، وهو الاستفهام، إلى التقرير، ولا شَكَّ في أنَّ فَيْصَلَ الأمرِ في ذلك يتوقف على التنغيم، وموسيقى النطق.

كما أن هناك، على العكس من ذلك، أمثلةً أخرى تَخْلو من أدوات الاستفهام، وهي، في حقيقةِ الأمر، جملٌ استفهامية. ومَدارُ الأمْر، في ذلك كلّه، على الموسيقى والتنغيم الذي يُصاحب النطق. ومن أمثلة ذلك قولُهُ تعالى : «يا أيُّها النبيُّ لم تحرم ما أحلَّ الله لك، تبتغي مرضاة أزْواجك». فقد قرر البلاغيون العرب أن جملة «تبتغي» جملة استفهامية، وإنْ كانت تخلو من أداةِ استفهام، وتقديرُ الكلامِ هو : أتبتغي مَرْضَاةَ أزواجك؟ ولا شك في أنَّ الحُكْمَ بكون هذه الجملة استفهاميةً يعودُ، في حقيقة الأمر، إلى تنغيم النُّطق على نحوٍ يوائمُ الأنْماطَ التنغيمية للجملِ الاستفهامية التي من هذا النوع، وليس هناك ما يدعو إلى تقدير محذوف، إذْ إنَّ الكلامَ مفهومٌ من دون هذا التقدير، فضلاً عن كونِ هذا التقديرِ عَمَلٌ افتراضيٌّ لا يفيد الموضوعَ شيئاً على الاطلاق.

---

(1) يشير الرمز "ص" إلى اختصار كلمة صامت، ويشير الرمز "ح" إلى اختصار كلمة حركة، كما يشير الرمز "c" إلى اختصار كلمة Consonant، ويشير الرمز "v" إلى اختصار Vowelarb، ولمزيد من التوضيح، ينظر الوحدة السابعة من هذا المقرر.

6- وتعدُّ الدراسةُ الصوتيةُ ضروريةً أيضاً، في دراسة اللهجات، التي لا يمكنُ أن تتمَّ، على أيِّ مستوى، دون الاعتماد على دراسة صوتية دقيقة. إنَّ مظاهرَ الاختلاف بين اللهجات المحلية، واللغةِ المشتركة، إنما توجدُ في الفروقِ الصوتية، تلك الفروق التي تُمهدُ دراستُها لدراساتٍ لاحقةٍ لها في الصرف والنحو، وفي غيرهما، والتي تعين، في النهاية، على إدراكِ مدى القُرْبِ أو البُعْدِ بينها وبين اللغةِ المشتركة التي تفرَّعَتْ منها.

7- والدراسة الصوتية، عزيزي الدارس، مُهِمَّةٌ وضروريةٌ في مجالاتٍ غير لُغَوِيَّةٍ بَحْتَة، فهي مهمة، بل ضروريةٌ جداً في مجال وسائل الإعلام، إذ يجبُ على المشتغلين بالصَّحافة ووسائلِ الإعلام المسموعةِ والمرئيةِ، أنْ يكونوا على درايةٍ واسعةٍ بطريقةِ نُطقِ الأصواتِ اللغوية، فهم ذوو تأثيرٍ واسعٍ على المستوى الثقافي والاجتماعي، لأنَّهم ينقلون، إلى الجماهير، ما يهمهم من شئونٍ، بلغتهم التي يتحدثون بها، والجماهيرُ تَتَلَقَّفُ الأصواتَ منهم، ثم تُقَلِّدُها. وإذا ما أحسنَ هؤلاءِ النطقَ، فإنَّ ذلك سيؤثر، دونما شك، في جودة اللغةِ على لسانِ الشَّعْب.

8- ولا تستغرب، عزيزي الدارس، إذ قلنا لك : إن علم الأصواتِ يقدِّمُ المعونةَ والمساعدة لمهندسي الصوت الذين هم بحاجة ماسَّة إليه، وذلك لأن الأجهزة الحديثة التي تنقل الصوت، أو تسجله، كالهواتف، وأجهزة التسجيل الصوتي المختلفة، تحتاج إلى إحاطة القائمين على شئونها بتفاصيلِ نُطقِ كلِّ صَوْتٍ، وتحديدِ عَدَدِ ذبذباته ونوعها، ولهذا، فإن نجاح شركة «بل» للتليفونات، يُعْزَى إلى اعتمادها على علماء الأصوات جنباً إلى جنب مع المهندسين في عملها. ويمكننا قولُ الشَّيْءِ نفسه بالنسبة لأجهزة المذياع، والسينما الناطقة، والأجهزة المساعدة في إسماع الصم.

9- ويعدَّ علم الأصوات ذا أهمية بالغة في مجال تعليم الصُّمِّ البكم، سواءً في ذلك من كانوا ثقيلي السمع، أو من وُلدوا وهم في حالة صمم، أو مَن أُصيبوا بهذا العارض في وقت متأخر. إنَّ الاعتماد على علم الأصوات يُسْهِمُ في تعليم هؤلاء طرائقَ خاصةً بنطق الأصوات، حتىٰ يفهموا تعبيرات المتكلمين، ومن ذلك تدريبُهُم على الإدراك بقراءة شفاه المتكلمين عند الكلام، وفهم ما يقولون، أو قراءة الكلام نفسه، ومن ذلك أيضاً التجارب والأبحاث التي أجريت لتحديد معايير للسمع، وتعيين درجات للصمم، وأنواع الاستخدام للأذن السليمة والمريضة عند ترددات مختلفة في العملية الكلامية، الأمرُ الذي ساعد على تطوير الوسائل المعينة على السَّمْع لتكونَ أصلح.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنه لا بُدَّ لمدرسي الصُّمِّ البكم من فهم وإدراك تاميَّنْ لمخارج الأصوات المختلفة، حتى يُمْكِنَهم اكتشافُ خَيْرِ الوسائل لتعليم تلاميذهم تعليماً سليماً.

10- ولعلَّ من أهم ما يقدِّمُهُ علمُ الأصوات من خدمات يتمثل، عزيزي الدارس، في معالجة عيوب النطق أو الكلام الناتجة عن اكتساب عادات نطقية غير سليمة، وذلك بالنسبة لمن يتمتعون بأذنٍ صحيحة، وإدراكٍ سليم للأصوات. إن النطق السليم لا يتطلب أكثر من وضع الأعضاء النطقية في المواضع التي يتطلبها كلُّ صوتٍ من أصوات اللغة. ولهذا فإن الأطباءَ الاختصاصيين في علاج أمْراضِ النُّطق يدرسون جانباً من علم الأصوات، كما يدرس طلابُ كليةِ طبِّ الأسنان هذا العلم أيضاً، وذلك حتى لا يؤدي علاجُهم لأسنانِ مَرْضاهم إلى إِحْداث عيوبٍ نُطقيةٍ فيهم. [أصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 24].

فائدة (4)

عزيزي الدارس،

لقد سبق العرب غيرهم من الشعوب، في ملاحظة بعض العيوب النطقية، التي من شأنها أن تخرج الكلام عن سمت البيان والفصاحة، فالجاحظ، على سبيل المثال، تناول هذا الموضوع في كتابه المشهور "البيان والتبيين"، وعلى وجه التحديد في الجزء الأول من هذا الكتاب. وقد صنف هذا العالم الأديبُ عيوبَ النُّطق إلى أنواعٍ أهمُّها :

1- عيوب فسيولوجية : كاللجلجة، والتمتمة، واللثغة، والفأفأة، والحُبْسة، والحكلة، والرُّتة، واللّفف، والعجلة، كما ذكر بعض العيوب الناجمة عن سقوط الأسنان، وأمراض بعض الأعضاء النطقية [البيان والتبيين 12/1 ,34 وما بعدها، 58/1 وغيرها].

2- عيوب فردية : وتتمثل في التشديق، والتقعير، والتقعيب [البيان والتبيين 13/1].

3- عيوب أعجمية : وهي العيوب التي تتمثل في كلام الأعاجم ممن دخلوا الاسلام في سن متأخرة، ويقصد بذلك اللُّكنة فضلاً عن اللحن. [البيان والتبيين 146/1، 165 وغيرها].

فائدة (5)

عزيزي الدارس،

لعلك تَسْمعُ بعضَ الناطقين، من حَوْلكَ، وهم يلثغون في نُطْق صوت الراء، أوالسين، أو غيرهما من الأصوات العربية. وما عليك، بعد أن تُنْهِيَ دراستك لمقرّرِ علم أصوات العربية، الذي بين يديك، وخاصة ما ستدرسه في الوحدة الخامسة، من كيفية إنتاج الأصوات – نقول : ما عليك إلاّ أنْ تُرْشِدَهم إلى الطريق الصحيح في النطق، وذلك عن طريق شرح كيفية نُطْق كلِّ صوت بهدوء، وبيان الموقع الدقيق للنطق به. حاول ذلك مَعَهُمْ، بِمَوَدَّةٍ وتَحَبُّبٍ، مرّةً إثر مرّةً، وكلّفهم بالتدرُّب على ما وصفته لهم، مُسْتَقْبِلاً عن طريق النظر في مرآةٍ، ونحن على يقينٍ من أنّ عملك هذا سَيُؤْتي ثِمارَهُ إن شاء الله، شريطةَ التزوُّدِ بالصَّبْرِ، والثِّقَةِ بالنجاح.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- ما الأهداف التي يمكن تحقيقها من وراء إجادة تعلم اللغة القومية على أسس صوتية سليمة؟

2- لماذا تعدُّ الدراسة الصوتية مهمة في مجال وسائل الاعلام المسموعة والمرئية ؟

3- كيف يسهم علم الأصوات في تعليم الصم والبكم طرائق خاصة بنطق الأصوات ؟

تدريب (4)

عزيزي الدارس،

لا شك لدينا، في أنك تلاحظُ، في أثناءِ مشاهدتك لبعض المسلسلات والبرامج في التلفاز، وفي أثناءِ استماعِكَ لبعضِ البرامج في الإذاعة، أن مقدمي البرامج، في هذين الجهازين، يذكرون لك، مَعَ أسْماءِ المُعدِّين والمشاركين والمقدِّمين، اسْمَ مهندسِ الصوت. فما العمل الذي يقوم به هذا المهندس في برامج التلفاز والإذاعة ؟

فائدة (6)

عزيزي الدارس،

من المعلوم أن الصوت البشري، يختلف من إنسان إلى آخر، فلا يكاد يتفق أو يتقارب اثنانْ من المتكلمين في خاصية الصوت. ولهذا، فقد رأى بعض علماء الأصوات، أن بالإمكان الانتفاع بالرسوم الطيفية لمختلف الأصوات في عملية الكشف عن هُويّة قائليها. وهذه الحقيقة، التي كشف عنها المحدثون بما سَمَّوْه «بصمة صوتية» Voice Print، قد أفاد منها علم الإجرام ورجال الأمن في تشخيص المشتبه بهم، وذلك من خلال التمييز بين شخص وآخر، من خلال بصمة صوته، وذلك على النحو الذي يمكن استخدامه، في هذا الصدد، من خلال بصمات الأصابع Fingers Print.

7- جهودُ العلماءِ العربِ القدماءِ في علم الأصوات

عزيزي الدارس،

في نهاية تعريفنا، في هذه الوحدة، بعلم الأصوات، وبيانِ أقسامه، ومناهجِ البحث فيه، والحديثِ عن أهميته في مجالاتِ الحياة المختلفة، نجدُ من الضروريِّ أنْ نختم حديثنا عن هذا الموضوعِ بعرضٍ موجز لتلكَ الجهودِ الطيبةِ والمباركةِ التي قامَ بها السَّلَفُ من علماءِ العربية وشيوخِها الأفذاذ، في مَيْدانِ الدَّرْسِ الصوتي.

عزيزي الدارس،

يجمعُ الباحثون اللغويون على أنَّ العربَ، ومعهم الهنودُ، كانوا من أقْدمِ الشعوبِ التي بَرَزَ في تراثهم بحثٌ علميٌّ مُنَظَّم لعلم الأصوات، ويرجعُ السرُّ في اهتمامِ العربِ بلغتهم، وأصواتِ لغتهم، على نحوٍ خاص، إلى إحْساسهم، بضرورةِ الحفاظِ على القرآنِ الكريمِ ولغته من التَّحريفِ والتغيير، فشرعوا، بجُهدٍ لا يَعْرِفُ الملل، في وصفِ مخارجِ حروفِ العربية وَصْفاً دقيقاً، وتحدثوا عن صفاتِ تلك الحروفِ وأصْواتها حديثاً يُنْبِىءُ عن إرهافِ حِسِّهم وشفافيتهم، ولقد أطلقوا على هذه الدراسةِ ما عُرِفَ بتجويدِ القرآنِ الكريم.

وقد حقَّق العربُ، في مَيْدانِ الدَّرْسِ الصوتي، إنجازاتٍ مبكرةً، تَمثَّلتْ في أمورٍ كثيرة، مِنْ أهَمِّها: أنهم وَضعوا ألفبائيةً صوتيةً للغة العربية، وصَنَّفوا الأصواتَ العربيةَ إلى فئاتٍ مختلفةٍ وَفْقاً لمعاييرَ خاصةٍ وضعوها، كتقسيمهم الأصوات إلى صحيحةٍ ومعتلةٍ، ومجهورةٍ ومهموسةٍ، وشديدةٍ (انفجارية) ورخوةٍ (احتكاكية)، ومستعليةٍ (مفخمة)، ومُسْتَفِلَةٍ (مرققة)، وغير ذلك. ووضعوا، بالاضافة الى ما سبق، قواعدَ وقيوداً على نَوْعيَّةِ الأصواتِ التي تجيزها قواعدُ بناءِ الكلمة العربية، من حيثُ عَدَدُها، ونوعُها، وكيفيةُ ترتيبها، بل إن بَعْضَهم حاولَ الرَّبْطَ بين مستويي الصوت والدلالة في حُدود البِنَى الصَّرْفية.

وقد برعَ علماءُ اللغة العربُ، في دراستهم للجهاز النطقي عند الانسان، فقسموه إلى مدارجَ ومخارجَ وأحياز، ثم نَسَبُوا الى كلِّ مَدْرَجٍ منها ومخرج، مجموعةَ الأصوات التي تَنْتَمي إليه. ولم تَخْلُ دراساتُهم الصوتية من بعض الإشارات المقارنة، كمقارنتهم بعض الأصوات العربية بأصوات اللغة الفارسية، خلافاً لما فعله سابقوهم من علماء الأمم الأخرى.

فائدة (7)

عزيزي الدارس،

لقد اعترف علماء اللغة الغربيون بفضل العرب وسبقهم في ميدان الدرس الصوتي، منذ وقت مبكر من تاريخ الفكر اللغوي الإنساني. يقول عالم اللغة الألماني برجشتراسر Bergsträser: "ولم يسبق الغربيين في هذا العلم - أي علم الأصوات - إلاّ قومان من أقوام المشرق، وهما : أهل الهند، ويعني البراهمة، والعرب" [التطور النحوي، لبرجشتراسر، ص : 11]. ويقول العالم اللغوي الانجليزي فيرث Firth : "لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكريتيه" [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص : 67].

1.7 أبو الأسود الدؤلي

ولعل أوّلَ فكرٍ صوتي وصل إلينا، من جيل أولئكَ الروّاد، يتمثلُ في تلك الإرهاصات اللغوية التي نُحِسُّ بغَيْرَةِ أَصْحابها على العربِ والعربية، والتي يُعَدُّ أبو الأسْود الدؤلي (ت 69هـ) رائداً من رُوّادها، وعَلَماً من أعلامها.

عزيزي الدارس،

لقد حاولَ هذا العالِمُ أن يضع رموزاً لجانبٍ مُهِمٍ من جوانب الدرس الصوتي، ونعني به الحركات Vowels، ذلك أنَّ العرب، ومعهم الساميون، بعامة، لم يُعيروا هذا الجانبَ من الأصوات اهتماماً ذا بال، مما أدّى الى وقوع الخطأ في تلاوة القرآن الكريم، فعقد هذا العالمُ العَزْمَ على وضعِ الحركات، درءاً لذلك الخطر، فاستدعى كاتباً وقال له : "إذا رَأَيْتَني قد فتحتُ فمي بالحرفِ فانْقُطْ نقطةً فوقه على أعلاه، وإن ضَمَمْتُ فَمي فانْقُطْ نقطةً بين يدي الحرف، وإن كسرتُ فاجعل النقطةَ من تحت الحرف". [الفهرست، لابن النديم، ص : 60]، وكان هذا أساس تسمية الحركاتِ العربيةِ بالفَتْحَةِ، والضَّمَّةِ، والكَسْرَة.

فائدة (8)

عزيزي الدارس،

يرى بعض الباحثين، أن أبا الأسود الدؤلي كان أول من فكّر في وضع قواعد للّغة العربية، وذلك عندما بدأ اللحنُ يفشو وينتشر على ألسنة الأعاجم ممن دخلوا الاسلام، وعلى ألسنة العرب بعامة، وبعض الخاصة منهم. وقصته مع ابنته، التي تعجبت، في حضرته، من جمال السماء، أو من شدة وَقْدة الحرّ بالبصرة، قصة مشهورة.

والمطلوب منك، عزيزي الدارس، أن تعود الى بعض المصادر والمراجع اللغوية والأدبية لتتعرف الى ذلك بنفسك. ونقترح عليك، لتيسير الأمر، الرجوع الى :

1- كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني.

2- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي.

3- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي.

4- الفهرست، لابن النديم.

5- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، وغيرها كثير.

2.7 يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم

وقد جرَتْ، بَعْدَ هذه المحاولة، التي نَهَضَ بها هذا العالمُ، محاوَلاتٌ أخرى لا تقل عَنْها أهميةً وشأناً، منها، على سبيل المثال، محاولةُ يحيى بن يعمر (ت 129 هـ)، ونصر بن عاصم (ت 89هـ)، وهي المحاولةُ التي هَدَفَتْ إلى إصلاحِ نظامِ الكتابةِ العربيةِ عن طريقِ وضعِ نظامِ الإعْجامِ والنَّقْط، وذلك من أجْلِ التمييزِ بين الحروف المتشابهة في الرسم، كالجيم، والحاء، والخاء، وغيرها ... مما يؤدي الى تيسير عملية القراءة، ودفع اللَّبْس في نطق الحروف التي يجمعها رسم واحد، أو متشابه.

ومنْ هذه المحاولاتِ البسيطة أيضاً، ما يُعزى الى نصر بن عاصم، من أنه كان، ومعه مفكرون آخرون، يَتَمَلْمَلُ من نَسَقِ الترتيبِ الأبْجدي السامي للحروف العربية، وهو الترتيب الذي يَسيـر على نظام : أ، ب، ج، د، هـ، و، ز ....، فَعَدَلَ به إلى النظامِ الألفبائي، أو النظامِ الذي نُؤْثِرُ أن نُسَمِّيَهُ "النظام الأبتثي العربي"، وذلك نسبة الى ترتيب الحروف العربية الى : أ، ب، ت، ث، ج، ....، وهو نظامٌ يجمعُ الأحْرُفَ المتشابهة في الرسم في حُزْمَةٍ واحدةٍ، بحيثُ لا يفرق بين أفرادها سوى الإعجامِ أو الإهمال.

بَيْدَ أنَّ هذه المحاولات الأوَّليةَ، التي ذكرناها، وما كان على شاكلتها أيضاً، لم تَكُنْ أكثرَ من ملاحظاتٍ فرديةٍ عابرة، لم تَصِلْ، ولم يَصِلْ بها أصحابُها أيْضاً، الى مرحلةِ التأطير، وَوَضْعِ النماذجِ الفكرية، في المجال اللغوي، إلى أنْ قُيِّضَ للعربيةِ من استطاعَ أن يَضَعَ لها الأُطُرَ والنماذج التي بَلَغَتْ، من الأصالةِ والعُمْقِ، مرحلةً مُتَقَدِّمةً من النُّضْجِ المُبَكِّر.

3.7 الخليل بن أحمد الفراهيدي

وبعد ذلك سطع نَجْمُ عالم لغويٍّ كبير، هو الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، الذي بدأ مَعَهُ الدرسُ اللغويُّ بعامة، والدرسُ الصوتيُّ بخاصة، بداية علمية حقيقية، فهذا الرجل يَتَبَوأ، في ميدان الدراسات اللغوية العربية، بمختلف فُروعها وأنواعها، مَركَزَ الريادة والأصالة. ويعودُ ذلك، دونما شَكٍّ، الى تَوَقُّد ذِهْنِ هذا الرجل، وعبقريته الرياضية الفذّة، وطاقاته الفكرية المُتَنَوِّعَة التي وَجَّهَها لِخدْمَةِ اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، والبَحْثِ في أسرارها، والكَشْفِ عن خصائصها.

كان الخليلُ بنُ أحمد، بحقٍّ، إمامَ علماء الأصوات العرب، فقد قدَّمَ للفكر الصوتي العربي أهَمَّ أسُسِه ومبادئه، ولقد تمثل ذلك، بالإضافة الى كتابه العظيم الموسوم بالعين، في مقتبسات متناثرة في كُتُبِ الأقدمين، وكلُّها تُشيرُ إلى عِلْمِهِ وفَضْلِه، ومقدارِ اعتزاز القدماء بآرائه، واعتمادهم عليها.

عزيزي الدارس،

إنَّ مِنْ حَقِّ الخليل بن أحمدَ علينا، أن نُفَصِّلَ الحديثَ عن جهوده اللغوية والصوتية، التي كانت الأساسَ المرجعيَّ لكل من جاء بَعْدَهُ من العلماء واللغويين. وهذا ما سنحاوله، في السطور التالية، على شَكْلِ نقاطٍ سريعة، فكن مَعَنا، ونَحْنُ على ثِقَةٍ من رَغْبَتِكَ في الاستزادة والتَّعَرُّف إلى هذا الجانب المشرق من تراثنا العظيم :

1- يُنْسَبُ الى الخليل بن أحمد وَضْعُه للرَّمْزِ الخاص بالهمزة العربية وهو عبارةٌ عن رَأْسِ عَيْنٍ صغيرة (ء)، وهذا ينبيءُ عن إحساسِ هذا العالم بالعَلاقَةِ المخرجية الدقيقة التي تَرْبِطُ بين هذا الصوت، وصوت العين.

2- ويُعْزَى إلى الخليل بن أحمدَ أيضاً، وَضْعُه للرَّمْزِ (ّ) المأخوذ من حَرْف الشين في كلمة "شَدَّة" وذلك للدلالة على الإدغام والتَّشْديد. وربما كان هذا اللغويُّ الكبيرُ يَنْطَلِقُ، فيما ذهبَ إليه في هذا الصدد، من تَصَوُّراتٍ صوتية شغلت، ولا تزال تشغل، الفكرَ الصَّوْتيَّ فيما يسمى بتأثير الأصوات وتأثرها بعضها ببعض.

3- ذهبَ الخليلُ بن أحمد إلى أنَّ الحركات أبعاضُ حروف المدّ، كما اخترعَ علامات الضبط التي لا نَزالُ نَسْتَعْمِلُها حتى اليوم : من ضمّة، وفتحة، وكسرة [سر صناعة الإعراب، لابن جني 13/1].

4- كان الخليل بن أحمد من أوائل علماء العرب والمسلمين الذين قدَّموا دراسةً دقيقةً للجهاز الصوتي، وهو الحلق والفم والشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق، ومدارج يختصُّ كلٌّ واحدٍ منها بحرف، أو مجموعةِ حروف، وما أشارَ إليه أيضاً من "ذَوْق الحروف" لبيان حقيقة المخرج، فقد هُدِيَ بذكائه المتفوق في ذلك، الى مقاييسَ صحيحةٍ، أقَرَّ كثيراً منها علماءُ الأصوات المحدثون.

نَظَرَ الخليلُ بن أحمد في جهازِ النطق عند الإنسان، وتعرَّفَ حُدودَهُ، وبيَّن أجزاءَهُ المختلفة، ثم أخذَ، كما ذكَرْنا قبل قليل، في ذَوْقِ حُروف العربية حَرْفاً حَرْفاً، ليتبَيَّنَ مدارجَ تلك الحروف وأحيازَها. وبَعْدَ ذلك، بدا له أنْ يُرَتِّبَ هذه الحروفَ ترتيباً يَعْكِسُ أصالةَ فِكْرِهِ، ويُبْعِدُهُ عن تقليد الترتيب السامي الأبجدي، أو الترتيب العربي الألِفبائي. فقام، بناءً على ذلك، بترتيبِ الحُروفِ تَرْتيباً جديداً، ونَعْني به الترتيبَ الصوتيَّ القائمَ على مَوْقعيَّةِ كلِّ صَوْتٍ في جهاز النطق.

لقد عرضَ هذا العالِمُ حروفَ الهجاءِ على أعضاءِ النُّطقِ حَرْفاً حَرْفاً، وقاس مَدارِجَها بالقَدْرِ الذي سمحَ به اجتهادُهُ وامْكاناتُه، فرأى أنَّها تَصْدُرُ من أعضاءِ النطقِ مُتَدرِّجَةً من أعلى، من أقْصى الحنك، نازلةً الى أسْفَلِ، الى نهايةِ الشَّفَتَيْن. "وإنَّما كان ذَواقُه إيَّاها أنّه كان يفتحُ فاهُ بالألِفِ ثم يُظْهِرُ الحَرْفَ، نحو : أبْ، أتْ، أحْ، أعْ، أغْ، فوجدَ العَيْنَ أدْخَلَ الحروف في الحلق، فجعلها أوّلَ الكتاب، ثم ما قَرُبَ منها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها، وهو الميم". [كتاب العين 47/1].

ومن ثمَّ فقد هداه تذوُّقُه للحروف، وتصوُّره لمخارجها، إلى وَضْعِ النظام الصوتي التالي للحروف العربية :

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م/ و ا ي ء

وقد بسط الخليلُ بن أحمد، في مقدِّمَةِ كتابه العين، القَوْلَ عن هذه الحروف ومخارجها، فبعد أن قَرَّر أنها تِسْعَةٌ وعشرون حرفاً قال : "منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحيازٌ ومدارج، وأربعة أحرف جوف (هوائية)، وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة" [كتاب العين 57/1]. ثم تحدث عن مخارج هذه الحروف فقال :

"فالعين والحاء والخاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجْرية، لأن مبدأها من شجْر الفم؛ أي مَفْرج الفم، والصاد والسين والزاي أسَليَّة، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. والطاء والتاء والدال نِطْعيَّة، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاء والذال والثاء لثويَّة، لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذَلْقيَّة، لأن مبدأها من ذَلَق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان. والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرَّةً شفهيَّة، لأن مبدأها من الشفة. والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيِّز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء". [كتاب العين، 58/1].

أما لماذا عَدَلَ الخليلُ عن الاحتمالاتِ الأخرى في ترتيب أبواب معجمه، فيجيبُ هو نَفْسُهُ عن ذلك بقوله الذي رواه ابن كيسان : "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم، ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفيّة لا صوت لها، فنزلت الى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف". [المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي 90/1].

إن هذا الوصفَ الدقيقَ، لمدارجِ الأصوات العربيةِ وأحيازها، يقودُنا الى التسليم بأن عقليةَ هذا الرّجُلِ الفَذّة، وذكاءَهُ المتوقّدَ، قد وَضَعا، مُنْذُ وَقْتٍ مُبَكّرٍ جداً، اللّبِنَاتِ البِكْرَ في صرحِ التّصَوُّراتِ الأوليةِ لعلم يَفْتَخِرُ المعاصرون من اللغويين، بأنه غَضٌ حديثُ العَهْدِ، ونعني به علم الأصوات.

5- غير أن هذا العالمَ الفذَّ قد انْصَرَفَ، في دراساته واهتماماته، إلى اللّغةِ في عمومها، فيمَّمَ وَجْهَهُ، بَعْدَ دَرْسِهِ لأصواتها، شَطْرَ صَرْفِها، ونَحْوِها، ودلالتها، ثم علم العروض فيها، واستطاعَ، بِفِكْرِهِ الثاقبِ، أن يَضَعَ الأصولَ والقوانين العامة التي تَحْكُمُ أُطُرَها، وتتحكّمُ في آلياتها.

وعلى الجملة. فإنَّ نظرات الخليلِ بن أحمد الأولى، في البحث اللغوي العام، عند العرب، كانت الغَرْسَ الطَّيِّبَ لِلبدايات الحقيقيةِ للعلومِ اللغويةِ العربيةِ في مُسْتوياتها المختلفة.

فائدة (9)

عزيزي الدارس،

لقد عُرِفَ الخليل بن أحمد بخصيصتين رئيستين وسمتا شخصيته، وميزتاه بصفات تفرّدَ بها عن غيره من العلماء، والشيوخ، وهاتان الخصيصتان هما : العلم والزهد.

1- أما العلم، فقد انعقد إجماع العلماء على أن الخليل يقع، في ميدان الدرس اللغوي، موقع القمة، وذلك لما تمتع به هذا العالم من عبقريةٍ صافيةٍ فذّة، وذهنٍ متوقدٍ نفّاذ. فقد روى أبو الطيب اللغوي، صاحبُ كتاب مراتب النحويين، عن أبي محمد التوّجيّ أنه قال : "اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق، فتذاكرنا أمْرَ العلماء، فجعلَ أهلُ كلِّ بلد يرفعون علماءَهم ويصفونهم، ويقدِّمُونَهُمْ، حتى جرى ذكرُ الخليل، فلم يبق أحدٌ إلا قال : الخليلُ أذكى العرب، وهو مِفْتاحُ العلوم ومصرِّفُها". [مراتب النحويين، ص : 55].

2- أمّا فيما يتعلق بزهد الخليل ووَرَعه، فالأمرُ في ذلك، كما تُنبئُ الرواياتُ والقصص، بيّنٌ وجليّ. فقد وصفه ياقوتُ الحموي بقوله : "كان من الزهاد المنقطعين الى الله تعالى .. وكان سفيانُ الثوري يقول : من أحبَّ أن ينظرَ الى رجلٍ خُلِقَ من الذّهب والمسك فلينظر الى الخليل بن أحمد ... ويروى عن النضر بن شُميل أنه كان يقول : أكَلَت الدنيا بعلم الخليل وكتبه، وهو في خُصٍّ [أي البيت من القصب] لا يُشْعَرُ بـه" [معجـم الأدبـاء 74/11].

فائدة (10)

عزيزي الدارس،

سُمع الخليل بن أحمد، وهو يطوف حول الكعبة، يَدعُو ربّه قائلاً : اللهمّ ارزُقْني عِلماً لم أُسْبَقْ إليه. فاستجابَ له الله عزّ وجلّ، وكان له ما أراد وزيادة. فقد تمكن هذا العالم، بفكره الثاقب، وعقله المتميز، أن يكونَ صاحب أوّل معجمٍ لغَوي مُنَظّم في اللغة العربية، هو مُعْجمُ العين، وأنْ يكونَ صاحبَ أوّلِ فِكْرٍ موسيقي للشّعرِ العربي، هو علمُ العَروض.

تدريب (5)

1- وضّح أنواع الترتيب التي كانت متبعة لحروف الهجاء العربي في عصر الخليل بن أحمد، ثم بيّن الترتيب الذي اخترعه الخليل، وسار عليه في دراسته لأصوات العربية، وترتيبه لمواد معجمه العين.

2- ما المقصود بالترتيب الأبتثي العربي ؟ ومن هو العالم الذي وضع أسسه الأولى ؟

3- اشرح المقصود بمُصْطَلحيْ الإعجام والاهمال.

4- لم تقتصر دراسة الخليل بن أحمد، للغة العربية، على الجانب الصوتي لها، وإنما كان، بالاضافة الى ذلك، مبتكراً لعلمين كبيرين من علوم العربية. اذكر هذين العلمين.

4.7 سيبويه

وبَعْدَ الخليل بن أحمد، جاء تلميذُه العبقريُ سيبَوَيْه، فَوَرِثَ عَنْ أُسْتاذِه عِلْمَه، وفِكْرَه، وذكاءَه أيضاً، وكان له، كما كان لأستاذه، من قَبْلُ، عقليةٌ علميةٌ ناضجة، وذهنٌ متوقدٌ صافٍ، ويدلُّنا على ذلك إلمامُه بمختلف العلوم ومسائل الفكر، غَيْرَ أنه نَبَغَ في الدرس اللغوي، الذي بلغَ قِمَّتَه في مُؤَلَّفِه المعروفِ بالكتابِ، وهو كتاب العربية الخالد، ودستورها اللغوي الأول، ولم يُؤثِّرْ في علومِ العربيةِ كتابٌ قَبْلَهُ، على الرغم مما قيل أنَّ عيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) قد أَلَّفَ، قبل سيبويه، كتابين في النحو، هما : الإكمال، أو المكمل، والجامع، وأنَّ سيبويهِ قد أفادَ منهما، دونَ أن يقومَ دليلٌ على ذلك، فضلاً عن كونِ هذين الكتابين مشكوكٌ في أمْرِهما.

يقع هذا الكتاب؛ أي كتاب سيبويه، الذي قام بتحقيقه المرحومُ عبد السلام هارون، في خمسةِ أجزاء، خُصِّصَ آخرُها للفهارس، والكتابُ، في مجموعه، يدورُ حَوْلَ قضايا النحو ومباحثه، وموضوعات الصرف ومسائله، ثم خَتَمه صاحبُه بمباحِثَ خاصةٍ، بمخارجِ الحروف والادغام، وليس للكتاب مقدمةٌ، ولم تكنْ له خاتمة، ولا ندري، كما لا يدري غيرُنا، فيما نعلم، متى بدأ صاحبُه بتأليفه، ولا متى انتهَى منه، ولعلَّ الرَّجُلَ قضى نَحْبَهُ قَبْلَ أن يفعل ذلك، فضلاً عن أن أجَلَهُ، فيما يبدو، لم يُمَكِّنْهُ من وَضْعِ تَسميَةٍ له.

عزيزي الدارس،

يعدُّ كتاب سيبويه، من أقدم المصادر التي وصفت الأصواتَ العربيةَ وَصْفاً تفصيلياً، يعتمدُ على تقرير الواقع المعاصر لمؤلفه خلال القرن الثاني الهجري. وقد عاصر سيبويهِ قُرَّاءَ القرآنِ الكريم، وأخذ عنهم القراءَةَ عَرْضاً وسماعاً، وتلقَّى عن الخليل بن أحمد، أعْظَمِ علماءِ الأصوات آنذاك، إنْ لم يَكُنْ أعظمَ العبقرياتِ قاطبةً في عصره، كما أنَّ سيبويهِ قد شافَهَ الفُصحاءَ، وَخَبَرَ طريقةَ هؤلاءِ وأولئكَ في أداءِ اللغة، وَوَقَفَ منهم موقفَ الناقدِ الذي يميز بين ما هو من الفصيح، وما هو دون الفصيح. [في التطور اللغوي، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص : 208-209].

ومن المعلوم، أنَّ سيبَوَيْهِ قد عرض آراءَهُ الصوتيةَ في نهايةِ كتابه، وذلك في أثناءِ حديثِه عن قضايا الإدغام، وموضوعُ الإدْغامِ هذا، يُعَدُّ من الموضوعاتِ التي تتضافرُ في إنشائها مباحثُ الصَّرْفِ والصوت. ولأمرٍ ما جاء عَرْضُ سيبويهِ للقضايا اللغويةِ، في كتابِه، بصورةٍ عكسيةٍ، حيث كانَ الأولى به أن يَبْدَأَ بمباحثِ الأصوات، ثم الصرف، فالنحو، على اعتبارِ أن مَوْضُوعَي الصوتِ والصَّرْفِ يُمَهِّدانِ للدَّرْسِ النحويِّ وقضاياه.

ولا شَكَّ في أنك تسـأل الآن، عـزيزي الدارس، عن المادة الصـوتيـة، أوعن الدرس الصوتي، الذي قدَّمه سيبويهِ، في كتابه، للأجيالِ من بَعْدِه، فنقول لك، على نحو مختصر :

لقد رَتَّبَ سيبويه أصواتَ العربيةِ حَسَبَ مخارجها، مُخالفاً، في بعضها، ترتيب شيخه وأستاذه الخليل بن أَحْمدَ، وقد تمَّ له ذلك على النحوِ التالي :

الهـمزة، والألف : هـ ، ع ، ح ، غ ، خ ، ك ، ق ، ض ، ج ، ش ، ي ، ل ، ر ، ن ، ط ، د ، ت ، ص ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م ، و.

وقـام، بعـد ذلك، بتـوزيعِ هذه الأصـوات في ستَّةَ عَشَرَ مَخْرجـاً. ثم قَسَمَ أصـواتَ العربيـةِ، من حيثُ الصفاتُ التي تَتَّسِمُ بها، على أقسام بعضها عـام : كالجهر والهمس، والشديد والرخو، وبعضها خاص بمجموعـات صغيرة من الأصوات، كـالأصوات المطبقة والمنفتحة، والأصوات الصفيرية، والأصوات ذات الغنَّة، والأصوات اللينة، والأصوات ذات الاستطالة والتـفشي، والأصوات المُشْرَبة، وبعضـها خاص بأصوات مفـردة، كالأصوات المنحرفة، والأصوات المكررة، والأصوات الهاوية. [الكتاب، لسيبويه، 4/431-436].

عزيزي الدارس،

إن هذا العـملَ العظيمَ، الذي قـام به سـيبـويه، كـان مـوضعَ احْترامٍ وتقـديرٍ من قِبَلِ المشتغلين في ميادينِ الدرسِ اللغوي بحقوله المختلفة. ولعلَّ خَيْرَ ما يعزِّزُ هذا الذي نذهب إليه، أن نوردَ لك، عزيزي الدارس، شيئاً موجزاً مما قاله المستشرق الألماني الدكتور أ. شاده Schaade، حول تقسيم سيبويه للمخارج ووصفه لها، يقول هذا المستشرق :

"نشاهدُ غـايةَ التفصيلِ مَثَلاً في تقسيمه للأسنان، وقد قسمها الى الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس، ويخالف هذا التدقيق معاملته للحلق، فإن سيبويه، وإن قسمه الى أقصى الحلق، وأوسط الحلق، وأدنى الحلق، لم يكن يعرفُ الحَنْجَرَةَ، ولا أجزاءَها كـالمِزْمار، والأوتار الصوتية، وسبب هذا الاختلاف واضح، فإن الأسنانَ مكشوفةٌ للرؤية، وأما الحنجرةُ وأجزاؤها وعَمَلُها، فتقتضي ملاحظتُها الى التشريح، وما أظنُّ سيبويهِ يجترئُ عليه، أو إلى بعضِ الآلات الفنية كمنظار الحنجرة، أو الأشعة المجهولة، ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه، وكفى بذلك عُذراً يعتذر به سيبويه لعدم معرفته بالحنجرة وعملها، وإن ثَبَتَ أنَّ الخللَ المذكورَ في مدارك سيبويه مَنَعَهُ من أن يفهم بعض المسائل الصوتية حق الفهم". [علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، للدكتور أ. شاده، ص : 5].

فائدة (11)

عزيزي الدارس،

عُرِفَ سيبويه بلقبه هذا أكثر مما عُرِف باسمه، أو كنيته، فما هو اسمه؟ وما كنيته؟ وما معنى لقبه الذي اشتهر به، ونعني به سيبويه؟

أما اسمه فهو: عمرو بن عثمان بن قَنْبر، بفتح القاف، وسكون النون، وأما كنيته فهي: أبو بشر، وأبو الحسن، وأبو عثمان، ولكن كنيته أبا بشر، كانت أكثر استعمالاً، ودَوَراناً على الألسنة من كنيتيه الأخريين.

وأما اللَّقب، الذي عُرِف به، وهو سيبويه، فقد غلب على اسمه «عمرو»، وعلى كناه المختلفة، فضلاً عن أنه كان أولّ من حمل هذا اللقب واشتهر به. وقد اختلفت الآراء حول تلقيبه بهذا اللقب، وإن كانت تلك الآراء، رغم اختلافها، تلتقي حول مدلولٍ عامٍ يَشي بما كانَ يتّسمُ به هذا العالمُ من خصائصَ خَلقيّةٍ وخُلقيّةٍ مميزة. وحَسْبُنا أن نذكرَ من تلكَ الآراءِ ما كان منها قريباً من شخصية هذا العالم، وما أثر عنه من معالمَ وسمات:

1- من ذلك أن كلمة «سيبويه» تعني «رائحة التفاح». ذلك أن كلمة «سيبويه» عبارة عن لقب فارسي، وهو مركب من كلمتين هما: «سيب»، ومعناها «التفاح» و «ويه»، ومعناها «رائحة». واستند أصحابُ هذا الرأي الى أن سيبويه كان يحب شمّ رائحة التفاح، وأن هذه العادةَ كانت سمَةً معروفة فيه، فلُقّبَ باسْمها، ومدلولها.

2- وهناك رأيٌ آخرُ، ذكر فيه أصحابُه أنه كانت لسيبويه رائحةٌ يتطيَّبُ بها، وأن تلك الرائحة كانت تشبهُ رائحةَ التُّفاحِ، فلقّب لذلك بها.

3- وعزا بعضهم تلقيبه بهذا اللقبِ، الى أنّ سيبويه كان جميلاً، وأنّ وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان.

4- وذهب آخرون الى أن الرجل لم يكن، كما ذكرت بعض المصادر، يحِبُّ شَمَّ التُّفاح، أو كانَتْ له رائحةٌ يتطيبُ بها تشبُه رائحةَ التفاح. وأن المسألة لا تعدو أن تكونَ من قبيل المجاز. فقد كان هذا العالم، كما عرفه المقربون منه، شاباً أنيقاً، ظريفاً، جميلاً، وديعاً، سمحاً، طموحاً، حسن الظن بالناس، فلُقّبَ بذلك لظرفه، وجماله، ولطفه.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

جاء ترتيب الموضوعات اللغوية، في كتاب سيبويه، متسلسلاً، الى حدٍّ كبير، على النحو التالي : النحو، فالصرف، فالصوت.

والمطلوب منك، عزيزي الدارس هو أن تبيّن رأيك في هذا الترتيب الذي جاء به سيبويه، وتبعه فيه من جاء بعده من اللغويين، ثم تقدم البديلَ المعاصر لمستويات الدرس اللغوي، مع التعليل لذلك.

تدريب (6)

عزيزي الدارس،

مرّت معك – في أثناء دراستك لتقسيم سيبويه لأصوات العربية، من حيث صفاتها – عدّة مصطلحات صوتية. والمطلوب منك الآن أن تحدّدَ الأصواتَ التي تُنْسَبُ إلى كلِّ مُصْطلحٍ من تلك المصطلحات، وهي :

1- الأصوات المطبقة، والأصوات المنفتحة.
2- الأصوات الصفيرية.
3- الأصوات ذات الغنة.
4- الأصوات اللينة.
5- الأصوات ذات الاستطالة والتفشي.
6- الأصوات المنحرفة.
7- الأصوات المكررة.
8- الأصوات الهاوية.

فائدة (12)

عزيزي الدارس،

ذكرنا لك، في أثناء حديثنا عن شيبويه، وجهوده في ميدان الدرس الصوتي العربي، أن عيسى بن عمر الثقفي قد ألف كتابين في النحو، هما : الاكمال أو المكمل، والجامع. ونودّ أن نضيف الى معلوماتك. في هذه المناسبة، بعض ما يتعلق بهذا العالم من صفات :

1- لقد كان عيسى بن عمر الثقفي فصيحاً يلتزم، في حديثه وكلامه، قواعد الإعراب، كما كان مولعاً بالغريب والنادر من ألفاظ العربية. ولقد أورد لنا القفطي، صاحبُ كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة، قصةً تشي بهذه الصفة التي أثرت عن هذا الرجل فقال : "وذكر عنه أن ضيق النفس الذي كان به أدركه يوماً، وهو في السوق، فوقع، ودار الناس حوله يقولون : مصروع مصروع ... فلما أفاق من غشيته نظر إلى ازدحامهم، فقال لهم : ما لي أراكم تتكأكأون عليّ تكأكؤكم على ذي جنّة، افرنقعوا ، فَسمِعَ أحد الجمع وهو يقول : إن جنيّه يتكلم بالهندية".

2- كان عيسى بن عمر، لشهرته بعلوم العربية، وثقة العلماء بأمانته وعلمه، يجتذب إليه الطلاب والمريدين، فكان من تلامذته عباقرة النحو المشهورون، وعلى رأسهم : الخليل بن أحمد، وسيبويه، والأخفش الأوسط، والأصمعي، وأبو عبيدة، وحماد بن سلمة.

5.7 ابن جنّي

لم تكن الدراساتُ الصوتيةُ - التي أرْسى قواعدَها الخليلُ بن أحمد، وقام بتطويرها تلميذُه النابهُ سيبويه - سوى البداية التي أنارت الطريقَ أمامَ الأجيال اللاحقة. فبعد هذين العالمين المَعْلَمَيْن الكبيرين، حظيَ الدرسُ الصوتيُّ، عند العرب، في القرن الرابع الهجري، بعالمٍ لغويٍّ متميزٍ، هو أبو الفتح عثمان ابن جنّي (ت 392 هـ). لقد خطا هذا العالمُ بالدراساتِ الصوتية واللغوية أيضاً، خُطْوَةً نوعيةً الى الأمام، وقد تجلى ذلك في كتابين رئيسين له، في هذا المجال، هما : سرُّ صناعةِ الإعراب، والخصائص.

يشتمل كتابُه الأولُ، سرُّ صناعة الإعراب، على جمعٍ للتراث الصوتي لعلماء اللغة العربِ الذين سبقوه، ولا سيّما سيبويه، فكان هذا الكتابُ، بحقٍّ، المَصْدَرَ الوافي لكلّ من يريد الاطلاعَ على التفكير الصوتي عند العرب. ومن ناحيةٍ أخرى، فقد امتازتْ دراسةُ هذا العالم للأصوات، بالقياس الى دراسة سابقيه من اللغويين، كسيبويه، بتصدّيها لجانبٍ جديدٍ في دراسة الأصوات، ونعني به توضيح الكيفية التي يتمُّ بموجبها حدوثُ الأصوات اللغوية، وذلك بمقارنتها بكيفيةِ صدور الأصوات من الآلات الموسيقية، فهو يشبه مجرى النفس، في

أثناء النطق، بالمزمار، كما يشبه مدارجَ الحروف ومخارجها، بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع، أو بوتر العود، وأثر الأصابع، فيقول : "شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة، فاذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، ورواح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قُطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

ونظير ذلك وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مُرْسل سمعتَ له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدّى صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى اصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة .. فالوتر، في هذا التمثيل، كالحلق، والخفقةُ بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غُفْلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحَصْر بالاصابع، كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا، وانما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب". [سر صناعة الإعراب 1/9-10].

عزيزي الدارس،

وبالاضافة الى ما سبق، كان ابن جنّي من أوائل اللغويين العرب الذين استعملوا مصطلحات فنيةً خاصةً بعلم الأصوات، مَعَ تحديد معناها، وضَرْب الأمْثلة لها. ومن ذلك، على سبيل المثال ، أنه كان من الرُّواد الأوائل في استعمال مُصطلح "علم الأصوات" نفسه للدلالة على دراسة الأصوات، والبحث في مشكلاتها المختلفة. [سر صناعة الإعراب 10/1، وينظر أيضاً تعليق المحققين على ذلك في هامش الصفحة نفسها].

كما قام هذا العالم أيضاً، بدراسة وافية للأصوات العربية، والعلاقة بين قسميها : الصوامت Consonants، والحركات Vowels، وتفرعات كل منهما، والصلات القائمة بينها، من حيثُ إمكانُ الاجتماع، ولا سيَّما العلاقةُ بين الحَركات، وحروف المدِّ واللين، على اعتبار أن "الحركات أبعاض حروف المدّ واللين" [سر صناعة الإعراب 19/1].

وكان ابن جنّي، في دراسته للقضايا الصوتية، لا يكتفي بالناحية الوصفية فحسب، وإنما وجدناه يتعدَّى ذلك، فيقدم تفسيرات وتعليلات صوتيةً تدعمُ الناحيةَ النظريةَ التي يذهبُ إليها فالفتحةُ، كما يقول هذا العالم، "يُنْحى بها نحو الكسرة والضمة، ... ولم يجزْ في واحدة من الكسرة ولا الضمّة أن يُنْحى بها نحو الفتحة" [سر الصناعة 60/1].

ففي مثل هذه الأحوال، نجدُ ابْنَ جني لا يكتفي بعرض وجهة النظر، أو طَرْح القضية، على نحو نظري فقط، وإنما يحاولُ العثور على جواب وتعليل لذلك، فهو، عَقِبَ طرح التساؤل السابق، يحاولُ أن يقدم التعليل فيقول: "إن الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة، وتصعَّدْتَ تطلب صدر الفم والشفتين، اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو، فجاز أن تُشمَّها شيئاً من الكسرة أو الضمة لتطرقها

إياهما، ولو تكلفت أن تُشمَّ الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم الى صور الفم، والنفوذ بين الشفتين..." [سر الصناعة 60/1].

وكان ابن جنّي، في دراسته للأصوات، يتناولُ كلاً منها، من حيث كونُها أصلاً، أو بدلاً، أو زائداً في الكلمة، ويدعمُ ذلك، على عادته، بأمثلةٍ وتعليلاتٍ صوتيةٍ. كما كان، في أثناء دراسته للأصوات أيضاً، يتناولُ ما يَطرأ على الحرفِ موضعِ الدرسِ من تغيراتٍ صوتيةٍ ناشئةٍ عن اجتماعه في بِنْيَةِ الكلمةِ مع أصواتٍ أخرى، يقول ابن جني : "وأما الصاد التي كالزاي فهي التي يقل همسها قليلاً ، ويحدث فيها ضَرْبٌ من الجهر لمضارعتها الزاي، وذلك قولك في يَصْدُر : يصدر، وفي قَصْدٍ : قَصْد، ومن العرب من يُخلصها زاياً فيقول : يَزْدُرُ، وقَزْدٌ، وقالوا في مَثَلٍ لهم: "لم يُحْرَم من فُزْدَ له"؛ أي مَنْ فُصِدَ له ..." [سر الصناعة 59/1-66].

وبالاضافة الى ذلك، فقد حاول هذا العالم أن يَرْبِطَ بين الأصوات النوعية التي تتألفُ منها جذورُ الكلمات والدلالات اللغوية المرتبطة بها. يقول ابن جني : "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع .. وذلك أنهم كثيراً ما يجلعون أصوات الحروف على سَمْت الأحداث المعبّر بها عنها، من ذلك قولهم : خَضِم، وقَضِم، فالخضم لأكل الرَّطب، كالبَطيخ والقثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقَضْمُ للصُّلْب اليابس، نحو : قَضِمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر : قد يدرك الخضم بالقضم، أي قد يدرك الرخاء بالشدّة، واللين بالشظف ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. ومن ذلك قولهم : النَّضْح للماء ونحوه، والنَّضْخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه : «فيهما عينان نضاختان» فجعلوا الحاء - لرقتها - للماءِ الضعيف، والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه". [الخصائص، لابن جني 157/2-158].

كما عَرَضَ هذا العالمُ عائلاتٍ من الكلمات، تشتركُ بأصواتٍ نوعيةٍ معينة، مع اختلافِ ترتيبِ هذه الأصوات، وهي، في الوقتِ نَفْسِهِ، تشتركُ في معنى عام تحمله تلك الأصوات، وتشير إليه. وهذا ما أطلق عليه ابن جني مصطلح "الاشتقاق الأكبر". ولقد أولعَ به هذا اللغوي، وعقد له باباً خاصاً في كتابه الخصائص تحت عنوان "باب في الاشتقاق الأكبر" [ينظر كتابه المذكور 133/2].

فائدة (13)

عزيزي الدارس،

إذا أردت التوسع في معرفة مدى إسهام هذا العالم اللغوي الكبير، ابن جنّي في الدرس الصوتي العربي، وهو أمر نعتقد أنك ترغب فيه، ونحن نشجعك عليه، فإننا ننصحك، بالاضافة الى مطالعة كتابيه : سر صناعة الاعراب، والخصائص، أن تقرأ البحث القيِّم الذي كتبه باللغة الفرنسية الدكتور هنري فليش، وترجمه الى العربية الدكتور عبد الصبور شاهين وتم نشره في مجلة اللغة العربية بالقاهرة 1968 تحت عنوان : "التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سِرِّ صناعة الإعراب".

تدريب (7)

1- وضح المقصود بمصطلح الاشتقاق الأكبر عند ابن جني، مع تقديم أمثلة له.

2- ما اسم العالم الذي تلقى ابن جني على يديه علوم اللغة مدة تقترب من أربعين سنة؟

3- اذكر بعض مؤلفات ابن جني في ميداني الصّرْف والنّحو.

فائدة (14)

عزيزي الدارس،

لقد جاء كتاب الخصائص، لابن جني، ثمرة رحلة لغوية طويلة، درس خلالها، هذا العالم، اللغة العربية من جوانبها المختلفة :

- فقد درس الجانب الصوتي للغة العربية في كتابه المشهور : سر صناعة الإعراب.
- ودرسَ الجانبَ الصرفيَّ للغةِ العربية في كتابه المشهور : المُنْصف في شرح تصريف أبي عثمان المازني.
- ودرس الجانبَ النحويَّ للغة العربية في كتابه المشهور : اللمع في النحو

6.7 ابن سينا

وإذا ما ارتقينا مع الزمان، بَعْدَ عَصْرِ ابن جني، وجَدْنا القرنَ الخامسَ الهجري يشهد تقدما في الدراسة الصوتية عند العرب. ففي هذا القرنِ ظهرَ الطبيبُ الفيلسوفُ حُجَّةُ الحقِّ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 428 هـ)، الذي منح الدرس الصوتي دُفْعَةً وزَخَماً يختلفان عمّا قدمه اللغويون القدماءُ في هذا الميدان. وقد تمثل ذلك كلُّه في رسالةٍ صغيرةٍ له اسمها «رسالة أسباب حدوث الحروف» وهو، في هذه الرسالة، يَعْتَمِدُ على الجوانب التشريحية، والطبيّة، والفيزيائية، وقد جعل ابن سينا رسالته هذه ستة فصول هي :

1- في سبب حدوث الصوت :

ويقصد بالصوت، صوت الانسان وغيره. وسبَبُهُ القريبُ، عِنْدَهُ، هو تموُّجُ الهواء دفعة بسرعةٍ وبقوةٍ. ولهذا التموجِ علّتان : قَرْعٌ: أي اقتراب سريع لجسمين من بعضهما، وقَلْعٌ: أي انفصالٌ سريعٌ لجسمين متقاربين من بعضهما. وهذا التَّعْريف، الذي قدّمه ابنُ سينا لحدوثِ الصوت، مماثِلٌ إلى حدٍّ ما، للتعريف الذي يَضَعُهُ المحدثون من علماء الأصواتِ للصوت.

2- في سبب حدوث الحروف :

ويقصد بالحروف، الأصوات الانسانية، وهو يقسم حال الهواء المتموج الفاعل للصوت على جانبين :

أحدهما : ذاتي، والآخر : يتوقف على المخارج والمحابس.

وللجانب الأوّل: أي الجانب الذاتي، صفتان تحدِّدانه، وهما : الحدَّةُ والثِّقل. وتعتمد الحدَّةُ، عنْده، على اتصال أجزاء الهواء المتموج وتملُّسها، في حين يتاسبُ الثقل مع تشظّي تلك الأجزاء من الهواء وتَشَذُّبِها. ويفسرُ الدكتور ابراهيم أنيس مَفْهومي الحدّة والثّقل بأنهما يناظران مفهومي الدَّرَجة المرتفعة High Pitch، والدرجة المنخفضة Low Pitch [الأصوات اللغوية، ص : 140]، وهو تفسيرٌ حديثٌ يتناسبُ مَعَ ما قرَّرَهُ ابنُ سينا في هذا المجال.

أما الجانب الثاني، وهو الجانب الذي يفعل الحروف، فهو تأثر الهواء المتموج بالمخارج والمحابس في مسلكه. وما "الحرف [سوى] هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوتٍ آخَرَ مثله في الحدة والثقل تميُّزاً في المسموع". [رسالة اسباب حدوث الحروف ص : 60].

والحروف، عند هذا العالِم، قسمان : مفردةٌ تناظر الأصواتَ الانفجارية، ومركبةٌ تناظرُ الأصواتَ الاحتكاكية، وتحدثُ الحروفُ الأولى، أي المفردة، بسبب الحبسة التامة للصوت، أو الهواء الفاعل للصوت في الزمن الفاصل بين زمان الحبس، وزمان الإطلاق، في حين تحدثُ الثانيةُ بسببِ حبسات غير تامة تتبع إطلاقات، وذلك في أثناء الزمانِ الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق قبل الاطلاق التام. [رسالة أسباب حدوث الحروف، ص : 62].

وتختلف الحروف، في داخل الفئة الواحدة، "بسبب اختلاف الأجرام التي يقع عندها وبها الحبسُ والإطلاق". [السابق نفسه].

3- في تشريح الحنجرة واللسان :

تحدَّث ابنُ سينا، في هذا الفصل، عن غضاريف الحَنْجَرة وعضلاتها، وعضلات اللسان. وهو يَقْسِمُ غضاريفَ الحنجرة على ثلاثة أنواعٍ هي : الغضروف الدرقي والتُرسي، والغضروف الطرجهالي، أما الغضروف الثالث فيسميه ابنُ سينا عديم الاسم. [السابق، ص : 64-65].

ثم تناول هذا العالم الناحيةَ الوظيفيةَ لهذه المكوِّنات الحنجرية، فاعتبر تقارُبَ الغضروفِ الذي لا اسم له من الغضروف الدرقي، وتباعده عنه، مسئولاً عن إحداث الصَّوْتِ الحادِّ والثقيل، في حين يؤدي انطباقُ الطرجهالي على الدرقي الى حصر النَّفَس، وسد الفوْهَة. [السابق، ص : 65-66].

4- في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب :

تناول ابنُ سينا، في هذا الفصلِ، مخارجَ الأصوات، والكيفيةَ التي يتمُّ بموجبها حدوثُ الأصوات العربية في تلك المخارج، ويلاحظُ، في هذا الفصل، أن ابن سينا يَصْدُرُ، في أوصافه للأصواتِ العربية، من مُنْطَلقاتٍ تشريحية، يعتمدُ عليها في تقديمِ أوصافٍ دقيقةٍ للتغيرات التي تصيبُ الهواءَ الحاملَ للصوتِ عند مخارجِه المختلفة. ويشتمل هذا الفصل على بعض المقارنات والمقابلات بين الحروف، وكذلك بين بعض الأزواج المتناظرة فيها، ومن ذلك اعتباره أن «نسبة الباء الى الفاء عند الشفة، نسبةُ الهمزةِ الى الهاءِ عند الحنجرة». [السابق، ص :83].

5- في الحروفِ الشبيهةِ بهذه الحروفِ وليْستْ في لغةِ العرب :

أجرى ابنُ سينا، في هذا الفصلِ، مقارناتٍ بين حروفٍ عربية، وما يناظرها من حروفٍ غير عربية مقاربة، وذلك من حيث أعضاء النطق المحدثة لها، والمخارج، وكيفية انتاجها. ويغلبُ على تلك الحروفِ غير العربية، التي ساقها هذا العالمُ، في هذا الفصل، أن تكونَ فارسيةً.

وقد قام الدكتور إبراهيم أنيس بوضع المعادلات التالية، من بعض اللغات، لتلك الحروف غير العربية، وهي :

1- الصوت الفارسي الوارد في كلمة (چاه)، ومعناها «البئر»، يساوي صوت (ch) الانجليزي.

2- الفاء الشبيهة بالباء عند الفرس، تساوي صوت (v) الانجليزي.

3- الباء المشددة، عند الفرس، تساوي صوت (p) الانجليزي.

[الاصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص : 148-149].

6 - في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية :

قدّم ابنُ سينا، في هذا الفصلِ، دراسةً لكثيرٍ من الحروف العربية التي يمكن إنتاجها من أجسام طبيعية غير بشرية. فالطاءُ، على سبيل المثال، تنتج «عن تصفيق اليدين، بحيث لا تنطبق الراحتان، بل ينحصر هناك هواءٌ له دويّ، ويسمع عن القلع أيضاً مثله». [رسالة أسباب حدوث الحروف ص: 95].

لقد كان حديثُ ابن سينا، في هذه الرسالة، أشبهَ بحديثِ علماءِ وظائف الأعضاء، فلا تكاد تلمح فيها أنه تأثر، كغيره، بكتابِ سيبويه، فله مصطلحاتُه، وله وَصْفُهُ الأصيلُ لكل صوت، مما جعله محل إعجابٍ وتقديرٍ من بعض اللغويين المحدثين. كما أن معالجاته، التي قَدّمها، داخل فصول رسالته "لا يقوى عليها، وينهض بها إلا من اسْتَجْمَعَتْ له وتلاقت لديه علوم عدّة أتقنها وتمكن منها، مثل علوم اللغة والنحو والتجويد التي تعين على تحديد مخارج الحروف، ومثل علم الفيزياء، الذي يحدد أسباب حدوث الصوت ومساره وشدته، ومثل علم التشريح الذي يصف أداة النطق : الحلق وأجزاءه من الحنجرة واللسان وما يتصل بهما" [رسالة أسباب حدوث الحرف، ص : 12].

فائدة (15)

عزيزي الدارس،

نَنْصَحُك بالاطّلاعِ على رسالةِ أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، فهي صغيرةُ الحجم، غزيرةُ الفائدة، وفيها معلوماتٌ صوتيةٌ ممتزجةٌ بمعلوماتٍ تشريحيةٍ وطبية، تنبئُ عن رسوخِ قَدَمِ هذا العالمِ في كثيرٍ من الميادين العلمية.

ولحُسْنِ الحظِّ، فقد تمّ تحقيقُ هذه الرسالةِ، على نحوٍ جيّدٍ ونافعٍ، على يَدِ الأستاذين محمد حسّان الطيّان، ويحيى مير علم، وصدرت في طبعتها الأولى 1983 عن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

عزيزي الدارس،

ناقش ابن سينا، في الفصل الخامس من رسالته، بعض الحروف الشبيهة بالحروف العربية، وليست في لغة العرب.

والآن نودّ أن نسألك فنقول : إلى أيِّ منهج من مناهج الدرس في علم الأصوات يمكن أن تُعْزى مناقشات ابن سينا في ذلك الفصل ؟

تدريب (8)

عزيزي الدارس،

لابن سينا كتاب مشهور في الطب، كان له أثر كبير في الحضارة العربية، والحضارة الغربية. ويعتقد أن هذا الكتاب كان أحد الأسس التي اعتمد عليها هذا العالم في دراسته للأصوات من ناحية تشريحية وطبية. ما اسم هذا الكتاب ؟

القانون في الطب

7.7 عبد القاهر الجرجاني

ثم جاء بعد ذلك عالمٌ لغويٌ بلاغيٌ كبير هو عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) فكرَّر في كتابه "المقتصد في شرح الايضاح والتكملة" ما سبق أن ذكره كلٌ من سيبويه، وابن جنّي، فقد وزّع حروفَ العربية، على غرارِ ما فعل سيبويه، في ستّةَ عَشَرَ مَخرجاً، ابتداءً بأقصى الحلق، وانتهاءً بالشفتين، ثم تحدّثَ، بَعْدَ ذلك، عن صفات الأصوات، فصنّفها إلى أقسام على النحو التالي :

1- الصفات العامة : وتشمل : الجهر، والهمس، والشدّة، والرخاوة، والاعتدال.

2- الصفات الخاصة : وتشمل : الأصوات المطبقة والمنفتحة، والأصوات المستعلية والمنخفضة، والأصوات الصفيرية، واصوات الغنّة، وأصوات الاستطالة والتفشّي، وأصوات المدّ واللين.

3- الصفات المفردة للأصوات : وتشمل : صفة الانحراف المتمثلة في صوت اللام، وصفة التكرير المتمثلة في صوت الراء، ثم الصوت الهاوي المتمثل في الألف، والصوت المهتوي المتمثل في الياء.

ثم راح يناقشُ، بعد ذلك، بعضَ قضايا التشكيل الصوتي، كالادغام والابدال. وقد امتازت بحوثُ الجرجاني الصوتية بأنّها، رغم تكريرها لآراءِ سابقيه، وعلى رأسهم سيبويه وابن جني، محاولةٌ جيدةٌ قام فيها صاحبُها بإعادةِ تنظيم الفكر الصوتي السابق وتأطيره، دون أن يضيفَ شيئاً جديداً إليه.

8.7 الزمخشري

وفي القرنِ السادسِ الهجري، حمل جارُ اللهِ الزمخشري (ت 538 هـ) لواءَ البحث اللغوي، وقد تمثّل ذلك في مؤلفاتٍ كثيرةٍ لهذا العالم، يعنينا منها، فيما نحن بصدده في هذا المقرّر، كتابُه "المفصل في علم العربية"، وهو كتابُ نحوٍ مركز، خصّصَ صاحبُه القسمَ الأخيرَ منه للدراسةِ الصوتية. غير أن هذا العالم، على جلال قدره، لم يُضِفْ شَيْئاً جديداً إلى كلامِ سابقيه من اللغويين، أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، وابن جنّي.

9.7 السكاكي

وفي القرن السابع الهجري، ألّف السكاكي (ت 626 هـ) كتابه المعروف «مفتاح العلوم»، وقد رسم فيه صورةً بُدائيّةً لأعْضاءِ النُّطق، بَيْدَ أنّ المعلوماتِ الصوتيةَ الواردةَ في هذا الكتابِ، وأمْثالِهِ في هذه الفترةِ، وما بعدها أيضاً، لا تتسمُّ بالجِدّةِ والطَّرافَةِ والأصالة.

عزيزي الدارس،

وهكذا، فقد بدأتْ رحلةُ العطاءِ الحقيقيّ والابداعيّ للتراث، في مجال الدرس اللغوي بعامة، والدرس الصوتي بخاصة - بدأت بالانحسار، كما أنّ علماءَ اللُّغَةِ أنفُسهم بدأوا يعتمدون، في كلّ ما يصدرون عنه ويؤلفون، على تراثِ القدماء، دون أن يزيدوا شيئاً ذا بال، وانحصر جُهْدُهم الصوتي، أو كاد، في بِضْعَةِ مُتونٍ صغيرةٍ بعلمِ التجويد وقوانينه، وإن كانوا، في هذه المتونِ، لا يتجاوزون سيبويه، ونصوصَ كتابه، وآراءَه الصوتيةَ المتعلقةَ بالادغام.

عزيزي الدارس،

ولقد بقيَ وضعُ الدراساتِ الصوتيةِ على هذا النحو، حتى مطلع القرن العشرين، حيث بدأتْ هذه الدراساتُ تَشْهَدُ شَيْئاً من التحوّلِ والتقدم، وذلك على إثر الاتصال المُباشَرِ الذي تَمّ بين الدارسين العرب، وعلماءِ اللغة الأجانب.

لقد كان من نتيجةِ هذا الاتصال، أنْ قامَ اللغويون العربُ المعاصرون، بتقويم تراثهم الصوتيّ العريق، وذلك من خلالِ مناهجِ الدرسِ اللّغوي الحديث بصورة عامة. كما ترتب، على هذا الاتصال، ظهورُ فروعٍ جديدة في ميدان الدراسة الصوتية، لم يتصدَّ لدراستها، والبحث فيها، لغويو العرب القدماء.

تدريب (9)

عزيزي الدارس،

1- يمثل العالم اللغوي الكبير عبد القاهر الجرجاني قمة علمية سامقة في ميدان الدراسة اللغوية بعامة، والدراسة البلاغية بخاصة.

والمطلوب منك أن تذكر لنا اسم كتابين مشهورين لهذا العالم في ميدان الدرس اللغوي البلاغي العربي.

2- أما العالم الموسوعي الزمخشري، فقد برع في مختلف ميادين المعرفة التي كانت شائعة في عصره، كالتفسير، والحديث الشريف، والنحو، واللغة، والأدب، والمعاجم، والبلاغة، والفلسفة. وقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه المعروف "معجم الأدباء" بعض مؤلفاته التي بلغت تسعة وأربعين مؤلفاً.

والمطلوب منك، عزيزي الدارس، أن تذكر لنا أسماء كتبه في ميادين المعرفة التالية :

1- في ميدان التأليف المعجمي.
2- في ميدان التأليف النحوي.
3- في ميدان التأليف في شرح القرآن الكريم.
4- في ميدان التأليف في شرح الحديث الشريف.

8. الخلاصة

كانت هذه الوحدة الأولى قاعدة لهذا المقرر لانها تحدثت عن علم الأصوات الذي يعدّ أول عناصر النظام اللغوي، وقدمت له تعريفا جامعاً متضمناً كل الآراء التي قيلت فيه وهو أنه العلم الذي يتناول الأصوات الانسانية في جانبها المادي من أجل وصفها وتفسيرها وتصنيفها، ومن أجل ذلك بينت الوحدة فروع هذا العلم وأهم مناهج دراسته مثل علم الأصوات الوصفي والتاريخي والمقارن والعام ثم تحدثت عن جهود العلماء العرب السابقين في هذا العلم مثل الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جنى وغيرهم. كما اشتملت الوحدة على عدة تدريبات تعين الدارس على تفهم الموضوع.

9. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

عزيزي الدارس،

سنخصِّصُ الوحدة الثانية، من مقرر علم أصوات العربية، لدراسةِ جانبٍ مُهِمٍّ من جوانبِ الدَّرْسِ الصوتي، إنه جهازُ النطقِ عند الإنسان، والدور الذي يقومُ به هذا الجهازِ في إنتاجِ الأصوات.

وستَتَركَّزُ دراستُنا لجهازِ النطق حول جانبين أساسيين هما :

1- الجانبُ التشريحيُّ لأعضاءِ هذا الجهاز، ويشمل ذلك دراسة موجزة لموقعية كلِّ عضوٍ في جهاز النطق، والمكونات التي يشتمل عليها.

2- الجانبُ الوظيفي لأعضاءِ هذا الجهاز في إنتاج الأصوات، ويشملُ ذلك دراسةً موجزةً، أيضاً، للدَّوْرِ الذي يقوم به كلُّ عضوٍ، في منظومَةِ الجهاز النطقي، في عملية إنتاج الأصوات.

10. إجابات التدريبات

تدريب (1)

عناصر النظام اللغوي ومكوناته :

1- الأصوات المفردة : من حيثُ معرفةُ خصائصها، وملامحها، وطرائق نطقها .. الخ.

2- الكلمة أو الكلمات : من حيثُ التعرفُ إلى كل ما يعرض لِبِنْيَةِ الكلمة من تغيرات وتحولات.

3- الجمل أو التراكيب : من حيثُ التعرفُ إلى كلِّ ماله عَلاقة ببناء الجملة أو التركيب.

تدريب (2)

1- يعود السبب في ظهور علم الأصوات النطقي، في وقت مبكر من تاريخ الدراسات اللغوية والصوتية، إلى أن ميدان هذا العلم سَهْلُ المنال للملاحظة الذاتية، والممارسةِ الشخصية عن طريق ذَوْقِ الأصوات ونُطقها مرةً بعد أخرى، وتحديد مواضع النطق، وتعيين حركات أعضاء النطق. وهذه أمورٌ بمقدورِ الباحثِ العادي أنْ يمارسَها بنفسه دونما حاجةٍ إلى عناءٍ كبير، أو تدريبٍ شاق.

2- يعتمد علم الأصوات السمعي على جانبين هما :

- الجانب الفسيولوجي : وتتركز وظيفته في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع، وفي ميكانيكية الجهاز السمعي، ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات.
- الجانب النفسي : وتتركز وظيفته في البحث في تأثير الذبذبات الصوتية على أعضاء السمع الداخلية، وفي عملية ادراك السامع للأصوات، وكيفية هذا الادراك.

تدريب (3)

1- الفروق بين علم الأصوات الوصفي، وعلم الأصوات التاريخي :

يتناول علم الأصوات الوصفي دراسة أصوات اللغة المعينة في فترة زمنية محددة عن طريق الوصف الخالص، دونما افتراضات أو تأويلات، ودونما الرجوع الى فترات زمنية سابقة لاستمداد العَوْنِ منها في التفسير والتحليل. أما علمُ الأصواتِ التاريخي، فيدرسُ أصواتَ اللغة المعينة من مرحلة الى مرحلة، أو خلال فترة طويلة من الزمن، وذلك من أجل ملاحظة ما طرأ عليها من تطورٍ وتغيرٍ، والقوانين التي حَكَمَتْ ذلك.

2- موضوعات علم الأصوات المقارن، والمجالات الدراسية لتلك الموضوعات :

يتناولُ علمُ الأصوات المقارن دراسةَ الحقائقِ الصوتيةِ، ومقارنةَ بعضِها ببعض، ويتم ذلك في اللغة الواحدة، عن طريق المقارنة بين أصوات تلك اللغة من فترة زمنية الى فترة زمنية أخرى، كما يتم أيضاً في لغتين أو أكثر من اللغات ذات الصلة والقرابة.

تدريب (4)

عمل مهندس الصوت :

يتمثل عمل مهندس الصوت، في بعض وسائل الإعلام، كالإذاعة والتلفاز، في معرفة تفاصيل نطق كلّ صوت، وتحديد ذبذباته، وذلك بهدف جعل الأصوات المسموعة عبر وسائل الاعلام المذكورة نقيةً واضحةً.

تدريب (5)

1-- الترتيب الابجدي السامي : ء ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ...

- الترتيب الأبتثي العربي : ء ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ...

- أمّا الترتيب الذي اخترعه الخليل، وسار عليه في دراسته الصوتية، وترتيب مواد معجم العين، فهو الترتيب الصوتي حَسَبَ موقعية كل صوت في جهاز النطق.

2- يقصد بالترتيب الأبتثي العربي، ذاك الترتيب لحروف الهجاء العربي الذي يجمع الأحرف المتشابهة في الرسم في حزمة واحدة، بحيث لا يفرق بين أفراد كلّ حزمة منها سوى الاعجام والاهمال. ويسير هذا الترتيب للحروف العربية وفق الخطية الالفبائية المتبعة الآن، وهي : ء ، ب، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي.

3- يُقْصَدُ بالإعجام أنْ يكون الحرفُ مَنْقوطاً، مثل الباء، والجيم، والذال وغيرها. أما الإهمال. فيقصد به أن يكون الحرفُ غَيْرَ منقوطٍ، مثل : الحاء، والدال، والراء .. وغيرها.

4- علم المعاجم، وعلم العروض.

تدريب (6)

- الأصوات المطبقة : هي الأصوات المفخمة : ص ، ض ، ط ، ظ.

- الأصوات المنفتحة : هي الأصوات المرققة : وتشمل بقية الأصوات، باستثناء الأصوات الأربعة المطبقة السابقة.

- الأصوات الصفيرية : هي الأصوات التي تكون عالية الدرجة High Pitch، ويتمُّ ذلك عندما تكون نسبة التضييق في مجرى تيار الهواء المنتج للصوت عاليةً وشديدةً جداً. وتشمل الأصوات الصفيرية، في اللغة العربية، أصوات : ز ، س ، ش ، ص.

- الأصوات ذات الغنّة : وتشمل صوتي الميم والنون الأنفيين.

- الأصوات اللينة : وتشمل ، عند سيبويه، صوتي الواو والياء.
- الأصوات ذات الاستطالة والتفشي : وتشمل، عند سيبويه، صوتي الضاد والشين.
- الأصوات المنحرفة : وتشمل صوت اللام.
- الأصوات المكررة : وتشمل صوت الراء.
- الأصوات الهاوية : وتشمل صوت الألف.

تدريب (7)

1- الاشتقاق الأكبر، عند ابن جني، هو : "أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرّف من كلٍّ واحدٍ منها عليه ... " ومن أمثلة ذلك، عند ابن جني، تقليب الجذر «جبر»، فهي، أين وقعت، تكون للقوة والشدة. [الخصائص 2/134-135].

2- أبو علي الفارسي.

3- من مؤلفات ابن جنّي في الصّرْف، كتاب : المُنْصِف شرح ابن جنّي لكتاب التصريف للمازني، وكتاب : التصريف الملوكي وغيرهما.
- ومن مؤلفاته في النحو : اللُّمَع في النحو.

تدريب (8)

- كتاب القانون في الطب.

تدريب (9)

1- دلائل الاعجاز، وأسرار البلاغة.

2- أساس البلاغة - المفصل في علم العربية - الكشاف - الفائق في غريب الحديث.

[illegible] المصطلحات

- علم الأصوات (Phonetics): هو العلم الذي يدرس أصوات اللغة في تحققها المادي الملموس درساً مستقلاً عن وظيفتها اللغوية.
- علم الأصوات المخرجي أو النطقي (Articulatory Phonetics): وهو العلم الذي يعالج عملية انتاج الأصوات اللغوية وطريقة هذا الانتاج.
- علم الأصوات الاكوستيكي أو الفيزيائي (Acoustic Phonetics): وهو مرحلة متوسطة بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي ويهتم بدراسة الخصائص المادية الفيزيائية لأصوات الكلام.
- علم الأصوات السمعي (Auditory Phonetics): العلم الذي يبحث في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها اذن السامع وتأثير هذه الذبذبات على أعضاء السمع الداخلية.
- علم الأصوات الوصفي (Descriptive Phonetics): يدرس أصوات اللغة المعينة في فترة زمنية محددة.
- علم الأصوات التاريخي (Historical Phonetics): يدرس أصوات اللغة المعينة من مرحلة إلى مرحلة.
- علم الأصوات المقارن (Comparative Phonetics): يهتم بمقارنة الحقائق الصوتية بعضها ببعض.
- علم الأصوات العام (General Phonetics): يدرس الأصوات الانسانية بوجه عام، والجهاز الصوتي عند الانسان ووظيفة كل عضو.

12. المراجع

أ - المراجع العربية :

1- ابن أحمد، الخليل، كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988.

2- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط 2، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1952.

- سر صناعة الإعراب، ج 1، ط 1. تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، 1954.

3- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، رسالة أسباب حدوث الحروف. ط 1، تحقيق محمد حسان الطيّان ويحيى مير علم، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية. 1983.

4- ابن النديم، محمد بن اسحق، الفهرست. بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978.

5- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط 6. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، 1984.

6- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط 2. القاهرة : مطبعة الكيلاني، 1968.

7- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية. أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، القاهرة : مكتبة الخانجي، 1982.

8- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، ط 7. القاهرة : دار المعارف، 1980.

9- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت : دار الجيل، (د.ت).

10- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية، 1955.

11- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء ط 3. بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980.

12- السّعْران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. الاسكندرية : دارالمعارف بمصر، 1962.

13- سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، ط 3. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب، 1983.

14- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت).

15- شاده، آرتور، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا. مقال في مجلة "صحيفة الجامعة المصرية"، العدد الخامس، السنة الثانية، 1931.

16- شاهين، عبد الصبور، في التطور اللغوي، ط 1. القاهرة : المطبعة العالمية، 1975 .

17- فليش، هنري، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة : 1968.

18- كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ترجمة صالح القرماوي، تونس : 1966.

ب - المراجع الاجنبية :

1- Abercrombie, David, Elements of General Phonetics. Edinbrugh : Edinburgh University Press, 1967.

2- Crystal, David, A first Dictionary of Linguistics and Phonetics. London : 1980.

3- Hartmann, R.R.K. and stork, R.C, Dictionary of Language and Linguistics. London : Applied Science Publishers, LTD, 1976.

4- Langacker, R.W. Language and its Structur. Some fundamental linguistic concepts, New York, Harcourt: 1968.

5- Larousse, Dictionnaire De Linguistique.

الوحدة الثانية

جهاز النطق ودوره في إنتاج الأصوات

محتويات الوحدة

الموضوع الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك إلى هذه الوحدة، وهي الوحدة الثانية من مقرر علم أصوات العربية، وموضوعها: جهاز النطق ودوره في إنتاج الأصوات.

لقد سبق لنا أن ذكرنا لك، عزيزي الدارس، في الوحدة الأولى، من هذا المقرر، أنَّ علم الأصوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

- علم الأصوات النطقي، أو المخرجي.
- وعلم الأصوات الأكوستيكي، أو الفيزيائي.
- وعلم الأصوات السمعي.

كما سبق لنا أن ذكرنا لك، في تلك الوحدة أيضاً، أن العلمين الأخيرين؛ أي علم الأصوات الأكوستيكي، وعلم الأصوات السمعي، حديثا العهد، تقريباً، بالنسبة للعلم الأول، أي علم الأصوات النطقي أو المخرجي، وهو العلم الذي سيكون موضوع دراستنا معاً في هذه الوحدة.

سوف نتناول، في هذه الوحدة، دراسة المقصود بعلم الأصوات المخرجي، والموضوعات التي يعالجها، ثم ننتقل، بعد ذلك، للحديث عن جهاز النطق، وذلك من جانبين:

- الجانب التشريحي لأعضاء هذا الجهاز.
- ثم الجانب الوظيفي لتلك الأعضاء في إنتاج الأصوات.

عزيزي الدارس،

مرة أخرى نرحب بك في هذه الوحدة، ونرجو أن نقضي معاً فيها وقتاً ممتعاً، كالوقت الذي كان لنا هناك في الوحدة السابقة. ونحن على يقين من أنك ستجد، في مواد هذه الوحدة، فكراً علمياً طريفاً، وإضافة ثقافية مفيدة، من شأنهما أن يعمقا صلتك بعلم الأصوات الذي نسعى، في هذا المقرر، إلى إيجاد قاعدة له تعينك على فهم الكثير من قضاياه ومسائله، فأسعدك الله، وأسعد بك، وسلامٌ من الله عليك.

2.1 أهداف الوحدة

بعد دراسة هذه الوحدة، وفهم موضوعاتها، وما يتخللها من تدريبات، وفوائد، وأسئلة، ينتظر منك، عزيزي الدارس، أن تكون قادراً على أن:

1. تحدد المقصود بجهاز النطق لدى الإنسان.
2. تعرف أعضاء جهاز النطق من ناحية تشريحية.
3. تحدد أعضاء جهاز النطق، والدور أو الوظيفة التي يقوم بها كل عضو في عملية إنتاج الأصوات.

3.1 أقسام الوحدة

تشتمل هذه الوحدة على الأقسام التالية:

القسم الأول: يتناول الحديث عن علم الأصوات النطقي أو المخرجي، والموضوعات التي يتناولها بالدراسة، والأقسام الرئيسة لأعضاء جهاز النطق التي يتألف منها الممر الصوتي، أو القناة الصوتية، بالإضافة إلى الحديث الموجز عن آلية تيار الهواء الرئوي، التي تعد الأساس في إنتاج معظم الأصوات البشرية، ويحقق الهدف (1).

القسم الثاني: يدرس أعضاء جهاز النطق دراسةً مفصلةً من ناحية تشريحية، ويحقق الهدف (2).

القسم الثالث: يبحث في الدور الذي يقوم به كل عضو، من أعضاء جهاز النطق، في عملية إنتاج الأصوات، ويحقق الهدف (3).

4.1 القراءات المساعدة

بالإضافة إلى الدراسة المتأنية لموضوعات هذه الوحدة، فإننا ننصحك، عزيزي الدارس، بالرجوع إلى بعض الكتب التي اشتملت على دراسات مفصلة لأعضاء جهاز النطق، ومن هذه الكتب:

1- سعد مصلوح، كتاب دراسة السمع والكلام. القاهرة: عالم الكتب، 1980.

2- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات. القاهرة: دار المعارف، 1980.

3- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة. القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1968.

4- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب، 1976.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس،

لقد حاولنا أن نجعل هذه الوحدة، بما اشتملت عليه من مواد، وفوائد، وتدريبات، وأسئلة، مكتفيةً بذاتها إلى حد كبير، وما عليك إلا أن تتبعها خطوةً خطوة، مستوعباً ما جاء فيها من معلومات، ومشاركاً في مناقشة ما تخللها من موضوعات، ومقدماً إجابات وحلولاً عمّا ورد فيها من أسئلة، وتدريبات، وأنشطة.

ومع ذلك، فإننا نجد من المفيد والنافع لك، عزيزي الدارس، أن تطالع بعض الكتب اللغوية والصوتية، التي ذكرنا لك آنفاً جانباً منها.

2. علم الأصوات النطقي، معناه وموضوعاته

عزيزي الدارس،

يعد علم الأصوات النطقي، أو المخرجي Articulatory Phonetics، فرعاً من علم الأصوات العام General Phonetics، وهو يتناول، بالدرس، كما ذكرنا في الوحدة السابقة، الدور الذي تقوم به أعضاء النطق في أثناء إنتاج الأصوات الكلامية وتعديلها، كما يدرس، أيضاً، الأصوات المستعملة في اللغات البشرية بحسب آليات إنتاجها بوساطة الجهاز الصوتي. وبناءً على ذلك، فإنّ هذا العلم يقوم أساساً على تحديد مخارج الأصوات، وبيان الصفات الصوتية المختلفة التي تشكل الصوت، إنه يعطينا وصفاً موضوعياً لهذه الأصوات، وكيفية إنتاجها [أسس علم اللغة، لماريو باي، ص:47].

وتجدر الإشارة، في هذا المجال، إلى أنّ النطق لا يعدُّ الوظيفة الأساسية والوحيدة لتلك الأعضاء التي تسمى، من قبيل المجاز، أعضاء النُطق. فاللسان، كغيره من أعضاء النطق التي تؤدي وظائف صوتيةً محددةً، يساعد على مضغ الطعام، وتقليبه في الفم، والوتران الصوتيان يمنعان الأجسام الغريبة من الدخول إلى طريق الرئتين، كما يساعدان على التخلص مما تلفظه الرئتان من بلغم، أو أية شوائب أخرى، وكذلك الحال مع سائر أعضاء النطق الأخرى، من أسنان، وشفتين، وأنف، وغيرها. [انظر: المدخل إلى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ص:22- 23، وأسس علم اللغة، لماريو باي، ص:79، وأصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص:40، وكذلك: O'Connor, J.D,Phonetics, P:47]. بيد أنه لأغراض عملية، يستعمل مصطلح أعضاء النطق، أو الكلام، للدلالة على الأعضاء، التي تكون نشطةً، على نحوٍ مباشر، أو غير مباشر، في عملية إنتاج أصوات الكلام - [Brosnahan, L.F,and Malmberg, B, Introduction to Phonetics, P:20].

علم اللغة العام
مدخل الى علم اللغة

وتنقسم أعضاء جهاز النطق، التي يتألف من مجموعها الممر الصوتي، أو القناة الصوتية، إلى:

1. جهاز آلية التنفس تحت الحنجري، الذي يعتمد عليه تدفق تيار الهواء اللازم لإنتاج الأصوات الكلامية. وتشمل: القفص الصدري، وعضلات البطن، بالإضافة إلى القصبة الهوائية، والشعب الهوائية، والرئتين.
2. الحَنْجَرة التي تعد، من حيث الأساس، صماماً ينظم تدفق الهواء في آلية التنفس، كما أنها تعدُّ المصدر الأساسي لطاقة أمواج الصوت. وهي تمتاز بتركيب دقيق ومحكم يشمل مجموعةً من الغضاريف، والمفاصل، والعضلات، والأغشية، وتعتبر وظيفتها الأولى الإسهام في عمليتي التنفس والبلع، بالرغم من أهميتها الصوتية العظمى.
3. الممرُّ الصوتي فوق الحنجري، ويمتد من المزمار في الحنجرة إلى الشفتين، وفيه يتمُّ إنتاج أكثر الضجيج الصوتي، وجميع الأصوات الكلامية التي تتعرض للرنين. ويتكون هذا الممر من ثلاثة فراغات أساسية هي: فراغ البلعوم، وفراغات الأنف، وفراغ الفم، ويشتمل الفراغ الأخير، أي فراغ الفم، على الفك السفلي، والحنك، واللسان، والأسنان، والشفتين.

وتعتمد أعضاء جهاز النطق المختلفة، في أداء وظيفتها الصوتية، على تيار الهواء الذي يعد أساسياً، ولا غنى عنه، في عملية إنتاج الأصوات، فهو الذي يجعل حركات أعضاء النطق مسموعةً، كما أنها تقوم، بدورها، في عمليات التكييف والتعديل المختلفة لعمود الهواء على طول القناة الصوتية.

وتعد آلية تيار الهواء الرئوي Pulmonic Mechanism Air Stream المعتمدة على الرئتين، وأعضاء التنفس، أهم آليات الهواء على الاطلاق، وذلك لأن هذه الآلية تعد الأساس لمعظم الأصوات الكلامية البشرية. ومن ناحية أخرى، فإنَّ تيار الهواء الطارد، أو المستخرج Egressive Air Stream، وهو الزفير، يعدُّ الطريقة الطبيعية في التكلم، وبوساطته يتم إنتاج الأصوات اللغوية بمختلف أنواعها من صوامت Consonants، وحركات Vowels، وبمختلف خصائصها من مجهورة، ومهموسة، وانفجارية، واحتكاكية، ومفخمة، ومرققة، وغيرها.

نشاط (1)

عزيزي الدارس،

حاول أن تتعرف، بنفسك، إلى الدور، أو الأدوار، التي تقوم بها أعضاء النطق لديك مثل: الأسنان والأضراس والشفتين، والأنف، والحلق، والقصبة الهوائية، والرئتين في الوظائف غير النطقية المختلفة.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

سبق لنا أن ذكرنا لك، أنّ النطق لا يعدُّ الوظيفة الأساسية الوحيدة لتلك الأعضاء التي تسمى "أعضاء النطق"، ذلك أن النطق، في واقع الأمر، ليس أكثر من وظيفة ثانوية تؤديها هذه الأعضاء إلى جانب قيامها بوظائفها "البيولوجية" الحيوية التي خُلقَتْ من أجلها؛ ولهذا، فإن عَجْزَ الإنسان عن الكلام؛ لإصابته بالبكم، لا يعني على الإطلاق، عجز أعضائه هذه عن القيام بوظائفها الأخرى التي تحفظ على صاحبها الحياة؛ فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التي يقوم بها لسان غير الأخرس، فيما عدا الكلام، بطبيعة الحال. [أصوات اللغة، الدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 40].

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

تعد آلية تيار الهواء الرئوي، التي تحدثنا لك عنها، إحدى آليات ثلاث تستخدم في إنتاج الأصوات الكلامية. فهناك، بالإضافة إليها، آليتان اثنتان هما:

1. آلية تيار الهواء الحنجري Glottalic Air Stream: وتعد الحنجرة نفسها، مع إغلاق المزمار Glottis، المُسْتَهِل، أو المُحْدِث لتيار الهواء الذي يتحرك في قناة تمتد بين الحنجرة، من أسفل، وموضع إنتاج الصوت، على طول الممر الصوتي حتى الفم، من أعلى.

2. آلية تيار الهواء الطبقي أو الفموي Velaric/ Oral Air Stream: ومُحْدِث هذه الآلية، هو الجزء الخلفي من اللسان، الذي يرتفع باتجاه الطبق، ويلتصق به التصاقاً شديداً، وذلك على نحوٍ قريبٍ جداً من وضع اللسان عند بداية الكلمة الإنجليزية Kick، ونهايتها، ثم يدفع إلى الأمام في الفم، مع الاستمرار في مماسّة الطبق، وذلك من أجل إحداث تيار هواءٍ طاردٍ، أو مستخرج Egressive، أو يجذب إلى الخلف من أجل إحداث تيار هواء شفطي أو مستدخل Ingressive.

ولكنَّ الآلية الأولى، وهي آلية تيار الهواء الرئوي، وخاصة تيار الهواء الزفيري، هي المسئولة عن إصدار جميع الأصوات البشرية، في الأعم الأغلب، باستثناء بعض الأصوات الخاصة في بعض اللغات واللهجات غير العربية.

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

من المفيد أن تعلم، بأن الكثرة الغالبة، من أصوات الكلام الإنساني، تنتج في أثناء عملية الزفير. أما الأصواتُ التي تصدر، في أثناء عملية الشهيق، فتسمى أصواتاً شفطية Clicking، وهي قليلة، وتقوم بدور إشارات غير كلامية تستعمل لمخاطبة الحيوانات. ومن أمثلة ذلك، الصوت الشفطي الدال على النفي، أو الذي يستخدم في زجر بعض الحيوانات، أو استدعاء الدجاج للأكل، أو الذي يستخدم في حث الخيول وتشجيعها، ومن أمثلته أيضاً، صوت القبلة التي تطبعها الأم على وجنة وليدها.

3. الجانب التشريحي لأعضاء جهاز النطق

عزيزي الدارس،

يتألف جهاز النطق، بمعناه الواسع، من مجموعة من الأعضاء التي يقوم كل واحدٍ منها بعملٍ خاصٍ به، غير أن تلك الأعضاء، على اختلاف وظائفها وأعمالها، تتآزر، فيما بينها، من أجل النهوض بتلك العملية المهمة في حياة الإنسان، ونعني بها النُطق والكلام.

والآن، سنقدم لك، عزيزي الدارس، وصفاً موجزاً لكل عضوٍ من تلك الأعضاء، وذلك بهدف التعرف إلى طبيعتها، ومكوناتها، تمهيداً للتعرف إلى الوظيفة التي ينهض بها كلُّ عضوٍ منها في العملية النطقية. فكن معنا، عزيزي الدارس، فالموضوع طريف، ولكنه شائق، ونحن على يقين من أنك ستتابعه بشغفٍ واهتمام.

1.3 الرئتان Lungs

تؤلف الرئتان، مع الشعبتين الهوائيتين Bronchi، والقصبة الهوائية Trachea/ Wind Pipe، التي تتصل بهما، والعضلات الضاغطة والموسعة للرئتين، ومنها الحجاب الحاجز Diaphram تؤلف معاً ما يطلق عليه اسم الجهاز التنفسي.

وتقع الرئتان في داخل التجويف الصدري الذي يحدّه، من الأعلى، القفص الصدري، ومن الأسفل، الحجاب الحاجز. ويسهم هذان العضوان معاً في إكساب الرئتين الخاملتين حركتهما في التوسع والانقباض. وتتمثل وظيفتهما الأساسية في التنفس، وتتركبان من عدد هائل من الأكياس الهوائية، التي تستمد هواءها بوساطة شعيباتٍ تصلها بإحدى الشعبتين الكبيرتين، وتتصل هاتان الشعبتان بالقصبة الهوائية التي يمرُّ فيها الهواء نحو خلايا الرئة، فتأخذ هذه الخلايا الأكسجين، في أثناء الشهيق، وتحررُ الدّم من ثاني أكسيدُ الكربون، في أثناء عملية الزفير.

ويعتمد الشهيق على اتساع التجويف الصدري مما يزيد من حجمه، فينتج عن ذلك، انخفاض ضغط الهواء فيه، بالقياس إلى ضغط الهواء الجوي الخارجي الذي يندفع آنذاك إلى داخل الرئتين، فيما يسمى بعملية الشهيق Inhalation، ويحدث اتساع التجويف الصدري بتأثير كل من القفص الصدري الذي ينقبض فيتجه إلى أعلى، وإلى الخارج، والحجاب الحاجز الذي ينقبض فيتجه إلى أسفل صوب الأحشاء. أما الزفير، فيتم على نحو معاكس للحركة التي تحدث في أثناء عملية الشهيق، إذ يسترخي الحجاب الحاجز، ويسترخي القفص الصدري، فيتجه إلى الداخل وإلى أسفل، ويؤدي هذا كله إلى تقليص حجم الرئتين، مما يجعل الهواء يندفع منهما إلى الخارج فيما يسمى بعملية الزفير Exhalation.

ومن الملاحظ أن هناك اختلافاً كبيراً بين طبيعة التنفس العادي من جهة، والتنفس الكلامي السريع من جهة أخرى. كما تجدر الإشارة إلى أن المدة التي يستغرقها الزفير، في حالة التنفس العادي، لا تزيد إلا قليلاً عن مدة الشهيق، أما في حالة التكلم، فإن المدة التي يستغرقها الزفير تكون أكبر بكثير من مدة الشهيق.

فائدة (4)

عزيزي الدارس،

لا شك في أنك تعلم جيداً، بأن عملية الشهيق تدخل الأكسجين من الهواء الخارجي إلى الرئتين، حيث يتم، بعملية كيميائية، تخليص الدم الفاسد من حمولته من ثاني أكسيد الكربون، الذي يخرج في أثناء عملية الزفير.

ولكن الشيء الذي نود منك أن تعلمه الآن هو أننا نصنع أصواتنا، ونؤلف كلامنا، من الهواء الزفيري المشبع بثاني أكسيد الكربون، لا من الهواء الشهيقي المشبع بالأكسجين النقي. وهذا يعني أننا نصنع أجمل ما فينا، وهو الكلام والتعبير عمّا يدور في الذهن والوجدان، من هذا الهواء الفاسد المطرود من الرئتين، عبر المجاري الهوائية، ونعني به الزفير المشبع بنُفايات ثاني أكسيد الكربون ! ! !

[ينظر كتاب أضواء على الدارسات اللغوية المعاصرة، للدكتور نايف خرما، ص:254].

فائدة (5)

عزيزي الدارس،

من المفيد أن تعلم، أن المدة التي يستغرقها الزفير، في حالة التكلم، تكون أكبر بكثير من المدة التي يستغرقها الشهيق. وتتراوح النسبة بينهما، في المحادثة العادية من (1:3) إلى (1:10)، وقد تبلغ، في بعض الحالات (1:30) وذلك على نحو ما نحس وندرك في أثناء استماعنا إلى بعض المقرئين، أو المغنين. [المدخل الى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ص:28].

ولعلك، عزيزي الدارس، تسأل عن السبب في ذلك، فنقول لك يعود السبب في طول مدة الزفير هنا، إلى حدوث انسدادات وإعاقات لتدفق تيار الهواء في أثناء انتاج معظم الأصوات الكلامية، وذلك خلافاً للشهيق الذي يدخل، في أثنائه، الهواء إلى الرئتين عبر تجاويف الفم والحلق المختلفة دونما اعتراضٍ، أو إعاقةٍ تذكر.

2.3 القصبة الهوائية Wind Pipe/ Trachea

هي عبارة عن قناة غضروفية تقع فوق الرئتين، وتتصل بالحنجرة من أعلى، وتتكون من حلقاتٍ غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف، وتكون مغطاةً من الداخل بغشاءٍ مخاطي. ويبلغ قطر القصبة الهوائية بين (2)سم، و (2.5)سم، أما طولها فيبلغ حوالي (11)سم، ويزيد طولها في الرجال قليلاً عنه عند النساء، وتتشعب من أسفل إلى شعبتين تتصل كلٌ واحدةٍ منهما بإحدى الرئتين.

وتتمثل الوظيفة الأساسية للقصبة الهوائية، في دخول الهواء من خلالها، إلى الرئتين ذهاباً وإياباً، ولا شكٌ في أن تكونها من عظام غضروفية يكسبها مرونةً تفيد في إدخال الهواء واخراجه، كما أن تغطيتها، من الداخل، بالغشاء المخاطي يجعل مرور الهواء فيها أمراً سهلاً وميسوراً، ولولا هذا الغشاء لتعبت القصبة الهوائية، أو تعرضت إلى الخدوش، أو الجروح، أو الإصابة بالآلام الشديدة من جراء مرور الهواء فيها.

عزيزي الدارس،

نودُّ في ختام حديثنا عن الرئتين والقصبة الهوائية، أن نذكر لك أنهما، أي الرئتين والقصبة الهوائية، لا تعدان من أعضاء النطق المباشرة، وإنما تعدان من أعضاء التنفس التي تقدم الهواء المتدفق لإنتاج معظم الأصوات اللغوية، ولهذا، فإنَّ إدراجنا لهما، ضمن جهاز النطق، هو من قبيل الشمولية في العرض والدرس.

3.3 الحنجرة Larynx

تقع الحنجرة، وهي عضوٌ أجوف في هيئة صندوقٍ صلبٍ إلى حدٍّ ما، في الجزء الأمامي من العنق، بين قمة القصبة الهوائية، وفراغ الحلق، أو البلعوم Pharynx ولا بدَّ من مرور الهواء الصاعد من الرئتين، عبر القصبة الهوائية، في الحنجرة، وذلك في أثناء عمليتي الشهيق والزفير. ويتم اعتراض تيار الهواء في الحنجرة قبل غيرها من أعضاء النطق من أجل إنتاج الأصوات.

وتتألف الحنجرة من مجموعةٍ من الغضاريف Cartilages، والعضلات Muscles، والأعصاب Nerves، والأوعية الدموية Blood Vessels، والأغشية والأربطة. على أن أهمَّ ما تشتمل عليه الحنجرة، من العضلات والغضاريف، عضلتان، أو رباطان يطلق عليهما اسم الوترين الصوتيين Vocal Cords/ Bands.

ويقسم الوتران الصوتيان الحنجرة إلى حجرتين: عليا وسفلى وهما عبارة عن شفتين، أو شريطين من العضلات يمتدان بالحنجرة نفسها أفقياً من الخلف إلى الأمام، ويلتقيان عند ذلك البروز الذي يسمَّى تفاحة آدم Adam's Apple. ويطلق على الفراغ الواقع بين الوترين الصوتيين اسم المزمار Glottis، ويبلغ طوله حوالي (16)ملم، وهو قابل للانفتاح إلى مسافة (12)ملم.

ويمكن للحنجرة أن تتحرك إلى الأعلى، وإلى الأسفل، كما يمكنها أن تتحرك إلى الأمام، وإلى الخلف ، وتعدُّ حركتها إلى أعلى وإلى أسفل مهمةً جداً في عملية النطق، لأنها تغير من شكل حجرة الرنين وحجمها، فتؤثر بالتالي على نوع الرنين الحنجري.

وتختلف أبعاد الوترين الصوتيين من شخصٍ إلى آخر اختلافاً كبيراً، وذلك بحسب حجم الحنجرة، الذي يعتمد بدوره على عامل السن، وعلى حجم الجسم، بالإضافة إلى عامل الجنس. فقبل البلوغ يكون الوتران الصوتيان قصيرين بحيث لا يتجاوز طول الواحد منهما (12)ملم، في حين يصل عند بعض الذكور البالغين إلى (25)ملم، ويكون الصوت، آنذاك، ذا درجة هابطة Low Pitch، خلافاً للنساء اللواتي يتمتعن بدرجة صوتية عالية لقصر أوتارهن الصوتية التي يكاد طولها يقارب طول الأوتار الصوتية عند الصغار.

فائدة (6)

عزيزي الدارس،

هل تعرف السبب الذي دفع الدارسين إلى تسمية الغضروف الدّرقي Thyroid Cortilage، الذي يتمثل على شكل بروز حنجري يشبه في شكله العام الرقم (٧)، بتفاحة آدم ؟

يعود السبب في ذلك، إلى أن هذا البروز يكون أكثر وضوحاً وظهوراً في الرجال منه في النساء. ويمكن التثبت من ذلك بالنظر في مرآة، بل إن حجم هذا البروز يختلف من رجل إلى آخر، إلا أنه ظاهر الوضوح في الرجال بعامة.

فائدة (7)

عزيزي الدارس،

هل تعرف السبب الذي من أجله تعتمد جوقات الترتيل والغناء، في المسارح والكنائس على الأطفال الصغار والنساء ؟

إن ذلك يعود إلى قصر الأوتار الصوتية لدى الأطفال والنساء، الأمر الذي يكسب الأصوات حدّةً ودرجةً عالية.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. ماذا يطلق على الفراغ الواقع بين الوترين الصوتين ؟
2. أين تقع الحنجرة من جهاز النطق الانساني ؟

تدريب (1)

1. عدد مكونات الجهاز التنفسي عند الإنسان.
2. ماذا يفعل الهواء الشهيقي المشبع بالأكسجين في الرئتين ؟

4.3 الحلق Pharynx

يقصد بالحلق تلك القناة التي تعلو الحنجرة، وتتفرع من أعلى في اتجاهين: اتجاه الأنف، أو التجويف الأنفي، واتجاه الفم، أو التجويف الفموي، كما تتفرع من أسفل إلى فرعين أحدهما: المريء المؤدي إلى المعدة، والآخر هو الحنجرة والقصبة الهوائية المؤديتان إلى الرئتين.

ويقوم الحلق بدور حجرة رنين لتقوية الأصوات الصادرة عن الوترين الصوتيين، وتغيير طبيعة الصوت، ولولاها، مع غيرها من حجرات الرنين، لما اكتسبت الأصوات الصادرة من الحنجرة ما لها من قوة إسماع. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحلق يشتمل على شيء يشبه اللسان، يسمَّى لسان المزمار Epiglottis، وهو عبارة عن غضروف يقع في مقدمة الحنجرة، وخلف جذر اللسان مباشرة. وتتمثل وظيفته بحماية الحنجرة وطريق التنفس في أثناء عملية الأكل والشرب، أو تعرض الفم للأجسام الغريبة، حيث يقوم هذا العضو؛ أي لسان المزمار، بإغلاق الحنجرة إغلاقاً تاماً. ويمكن للسان المزمار أن يسهم في تكييف الرنين، وذلك بما يحدثه من تغيير في حجم فراغ الحنجرة، أما أهميته للتصويت فما تزال موضع نظر. [دراسة السمع والكلام، للدكتور سعد مصلوح، ص: 109].

تدريب (2)

عزيزي الدارس،

1. لقد مر معك، في أثناء دراستك للحنجرة، والحلق، اسم عضوين هما: المزمار، ولسان المزمار.

   والمطلوب منك الآن، أن تحدد المقصود بكل واحد منهما، ثم تحديد موقعيهما في جهاز النطق.

2. ما الدور الذي يقوم به الحلق بالنسبة للعملية النطقية.

فائدة (8)

عزيزي الدارس،

لقد تعرفنا معاً إلى الحلق، من حيث موقعه في الجهاز النطقي، ومن حيث قيامه بدور حجرة رنين تقوم بتقوية الأصوات الصادرة عن الوترين الصوتيين...الخ.

والآن، نودُّ أن نضيف إلى معلوماتك شيئاً آخر، هو أن هذا الحلق يمكن اعتباره مكوناً من ثلاثة أقسام هي:

1. الحلق الحنجري Laryngeal Pharynx :

وهو يمتد من الغضروف الحلقي إلى العظم اللساني. ويتأثر حجم تجويف هذا الحلق بحركات الحنجرة، واللسان، ولسان المزمار.

2. الحلق الفموي Oral Pharynx :

وهو يمتد من العظم اللساني إلى الطبق، ويتأثر حجم هذا الحلق بموضع اللسان، فرجوعه الى الخلف يصغر هذا الحجم إلى حد كبير، كما هو الحال في الحركات الخلفية أو الطبقية Back Vowels.

3. الحلق الأنفي Nasal Pharynx :

وهو يمتد خلف الطبق، ومن فوقه في الجزء الخلفي من التجويف الأنفي. ويتأثر هذا الحلق بحركات الطبق المختلفة.

5.3 التجويف الأنفي Nasal Cavity

يتّصف هذا التجويف، على عكس التجويف السابق، وهو الحلق، بأنه ثابت في شكله وأبعاده، وهو يقوم في أثناء الأداء الكلامي، بدور حجرة رنين لا أكثر.

ومن الأصوات ما يقفل معه الفم، ويبقى تيار الهواء متجهاً لحو الفراغ الأنفي، حيث يخرج من فتحتي الأنف، كما هو الحال في صوتي الميم والنون، وتسمى هذه الظاهرة ظاهرة الأنفية Nasality، في حين يبقى مجريا الفم والأنف مفتوحين مع إبقاء الحنك اللين، وهو الطبق، منخفضاً، كما هو في الحالة السابقة، فيخرج الهواء من التجويفين الفموي والأنفي، وذلك مع بعض الأصوات، وتسمى هذه الظاهرة ظاهرة التأنيف Nazalization.

وإذا ما أصيب الأنف بعارض مرضي ما، كانسداد مؤخرته، وذلك في حالة المرض بالجيوب الأنفية Adenoids، فإن انتقال تيار الهواء، عبر التجويف الأنفي، سيمتنع، مما يؤدي إلى انتفاء الظاهرتين السابقتين. أما في حالة كون الانسداد أمامياً، عند فتحتي الأنف، كما يحدث في العادة عند الإصابة بالزكام، فإنّ الأصوات يعتريها التشويه، وعدم الوضوح على الرغم من حدوث الرنين في التجويف الأنفي.

عزيزي الدارس،

ولعل من المفيد أن تعلم، أنّ صوتي الميم والنون، هما الصوتان الأنفيان المناظران لصوتي الباء والدال الفمويين على الترتيب، فعند حدوث انسداد أمامي، أو خلفي، في التجويف الأنفي، فإن النطق بهذين الصوتين الأنفيين، الميم والنون، سوف يتجه وجهةً قريبةً من نطق الصوتين الفمويين المناظرين لهما، وهما: الباء والدال.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. بم يتصف التجويف الأنفي؟ وما الدور الذي يقوم به في أثناء الأداء الكلامي؟
2. ما الأصوات التي تصدر عبر التجويف الأنفي؟

فائدة (9)

عزيزي الدارس،

تستطيع التعرف بنفسك إلى كون مخاطبك، أو محدثك على الهاتف، على سبيل المثال، مصاباً بحالة زكام، وذلك من خلال الاستماع الى صوته. فهو، في هذه الحالة، لا يستطيع النطق بصوتي الميم والنون الأنفيين على نحوٍ واضح. ويستبدل بهما صوتين قريبين جداً من صوتي الباء والدال الفمويين، على التوالي. فإذا ما نطق محدثك بكلمات تشتمل على هذين الصوتين الأنفيين، تستطيع أن تميز ذلك، وربما سألته، وأنت بعيدٌ عنه، عن صحته، وعن سبب حالة الزكام التي يعاني منها، ودعوت له بالصحة والسلامة.

وتجدر الإشارة، عزيزي الدارس، إلى أن صوت الميم الأنفي، يناظر صوت الباء الفموي، فكلاهما من مخرج واحد، هو المخرج الشفوي الثنائي، كما أن صوت النون الأنفي، يناظر صوت الدال الفموي، فهما من مخرجين متقاربين جداً، هما: المخرج اللثوي للنون، والمخرج الأسناني اللثوي للدال. وهذا ما ستتعرف إليه بالتفصيل في الوحدة الخامسة من هذا المقرر، إن شاء الله تعالى.

6.3 التجويف الفموي Oral Cavity

يعدُّ التجويف الفموي، عزيزي الدارس، أهم التجاويف الثلاثة الرئيسة، التي يشتمل عليها جهاز النطق، على مستويي الشكل والأبعاد، هذا بالإضافة إلى اشتماله على أعضاء النطق الأساسية، وهي: سقف الحنك، والأسنان، والشفتان، والفك الأسفل، واللسان الذي يعدُّ أهمها جميعاً، مما حدا ببعض اللغات على جعله علماً على اللغة نفسها.

عزيزي الدارس،

لمزيد من الفائدة، ولتعميق صلتك بهذا الجهاز الحيوي، جهاز النطق، سنقدم لك، في السطور التالية، تعريفاً موجزاً بكل عضو من هذه الأعضاء النطقية الفموية، فكن معنا متابعاً، ونحن على ثقةٍ من أنك ستواصل ما بدأناه بشغفٍ واهتمام:

1.6.3 سقف الحنك Palate

يتخذ سقف الحنك شكل قبةٍ واقعة فوق اللسان، في أعلى التجويف الفموي، ويرتكز عليه اللسان عند أدائه لعددٍ من الأصوات اللغوية. وينقسم هذا العضو إلى أربعة أقسام، تبتدئ باللهاة، من الداخل، وتنتهي باللثة من الخارج، وفيما يلي، عزيزي الدارس، بيانٌ لهذه الأقسام الأربعة:

أ- اللهاة Uvula :

هي قطعة لحمية صغيرة مرنة تشرف على الحلق في أقصى الفم، وتتدلى من سقف الحنك الرّخو، المسمى أيضاً بالطبق، كما أنها تشبهه، أي الطبق، في إمكان الحركة دون سائر أجزاء سقف الحنك. وليس للهاة حركةٌ عضليةٌ مستقلةٌ، وإنما يمكن أن تهبط في الأخدود الذي يكونه الجزء الخلفي من اللسان، بحيث تهتز بتأثير تيار الهواء المتحرك.

ب- سقف الحنك الرخو (الطبق) Soft Palate/ Velum :

هو الجزء اللين من سقف الحنك، ويقع في موضعٍ متوسطٍ بين اللهاة، من الخلف، وسقف الحنك الصُّلب، المسمى أيضاً بالغار، من الأمام. ويمتاز هذا العضو بقابليته للحركة، حيث يؤدي ارتفاعه إلى إغلاق ممر تيار الهواء إلى التجويف الأنفي، في حين يؤدي انخفاضه إلى فتح ذلك الممر، وعدم السماح لتيار الهواء بالتدفق عبر التجويف الفموي.

جـ- سقف الحنك الصلب (الغار) Hard Palate :

هو الجزء العظمي من سقف الحنك، وهو ذو شكل مقعر ومحزز، ويقع خلف منطقة اللثة. ويمكن لطرف اللسان أن يمس هذا الجزء من سقف الحنك، على عكس الحال مع سقف الحنك الليِّن، أي الطبق.

د- اللثة Alveolar :

يقصد بها المنطقة الواقعة خلف الثنايا العليا أمام الغار، ويمكن لطرف اللسان أن يمسَّها بسهولةٍ في أثناء انتاجه لبعض الأصوات.

2.6.3 الأسنان Teeth

يشتمل الفراغ الفموي، في الفكين الأعلى والأسفل، على اثنتين وثلاثين سناً متماثلة في التوزيع نوعاً وكماً في الفكين المذكورين، وذلك على النحو التالي:

1. القواطع Incisors :

وهي أربعة في الجزء الأمامي من كل فك، ويطلق على القاطعتين الوُسْطَيَيْن اسم الثَّنيَّتين، وعلى المتطرفتين منها اسم الرَّباعِيَتَيْن.

2. الأنياب Canines :

وهي اثنان في كلِّ فك يحيطان بالقواطع فيه من الجانبين.

3. الأضراس الأمامية Premolars :

وعددها أربعة في كل فك، وتقع في المنطقة الخلفية التي تلي الأنياب مباشرة، وهي التي أطلق عليها علماؤنا القدماء اسم الضواحك.

4. الأضراس الخلفية Molars :

وعددها ستة في كل فك، وتقع إلى الخلف من الأضراس الأمامية، وهي التي أطلق عليها علماؤنا القدماء اسم الطواحن.

وتقوم الأسنان بدور مهم في عملية الانتاج الصوتي. وتتضح هذه الأهمية، بسهولة ويسر، عند الاستماع إلى نطق أناس اكتملت في أفواههم أسنانهم، وآخرين فقدوها، أو فقدوا شيئاً منها.

3.6.3 الشفتان Lips

هما عضلتان تقعان في مقدمة التجويف الفموي، وتمتازان بمرونتهما الفائقة على الحركة، شأنهما، في ذلك، شأن اللسان. ويمكنهما أن تتخذا عدة أوضاع مختلفة، كوضع الإقفال التام، أو التقارب، أو الاسترخاء، أو التباعد، أو الاستدارة، وغيرها.

4.6.3 الفك الأسفل Low Jaw

هو الجزء الوحيد المتحرك من بين عظام الوجه، وهو يتمتع بمرونة حركية واضحة، حيث يتمكن من الحركة إلى أعلى وإلى أسفل، كما يتمكن من الحركة إلى الجانبين، وإلى الأمام، وإلى الخلف، وذلك على الرغم من عدم أهمية هذين النوعين من الحركة. ويقوم الفكُّ الأسفل بحركة في الاتجاهين: العلوي، والسفلي، مما يؤدي إلى زيادة فراغ التجويف الفموي، والتأثير غير الأساسي على طبيعة الصوت الناتج.

5.6.3 اللسان Tongue

يتألف اللسان من حزمة عضلات بالغة المرونة، ويقسمه علماء الأصوات إلى أربعة أقسام أساسية هي:

1. النصل ومعه الأسلة (طرف اللسان) Blade - Tip :

ويقعان، في حالة استرخاء اللسان، تحت اللثة.

2. الجزء الأمامي Front Of The Tongue:

ويقع تحت الغار.

3. الجزء الخلفي Back Of The Tongue :

وهو الجزء المرتبط بالحلق، ويقع تحت الطبق.

4. جذر اللسان Root Of The Tongue :

وهو الجزء الخلفي من اللسان، ويؤلف الجدار الأمامي للحلق الفموي.

ويعدُّ اللسان، وهو أهم أعضاء النطق قاطبةً، من أعضاء النطق النشطة، حيث يقوم في أثناء اقترابه، أو تحركه في اتجاه أعضاء النطق الثابتة الأخرى، كاللثة، والأسنان العليا، والغار، وغيرها، يقوم بانتاج مجموعاتٍ لا يستهان بها من الأصوات اللغوية، كما أنه قادر على اتخاذ أوضاع مختلفة تسهم في تشكيل شتى أنواع الحركات Vowels.

عزيزي الدارس،

سيقدم لك الشكل التالي صورةً تقريبية للجهاز النطقي عند الإنسان:

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. عدد الأقسام التي يشتمل عليها سقف الحنك .
2. ما عدد الأسنان التي يشتمل عليها الفراغ الفموي في الحالات العادية الطبيعية ؟
3. ما أهم السمات التي يتصف بها اللسان بالقياس إلى بقية أعضاء النطق الأخرى ؟

تدريب (3)

عزيزي الدارس،

1. يخطئ بعض المتحدثين في ضبط بعض الكلمات، التي مرت معك، مثل: اللثة، والرباعية. فكيف تضبطها أنت ؟
   - هل تضبط الكلمة الأولى هكذا: اللُثة، أم اللِّثة، أم اللَّثة ؟
   - وهل تضبط الكلمة الثانية هكذا: الرُباعيّة، أم الرِّباعيّة، أم الرَّباعيّة ؟
2. ما هي أعضاء النطق المتحركة في منطقة سقف الحنك ؟

4. الجانب الوظيفي لأعضاء النطق في إنتاج الأصوات

عزيزي الدارس،

تعرفنا في الصفحات السابقة، معاً، إلى المقصود بعلم الأصوات النطقي، أو المخرجي، كما تعرفنا، أيضاً إلى جهاز النطق، من ناحية تشريحية، وقد شمل ذلك دراسة أعضاء التنفس المتمثلة في الرئتين، والقصبة الهوائية، كما شمل ذلك دراسة الحنجرة التي تنتج معظم الطاقة الصوتية المستعملة في النطق والكلام، والتي تعدُّ بمنزلة الصمام الذي ينظم عملية تدفق تيار الهواء، ثم دراسة التجاويف التي تلي الحنجرة، وهي تشمل تجاويف الحلق، والأنف والفم.

أما الآن، فسنعود معاً، عزيزي الدارس، إلى هذه الأعضاء نفسها، مرّة أخرى، لنتعرف إلى الوظيفة، أو الوظائف التي يقوم بها كل عضوٍ منها في مجال الانتاج الصوتي. فكن معنا، وتابع فقرات هذا الدرس خطوةً خطوةً، ولكننا سنقدم لك، بين يدي هذا الموضوع، تمهيداً نرجو أن نلقي من خلاله الضوء على ما نحن بصدده هنا، وهو دراسة الجانب الوظيفي لأعضاء النطق في عملية إنتاج الأصوات اللغوية:

تمهيد :

عزيزي الدارس،

من المعلوم أنّ طبيعة الصوت، تختلف باختلاف الأعمال التي تقوم بها أعضاء النطق المتحركة، لذا فإن الأمر يستوجب تقديم دراسةٍ موجزةٍ لمختلف الأدوار، والوظائف التي يقوم بها كل عضوٍ من أعضاء الجهاز النطقي. وهذا يعني، بوضوحٍ وجلاءٍ، أنّ كلّ عضوٍ، من هذه الأعضاء، يضطلع، في أثناء عملية النطق بصوت من الأصوات، بدورٍ قد يكون إيجابياً، وقد يكون سلبياً.

فعند النطق بصوت الباء في اللغة العربية، على سبيل المثال، تقوم الرئتان بدفع الهواء دفعاً أقلّ من ذاك الدفع الحادث في أثناء النطق بصوت السين مثلاً، وكذلك يهتزُّ الوتران الصوتيان في حالة النطق بالصوت الأول؛ أي صوت الباء، في حين يتخذ هذان الوتران موقفاً سلبياً، أي عدم اهتزاز، في حالة النُّطق بالصوت الثاني، وهو السين.

كما يلاحظ أن الطّبق، في حالة النطق بالصوت الأول، يرتفع حتى يمنع تيار الهواء من المرور عبر التجويف الأنفي، في حين ينخفض هذا العضو، أي الطبق، في أثناء النطق بصوت الميم، أو صوت النون، وذلك من أجل إغلاق ممر الهواء في التجويف الفموي، وإتاحة مروره عبر التجويف الأنفي.

ومن ناحيةٍ أخرى، لا يرتفع اللسان في حالة النطق بصوت الباء المذكور آنفاً، في حين يوضع هذا العضو، وهو اللسان، بين الأسنان العليا والسفلى في حالة إنتاج صوتٍ كالثاء، أو الذال، أو الظاء مثلاً، وكذلك نجد أنّ تباعد الفكين: العلوي والسفلي، مع صوت الفتحة الطويلة (aa) في كلمة مثل: مال Maal، على سبيل المثال، يكون كبيراً نسبياً بالقياس إلى وضع تباعدهما في حالة النطق بصوت الياء (y).

وتسهم الشفتان في عملية إنتاج صوت الباء، حيث تكونان في وضع إنطباقٍ تام، ثم تتعرضان، في حالة الإنتاج الفعلي للصوت إلى الانفتاح المفاجئ، وذلك على عكس حالهما مع صوت الهاء مثلاً، حيث لا تقومان بدورٍ إيجابي ذي شأن.

عزيزي الدارس،

سنحاول، في الصفحات القليلة التالية، تقديم بيانٍ موجزٍ عن الوظائف المختلفة التي تقوم بها أعضاء النطق المختلفة في عملية الإنتاج الصوتي.

1.4 دور الرئتين

تقوم الرئتان، في كل اللغات الإنسانية، بدورٍ أساسي في عملية إنتاج الأصوات. ويتم ذلك في الأعم الأغلب، وفي معظم اللغات، عن طريق آلية تيار الهواء الرئوي الزفيري، التي تعد الأساس في إنتاج معظم الأصوات اللغوية.

2.4 دور الوترين الصوتيين

يمكننا التعرف إلى الدور الذي يقوم به الوتران الصوتيان، من خلال الأوضاع الأساسية التي يتخذها المزمار Glottis. وتجدر الإشارة، عزيزي الدارس، إلى أنَّ الوترين الصوتيين يتمتعان بقدرة كبيرة على إحداث أنماط متنوعة ودقيقة من التدخل والاعتراض لمجرى تيار الهواء، ويعود ذلك إلى طبيعة تكوينهما الغشائي والعضلي، وهذه هي أهم الأوضاع التي يتخذها المزمار:

1. وضع التنفس الطبيعي Normal Breath

وفيه يكون فراغ المزمار على هيئة شق طولي مثلث الشكل، وتكون العضلات في حالة استرخاء بوجه عام، وإن تميزت فتحة المزمار، في حالة الشهيق، بأنها أوسع نسبياً منها في حالة الزفير. (أ. من الشكل المرافق).

2. وضع التنفس العميق Deep Breath

وفيه يكون فراغ المزمار أوسع منه في الوضع السابق. (ب، من الشكل المرافق).

3. وضع الوشوشة Whispering

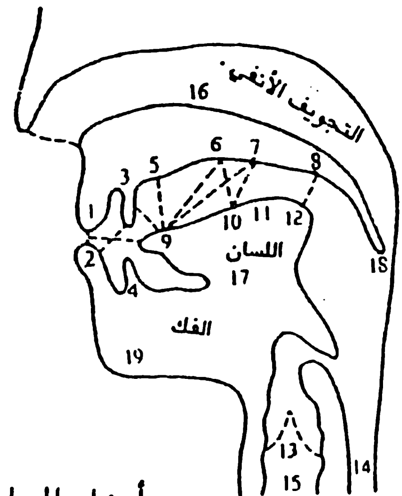
وفيه يكون الجزء الأمامي الغشائي من المزمار شبه مغلق، والجزء الخلفي مفتوحاً. ويرجع صوت الوشوشة إلى احتكاك تيار الهواء بالبروزين الصوتيين من الغضروفين الهرميين. (ج، من الشكل المرافق).

4. وضع التصويت Phonation

وفيه يكون المزمار مقفلاً بجزأيه، أي أنَّ الوترين الصوتيين يلتقيان بكامل طولهما التقاءً كاملاً، ولكن دون توتُّر. وفي هذا الوضع يمكن أن يهتز الوتران الصوتيان في حركات متكررة منتظمة من انغلاق وانفتاح، مما ينتج بتفاعله مع تيار الهواء الخارج، أصواتاً دورية تقريبا تسمى الأصوات المجهورة Voiced، وفي حالة عدم اهتزاز الوترين الصوتيين، فإن الناتج يكون، عندئذ، أصواتاً تسمى الأصوات المهموسة Voiceless. (د، من الشكل المرافق).

5. وضع الوقف Stopped :

وفي هذا الوضع، يقترب الوتران الصوتيان بإحكام تام، وقد يغطي طرف أحدهما طرف الآخر، بحيث يحبس مجرى تيار الهواء عند المزمار، وذلك على نحو ما يحدث في حالة التهيؤ للنطق بصوت همزة القطع العربية، ولذا فإنها تسمى بالحُبْسَة، أو الوَقْفَة الحَنْجَرِيَّة Glottal Stop.



أوضاع المزمار

1 . الشفة العليا .
2. الشفة السفلى .
3 . الأسنان العليا .
4 . الأسنان السفلى .
5 . الحافة اللثوية .
6 . الغار (الحنك الصلب)
7. سقف الحنك .
8 . الطبق (الحنك اللين)
9 . أسَلة اللسان .
10 . اللسان الأمامي .
11 . اللسان الأوسط .
12 . اللسان الخلفي .
13 . الوتران الصوتيان .
14 . البلعوم .
15 . ممر الهواء .
16 . التجويف الأنفي .
17 . اللسان .
18 . اللهاة .
19 . الفك .

3.4 دور الطبق

يقوم الطبق بوظيفتين أساسيتين هما:

1. قيامه بدور عضو نطق سلبي Passive: وذلك في أثناء إنتاج بعض الأصوات اللغوية، وهي الأصوات الطبقية Velar Sounds المتمثلة بالكاف، والخاء، والغين، في اللغة العربية.
2. قيامه بدور عضو نطق إيجابي Active: حيث يرتفع إلى أعلى، فيمنع تيار الهواء من المرور عبر التجويف الأنفي، والسماح له بالمرور عبر التجويف الفموي، وذلك على نحو ما يحدث مع الأصوات الفموية، في حين يؤدي انخفاضه إلى أسفل إلى إغلاق ممر التجويف الفموي، والسماح لتيار الهواء بالدخول عبر التجويف الأنفي، وذلك على نحو ما يحدث في أثناء إنتاج الأصوات الأنفية، وهي: الميم والنون.

4.4 دور اللسان

يتصف اللسان بمرونة حركية فائقة، ففي وسعه التحرك في جميع الاتجاهات تقريباً، وهو قادر على التقدم إلى الأمام، وتجاوز الأسنان، وقادرٌ على التراجع إلى الخلف على بعد (3)سم من الأسنان، كما أن جزأه الخلفي مرنٌ وقادرٌ على الاقتراب من الجدار الخلفي للحلق، لإنتاج بعض الأصوات، كصوتي الحاء والعين الحلقيين، في اللغة العربية. وفي وسع هذا الجزء أيضاً، أن يقترب من اللهاة لإنتاج صوت القاف اللهوي، أو الاقتراب من الطبق لإنتاج الأصوات الطبقية، كأصوات الكاف، والخاء، والغين في العربية.

وللّسان، بالإضافة إلى ما سبق، قدرةٌ على التحرك إلى جانبي الفم، أو أحدهما، لإنتاج صوت اللام، وكذلك، فإن مقدم اللسان يُنْتِجُ في أثناء ارتفاعه نحو الغار، ما يعرف بالأصوات الغارية، كأصوات الجيم، والشين، والياء في العربية.

5.4 دور الشفتين

تقوم الشفتان بدورٍ مهمٍ في إنتاج الأصوات، وذلك في حالتين:

1. حالة اقتراب الشفة السفلى من القواطع العليا :

ويتم ذلك عند إنتاج الأصوات المسماة أصواتاً شفوية أسنانية، كصوت الفاء في العربية.

2. حالة التصاق الشفتين التصاقاً تاماً :

وذلك على نحو ما يحدث في أثناء إنتاج صوتي الباء والميم في العربية، أو اقترابهما، كما هو الحال في أثناء إنتاج صوت الواو في العربية أيضاً. وتقوم الشفتان، بالإضافة إلى ذلك، بدور أساسي ومهم في إنتاج الحركات Vowels.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1. عدد الأوضاع المختلفة التي يتخذها الوتران الصوتيان .
2. وضح الدور الذي يقوم به الطبق، وذلك من خلال الحديث عن الوظائف التي يقوم بها في أثناء عملية النطق .

تدريب (4)

عزيزي الدارس،

1. وضح الدور الذي يقوم به الطبق في أثناء إنتاج صوتي الميم والنون الأنفيين .
2. بين الوضع الذي يكون عليه المزمار في أثناء الوشوشة .

نشاط (2)

عزيزي الدارس،

يتصف اللسان، كما مرّ معك، بمرونة حركية فائقة، تمكّنه من الاتصال بأية نقطة في الفم، فينتج عن تحركاته المختلفة، عدد كبير من الإمكانات الصوتية في جهاز النطق. ولهذا، فإنه لا غرابة أن يكون اسمه مرادفاً لكلمة "اللغة" عند كثير من الأمم والشعوب.

ويبدو أن هذا الأمر، كان من الأسباب التي جعلت من كلمة "لسان" رمزاً لكلمة "لغة" في القرآن الكريم... ومن ذلك قوله تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...» [ابراهيم :4]. وقوله تعالى: « ... لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » [النحل: 103].

وقوله تعالى: « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسانٍ عربي مبين » [الشعراء: 195].

عزيزي الدارس،

حاول أن تعثر على آيات قرآنية كريمة أخرى استعمل فيها "اللسان" مرادفاً لكلمة "اللغة" .

5. الخلاصة

عزيزي الدارس،

اشتملت هذه الوحدة الدراسية، على بعض الموضوعات المتعلقة بعلم الأصوات النطقي، أو المخرجي، ومنها:

وهو يوصف الأصوات النُطقي وهو يصف الدور الذي تقوم به أعضاء النطق في أثناء انتاج الأصوات الكلامية، ثم اهتمت بتعريف الدارس.

الأعضاء المختلفة المكونة لجهاز النطق الانساني بعامة، سواء ما كان قبل الحنجرة كالقفص الصدري وعضلات البطن أم كانت الحنجرة وما فيها من أجهزة ثم تلك الأعضاء التي تقع في ممر الأصوات في داخل الفم إلى الشفتين.

ثم اهتمت الوحدة ببيانُ الوظائف المختلفة التي تضطلع بها تلك الأعضاء في ميدان الانتاج الصوتي بخاصة، ودقة الأجهزة في تشكيل الأصوات الانسانية.

6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

عزيزي الدارس،

سوف تتناول دراستنا للوحدة القادمة، وهي الوحدة الثالثة، من مقرر علم أصوات العربية، موضوعي الفوناتيك، والفونولوجيا، أو علم الأصوات العام، وعلم وظائف الأصوات، وستتركز دراستنا لهذين الموضوعين، إن شاء الله، حول التعريف بكل واحدٍ من هذين العلمين، وبيان أهم الفروق الكامنة بينهما.

كما سنحاول، في أثناء ذلك، التركيز، على نحوٍ خاص على علم الفونولوجيا، من حيث استقلاله عن علم الفوناتيك، وبيان أقسامه، والنظريات المختلفة التي عالجت موضوعاته وقضاياه.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. مكونات الجهاز التنفسي عند الإنسان :

يتكون الجهاز التنفسي عند الإنسان من مجموعة من الأعضاء أهمها: الرئتان، والقصبة الهوائية، والشُعب الهوائية، بالإضافة إلى القفص الصدري، وعضلات البطن، وخاصة الحجاب الحاجز Diaphram.

2. يقوم الهواء المشبع بالأكسجين، في أثناء عملية الشهيق، بتخليص الدم من حمولته من ثاني أكسيد الكربون، وذلك عن طريق إمداده بالأكسجين النقي من الهواء الخارجي.

تدريب (2)

1. - المزمار Glottis: هو عبارة عن الفراغ الواقع بين الوترين الصوتيين Vocal Cords. ويبلغ طوله حوالي (16)ملم، وهو قابل للانفتاح إلى مسافة (12)ملم.

- لسان المزمار Epiglottis: هو عبارة عن غضروف يقع في مقدمة الحنجرة، وخلف جذر اللسان مباشرة. وتتمثل وظيفة هذا العضو بحماية الحنجرة، وطريق التنفس في أثناء عملية الأكل والشرب، أو تعرض الفم للأجسام الغريبة، حيث يقوم لسان المزمار بإغلاق الحنجرة إغلاقاً تاماً.

2. يقوم الحلق بدور حجرة رنين لتقوية الأصوات الصادرة عن الوترين الصوتيين، وتغيير طبيعة الصوت، وتقوم هذه الحجرة الرنينية، مع غيرها من حجرات الرنين، بإكساب الأصوات الصادرة من الحنجرة قوة إسماع.

تدريب (3)

1. - تضبط الكلمة الأولى هكذا: اللِّثَة، بكسر اللام المشددة، وفتح الثاء دونما تشديد.

- وتضبط الكلمة الثانية هكذا: الرَّباعية، بزنة ثمانية.

2. يقصد بالضواحك، الأضراس الأمامية Premolars، وعددها أربعة في كل فك. وهي تقع في المنطقة الخلفية التي تلي الأنياب مباشرة. وقد سميت بهذا الاسم لأنها تبدو وتظهر عند التبسم والضحك.

3. أعضاء النطق المتحركة في منطقة سقف الحنك: هي اللهاة، والطبق.

تدريب (4)

1. في حالة النطق بصوتي الميم والنون ينخفض الطبق إلى أسفل، مما يؤدي إلى إغلاق ممر تيار الهواء عبر التجويف الفموي، والسماح له بالمرور عبر التجويف الأنفي.

2. يكون الجزء الأمامي الغشائي من المزمار، في أثناء الوشوشة، شبه مغلق، والجزء الخلفي منه مفتوحاً.

سرد المصطلحات

- الرئتان **Lungs**
- القصبة الهوائية **Windpip/Trachea**
- الحنجرة **Larynx**
- الحلق **Pharynx**
- التجويف الأنفي **Nasal Cavity**
- التجويف الفموي **Oral Cavity**
- سقف الحنك **Palate**
- الأسنان **Teeth**
- الشفتان **Lips**
- الفك الاسفل **Low Jaw**
- اللسان **Tongue**

9. المراجع

1. أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط2، القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1968.
2. باي، ماريو، أسس علم اللغة، ط2، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، 1983.
3. خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت: عالم المعرفة، 1978.
4. عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985.
5. مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، القاهرة: علم الكتب، 1980.

الوحدة الثالثة
الفوناتيكا والفونولوجيا

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة

1. المقدمــــة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك إلى هذه الوحدة الجديدة، وهي الوحدةُ الثالثةُ من مُقرَّر علم أصواتِ العربية. يدورُ موضوعُ هذه الوحدة حَولَ قضيةٍ رئيسة هي التعريفُ بكلٍّ من الفوناتيك؛ أو علم الأصوات العام، والفونولوجيا؛ أو علم وظائف الأصوات، ثم بيان الفرق بينهما.

إن القضايا التي ستُعالجها هذه الوحدة، قصيرةٌ ومحدودةٌ، ولكنَّها ستضيفُ إلى البناء الصوتي التخصُّصيّ لديك لَبِنةً جديدةً تمكِّنك من فَهْمِ الكثيرِ من الموضوعات الصوتية، التي ستكونُ مِحْوَرَ دراسةٍ لك في الوحدات القادمة. ولهذا، فإنَّ استيعاب جزئياتِ ما سنتناوله، في هذه الوحدة، يعدُّ أمْراً ضرورياً وَمُهِماً، فكنْ، عزيزي الدارس، مَعَنا فيما سنناقشُه ونوضّحُه، وأسْعَدَكَ اللهُ، وأسْعَدَ بك، وسلامُ اللهِ عليك.

2.1 أهداف الوحدة

يُنْتظرُ منك، عزيزي الدارس، أن تكون، بَعْدَ دراسةِ هذه الوحدة، وفَهْم ما تشتمل عليه من موضوعاتٍ وفوائد، وأسئلةٍ، وتدريبات، قادراً على أن :

1. تحدد المقصودَ بكلٍّ من علم الفوناتيك، أو علم الأصوات العام، والفونولوجيا، أو علمِ وظائف الأصوات.
2. تميز بين هذين العلمين، وتتعرف إلى الدَّورِ الذي يقومُ به كل واحد منهما في دراسة الأصوات.

3.1 أقسام الوحدة

تشتمل، هذه الوحدة، على ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : يشتملُ على تحديد المقصود بعلمِ الفوناتيك؛ أو علم الأصوات العام، وبيان أقسامه المختلفة على نحو موجز، ويحقق الهدف (1).

القسم الثاني : ويشتمل على تحديد المقصود بعلم الفونولوجيا؛ أو علم وظائف الأصوات، ثم التعرف إلى أهم النظريات المختلفة التي عالجت هذا العلم، وبيان أقسامه، وطبيعة مركباته، ويحقق الهدفين (1 و 2).

القسم الثالث : ويتناولُ أهمَّ الفروقِ الأساسية التي تُميِّزُ بَيْنَ علمي الفوناتيك والفونولوجيا، ويحقق الهدفين (1 و 2).

4.1 القراءات المساعدة

نَنْصَحُك، عـزيزي الدارس، بَعْدَ قـراءةِ مـا تشـتـمـل عليـه هذه الوحـدةُ من موضوعـات، أن تعودُ إلى بَعْضِ الكُتُبِ والمراجع اللغوية التي عالجتْ هذا الموضوع، وذلك من مُنْطَلقِ إيماننا بأنَّ المطالعةَ الإضافيةَ من شأنها أن تُعَمِّقَ ما حَصَّلْتَ عليه من معلومات. وأهمُّ المراجع، التي نَنْصَحُك بقراءتها، في هذا الصدد، هي :

1. بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات. القاهرة : دار المعارف، 1980.
2. حجازي، محمود، المدخل إلى علم اللغة. القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981.
3. باي، ماريو، أسس علم اللغة. ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة : عالم الكتب، 1983.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس،

لقد حاولنا أن نقدم لك موضوعات هذه الوحدة، وهي موضوعات موجزة، على نحو مُبَسَّط، وما عليك إلا أن تُنْعِمِ النَّظَرَ في كل ما سَيَرِدُ، في أثنائها، من قضايا وشروح، بالإضافة إلى ما سيتخلَّلُها من فوائدَ، وتدريباتٍ، وأسئلةٍ. ولعلَّ من المفيد أن نذكِّرك الآن، بما ذكَرْناه لك، آنفاً، وهو ضرورةُ مطالعةِ بَعْضِ الكتب اللغويةِ والصوتية التي أشرنا إلى بعضها قبل قليل، ففيها، بالإضافة إلى موادِّ هذه الوحدة، النفعُ والخيرُ بإذن الله تعالى.

2. الفوناتيك، أو علم الأصوات العام Phonetics

عزيزي الدارس،

لقد سبق لنا أن تحدّثنا معاً، في الوحدة الأولى، من هذا المقرر، عن علم الأصوات، وقدّمنا لهذا العلم تعريفات مختلفةً، يُمْكِنُكَ أنْ تَرْجِعَ إليها بنفسك. ومع ذلك، فإننا لا نجد بأساً أن نَذْكُرَ لك الآنَ شيئاً مما ذَكَرْناهُ لك هناك.

إن علمَ الفوناتيك، أو علمَ الأصوات. يُعَدُّ أحَدَ العلوم اللغوية وهو يتناول، بالدرس، الأصواتَ البشريةَ الكلامية، بوجه خاص، وذلك باعتبارها وقائعَ مخرجيةً، وأكوستيكيةً، وسمعيةً، بِصَرْفِ النَّظرِ عن الوظيفةِ التي يمكن أن تقومَ بها تلك الأصواتُ في عمليةِ الاتصال، وبِصَرْفِ النَّظرِ أيضاً، عن اللُّغَةِ التي يُمْكِنُ أنْ تَنْتَميَ إليها تلك الأصوات. ويُقْصَدُ من وراء ذلك كُلِّه، وصفُ الأصواتِ المدروسة، وتصنيفُها، وكتابتُها.

عزيزي الدارس،

وكما قدَّمنا لك، في الوحدة الأولى، من هذا المقرر، تعريفاتٍ متعددةً لعلم الأصوات، فقد قدمنا لك، في تلك الوحدة أيضاً، الأقسامَ الرئيسةَ التي ينقسمُ عليها هذا العلم، وهي علم الأصوات النطقي، أو المخرجي، وعلم الأصوات الأكوستيكي، أو الفيزيائي، وعلم الأصوات السمعي. وبوسعك، الآنَ، أن تَقْلِبَ صَفَحاتِ مُقَرَّرِكَ هذا إلى الوراء، لتتعرف، مرةً أخرى، إلى المَقْصودِ بكلٍّ واحدٍ من هذه الأقسام، وذلك دفعاً منا للإطالة والتكرار.

3. الفونولوجيا، أو علم وظائف الأصوات Phonology

عزيزي الدارس،

سَنَبْسُطُ لك الحديثَ، في هذا القسمِ من الوحدة، عن العلمِ الآخر، وهو علم الفونولوجيا، أو علم وظائف الأصوات، وسنتناوله معاً، من حيثُ مفهومُه ومعناه، ومن حيثُ نشأتُه، واستقلالُه عن العلم الأول، وهو علم الفوناتيك، أو علم الأصوات، ومن حيثُ النظرياتُ الأساسيةُ التي عالجته، ومن حيث أقسامُه، وطبيعةُ مركباته، فكن معنا، عزيزي الدارس، ونحن بصدد معالجة هذه الجزيئات التي نرجو أن تؤلفَ معاً، في ذهنك، صورةً متكاملةً لعلم الفونولوجيا.

تُعرَّفُ الفونولوجيا بأنها : "دراسةُ الأصواتِ الكلاميةِ لِلُغَةٍ ما، ودراسةُ وظيفتها في إطار النظام الصوتي لتلك اللغة".

[Hartmann and Stork, Dictionary of Language and Linguistics, p: 173]

ويرى كريستال Crystal أن "الفونولوجيا، وهي فرعٌ من علم اللغة، تدرسُ الأنظمة الصوتية في اللغات، وأنها تهتم بمدى الأصوات ووظيفتها في لغات بعينها، ويطلق عليها في الغالب، اسم "علم الأصوات الوظيفي"، كما أنها تهتم بالقوانين التي يمكن كتابتها، بحيث تظهر أنماطاً أو أصنافاً للعلاقات الفوناتيكية التي تقيم ارتباطات وتقابلات بين الكلمات وغيرها من الوحدات اللغوية".

[A First Dictionary of Linguistics and Phonetics, p: 268]

أما معجم "لاروس"، فإنه يرى في الفونولوجيا "علماً يدرسُ أصواتَ اللغة، من حيثُ وظيفتُها في نظامِ الاتصال اللغوي".[Larousse, Dictionnaire De Linguistique, p: 375].

أما الدكتور كمال بشر فيرى أن الفونولوجيا علمٌ يَدْرسُ قيَمَ الأصوات، أو معانيها في اللغة المعينة، كما يدرسُ وظائفَها في التركيب الصوتي للغة من اللغات. [علم اللغة العام، الأصوات، ص : 28].

عزيزي الدارس،

يتضح لك، من التعريفات السابقة للفونولوجيا، أن هذا العلمَ يتناولُ، بالدَّرْس، الأنظمةَ الصوتية للغات، ووضع قوانين عن طبيعة هذه الأنظمة بعامة. ويشمل ذلك تحديدَ الوحدات الصوتية التمييزية، أي الوحدات الصوتية ذات القيمة الدلالية التفريقية في لغة معينة، وهي الفونيمات Phonemes، كما يشمل أيضاً، تثبيتَ نظامِ الوحدات الصوتية التركيبية، أو القطعيَّة Segmental Phonemes، والملامح الصوتية غير التركيبية، أو غير القطعيَّة Suprasegmental Phonemes، في كلِّ نظامٍ، وإقامة تقابلات وظيفية بين تلك الوحدات، وذلك من أجل تعيين التشكلات المختلفة لها في اللغة الواحدة، وكذلك تعيين الارتباطات القائمة بين تشكلات الوحدة التمييزية الواحدة، بالإضافة إلى تعيين الارتباطات القائمة بين تشكلات مختلف الوحدات. [ينظر كتاب علم الأصوات، لبرتيل مالمبرج، تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين، ص : 226].

ويرى بيتر روتش Peter Roach، أن علم الأصوات، وعلم الفونولوجيا علمان مختلفان، ولكنهما مترابطان، فعمل عالِم الأصوات هو الوصفُ المباشَرُ للأصوات التي نَستخدمها في كلامنا، وأما عملُ الفونولوجي فهو بيان العلاقة بين أصوات اللغة، وبيان وظائفها : إنه يدرس الجانب المجرد، أو الجانب المعنوي، من هذه الأصوات، في حين يدرس الآخر جانبها المادي، ومع ذلك، فمن الممكن أن نحقق، بدراسة الأصوات، بجانبيها المادي والمعنوي، فهماً كاملاً لاستخدام الأصوات في اللغة المدروسة.

[Roach, English Phonetics and Phonology, p: 35]

وعلى الرغم من اختلاف ميادين الدرس، التي يتناولها كلٌ من الفوناتيك والفونولوجيا، فقد وجدنا بَعْضَ اللغويين يرفضون التفرقةَ بين هذين العلمين، نظراً لاعتماد كلٍّ علمٍ منهما على الآخر، ويستعملون أحَد المصطلحين عَلَماً على الآخر. [علم الاصوات، لمالبرج، ص : 227-228، وأسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 46-47].

عزيزي الدارس،

لقد كانت معظمُ الدراسات الصوتية القديمة، في جَوْهرها، دراساتٍ فونولوجية، ومع ذلك، فإن علم الفونولوجيا، باعتباره علماً مستقلاً له قواعدُه الخاصة، ومناهجهُ المتميزة، ظَهرَ واسْتُعْمل سنة 1850، ولكنَّ مَفْهومَهُ بقيَ دونَ تحديدٍ واضحٍ، ومتَّفقٍ عليه، فَتْرةً من الزمن، شأنُه، في ذلك، شأن علم الفوناتيك.

ولقد ظلَّ الأمرُ على هذا الحال، حتى نهاية القرن التاسعَ عَشَرَ، حيث مهَّد للتفرقة بين هذين العلمين، بعضُ اللغويين مثل : جان بردوان دي كورتينيه Jan Boudouin De Courtenay، الذي ميز بين علم الأصوات النفسي، وعلم الأصوات الفسيولوجي، أي بين الفونولوجيا، والفوناتيك، كما أسْهمتْ بعضُ المصطلحات والأفكار، التي وضَعها العالمُ اللغوي السويسري الكبير فرديناند دي سوسير Fardinand De Saussure مثل : مصطلح لسان Langue، ولغة Langage، وكلام Parole أسهمت في توضيح أوجه الفروق بين هذين العلمين.

وقد حظيت الفونولوجيا بالإستقلال المعترف به عن الفوناتيك، بعد المؤتمر الدوْليّ للغويات الذي عُقِدَ في لاهاي سنة 1928، وكان من العلماء الذين دَعَوا إلى هذا المؤتمر، العالمُ اللغوي تروبتسكوي Trubetzkoy، والعالم اللغوي ياكبسون Jakobson، وكلاهما من مدرسة براغ اللغوية. [مشكلة البيئة، للدكتور زكريا إبراهيم، ص : 64].



فائدة (1)

عزيزي الدارس،

نودّ أن نقدِّم لك توضيحاً موجزاً للمصطلحات، التي أوردناها، في أثناء حديثنا عن الفونولوجيا، وبداية استقلالها عن الفوناتيك، وهي المصطلحات المنسوبة إلى العالم اللغوي السويسري دي سوسير، وهذه المصطلحات هي :

1- Langue: أي لسان، ويقصدُ به اللغةُ المعينة، واللغة المعينة، في رأيه، لا تُنْطَق، ولا يتكلمها أحد، وإنما يتكلم الناس الكلام طِبْقاً لقواعدها، وهذه القواعد أمور عَقْلية مخزونة في ذهن الجماعة اللغوية المعينة.

2- Langage: أي لغة، ويقصد بها الكيان العام الذي يضم النشاط اللغوي الإنساني، في صورة ثقافةٍ منطوقةٍ، أو مكتوبةٍ، معاصرةٍ، أو متوارثة. وباختصار : كلُّ ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي أو كتابي، أو إشارة، أو اصطلاح.

3- Parole: أي كلام، ويقصد به الكلام المنطوق بالفعل والصادر من المتكلم الفرد في الموقف المعين، أو هو : اللغةُ المعينةُ منطوقةً في صورةِ ممارسةٍ فرديةٍ، على أيِّ مستوى.

[ينظر كتاب : في علم اللغة العام، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص : 29، وكتاب علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص : 35-36، وكتاب فصول في علم اللغة العام، لفرديناند دي سوسير، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين، ص : 31-45].

أسئلة التقويم الذاتي (1)

عزيزي الدارس،

1- حاول، من خلال مطالعتك للتعريفات المختلفة لعلم الفونولوجيا، أن تضع تعريفاً لها يجمع خصائص هذا العلم وميادين دراسته.

2- متى استقلَّ علم الفونولوجيا عن علم الفوناتيك؟ وأين كان ذلك ؟

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

يقصد بالوحدات الصوتية التركيبية، أو القِطْعيَّة، تلك العناصر التي تكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة. ويشمل ذلك الصوامت Consonants. كالهمزة، والباء، والتاء، والثاء .. الخ، والحركات Vowels، كالفتحة، والكسرة، والضمة، قصيرة وطويلة، وأنصاف الحركات، وهي الواو في مثل : وَلد، والياء في مثل : يلد.

أما الملامح الصوتية غير التركيبية، أو غير القِطْعية، فيقصد بها تلك الملامح الصوتية التي تتأثر بها وحدات صوتية تركيبية، أو قِطْعيَّة، وتكون ذات مغزى ومعنى في الكلام المتصل، ومن أمثلتها : النبر، والتنغيم، والمفصل.

تدريب (1)

عزيزي الدارس،

1- بِمَ تصف الدراسات الصوتية العربية القديمة ؟ هل هي دراسات فوناتيكية ؟ أم دراسات فونولوجية ؟ وضح ذلك مع التعليل.

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

يترجم بعضهم مصطلح "الفوناتيك" إلى : علم الأصوات، أو علم الأصوات العام، أما المصطلح الثاني "فونولوجيا" فيترجم إلى : "علم وظائف الأصوات"، أو "علم الأصوات التنظيمي"، أو "علم التشكيل الصوتي". [ينظر كتاب : علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص : 29].

1.3 النظريات الأساسية في الفونولوجيا

عزيزي الدارس،

بعد أنْ تعرفنا، في حديثنا السابق، إلى المقصود بعلم الفونولوجيا، والموضوعات الصوتية التي يتناولها بالدرس، والفترة التاريخية التي ظهر فيها مستقلاً عن علم الفوناتيك، تعال بنا الآن، عزيزي الدارس، للتعرف إلى جانب آخر من جوانب هذا العلم، ونعني به أهمّ النظريات التي عرضت للفونولوجيا، هادفين، من وراء ذلك، إلى معرفة وجهات النظر المختلفة حول مفهوم هذا العلم، علم الفونولوجيا.

1.1.3 النظرية التقليدية Classical Phonology

ترى هذه النظرية، أنّ الفونولوجيا تَهْدِفُ، في صميمها، إلى تقسيم المنطوقات اللغوية المتصلة إلى وحداتها الصوتية الدنيا، أو إلى جزئياتها المتميزة المكوِّنة لها، وهي الفونيمات Phonemes.

2.1.3 النظرية التوليدية Generative Phonology

رفضت هذه النظرية فكرة توسط ما يُسمّى بالفونيمات، ذات الكيان المستقل، بين المورفيمات Morphemes، والكلمات، وغيرها من الوحدات اللغوية الأعلى من جهة، وبين عالم النطق والصوت من جهة أخرى.

وتستبدل هذه النظرية بفكرة الفونيم، فكرةً أخرى، هي الملامحُ التمييزية Distinctive Features. إن هذه الملامح التمييزية، أو المميزة هي التي تؤدي الى إحداث التغاير والتمايز بين المورفيمات، والكلمات، وما فوقها من البنى اللغوية.

إن ملمح الجهر Voicedness التمييزي، على سبيل المثال، هو الذي يميز بين كلمة "ذاب" وكلمة "ثاب" في اللغة العربية، وليس فونيم "الذال" في الكلمة الأولى، وفونيم "الثاء" في الكلمة الأخرى.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ الفونولوجيا التوليدية تميّزُ بين مستويين من الملامح هما :

1- مستوى الملامح الفونولوجية، وهو يقوم بالتمييز الدلالي بين المورفيمات والكلمات وغيرها من البنى اللغوية.

2- ومستوى الملامح الفوناتيكية، وهو يقوم بتعيين النطق، ولا علاقة له بالتمييز الدلالي.

وعلى هذا، فان كلمةً مثل «راجع»، بترقيق الراء، تكون الملامح الفونولوجية المميزة لصوت الراء فيها، هي أنها : لثوية Alveolar ولمسية Flap، ومجهورة Voiced، ومائعة Liquid .. الخ.

في حين يكون ترقيق الراء، في نطق بعض الناس، أو تفخيمها، في نطق آخرين، من الملامح الفوناتيكية المحضة التي لا تحملُ أيّةَ قيمةٍ تمييزيةٍ على المستوى الدلالي.

3.1.3 النظرية التطريزيّة Prosodic Phonology

تعتمد هذه النظرية على أفكار العالم اللغوي الإنجليزي فيرث Firth. وتعطي هذه النظرية منزلةً خاصة للتطريز، أو البروسوديا بصورة عامة. وهي ترى أن المنطوق يشتمل على وحدتين هما : الوحدة الفونيمية، والوحدة التطريزية. وتشير كل وحدة، من هاتين الوحدتين، الى ملمح، أو مجموعة ملامح صوتية للمنطوق.

ففي الوقت الذي تعتبر فيه الوحدة الفونيمية Phonemic Unit، وحدة قطعيّة Segmental Unit في المنطوق، كوحدة الصامت Consonant، ووحدة الحركة Vowel، نجد أن الوحدة التطريزية Prosodic Unit، وحدة غير قطعية، وغير تركيبية Suprasegmental Unit في المنطوق، وهي تمتد على قطاعات نطقية أكبر من الوحدة القطعية، ويشمل ذلك المقطع، أو الكلمة، أو الجملة.

وتشتمل الوحدات التطريزية، أو لنقل الملامح التطريزية على عدةِ ظواهرَ، أو خصائصَ صوتيةٍ، كالنبر، والتنغيم، والمفصل، وهي ملامح صوتية ستكون، عزيزي الدارس، موضوعَ دراستنا المفصلة في الوحدة الثامنة من هذا المقرر.

2.3 أقسام الفونولوجيا

عزيزي الدارس،

ذكرنا لك، في أثناء حديثنا، في الوحدة الأولى، من هذا المقرر، أن لعلم الفوناتيك، أو علم الأصوات، أقساماً ثلاثة هي : علم الأصوات النطقي، أو المخرجي، وعلم الأصوات الاكوستيكي، أو الفيزيائي، وعلم الأصوات السمعي، وهنا، لا بدَّ أنك تتساءل قائلاً : هل لعلم الفونولوجيا، على غرار علم الفوناتيك ؟ أقسام ؟

فنجيب عن تساؤلك قائلين : نعم، إن الفونولوجيا تنقسم، كالفوناتيك، على عدة أقسام مختلفة، ويرتكز ذلك إلى معايير معينة يُرْجَعُ إليها، ويُسْتَنَدُ عليها، وهذه المعايير هي :

1- معيار عدد اللغات التي تتناولها الدراسة الفونولوجية.

- فعندما تكون الدراسة مقتصرة على لغة معينة، فإن هذه الدراسة تسمى فونولوجيا خاصة Particular Phonology.
- وعندما تتناول الدراسةُ لُغَتين، أو أكثر، عن طريق المقارنة لأنظمتها الفونولوجية، فإنَّ الدراسةَ، عندئذٍ، تكون فونولوجيا مقارنة Comparative Phonology.
- أما إذا كانت الدراسةُ تتناول مختلف اللغات، في نظمها الفونولوجية المتنوعة، وقوانين تلك النظم، فإن الدراسة، عندئذٍ، تكون فونولوجيا عامة General Phonology.

2- المعيار الزمني للدراسة الفونولوجية :

قد تتناولُ الدراسةُ الفونولوجية التغيرات الفونولوجية، أو تحوّل الأنظمة الفونولوجية، للغة المدروسة، من مرحلة إلى أخرى. وفي هذه المرحلة، فإن الدرس الفونولوجي يكون تاريخياً Historical/Diachronic Phonology، ولكنه إذا اقتصر على النظام الفونولوجي في مرحلة معينة للغة المدروسة، فإن الدراسة الفونولوجية تكون وصفية Descriptive/Synchronic Phonology.

3.3 طبيعة المركبات الفونولوجية

عزيزي الدارس،

تنقسم طبيعة المركبات الفونولوجية على قسمين هما :

1- الفونولوجيا التركيبية، أو القطعية Segmental Phonology

يعتمد هذا النوع من الفونولوجيا على تحليل الكلام إلى قطع صوتية صغرى متميزة تسمى الفونيمات Phonemes . وتعني كلمة "Segment" قطعة، وهي تستخلص من الكلام المتصل، أو النصّ المتصل، ومن أمثلة ذلك وحدة الفونيم الصامتي والحركي، بوصفه، أي الفونيم، أصغر وحدة صوتية.

2- الفونولوجيا غير التركيبية، أو غير القطعيّة Suprasegmental Phonology

ويعتمد هذا النوع من الفونولوجيا على دراسة الملامح الصوتية التي تشمل أكثر من قطعة صوتية Segment في المنطوق. ومن أمثلتها، كما ذكرنا غير مرّة، النبْر، والتنغيم، والمفصل، وغيرها. ويسمى هذا النوع باسم الفونولوجيا التطريزية Prosodic Phonology.

فائدة (4)

عزيزي الدارس،

مرّ معك، في أثناء دراسة النظريات الأساسية في الفولوجيا، مصطلحا الفونيم Phoneme، والمورفيم Morpheme، فهل تعرف المقصود بهما ؟

سوف نتعرف وإياك، في الوحدة الرابعة، من وحدات هذا المقرر، إلى مفهوم الفونيم، وسترى أنّ له تعريفات عدّة، من بينها "أنه أصغر وحدة صوتية لا تحمل في ذاتها معنى، ولكنها تقدر، بالتقابل مع وحدات صوتية أخرى في البنى اللغوية، على تغيير المعاني.

أما المورفيم، فهو أصغر وحدة صرفية ذات معنى، أو أصغر وحدة لفظية ذات دلالة، أو أصغر عنصر من عناصر الكلمة له معنى، أو وظيفة نحوية محددة. وينقسم المورفيم على قسمين رئيسين هما :

المورفيم الحر Free Morpheme

ويقصد به الوحدة الصرفية التي يمكن أن ترد منفردة على هيئة كلمة مستقلة ذات معنى تام، ومن أمثلته كلمة : كتب Kataba.

المورفيم المقيَّد Bound Morpheme

ويقصد به تلك اللواصق الصرفية التي لا ترد مستقلةً، على غرار المورفيمات الحرةّ، وإنما تردُ متصلة، أو مرتبطة بغيرها، أو هي اللواصق الصرفية التي ترد مصاحبة المورفيمات الحرّة، وتكون ذات معنى أيضاً، ومن أمثلته، الفتحة الطويلة الدالة على المثنى (aa)، المسمّاة "بالألف"، والضمة الطويلة الدالة على الجمع (uu)، المسماة "بالواو" في مثل : كتبا Katabaa، و : كتبوا Katabuu، فكلمة كتب، في كل من : كتبا، وكتبوا، كما ذكرنا آنفاً، مورفيم حر ذو معنى تام، أما الفتحة الطويلة التي دلت على المثنى (aa)، والضمة الطويلة التي دلت على الجمع (uu) في كلٍّ من : كتبا، وكتبوا، فهي من قبيل المورفيمات المقيدة.

اسئلة التقويم الذاتي (2)

1- عدد أقسام الفونولوجيا وفقَ المعيار الزمني للدراسة الفونولوجية.
2- وضح المقصود بالفونولوجيا القطعيّة، والفونولوجيا غير القطعيّة.
3- ما المقصود بالفونولوجيا المقارنة.

تدريب (2)

1- اشرح المقصود بمصطلح الملامح التمييزية.
2- وضح أهم الفروق بين الملامح الفونولوجية، والملامح الفوناتيكية، من وجهة نظر النظرية التوليدية.

4- الفرق بين الفوناتيك (أو علم الأصوات العام) والفونولوجيا (أو علم وظائف الأصوات)

عزيزي الدارس،

في نهاية حديثنا، في هذه الوحدة، عن علمي الفوناتيك والفونولوجيا، نرى أنَّ من الضروري الإشارةَ إلى أهم الفروق الأساسية القائمة بين هذين العملين، وهي فروق نعتقد أن جزءاً كبيراً منها قد لمحته، عزيزي الدارس، في أثناء عرضنا للفوناتيك والفونولوجيا، ولكننا لا نجد بأساً من إجمالها الآن على شكل نقاط موجزة في السطور التالية :

1- لا شك في أنك لاحظت، عزيزي الدارس، في أثناء دراستك لعلم الفوناتيك، أو علم الأصوات العام، في الوحدة الأولى، من هذا المقرر، وفي هذه الوحدة أيضاً؛ أن هذا العلم يهتم بالخصائص النطقية، والفيزيائية، والسمعية للأصوات، باعتبارها هدفا في ذاتها، في حين يهتم علم الفونولوجيا بالجانب العملي والوظيفي لتلك الأصوات، باعتبارها عناصر رمزية تتكون منها اللغة.

2- يعتمد علم الفونولوجيا على الملامح التمييزية، وذلك من أجل التفرقة بين صوت وآخر، وهذه الملامح محدودة العدد في اللغة الواحدة، على عكس الفوناتيك الذي يشتمل على قدر أكبر من الملامح الصوتية لكل صوت. ولتوضيح ذلك، عزيزي الدارس، نقول :

إن البحث الصوتي الفوناتيكي، بوسائله المعملية التجريبية، يكشف، في اللغة العربية، على سبيل المثال، عن عدد كبير جدا من الأصوات، فالكاف، التي بعدها كسرة، في كلمة مثل «كِتاب»، يختلف مخرجها عن الكاف المضمومة، في كلمة مثل «كُل»، واللام المرققة في لفظ الجلالة «بالله»، تختلف، من حيث الترقيقُ والتفخيم، عن اللام في لفظ الجلالة نفسه «والله»، بل إننا نجد صوتاً كصوت «النون» ينطق، أو يمكن أن ينطق في اللغة العربية، على سبع صور، وذلك بحسب الصوت التالي له. وإذا كان الصوت الواحد معرضا لمثل هذه الاختلافات النطقية لدى الشخص الواحد، فإن الاختلاف يزيد، دونما شك، بتعدد الأشخاص الناطقين، إذ إن لكل شخص خصوصيته في النطق. ومما يزيد الأمر تعقيداً، أن الانتقال من نطق صوت إلى نطق صوت آخر، داخل البنى اللغوية، ليس انتقالاً مباشراً، أو انتقالاً واضح الحدود، وإنما تتابع الأصوات المنطوقة في سلسلة متوالية، بحيث يؤدي ذلك إلى تأثر الصوت الواحد بالأصوات السابقة عليه، والأصوات التالية له. وبهذا يصعب الاعتماد على علم الفوناتيك، الذي يتكئ، في دراسته الصوتية، على الوسائل المعملية، في تحديد الأصوات المكونة للغة من اللغات، أما علم الفونولوجيا،

فإنه يتعامل مع اللغة المعينة باعتبارها مجموعة من الرموز المحددة الحاملة للمعاني، وهي مجموعة تتألف من عدد محدود من الأصوات بحيث يمكن استخدامها على نحو فعال بسيط. فالكاف، بطرائق نطقها المختلفة، ومثلها اللام، والنون، وغيرها من الوحدات الصوتية الأخرى، تعد كل واحدة منها، من الناحية الفونولوجية، صوتا واحدا، أوفونيما واحدا، حاملا لقيمة دلالية واحدة متميزة [ينظر كتاب مدخل إلى علم اللغة، للدكتور محمود حجازي، ص : 39].

3- يفيد علم الفونولوجيا من الفوناتيك في وصف الألوفونات Allophones المختلفة لكل فونيم من فونيمات اللغة المدروسة، وتعيين كل ألوفون منها بحسب البيئة السياقية التي يرد فيها.

4- يتناول علم الفوناتيك، بالدرس، الأصوات اللغوية بوجه عام، وذلك بصرف النظر عن انتماء تلك الأصوات إلى لغة بعينها، ولذا، فإنه يمكن أن يشكل قاعدة واسعة للدرس الصوتي العام. وهو، بهذا العموم والشمول، يمكّنُ دارس الفونولوجيا من الاعتماد عليه في دراسته، والإفادة منه في تصنيفه وتوصيفه للنظام الصوتي في لغة بعينها.

5- الوحدة الأساسية، في علم الفوناتيك، هي الصوت المفرد Phone، وهو عبارة عن «أي صوت لغوي مفرد بسيط يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل. [أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 47]. أما الوحدة الاساسية، في علم الفونولوجيا، فهي الفونيم Phoneme ، وهو عبارة عن «وحدة الكلام الصغرى التي من شأنها أن تميز منطوقا من آخر في كل التنوعات أو التشكلات التي تتجلى بوساطتها في كلام شخص ما، أو في لهجة واحدة». [pie, M. Glossary of Linguistic Terminology, p: 200]

أو : "هو صوت كلامي، أو مجموعة من الأصوات الكلامية المتماثلة، أو المترابطة التي تقوم بوظيفة متشابهة في لغة ما، وتتمثل في العادة، بحرف واحد بعينه في الكتابة.

[Pie, M. and Gaynor, F, Dictionary of Linguistics, P: 237]

؟

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- بين أهم الفروق بين علم الفوناتيك، وعلم الفونولوجيا من حيث اللغة، أو اللغات موضع الدراسة، ومن حيث الوحدة الصوتية الأساسية في كل منهما.

5. الخلاصة

عزيزي الدارس،

اشتملت هذه الوحدة على الأفكار الأساسيّة في علم الأصوات العام الذي يعرف بمصطلح (الفوناتيك) وهو يتناول بالدرس الأصوات البشرية باعتبار مخارجها وأثرها في السمع دون التأثر بوظائفها، لأن هذه الوظائف يهتم بها علم آخر هو (الفونولوجيا) أو علم وظائف الأصوات، وقد فصلت هذه الوحدة القول فيه أيضا، وعدّت النظريات الأساسيّة فيه وهي النظريات التقليدية والتوليدية والتطريزية. ثم عقدت الوحدة مقارنة أو موازنة علمية بين هذين العلمين الأساسيين: الفوناتيك والفونولوجيا وأهم ما يميز بينهما أن العلم الأول يتناول الأصوات بوجه عام بصرف النظر عن انتمائها إلى أي لغة وهو يهتم بالصوت المفرد وهو الوحدة الأساسية فيه. أما العلم الثاني (الفونولوجيا) فالوحدة الأساسية منه هو (الفونيم) وهو وحدة الكلام الصغرى التي تميز منطوق عن آخر. واشتملت الوحدة على بعض التدريبات المفيدة.

6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

عزيزي الدارس،

سوف نخصص الوحدة الرابعة، من مقرر علم أصوات العربية، للحديث عن موضوع صوتي مهم، هو علم الفونيم.

والفونيم، الذي يعد أصغر وحدة صوتية، يعتبر من الموضوعات اللغوية الصوتية التي شغلت، وما تزال تشغل، اهتمام الدارسين اللغويين في ميدان البحث الصوتي. ولسوف نعرض لهذا الموضوع، من حيث بيان مفهومه، وبيان وجهات النظر المختلفة حوله، ثم أهمية البحث فيه في ميدان علم الأصوات. كما سنعرض، في أثناء حديثنا عن هذا الموضوع، لأنواع الفونيم، من حيث كونه فونيماً تركيبياً، أو فونيماً غير تركيبي، مع بيان الفرق بين هذين النوعين. ثم نختم تلك الوحدة بالحديث عن الأسس المعتمدة في تقسيم الأصوات إلى صوامت Consonants، وحركات Vowels.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

توصف الدراسات الصوتية العربية القديمة بأنها دراسات فونولوجية، لا فوناتيكية، ويعود السبب في ذلك، إلى أن الدارسين العرب، من علماء اللغة، ركزوا جهودهم على دراسة أصوات لغتهم العربية بوجه خاص، ولم ينطلقوا إلى دراسة الأصوات اللغوية الإنسانية بوجه عام.

تدريب (2)

1- يقصد بالملامح التمييزية مجموعة الخصائص والسمات التي يتألف من مجموعها الفونيم، وتميزه، بالتالي، من غيره من الفونيمات الأخرى، وأغلب هذه الملامح خصائص مخرجية، وبعضها خصائص أكوستيكية، ولا ترد هذه الملامح وحدها في المنطوقات الفعلية، وإنما ترد، في الأعم الأغلب، مصحوبة بملامح غير تمييزية ناتجة عن الوظيفة السياقية للصوت، وشخصية الناطق، وغيرها.

ولتوضيح ذلك، عزيزي الدارس، نقول لك : إن فونيم السين، على سبيل المثال، يتألف من مجموعة من الملامح التمييزية التالية، فهو فونيم : رئوي، زفيري، فموي، أسناني لثوي، مهموس، احتكاكي، مرقق.

إن كل ملمح من هذه الملامح، يسهم في تكوين الخاصة المميزة لهذا الفونيم، من غيره من الفونيمات، في اللغة العربية. فإذا ما فقد هذا الفونيم، أي فونيم السين، على سبيل المثال، ملمح الترقيق، وأصبح متسما بالملمح المغاير، وهو ملمح التفخيم، فإنه يتحول إلى فونيم آخر مقابل هو فونيم الصاد، وإذا ما فقد هذا الفونيم أيضا ملمح الهمس، وأصبح متسماً بالملمح المغاير، وهو ملمح الجهر، فإنه يتحول إلى فونيم آخر مقابل، هو فونيم الزاي، وهكذا، فإن الملامح التمييزية، من شأنها أن تكسب الصوت المعين، أو، لنقل، الفونيم المعين، خصائصه المميزة والمغايرة، في بعض مكوناتها، لفونيم آخر.

2- تتسم الملامح الفونولوجية بالقدرة على التمييز الدلالي بين الكلمات والبنى اللغوية الأخرى، في حين تُعيِّنُ الملامحُ الفوناتيكية طريقة النطق بالصوت، دون أن يكون لها أية علاقة بالناحية الدلالية.

8. مسرد المصطلحات

- الفوناتيك أو علم الأصوات العام (Phonetics) :

العلم الذي يدرس أصوات اللغة في تحققها المادي الملموس درساً مستقلاً عن وظيفتها اللغوية.

- الفونولوجيا (علم وظائف الأصوات) (Phonology):

وهو دراسة الأصوات الكلامية للغة ما، ودراسة وظيفتها في إطار النظام الصوتي لتلك اللغة.

9. المراجع

أ - المراجع العربية :

1- إبراهيم ، زكريا ، مشكلة البنية. القاهرة : مكتبة مصر، 1976.

2- باي، ماريو، أسس علم اللغة. ترجمة احمد مختار عمر، ، القاهرة : عالم الكتب، 1983.

3- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، ط 7. القاهرة : دار المعارف، 1980.

4- حجازي، محمود، المدخل الى علم اللغة، ط 2. القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981.

5- دي سوسير، فرديناند، فصول في علم اللغة العام. نقله إلى العربية أحمد نعيم قراعين الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1985.

6- شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، ط 2. القاهرة : مطبعة المدني، 1977.

7- مالمبرج، برتيل، علم الأصوات. تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، القاهرة : مكتبة الشباب، 1984.

ب - المراجع الاجنبية :

1- Pei, M, A Glossary of Linguistics Terminology, New York : Doubleady - Anchor, Garden City, 1966.

2- Pei, M, And Gaynor, F, Dictionary of Linguistics New Jersy: Little Field, Adams and Co, 1980.

3- Crystal, D, A First Dictionary of Linguistics and Phonetics, London : 1980.

4- Hartmann, R.R.K, and Stork, R.C. Dictionary of Language and Linguistics. London : Applied Science Publishers, LTD, 1976.

5- Larousse, Dictionnaire De Linguistique.

6- Roach, P, English Phonetics and Phonology, A paractical Course, London : Cambridge University Press, 1985.

الوحدة الرابعة

التقويم

محتويات الوحدة

الموضوع الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس، أهلاً ومرحباً بك، إلى هذه الوحدة الدراسية، من وحدات مقرّرِ علم أصوات العربية، إنها الوحدةُ الرابعةُ التي تدورُ حَوْلَ موضوعٍ رئيسٍ واحد، هو موضوعُ الفونيم، هذا الموضوع الذي دارتْ حَوْلَه بحوثٌ كثيرةٌ، واسْتُخْدِمَتْ في الجدالِ حَوْلَه وداخِلَه كميةٌ كبيرةٌ من المداد، كما يقول اللغوي الانجليزي "روبنز" Robins ، بل إنَّ اكْتشافَه، كما ذكر "كرامسكي" Kramsky "يُعَدُّ واحداً من أهمِّ الانجازات التي حقَّقها علمُ اللغة، والتي يعادِلُ اكتشافُها اكتشافَ الطاقة النَّوَوِيّة، لأنَّ هذا الكشفَ، في مجالِ علمِ اللغة، أدّى إلى ثورةٍ في التفكير اللغوي، كما أنّ كَشْفَ الطّاقةِ النّووية أدّى إلى ثورةٍ في العلوم التقنية".

[دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 139].

سنحاولُ، في هذه الوحدة، تحديدَ المقصودِ بعلمِ الفونيم، وعرضَ أهمِّ التصورات، والأفكارِ، والنظرياتِ "المدرسيَّة" التي عالجته، كما سنتحدثُ عن آراءِ الباحثين والعلماءِ حَوْلَ مكوِّناتِ الفونيم، بالاضافةِ إلى عَرْضٍ قِسْمَيْهِ: التركيبي، وغيرِ التركيبي، وبيان الفرقِ بينهما، ثم سنختم هذه الوحدة، إن شاءَ اللهُ تعالى، بالحديث عن أهمِّ الأُسُسِ المتّبَعةِ في تقسيم الأصوات إلى نوعيها الرئيسين: الصوامتِ، والحركات.

وهكذا، فإننا سنكون في هذه الوحدة، عزيزي الدارس، مع موضوعٍ صوتيٍّ تخصُّصيٍّ جديد، وليس من شكٍ لدينا، في أنَّ استيعابك لموضوعاته ومسائله المختلفة، من شأنه أن يعمِّق، لديك، الجانبَ التخصّصيَّ في علمِ اللغةِ بعامة، وعلمِ الأصوات بخاصة، فكنْ معنا في كلِّ جزئيةٍ من جزيئاتِ هذه الوحدة، وأهلاً بك، مرَّةً أخرى ومرحباً، وسلامُ الله عليك.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الدارس،

نتوقَّعُ منك، بَعْدَ دراسةِ هذه الوحدة، بكل ما تشتمل عليه من موادَّ، واستيعابِ ما يردُ فيها من فوائدَ، وتدريباتٍ، وأسئلةٍ، أن تكونَ قادراً على أن:

1- تحدد المقصودِ بمفهومِ الفونيم.
2- تذكر مكوِّناتِ الفونيم، بقسميه: التركيبي، وغير التركيبي، والفرق بينهما.
3- توضح أهمية الفونيم، في مجال الدراسة الصوتية.
4- تشرحَ أسسَ تقسيمِ الأصوات إلى صوامت، وحركات.

3.1 أقسام الوحدة

القسم الأول: يتناولُ تحديدَ المقصودِ بالفونيم، والآراء والنظريات المختلفة حوله، ويحقق الهدف (1).

القسم الثاني: يبحثُ في مكونات الفونيم، ويحقق الهدف (2).

القسم الثالث: يتحدثُ عن أهيمةِ الفونيم في ميـــدان الدرس الصـوتي، ويحقق الهدف (3).

القسم الرابع: يشتملُ على دراسةٍ لقسمَي الفونيم التركيبي، وغير التركيبي، مَعَ بيانِ أهمّ الفروق بين هذين القسمين، ويحقق الهدف (2).

القسم الخامس: يدرسُ أسُسَ تقســيمِ الأصواتِ إلى صــوامتَ وحركاتٍ، ويحقق الهدف (4).

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس،

كعادتنا، في كلّ وحدة من وحدات هذا المقرّر، نَنْصَحُكَ، إلى جانبِ الدّرسِ المتأنّي لموضوعات هذه الوحدة، بالرجوعِ إلى بعضِ الكتب اللغوية والصوتية، وقراءة ما تضمنته من فصولٍ حولَ موضوعِ الفونيم. إنّ من شأن هذه المطالعةِ الإضافيةِ، أنْ تساعدك في زيادةِ فَهْمِ ما سنقدّمه لك في هذه الوحدة، وتعميقِ صِلَتِك بالجانب الصوتي، أو المستوى الصوتي للغة العربية. وهذه الكتبُ كثيرةٌ، نَكْتفي منها، هنا، بِذكْرِ الكتب التالية:

1- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب، 1976.

2- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات. القاهرة: دار المعارف، 1980.

3- شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام. القاهرة: مطبعة المدني، 1977.

4- حجازي، محمود، مدخل إلى علم اللغة.القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981.

وإذا كنت، عزيزي الدارس، قادراً على المطالعة والقراءة باللغة الانجليزية، وهذا أمرٌ نشجّعك عليه، فإننا نَنْصحُك بقراءة فصولٍ بعض الكتب اللغوية ذات الصلة بموضوع الفونيم، ومن هذه الكتب:

1- Gleason, H.A, An Introduction to Descriptive Linguistics, New York: Holt, Rinchart and Winston, 1975.

2- Jones, D. The Phoneme: Its Nature and Use. Cambridge: Cambridge University Press, 1976.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس،

كلُّ ما تحتاجُ إليه، هو أنْ تقرأ هذه الوحدةَ بعنايةٍ وتأنٍّ، وأن تُتابعَ ما سنقدِّمه لك، خلالها، من فوائدَ وأسئلةٍ وتدريبات. ولا ننسى أن نُذكِّركَ بضرورةِ مطالعةِ بعضِ الكُتُبِ اللغوية، ذاتِ الصلة بموضوع الفونيم، وهي الكتبُ التي ذكرنا لك، قبل قليل، جانباً منها، ففي هذه المطالعة، إلى جانب استيعاب موادِّ هذه الوحدة، إثراءٌ لمعلوماتك اللغوية بعامة، والصوتية بخاصة.

2. الفونيم

1.2 تصدير

عزيزي الدارس،

نعتقد في أنك تشاركُنا الرأيَ، في أنّه عندما يتبادلُ المتكلمونَ العاديون الأحاديث، في لغةٍ معينة، لا تخطرُ ببالهم تلك الفروقُ الضئيلةُ والبسيطةُ القائمةُ، في بعضِ الحالاتِ والسياقات النطقية، بين التَّنوُّعات، أو التشكلاتِ المختلفة الممكنة، ونعني بها الألوفونات Allophones ، للوحدةِ الصوتيةِ الواحدةِ، ونعني بها الفونيم Phoneme ، وإنما تتَّجهُ عنايتهم، فقط إلى التمييز بين الوحدات الصوتية الرئيسةِ ذاتِ القُدْرةِ على التفرقةِ الدلالية، وهي الفونيمات Phonemes .

ولتوضيحِ ما سبق من كلام، نقولُ لكَ، عزيزي الدارس، إنّ السامعَ العاديَّ، عندما يتلقّى كَلمةً، مثل "صلاة"، منطوقةً بلامٍ مرققةٍ تارةً، ولامٍ مفخمةٍ تارةً أخرى، لا يُلقي بالاً، أو اهتماماً، إلى الاختلافِ القائم بين هذين الصوتين، أو، لنقل، بين هذين التشكلين، أو التنوعين، أو الألوفونين، لوحدة اللامِ الصَّوْتية الفونيمية المفخمة والمرققة. ويعودُ ذلك إلى أنّ هذين التشكلين، أو التنوعين، أو الألوفونين، يُدْرَجانِ، عِنْدَه، في عالم اللاَّوَعْيِ، في إطار الصوتِ الواحد، أوْ على وَجْه التحديد، في إطار الوحدة الصوتيّة الواحدة، وهي فونيم اللاّم.

وربما تساءلت، عزيزي الدارس، عن السبب في ذلك، فنقول لك: إن هذه الوحدة الصوتية، وهي فونيم اللام، بِتَنَوّعَيْها: المفخمِ والمرقّق، تَرْتَبطُ، في ذهنِ هذا السامعِ، بمعنى واحدٍ، أو قيمةٍ دلاليةٍ ووظيفية، وظيفيةٍ واحدةٍ، على حين نجدُ هذا السامعَ نَفْسَه يلحظُ فَرْقاً حاسماً، في مستوى الدلالةِ والمعْنى، بين كلمتين من مثل: قال، وطال، وذلك بسببِ اختلافِ الوحدتين الصوتيتين، أو الفونيمين فيهما، وهما: فونيم القاف، وفونيم الطاء، وذلك على الرغم من اتّفاقِ هاتين الكلمتين في بقيةِ المكوناتِ الصوتية فيهما.

ولقد تجلّى هذا الاهتمامُ، وهذه التفرقةُ الصوتيةُ، لدى الانسان ، مُنْذُ أقدمِ العصور، في الكتابةِ الألفْبائيـة، أو الكتابةِ الهجائية، التي اعتمدت، وما زالت تعتمد، على الوحداتِ الصوتيةِ ذاتِ القُدْرةِ التمييزية على مستوى الدلالة والمعنى، ونعني بها الفونيمات، دون غيرها من التشكلات والتنوعات الصوتية السياقية لهذه الوحدات، ونعني بها الألوفونات.

ففي الكتابةِ الألفبائيةِ الانجليزية، على سبيل المثال، نجدُ أنّ تشكلي، أو تنوعي، أو، قل إنْ شئْتَ، عزيزي الدارس، ألوفوني صوت الدال في الكلمتين الانجليزيتين does ، و : do، يُمثّلان برمزٍ كتابيٍّ واحد، هو "الحرف"، أو "الوحدة الصوتية"، أو قل "الفونيم" المعروف باسم /d/ ، في حين نجد نظيريهما ، في اللغةِ العربية، وهما: الدال، والضاد، يُمثّلانِ بحرفَيْن كتابيَّيْن، أو بوحدتين صوتيتين، أو بفونيمين مختلفين. ويعود السبب في ذلك إلى أن التفخيم، الذي يطرأ على صوتِ الدال، في اللغة الانجليزية، في بعضِ السياقات النطقية، التي يقعُ فيها ، لا يَحْمِلُ أيّةَ قيمة تمييزية، أو أيّةَ قيمةٍ دلالية، خلافاً لما هو عليه الحال في لغتنا العربية.

ولعلّك تَسْتَفْسِرُ، عزيزي الدارس، عن البدايات الأولى للاهتمام بهذا العلم. وللإجابةِ عَنْ ذلك نقولُ لك، على نحوٍ موجز: إنّ البداياتِ الأولى لعلم الفونيم، أو موضوع الفونيم، تعودُ إلى القرنين الثامنَ عشرَ والتاسعَ عَشَرَ. ففي هذين القرنين سادَ اتّجاهٌ علمي يعتمدُ تحليلَ المادة المدروسة، في كلِّ علم، إلى وحداتٍ نهائيةٍ صُغْرى Ultimate/Minimal Units، ذاتِ عَدَدٍ محدودٍ، تُسْهِمُ في تفسيرِ الظواهرِ التركيبيةِ التي لا حَصْرَ لها في ذلك العلم. ومن ذلك، على سبيل المثال، مفهومُ الذَرَّة، في علمي الفيزياء والكيمياء. ولعلَّ الفونيم، عزيزي الدارس، وهو أصْغَرُ وحدة لغوية، أو أصغر وحدة صوتيةٍ نهائية، يُعَدُّ النظيرَ المقابلَ لمفهومِ الذَرَّةِ نَفْسِه، في ميدان علم اللغة.

ومهما يكن من أمر، فقد ظهر مفهومُ الفونيم، لأوّلِ مرّةٍ، في القرن التاسعَ عَشَرَ. وقد تمثّل ذلك في كتاباتِ كلٍّ من هنري سيت Henry Sweet ، في بريطانيا ، وجان بودوانِ دي كورتينيه في روسيا ، ثم ما لبث هذا المفهوم أنِ انتشرَ وذاعَ في مؤلفاتِ كبارِ اللغويين في القرن العشرين، أمثال: فرديناند دي سوسير، ودانيال جونز Danial Jones ، وبلومفيلد Bloomfield ، وغيرهم.

وبعد ذلك، تعدَّدَت الكتاباتُ والبحوثُ حول مفهومِ الفونيم، مما أدّى إلى تشعُّبِ وجهات النظر حوله، واتخاذها اتجاهاتٍ فكرية و "مدرسيّة" متعددة، كان من أهمِّها تلك الاتجاهاتُ التي تبنتها مدرسةُ براغ اللغوية، ومدرسة كوبنهاجن، والمدرسة التوليدية.

عزيزي الدارس،

لعلَّك، بعد هذا التصدير، الذي حاوَلْنا، خلاله، إلقاءَ الضَّوْء على مُصْطلح الفونيم، معنى وتاريخاً، والذي نرجو ألاَّ نكونَ قد أطلنا عليك فيه - نقول: لعلك تودُّ التَعَرُّفَ إلى المقصود بالفونيم، وإلى التعرف، أيضاً، إلى الاتجاهات، والمدارس الفكرية التي قامت بدراسته، والبحث فيه، وبَيَّنَتْ آراءها ووجهاتِ نظرها حوله.

هذا ما سيكون موضوع حديثنا التالي، إن شاء الله تعالى، فكن معنا، وتابع ما سنقدمه لك من أفكارٍ، ومناقشاتٍ بتأنٍ، ورويَّةٍ، واستيعاب، ونحن على يقينٍ من قدرتك على ذلك، بسهولةٍ وبساطة.

2.2 تعريف الفونيم

عزيزي الدارس،

لقد ذكرْنا لك، في مستهلِّ مقدمة هذه الوحدة، ما نصَّ عليه اللغويُّ الانجليزي "روبنز"، من أنَّ كميةً كبيرةً من المداد قد استُخْدِمَتْ في الجدال حول نظرية الفونيم وداخلها. ومن هذا المنطلق، فإنَّه ليس من السهل حصرُ التعريفات الكثيرة التي وضعها اللغويون لمصطلح الفونيم. غير أن تلك التعريفات، على اختلافها، ترتد إلى وجهات النظر المعينة التي تتبناها، وتدافع عنها، هذه المدرسةُ اللغويةُ، أو تلك.

وسنحاولُ، عزيزي الدارس، تقديمَ عَرْضٍ موجزٍ لأهمِّ التعريفاتِ والتصوراتِ الرئيسة التي قدَّمتها بعضُ المدارسِ اللغوية للفونيم:

2.2.1 المدرسة الفيزيائية

ترى هذه المدرسة أن الفونيم عبارةٌ عن عائلةٍ، أو أسرةٍ من الأصوات تحقِّقُ الشرْطَيْن التاليين:

-1 أنَّ هناك تشابهاً صوتياً يقوم بين أفرادِ العائلة الصوتية الواحدة.
-2 أنَّ أياً من أفراد هذه العائلة لا يُمْكِنُ أنْ يَرِدَ في السياقِ الصوتي الذي يرد فيه الآخر.

ويُطلَقُ على هذه الخاصة، كما سنرى، عزيزي الدارس، بَعْدَ قليل، مصطلحُ التَّوزيعِ التَّكامليِّ Complementary distribution .

ويعدُّ العالمُ اللغويُّ الانجليزي دانيال جونز، رائدَ هذه المدرسة اللغوية، وهو يعرِّف الفونيم بأنه: "عائلةٌ، أو أسرةٌ من الأصوات، في لغةٍ معيَّنةٍ، متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقةٍ لا تسمحُ لأحَدِ أعْضائها أن يقَع، في كلمةٍ من الكلمات، في نَفْسِ السياقِ الصَّوْتي الذي يقعُ فيه أيُّ عُضْوٍ آخَرَ من العائلةِ نَفْسِها". [Jones, D., The Phoneme: Its Nature and use, P:10]. ويعرِّفه جليسون Gleason بأنه "فئةٌ من الأصوات، متماثلة صوتياً، وتظهر أنماطَ توزيعٍ خاصةٍ بها في اللغة، أو اللهجة المدروسة".

[Gleason, H.A., An Introduction to Descriptive Linguistics, P:261].

ويرى دانيال جونز، أنّ أحَد أفراد هذه العائلة الفونيمية، يُعَدُّ عُضْواً رئيساً، في حين تُعَدُّ الأعضاءُ الأُخرى أعْضاءً إضافيةً أو ثانويةً، وذلك عائدٌ إلى أسبابٍ مختلفةٍ أهمُّها:

1- كثرةُ ورودِ هذا العضو، في الاستعمال اللغوي، بصورةٍ تفوقُ بقيةَ الأعضاء.

2- أو لأنَّ هذا العضوَ الرئيسيَّ هو الذي يُسْتَعْمَلُ وَحْدَهُ مُنْعزِلاً عن السياقِ الفعلي.

عزيزي الدارس،

ولكي نوضِّحَ لك تَصَوُّرَ هذا اللغوي؛ أي دانيال جونز، للفونيم نقول: إن الضمةَ الطويلةَ في كلمة "طول"، على سبيل المثال، تختلفُ صوتياً عن الضمةِ الطويلة في كلمةِ "فول"، فهي، في الكلمة الأولى، ضمةٌ طويلةٌ مفخّمة، في حين أنها، في الكلمةِ الثانية، ضمةٌ طويلةٌ مرققة، ومَعَ ذلك، ورَغْمَ الاختلافِ الصَّوْتي بينهما، فإن الضَّمّتين، بنوعَيْهما: المفخمِ والمرقّقِ، تُعَدّان ألوفونَيْن تابعَيْن لفونيمٍ واحد، هو فونيم الضمة الطويلة، التي يشارُ إليها برمزٍ كتابي معينٍ ومحدد هو /uu/.

ومن أمثلة ذلك أيضاً، صوتُ الراء المرققة في كلمة «فَرْد»، وصوت الراءِ المفخمةِ في كلمةِ «عَرْض»، فكلا الصوتين يعدُّ ألوفوناً لفونيم واحد هو فونيم الراء، الذي يشارُ إليه برمزٍ كتابي معين ومحدد هو /r/ .

ومن ناحيةٍ أخرى، لا يقوم الناطق، ولا يستطيع أن يقوم، بإحداث تبادلٍ موقعي بين هاتين الضمتين، أو بين هاتين الراءين، في أزواجِ الكلمات السابقة. وهذا يَعْني، بعبارةٍ أخرى، أنَّ السياقَ، هو الذي يحدِّدُ طبيعةَ العُنْصر، أو العضو الفونيمي، أو طبيعةَ التشكل الفونيمي المستعمل في السياق. أما دور الفونيم الوظيفي، في التمييز الدلالي، بين كلمة وأخرى، فليس جزءاً من التعريف الذي تُقَدِّمُه هذه المدرسةُ، وإنما هو نتيجةٌ له.

وفي الوقتِ الذي يمتنعُ فيه تبادلُ تَنَوُّعاتِ الفونيم الواحد، وتشكلاته السياقية؛ أي ألوفونات الفونيم الواحد، في سياقين مختلفين، أو أكثر، نجدُ أنَّ بالامكانِ تبادلَ الفونيماتِ المختلفة في الموقعِ الواحد، مما يُؤَدّي، بالتالي، إلى إحداثِ تمايُزٍ دلالي بين الكلمات. فعندما نقول، على سبيل المثال، "ذاب وهاب"، أو: "قال وقام"، نرى أن هناك تبادلاً بين الذال والهاء، في الكلمتين الأوليين، وتبادلاً بين اللام والميم في الكلمتين الأُخْرَيَيْن، وهذا يَعْني أنّ الفونيماتِ هي التي تتبادلُ المواقعَ، وأنَّ هذا التَّبادُلَ يترتبُ عليه اختلاف دلالي، أمّا أفرادُ الفونيمات، أو أعضاؤها، أو تشكلاتُها السياقية، فلا يمكنها التبادل. ومن هنا كان الحكمُ بأنَّ كلاً من الذال، والهاء، واللام، والميم، فونيمٌ مُسْتَقِلٌ، أمّا أعضاءُ كلِّ واحدٍ من هذه الفونيمات، فهي أصواتٌ جُزْئية، أو أمثلةٌ واقعية، أو تنوعاتٌ سياقية مشروطة لها، تسمّى ألوفونات.

أفراد الفونيم الواحد لا يمكنها التبادل

عزيزي الدارس،

ولكنك قد تسأل، وسؤالك هنا أمرٌ مُحتَمَلٌ، عن الهَدَفِ الذي ترمي إلى تحقيقه هذه المدرسةُ اللغوية، من وراء دراستها للفونيم؟

وللإجابة عن سؤالك هذا نقول: إن المدرسة الفيزيائيةَ تَهْدِفُ، من وراء دراستها للفونيم، إلى تعيين العناصر الصوتية؛ أي الألوفونات، التي يتكونُ منها كلُّ فونيم من فونيمات اللغة، وهي تعتمدُ، من أجل تحقيق هذا الهدف، عِدَّةَ وَسائِلَ، من بَيْنِها:

1 - الثنائيات الصغرى: Minimal Pairs

يقصدُ بالثنائية الصغرى: "أقل تقابل ممكن تسمحُ به بِنْيَةُ اللغة، وينتجُ عنه اختلافٌ في المعنى المعجمي" [في علم الأصوات الفيزيقي، لأرنست بولجرام، ص: 257] أو يقصدُ بها: كلمتان متماثلتان في أصواتهما، باستثناء صوتين اثنين، يقعان في موضعين متناظرين منهما، مع اختلاف الكلمتين في المعنى، وعندئذٍ يُعَدُّ الصوتان المختلفان مُنْتَمِيَيْنِ إلى فونيمين مختلفين، ومن أمثلة ذلك التقابل القائم بين الكلمتين: تاب، وذاب.

2 - التوزيع التكاملي: Complementary distribution

يقالُ إنَّ بين صوتين، من أصوات اللغة، توزيعاً تكاملياً، إذا كان حلولُ أحدهما محلَّ الآخر، في أيِّ سياق يرد فيه، أمراً ممتنعاً. ولقد أفادت المدرسةُ الفيزيائيةُ من قاعدةِ التوزيع التكاملي في تحديد مجموعة الألوفونات المنتمية إلى فونيم واحد.

فصوت النون الموجود، على سبيل المثال، في كلمة "نهر"، يعدُّ، من الناحية الصوتية الخالصة، غير صوت النون الموجود في: "منك"، و "عنك"، و"إن تاب"، "انصلح"، و"انهال"، وغيرها، والسَّبَبُ، في ذلك، يعودُ إلى البيئةِ السياقية التي يردُ فيها كلُّ صَوْتٍ من هذه الأصوات. إنَّ هذه البيئةَ السياقية، لكلِّ صوتٍ، من شأنها أنْ تُحدِّدَ التشكل الصوتي (الألوفوني) لفونيم النون دون غيره من التشكلات إلى حَدٍّ كبير.

إن التعديلات، التي يمكن للبيئةِ السياقيةِ إدخالُها على التشكل الفونيمي، هي، في الواقع، تعديلاتٌ كثيرةٌ بحيث تشمل، أو تكادُ تشملُ، جميعَ الملامح المتصلة بالفونيم، ومن ذلك: الجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق، وموقعية المخرج من حيث الأمامية أو الخلفية، وغيرها من الملامح. ففونيم الفتحة القصيرة، في كلٍّ من الكلمتين: صَد، وسَد، اتَّخذ شكلاً ألوفونياً مختلفاً عن الآخر، وذلك عائدٌ إلى التعديل السياقي الذي اتَّخَذَهُ هذا الفونيمُ بتأثيرِ صَوْتي السين والصاد السابقين لها، في هاتين الكلمتين.

عزيزي الدارس،

نحن على ثقةٍ وطمأنينةٍ من أنّ مفهوم الفونيم، لدى المدرسة الفيزيائية، قد أصبح، من خلال ما قدّمْناه لك من شروحٍ، وتوضيحاتٍ، وأمثلةٍ، واضحاً، في ذهنك، على نحوٍ جليّ. ولكنّ الذي نودُّ أن نُضيفَهُ إلى معلوماتك، في هذا المجال، هو أنّ المتكلمَ لا يَثْبُتُ، في أدائه النُّطقي للتشكلاتِ الصوتية المختلفة، في سياقاتها المحددة، على كيفية صوتية محددة بدقّة، إذْ من الممكنِ أنْ يُحْدِثَ المتكلمُ نفسُه تغييراً، قد يكون طفيفاً، أو غيْرَ طفيفٍ، في نُطقِه لهذه التشكلات الصوتية. وهذا الأمرُ راجعٌ، في كثيرٍ من الحالات، إلى نَوْعيةِ البيئةِ الاجتماعية، والنفسية، والثقافية التي يتفاعلُ مَعَها المتكلمُ في لحظةِ ممارسَتِه للاتّصال اللغوي. ويُطلَقُ على التنوعات، التي من هذا القبيل مصطلح "الفاريفون" Variphone.

كما نودُّ أنْ نُضيفَ إلى معلوماتك أيضاً، عزيزي الدارس، أنّ التنوعاتِ اللهجيةَ المختلفة، التي يتخذها فونيم ما، يطلق عليه مصطلح "ديافون" Diaphone ، ومن أمثلة ذلك، في اللغةِ العربية، الأشكالُ اللهجيةُ العربيةُ لنطقِ الجيم، بين التركيب Affricate ، والانفجار Plosive ، والاحتكاك Fricative. (دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 220-225).

اسئلة التقويم الذاتي (1)

1- عرّف الفونيم، من وجهة نظر المدرسة الفيزيائية.

2- لماذا يعتبر أحد أعضاء أسرة الفونيم عضواً رئيساً، والأعضاء الأخرى أعضاء ثانوية، أو إضافية.

3- اعط أمثلةً، من عندك، للثنائيات الصُغرى.

فائدة ونشاط (1)

عزيزي الدارس،

حاول أن تتمثل بنفسك – من خلال استماعك المباشر لبعض الناطقين العرب، أو من خلال استماعك لوسائل الاعلام العربية، المسموعة منها والمرئية – حاول أن تتمثل الطرق اللهجية المختلفة، التي يُنْطقُ بها فونيم الجيم، في مختلف البيئات العربية المختلفة.

ولكي نسهِّلَ عليك الأمر، عزيزي الدارس، ونُقرِّبَه إليك، نطلبُ منك أنْ تتمثَّلَ طريقةَ النطقِ بهذا الفونيم، على وجه التحديد، في كل من:

1- مصر، ولا سيما في القاهرة.
2- بلاد الشام بعامة.
3- منطقة الخليج العربي، لا سيما في الكويت.

عزيزي الدارس،

وبالمثل، حاول أن تقوم بالعملية نفسها مع فونيمي القاف، والكاف.

تدريب (1)

عزيزي الدارس،

إذا دقَّقْت في سمعك لكثير من المتحدثين، وهم ينطقون، بطريقة عفوية، كلمةً مثل: أشْغال، فإنك تشعر بأن هؤلاء الناطقين يُحْدثون، على نحوٍ لا شعوري، يفرضه عليهم السياق النطقي، تجهيراً على نطقِ صوت الشين، فتبدو كأنها جيم، هكذا: أجغال، ومثلها أيضاً كلمة: مشغول، حيث نسمعها قريبةً جداً من: مجغول.

وإذا دَقَّقْتَ في سَمْعك أيضاً، أحْسَسْتَ أن كثيراً من الناطقين بكلمة مثل: اجتماع، يُحْدثون، على نحوٍ لا شعوري، يفرضه السياق النطقي أيضاً، تهميساً على نطقِ صوتِ الجيم، فتبدو كأنها شين، هكذا: اشتماع، ومثلها أيضاً كلمة مجتمعين، حيث نَسْمَعُها قريبةً جداً من: مشتمعين.

وهنا نودّ أن نسألك، عزيزي الدارس، سؤالين هما:

1- ما السَّببُ في هذا التغير النطقي لفونيمي الشين والجيم؟ وما الهدف منه؟
2- ماذا نُسمّي التنوعَ، أو التنوعات الصوتية السياقية التي طرأت على نطق فونيمي الشين والجيم في الكلمات السابقة؟

تدريب (2)

1- ماذا نسمّي التنوعات اللهجية العربية المختلفة لنطق فونيم القاف، في صورة همزة، كما هو الحال لدى معظم سكان المدن والحواضر العربية، وفي صورة كاف، كما هو الحال لدى معظم سكان الأرياف والقرى في فلسطين مثلاً، وفي صورة كاف مجهورة، أو ما يشبه الجيم القاهرية، لدى معظم الناطقين البدو، ماذا نُسمّى هذا التنوعَ اللهجي؟

2- وماذا نُسمّى التنوع البيئي والاجتماعي والثقافي لنطق بعض الفونيمات المفخمة، كما لو كانت أصواتاً مرققة، أو شبه مرققة؟

تدريب (3)

وضح المقصود بمصطلح التوزيع التكاملي، مع التمثيل له.

2.2.2 المدرسة الذهنية أو النفسية

عزيزي الدارس،

تعتبرُ هذه المدرسةُ الفونيمَ صوتاً واحداً مثالياً، أو صوتاً نموذجياً يسعى الناطقُ إلى تحقيقه، غير أنه، أي الناطق، يخرجُ، أو ينحرف عن هذا الصوت المثالي أو النموذجي، نظراً لصعوبة إنتاج صورةٍ مطابقةٍ ومكرّرةٍ لصوتٍ ما من جهة، ونظراً للتأثير الناجم عن الأصوات المجاورة، من جهة أخرى. (Lyons, J, New Horizons in Linguistics, P:79).

ويعدُّ العالمُ اللغوي جان بودوان دي كورتينيه، رائداً لهذه المدرسة اللغوية. وهو يعرّف الفونيم بأنه "الصورة العقلية للصوت".

(Dinneen, F.P., An Introduction to General Linguistics, P:32)

ويرى أن الفونيم عبارةٌ عن صوتٍ يتصوّرُه المرء، أو يقصد إليه، وهو يقابل الصوت المنطوق مقابلةَ الظاهرة الصوتية النفسية للواقعة الصوتية العضوية.

.(Hyman, L.M, Phonology, P:72)

ومن أنصار هذه المدرسة، العالمُ اللغوي الأمريكي إدوار سابير Edward Sapir الذي عرّف الفونيم بأنه: "صوت مثالي Ideal Sound نحاول تقليده في النطق، ولكننا نفشل في إنتاجه تماماً كما نريد، أو بنفس الصورة التي نسمعه بها".

(Dinneen, An Introduction to General Linguistics, P: 407).

ويقول هذا اللغوي: إن هذه الأصواتَ المثاليةَ التي يُكوِّنها الإحساسُ الفطريُّ بوجود علاقات مهمة بين الأصوات الحقيقية، أكثر واقعية وتحققا، بالنسبة للمتكلم العادي، من الأصوات الحقيقية نفسها. (علم اللغة العام، للدكتور، كمال بشر، ص: 159).

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

يمكننا أن نعتبر مصطلح "حرف" في اللغة العربية، مقابلاً لمصطلح "فونيم" في اللغة الانجليزية، كما يمكننا أن نعتبر مصطلح "صوت"، في اللغة العربية، مقابلاً لمصطلح "ألوفون" في اللغة الانجليزية.

فالحروف، بناء على ذلك، "وحدات من نظام، وهذه الوحدات أقسام ذهنية، لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات. والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت، وبين الإدراك الذهني الذي للحرف؛ أي بين ماهو مادي محسوس، وبين ما هو معنوي مفهوم. يقول الأشعري: "وقال آخرون: الكلام حروف، والقراءة صوت، والصوت عندهم غير الحرف". وواضح أنه يقصد بالكلام الكلمات غير المنطوقة؛ أي الكلام النفسي،.... ويعني بالقراءة نطق هذه الكلمات وجعلها ألفاظاً. فالصوت يُنطق، فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النطقي، وما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية، ولكن الحرف لا ينطق، وإنما يفهم في إطار نظام من الحروف، يسمى النظام الصوتي اللغة".

كما يمكننا أن ننظر إلى الفرق بين الفونيم والألوفون، أي بين الحرف والصوت من منظور "أن الصوت جزء من تحليل الكلام، وأن الحرف جزء من تحليل اللغة". (اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، ص: 73-74، والمدخل إلى علم اللغة، للدكتور رمضان عبدالتواب، ص: 83-84).

3.2.2 المدرسة الوظيفية (الفونولوجية)

عزيزي الدارس،

تنطلق هذه المدرسةُ، في تصورها للفونيم، من منطلقات فونولوجية بَحتَة، لامادية. كالمدرسة الأولى، ولا نفسية أو ذهنية، كالمدرسة الثانية. وهي تعتمد الأساس الوظيفي في تعريف الفونيم.

فالفونيم - عند تروبتسكوي، رائد مدرسة براغ اللغوية، وأحد أنصار هذا الاتجاه في دراسة الفونيم - هو «مجموع صفات الصوت التي لها صلة بالفونولوجيا»، أو هو: «الوحدة الصغرى التي تقوم بدور في تمييز المعاني». (Hyman, Phonology, P: 67). أو هو: "أصغر وحدة فونولوجية في اللغة موضع الدرس".

ويرى هذا العالم أن الأساس الذي يقوم عليه تعريف الفونيم ينبغي أن يكون وظيفته في تمييز معنى كلمة من معنى كلمة أخرى. وقد وضع لهذا التمييز قواعد يمكن تطبيق بعضها على اللغة العربية، وهذه القواعد هي:

1- القاعدة الأولى: إذا كان الصوتان من نفس اللغة، ويَظْهران في نفس الإطار الصوتي، وإذا كان من الممكن أن يحلَّ أحَدُهما محل الآخر، دون أن ينتج عن هذا التبادل اختلاف في المعنى العقلي للكلمة - حينئذٍ يكون هذان الصوتان صورتين اختياريتين لفونيم واحد.

ومن أمثلة ذلك، أننا لو نظرنا إلى النطق القرآني للسين، في كلمة «مسيطر»، لوجدناه يرد أحياناً بالسين المرققة، ويرد أحياناً أخرى، بالمقابل المفخم للسين؛ وهو صوت الصاد، وعلى هذا، فإن هذين الصوتين هما صورتان، أو تنوعان، لفونيم واحد، ما دام التغيير لم يترتب عليه اختلاف في المعنى الدلالي والعقلي للكلمة.

2- القاعدة الثانية: إذا كان الصوتان يَظْهران تماماً في نفس الموقع الصوتي، ولا يمكن أن يحلَّ أحدهما محل الآخر دون تعديل معنى الكلمة، أو دون أن تصير الكلمة إلى الغموض - حينئذٍ يكون هذان الصوتان صورتين واقعيتين لفونيمين مستقلين.

ولو أننا طبقنا هذه القاعدة على اللغة العربية، فسنجدُ أنَّ ارتباطَ تغير المعنى بتغيير الفونيم يعد الفيصل في تحديد الكلمات. فالكلمتان: سار، وصار، لكل منهما معنى معين، يختلف عن الأخرى، لأن كلاً منهما تتميز بفونيم خاصٍ هو علامتها، فالسين والصاد هنا فونيمان.

3- القاعدة الثالثة: إذا كان الصوتان، من نفس اللغة، متقاربين فيما بينهما من الناحية السمعية، أو النطقية، ولا يبرزان مطلقاً في نفس الاطار الصوتي - فإنهما يعتبران صورتين تركيبيتين لنفس الفونيم.

إن لفونيم النون، على سبيل المثال، صُوَراً كثيرةً، تَظْهَرُ كلُّ واحدةٍ منها في موقعٍ معين، فالنون الساكنةُ قبل صوت أسناني، كالثاء، في نحو: إنْ ثاب، تنطق أسنانية، والنون الساكنة قبل صوت لهوي، كالقاف، في نحو: انْقال، تنطقُ لهوية، وهكذا تتعدد صُوَرُ النونِ باختلاف الأصوات التالية لها، على نحوٍ لا يمكن، في بيئةٍ معينة، أن تحل صورة أسنانية محل صورة لهوية. (في علم اللغة العام، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص: 123-125).

عزيزي الدارس،

لعلك، بعد ما سبق من كلام، حول تصور هذا لمدرسة اللفونيم، تسأل عن الفرق بين آراء المدرسة الوظيفية، وآراء المدرسة الفيزيائية حول الفونيم. وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

في الوقت الذي اعتمدت فيه المدرسة الفيزيائية، في عملية التصنيف الفونيمي للغة، على الخصائص المادية للصوت، وجدنا هذه المدرسة؛ أي المدرسة الوظيفية، تركِّزُ على جانبِ التفرقة الدلالية للأصوات، فصوتا الكاف والقاف لا يؤديان إلى اختلاف دلالي في اللغة الانجليزية، وبالتالي فانهما ينتميان إلى فونيم واحد هو فونيم الكاف /K/، أما في اللغة العربية، فإن نظيري هذين الصوتين: الكاف /K/ ، والقاف /q/ ، يؤديان إلى تفرقة دلالية واضحة في نحو: كال، وقال، مما يجعلهما فونيمين مستقلين.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ تصنيفَ النظامِ اللغويِّ لِلُغَةٍ ما، إلى فونيمات، يتمُّ، في رأي هذه المدرسة، حسب التقابلات القائمة في النظام الفونولوجي لتلك اللغة. ومن ثمَّ يمكننا القولُ بإمكانِ اختلافِ تعريفِ فونيمٍ ما من لغةٍ إلى أخرى، وذلك على الرغم من اشتمال كلٍّ منهما على ألوفونات متماثلة.

ولتوضيح ذلك، عزيزي الدارس، نقول: إن تعريف فونيم "الفاء"، في اللغة العربية، على سبيل المثال، يختلف عن تعريف نظيره، في اللغة الانجليزية. ويعود ذلك إلى فقدان المقابل المجهور له، وهو الفاء /v/ في العربية، ووجوده في الانجليزية، إذ تعتبر صفةُ الهمس، أو ملمح الهمس، ضرورةً لا غِنى عن ذِكْرِها في تعريف فونيم الفاء /f/ في الانجليزية، في حين لا يعدُّ ذكر هذه الصفة أمراً مهماً في تعريف الفونيم المناظر له في العربية، وهو فونيم الفاء /f/ أيضاً.

وكذلك، يُعَدُّ كلٌّ من فونيم الدال /d/ ، وفونيم الضاد /d/ ، فونيماً متميزاً في العربية، نظراً لقدرة كلّ منهما على القيام بدور تمييزي في المعنى، في حين يعدُّ نظيراهما، في اللغة الانجليزية، فونيماً واحداً، هو فونيم الدال /d/ ، وذلك لأن وجود صفة التفخيم، أو فقدانها، بين هذين الصوتين، في الإنجليزية، لا يؤدي إلى إحداث تميز دلالي في هذه اللغة.

أسئلة التقويم الذاتي (2) ؟

وضّح الأساس الذي يقوم عليه تعريف الفونيم لدى المدرسة الوظيفية.

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

من خلال مطالعتك، واستيعابك لآراء المدارس المختلفة التي عالجتْ موضوعَ الفونيم، وناقشتْ مفهومه، فإن بوسعك أن تعتبر كلاً من «النون»، أو «الجيم» ، أو «الشين»، أو غيرها ، «صوتاً واحداً، كما أن بوسعك أن تعتبر كلَّ واحد منها مؤلفاً من "عدة أصوات".

إن الأمر يتوقف على وجهة نظر الباحث إلى هذا الموضوع. ولنأخذ، عزيزي الدارس، "النون" مثالاً على ذلك. فالنون تعدُّ صوتاً واحداً إذا ما نظرنا إليها من الناحية الوظيفية؛ أي إذا نظرنا إليها من حيثُ قدرتُها على تغيير معاني الكلمات، أو عدمِ قدرتها على ذلك. فهي صوت واحد بوصفها ليست باءً، أو تاءً، أو ثاءً ...الخ، ولكننا نعتبرها عدةَ أصوات، أو مؤلفةً من عدةِ أصوات، إذا ما نظرنا إليها من الناحية النطقية المَحْضَة؛ أي إذا نظرنا إليها من حيثُ وجودها الفعلي في الكلام الحقيقي، ومن حيثُ تأثيرُها على السمع.

فعندما تقول، عزيزي الدارس، نام، وقام، نجد أن الفرق في معنى الكلمتين يرجع إلى وجود «النون» في الكلمة الأولى، ووجود "القاف" في الكلمة الثانية، ومن ثمَّ كان كلُّ واحدٍ منهما ، من هذه الناحية الوظيفية، صَوْتاً واحداً، لا عدة أصوات.

أما أفرادُ النون، أو صورُها الصوتية المختلفة، فلها وظيفةٌ نطقيةٌ مَحْضَة؛ بمعنى أنه يمكن تمييزها ، على اختلافها وتنوعاتها ، في النطق، والسماع. ولكن هذه النونات، أو لنقل: هذه الصور المختلفة للنون، ليست ذات وظيفة لغوية دلالية؛ إذ لا نستطيع تغيير معاني الكلمات عن طريق إحلال إحداها محل الأخرى، وذلك لسبب بسيط، هو أن النون في مثل: انتصر، لا يمكن أن تحل محل النون في مثل: انقطع، في الأسلوب اللغوي الواحد، أو بعبارة أخرى: إن أفراد النون، وصورها المختلفة لا تتبادل، فيما بينها ، في الموقع، أو في البيئة النطقية الواحدة، ومن ثمَّ لا تغيير في الكلمات، وبالتالي لا يحدث تغيير في المعنى.

مكونات الفونيم

عزيزي الدارس،

لقد سبق أن عَرَّفْنا الفونيمَ، غَيْرَ مرةٍ، بأنه أصغرُ وحدةٍ صوتية، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن، هو: هل للفونيم عناصرُ، أو مكوناتٌ يتألف منها ، أم أنه كلٌّ موحَّد غير قابل للتحليل ؟

الحقيقة هي أن اللغويين قد اختلفوا حَوْلَ هذه المسألة، فذهب بعضُهم إلى أنَّ الفونيم كلٌّ موحَّدٌ غَيْرُ قابلٍ للتجزئة، أو التحليل، وأنه مجموعٌ كليٌّ، وكيفيةٌ غيرُ قابلةٍ للتقسيم. في حين تبنَّى كثيرٌ من اللغويين نظرةً مغايرةً لهذا الاتجاه، واعتبروا الفونيم، قابلاً للتحليل إلى

مكوّنات. بَيْدَ أن هؤلاءِ اللغويين اختلفوا في تحديد هُويّة تلك المكونات، وانقسموا، في هذا الصدد، على قسمين رئيسين هما:

1- قِسْم يرى أنَّ الفونيمَ يتألفُ من مكونات تتمثَّلُ في تحققاته الصوتية المختلفة، وتشكلاته السياقية المتنوعة، وهي التي يُطلقُ عليها مصطلحُ ألوفونات، وعلى هذا، فإنَّ الفونيم «يشتمل على مجموعةٍ من الفونات المتشابهة، أو التنوعات الصوتية Phonetic variants التي يتوقف استعمال كل منها، أساساً، على موقعه في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة له». (أسس علم اللغة، لماريوباي، ص: 88).

أما الألوفونات، وهي ما يتكون منها الفونيم، فهي عبارة عن المظهر المادي المختلف للفونيم. ومن أمثلة ذلك الألوفونات المختلفة لفونيم النون، والتي قد يكون بعضُها، بحكم السياق الذي ترد فيه، أسنانياً، أو لثوياً، أو طبقياً، أو غير ذلك.

ومن الممكن أن توضع، في كل لغة، قواعد، من شأنها أن تقوم بعملية تحديد الطابع الفوناتيكي (الصوتي) للألوفون، وذلك بحسب:

1- تمثيله وانتمائه إلى فونيم معين.

2- تعيين البيئة الصوتية السياقية التي يقع فيها.

2- أما القسم الآخر، فيرى أنَّ مكوناتِ الفونيم هي مجموعةٌ من الخصائص والسمات، التي أطلقوا عليها مصطلح الملامح التمييزية Distinctive Features . وهذه الملامح هي عبارة عن خصائص صوتية يمكن أن تُميِّزَ معنى منطوقٍ من معنى منطوقٍ آخر. وأغلبُ هذه الخصائص هي خصائص مخرجية، وبعضها خصائص أكوستيكية فيزيائية.

وعلى الرغم من أن هذه الخصائصَ تُعَدُّ مكوناتٍ للفونيم، من وجْهَة نظرِ أصحاب هذا الاتجاه، إلا أنّه لا يمكنُ التوصلُ إليها، في المنطوقات، من خلال تَجزْئة الفونيم، وإنما يتمُّ التوصلُ إلى الملمح التمييزي من خلال تبادل مجموعات الملامح بعضها مع بعض، بحيث تختلف مجموعةٌ عن أخرى في هذا الملمح أو ذاك. ومن أمثلة ذلك، الكلمتان: سار، وصار، ففونيم السين /s/ ، في الكلمة الأولى، يتألفُ من مجموعة الملامح التمييزية التالية:

- أسناني لثوي Denti-alveolar
- مهموس Voiceless
- احتكاكي Fricative
- مرقق Non-velarized

أما فونيم الصاد /s/، في الكلمة الثانية، فانه يتألف من الملامح التمييزية التالية:

- أسناني لثوي Denti-alveolar
- مهموس Voiceless
- احتكاكي Fricative
- مفخم Velarized

ففي هاتين المجموعتين من الملامح، عزيزي الدارس، تقابل واضح بين ملمحي الترقيق والتفخيم، ولقد أدي هذا التقابل، بِدَوْرِه، إلى اختلافٍ في معنى هاتين الكلمتين، وهذا يعني أنَّ مَلْمَحَي الترقيق والتفخيم، هنا، يُعْتَبرانِ مَلْمَحَيْن تمييزيين.

ومن الجدير بالذكر، أن مكوناتِ الفونيم، وهي الملامحُ التمييزية التي يتألف منها، لا تَرِدُ وَحْدَها في المنطوقات الفعلية، وإنما تردُ هذه الملامحُ مصحوبةً، في العادة، بملامحَ غيرِ تمييزية Non-distinctive features ، وهي ملامحُ تعبِّرُ عن شخصيةِ الناطق، ونوع انفعاله، وغير ذلك.

اسئلة التقويم الذاتي (3)

1- وضح وجهة النظر اللغوية القائلة: إن الفونيم يتألف من مكونات ألوفونية.

2- حدِّد المقصود بالملامح التمييزية.

4. اهمية الفونيم في علم الأصوات

عزيزي الدارس،

نرجو أن نكونَ، فيما قدَّمْناه لك من شرحٍ وتوضيحٍ لمفهوم الفونيم، قد أسْهمنا في إلقاءِ الضَّوْءِ على هذا المصطلح الصوتي، الذي أصبَح الآن كثيرَ الشُّيوعِ والدَّوَرانِ في مجال الدرس اللغوي بعامةٍ، والدرسِ الصوتي بخاصة.

نرجو ذلك، كما نرجو أيضاً أن نشترك الآن معاً، من خلال ما سبق من كلام حول علم الفونيم، في استنباطِ أهمِّ الأهدافِ المتوخَّاةِ من وراء دراسة هذا العلم، الذي أضحى، في ميدان الدرس الصوتي، في الوقت الحاضر، محلَّ اهتمام علماء اللغة ودارسيها، وفي كلِّ لغة، في كل مكان.

عزيزي الدارس،

لاشك في أن دراسةَ الفونيم، وفَهْمَ الدَّوْرِ الذي يقومُ به في علم الأصوات، من شأنه أنْ يُحقِّقَ لنا أهدافاً شتى، من أهَمِّها:

1- أنه، أي الفونيم، قادرٌ على تمييز كلمة من أخرى. وهذا يستتبعُ قدرةَ الفونيم على التفرقةِ بين الكلمات في المستويات الصرفية، والنحوية، والدلالية.

فعلى سبيل المثال، تختلف كلمة "صام"، في المعنى، عن كلمة "نام"، بسبب وجود فونيم الصاد، في الكلمة الأولى، وفونيم النون، في الكلمة الثانية. كما أن الفرق بين كلمة « مِنْ » min ، وكلمة « مَنْ » man ، هو فرق صرفي، ونحوي، ودلالي، فالكلمةُ الأولى حرفُ جَرٍّ تفيد، كما هو معروف، معنى الابتداء، أما الكلمةُ الثانيةُ فيمكنُ أن تكون اسْمَ استفهام، أو اسْمَ موصول، وذلك بِحَسبِ السياق التركيبي الذي تقع فيه. وتعودُ هذه التفرقة، في المستويات الثلاثة: الصرفية، والنحوية، والدلالية، إلى وجود فونيم الكسرة /i/ في الكلمة الأولى، وفونيم الفتحة /a/ ، في الكلمة الثانية.

2- يعدُّ الفونيم وسيلة مهمة في عملية تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها، ذلك عائد إلى أن عدد الفونيمات، في أية لغة، يقلُّ كثيراً عن عدد الأصوات الفعلية الحقيقية لتلك اللغة. وهذا يعني أنَّ التَّعَرُّفَ إلى الفونيمات، وهي قليلةُ العدد، أيْسَرُ سبيل إلى تعلم الأصوات المنطوقة بالفعل، وهي، في العادة، كثيرة العدد. (علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 160-161، وكذلك مدخل إلى علم اللغة، للدكتور محمود حجازي، ص: 39-40).

3- يساعدُ الفونيم، باعتباره وحدةً صوتيةً يشارُ إليها برمزٍ كتابي محدد - يساعِدُ على ابتكارِ ألفبائياتٍ منظمة ودقيقة للغات، ذلك أن الصُّوَرَ الصوتيةَ الفعلية للفونيم الواحد، تتعدد، كما مرَّ معك، عزيزي الدارس، بحسب السياق الذي ترد فيه، في كثير من الحالات، مما يؤدي، في نهايةِ المطاف، إلى تنوعاتٍ صوتيةٍ لا حَصْرَ لها للمنظومة الفونيمية المحدودة لأية لغة.

وهذا يستدعي، بطبيعة الحال، رموزاً كتابية مقابلة لا حصر لها، مما يعقد الأمر. ولهذا كان الفونيمُ الواحدُ، برمزِه الكتابيِّ الواحد، وتنوعاته الصوتية المختلفة، وسيلةً مُهمَّةً للتيسير، والابتعاد عن الصعوبة والتعقيد.

ولكي نوضح لك الأمر، عزيزي الدارس، نقول: إن الباء، في اللغة العربية، فونيمٌ قد تتعددُ صُوَرُهُ من حيثُ النُّطقُ الفعلي، فهي مجهورة، ولكنها قد تتعرض، في بعض السياقات النطقية، إلى التهميس، وكذلك الحال مع التاء، فهي مهموسة، ولكنها قد تتعرض، في بعض السياقات النطقية أيضاً، إلى التجهير. وقل الشَّيْءَ نَفْسَه عن الفونيمات الأخرى، أو بعضها على الأقل، في اللغة العربية. وهذا من شأنه أن يُؤَدِّيَ إلى الحصولِ على أعدادٍ كبيرةٍ جداً من الأصوات، وكل صوت منها بحاجة إلى رمز مستقل، الأمر الذي يؤدي، ولاشك، إلى الصعوبة والتعقيد.

ولهذا كان لا بُدَّ من الاعتماد على الفونيم. فالفونيم الواحد، يُكتفى بالاشارة إليه برمز واحد، وإن تعددت صورُهُ الصوتيةُ المختلفة، وفي هذا تُسَهَّلُ الأمورُ على الدارسين، وتصبحُ الألفبائيةُ ألفبائيةً عمليةً بسيطة.

عزيزي الدارس،

إن ألفبائيتنا العربية ألفبائية تتّسم، حقاً، بالبساطة، والسهولة، والبعد عن التعقيد، فلكل فونيم فيها، رمز يشير إليه، بغضِّ النظر عن صُوَرِهِ الصوتية المختلفة، التي قد يردُ عليها في السياقات التي يقع فيها. فلفونيم الهمزة رمز، ولفونيم الباء رمز، ولفونيم التاء رمز... وهكذا مع بقية فونيمات الصوامت. وكذلك الحال بالنسبة للحركات، فلفونيم الفتحة رمز، ولفونيم الكسرة رمز؛ ولفونيم الضمة رمز. (علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 161).

وقد ترتب، على ما سبق، اشتمال اللغة العربية على منظومة فونيمية تتّسم بالدقة، ومحدودية العدد، بَيْدَ أنها كانت، وما زالت، منظومةً قادرةً على التعبير عن التنوعات الصوتية، أو، لنقل، التنوعات الألوفونية، لكل وحدة صوتية فونيمية على نحو واسع.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- بين الكيفية التي يستطيع، من خلالها، الفونيم، التمييز بين الكلمات في مستوياتها الصرفية، والنحوية، والدلالية.

2- كيف يساعد الفونيم في عملية تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها؟

تدريب (4)

1- اشرح طبيعة العلاقة القائمة بين الفونيمات من جهة، والالوفونات المتفرعة عنها، من جهة أخرى، مع بيان السبب في ذلك.

5. أنواع الفونيم

عزيزي الدارس،

لقد حاولنا، في الصَّفَحاتِ السابقة، الإلمامَ، على نحوٍ مبسَّط وسريعٍ، بمعنى الفونيم، وبيَّنا آراءَ العلماء اللغويين فيه، كما عَرَضْنا، في السطورِ السابقة، لأهمية دراسة الفونيم في المجال الصوتي بعامة.

والآن نتساءل قائلين: هل يقتصرُ مفهومُ الفونيم على جانبٍ صوتي واحد، أو على نوع صوتي واحد، أم أنَّ له جوانبَ وأنواعاً مختلفةً تندرجُ كلُّها تَحْتَ المفهوم العام لهذا المصطلح؟

الحقيقة هي أن علماء الأصوات يقسمون الفونيم على قسمين رئيسين هما:

- الفونيم التركيبي، أو الفونيم القِطعي، نسبة إلى قطعة، أو جزء: Segmental phoneme . والفونيم غير التركيبي، أو غير القِطعي: Suprasegmental phoneme.

1.5 الفونيمُ التركيبي

الفونيم التركيبي، أو القِطعي، هو تلك الوحدة الصوتية، أو القطعة الصوتية، التي تكون جزءاً من أبسطِ صيغةٍ ذات معنى، منعزلة عن السياق، أو هو ذلك العنصر الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، كالباء، والتاء، والثاء ... وغيرها من الصوامت Consonants ، علاوة على الحركات vowels ، وهي الفتحة، والضمة، والكسرة قصيرة وطويلة، وأنصاف الحركات وهي الواو مثل كلمة ولد، والياء في مثل كلمة يدع.

2.5 الفونيم غير التركيبي

الفونيم غير التركيبيّ، أو غير القِطعيّ، هو عبارة عن ظاهرة صوتية، أو صفة صوتية، أو ملمح صوتي ذي مغزى في الكلام المتصل. (علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 161). أو هو، بعبارة أخرى، ملمح صوتي تتأثر به وحدات صوتية قد تشتمل على أكثر من صامت، أو حركة في المنطوق الكلامي.

إن هذا النوع من الفونيمات، لا يكون جزءاً من تركيب الكلمة، أو المنطوق، وانما يظهر ويُلاحظ فقط، حين تُستعمل الكلمةُ الواحدةُ بصورةٍ خاصة، كأنْ تُستَعملَ جملةً، أو حين تضم كلمة إلى أخرى. ومن أمثلة الفونيمات غير التركيبية، أو غير القطعية: النبر، والتنغيم، والمفْصل، وغيرها.

عزيزي الدارس،

لقد اتضح لك، الآن، أن الفونيم، أو مفهوم الفونيم، ليس متوحَّدَ الدلالة، فهناك فونيم تركيبي، وآخر غير تركيبي، كما اتضحت لك الآن أيضاً، العناصر التي يتألف منها، أو يشتمل عليها كل قسم من هذين القسمين. وسوف نخصِّص الوحدة الدراسية القادمة، من هذا المقرر، وهي الوحدة الخامسة، للحديث عن الفونيمات التركيبية بأنواعها المختلفة، والأسس المتبعة في تصنيفها، أما هنا، فقد اكتفينا بمجرد الاشارة إلى المقصود بهذا النوع من الفونيمات. كما سنخصص الوحدة الثامنة، من هذا المقرر أيضاً، للحديث عن بعض الفونيمات غير التركيبية في اللغة العربية، وسيكون تركيزنا، بإذن الله تعالى، على ثلاثِ ظَواهرَ فونيميةٍ غيرِ تركيبية، هي: النبر، والتنغيم، والمفصل.

3.5 أهم الفروق بين الفونيمات التركيبية، والفونيمات غير التركيبية

1- يعدُّ الفونيم غير التركيبي أكثرَ بقاءً من الفونيم التركيبي، بمعنى أنَّ الأخير؛ أي الفونيم التركيبي، قد يتعرضُ للتغيير، أو الزوال، الذي يحكمه التطور اللغوي التاريخي، في حين يبقى الفونيم غير التركيبي، في الأعمِّ الأغلب، محافظاً على وجوده.

2- كما أن الفونيم غير التركيبي أكثرُ بقاءً من الفونيم التركيبي لدى الأشخاص الذين يصابون ببعض حالات أمراض الكلام، كبعض أنواع الحُبْسة النطقية، فهؤلاء المصابون بهذا المرض، يحافظون على عددِ النبضات الصدرية المساوية لعدد المقاطع الموجودة في المنطوق، الذي يحاولون النطق به، وذلك على الرغم من نِسْيانِهم وعَجْزِهم عن النُّطق ببعض الصوامت والحركات المكونة لتلك المنطوقات.

3- وعلاوة على ما سبق، عزيزي الدارس، فان الارتباط القائم بين الفونيمات غير التركيبية، والقيم الدلالية، أقلّ من الارتباط القائم بين الفونيمات التركيبية وهذه القيم. وهذا يعني أن الأداء الدلالي للفونيمات التركيبية أقوى من الأداء الدلالي للفونيمات غير التركيبية، فكلمة "نعم"، على سبيل المثال، ترتبط، بمكوناتها الفونيمية التركيبية، وهي: النون، والعين، والميم، والحركات الملابسة لها، ترتبط دلالياً بمعنى الجواب، أو الإجابة، على نحوٍ قويّ، في حين أن نطق هذه الكلمة بتنغيم معين لدى الناطق، قد يفهم منه عكس المطلوب، أو عكس المقصود منه، في بعض الحالات.

4- وأخيراً، فإن للفونيمات غير التركيبية صلةً بالتعبير عن المعنى القواعدي، أكثر من صلتها بالمعنى المعجمي، وهذا يعني أنها؛ أي الفونيمات غير التركيبية، تقوم، بدور مُهِمٍّ، في رسم حدود وحدة القواعد المعروفة، وهي الكلمة، أو تعيين سماتها. فالنبر، وهو أحد الفونيمات غير التركيبية، قد يُستَغلُّ، أحياناً، للتفريق بين الأسماء والأفعال في اللغة الانجليزية، في نحو الأمثلة التالية:

اسم	فعل	اسم	فعل
import	import	increase	increase

إن وقوع النبر، وهذه هي علامته (ˈ)، على المقطع الأول، في هاتين الكلمتين، جعلهما من فئةٍ صرفيةٍ معيَّنة هي الاسم، في حين أدَّى انتقالُ النبر إلى المقطع الأخير، في هاتين الكلمتين، إلى تحويلهما إلى فئةٍ صرفيةٍ أخرى، هي الفعل.

ومن البدهي، أن تغيير الصفة الصرفية من اسم إلى فعل، أو العكس، من شأنه أن يؤدي إلى نوع من التغيير في الوظائف النحوية والدلالية. (علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 163).

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1- بيِّن الأقسام التي ينقسم إليها الفونيم.

2- وضح المقصود بالفونيم التركيبي، أو القطعي، مع التمثيل له.

3- اذكر فرقين اثنين يميزان بين الفونيمات التركيبية، وغير التركيبية.

6. أسس تقسيم الأصوات

عزيزي الدارس،

سنحاول، في نهاية حديثنا عن موضوعات هذه الوحدة، وهي الوحدة الرابعة، من مقرر علم أصوات العربية - سنحاول أن نتحدث لك، على نحوٍ موجزٍ، عن الأُسسِ والمعاييرِ التي يُستندُ إليها في عمليةِ تقسيمِ الأصوات اللغوية إلى صوامتَ وحركاتٍ. وسنختار، لتحقيق هذا الهدف، أساسين، أو معيارين، يمكننا، من خلالهما، أن نُقسِّمَ الأصواتَ اللغويةَ ونصنِّفَها. وهذان الأساسان، أو المعياران هما: الأساس، أو المعيار الفوناتيكي، والأساس، أو المعياد المقطعي. وسيكون تقسيمنا للأصوات، وفق هذين الأساسين، خاصاً بأصوات اللغة العربية، التي نعتبرها هدفاً نسعى إلى تجليته وتوضيحه في هذا المقرر الدراسي:

1.6 الأساس الفوناتيكي

يمكننا تقسيمُ الأصواتِ، من مُنْطلقِ هذا الأساس إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسةٍ هي:

1.1.6 الصوامت Consonants

ويقصد بها تلك الأصوات، التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين، في أثناء إنتاجها، إلى قدرٍ كبير من التضييق، والتوتر، والاحتكاك، والغلق، في بعض الأحيان. ومن أمثلتها، في اللغة العربية، أصوات الثاء، والراء، والشين، والحاء، والهمزة، والباء، والدال... وغيرها من الصوامت الأخرى.

ولسوف نعرض لهذا النوع من الأصوات، عزيزي الدارس، بشيءٍ من التوسُّع والتفصيل، في الوحدةِ القادمة، من هذا المقرر، وهي الوحدة الخامسة.

2.1.6 الحركات Vowels

ويقصد بها تلك الأصوات، التي يواجهُ معها تيارُ الهواء، في أثناءِ خروجه من الرئتين، ماراً بالأعضاء النطقية، أقلَّ قدرٍ ممكن من التضييق، والتوتر، والاحتكاك. ولذلك فإنَّ هذا النَّوْعَ من الأصوات، ويشملُ الفتحةَ، والكسرة، والضمة، قصيرةً وطويلةً، تَنْتُجُ دونَ حدوثِ إعاقةٍ من أيِّ نوعٍ تقريباً، وكلَّ ما يحدث، في أثناء إنتاج هذه الأصوات، يَنْحَصِرُ، أو يكادُ يَنْحصرُ، في تعديلاتٍ لمجرى الهواء في التجويف الفموي أساساً، ويتمثل ذلك في عضوين رئيسين هما: اللسان، والشفتان.

ولسوف نعرض لهذا النوع من الأصوات، بشيء من التوسع والتفصيل، أيضاً، في الوحدة القادمة، وهي الوحدة الخامسة، من هذا المقرر.

3.1.6 أنصاف الحركات Semi vowels

ويقصد بها تلك الأصوات، التي يكون التضييق، الذي يواجهه تيارُ الهواء، عند إنتاجها، ضئيلاً، بَيْدَ أن نسبة هذا التضييق تكون أقلَّ من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات. أو هي الأصوات التي تقوم بدور صامت، ولكنْ تَنْقُصُها بعضُ الخصائصِ الفوناتيكية المرتبطة بالصوامت، مثل: الاحتكاك، والانغلاق. ويشمل ذلك صوتي الواو، والياء في نحو: ولد، ويلد.

ولسوف نعرض لهذا النوع من الأصوات، عزيزي الدارس، في الوحدة الخامسة أيضاً، وهي الوحدة التالية، من وحدات هذا المقرر.

2.6 الأساس المقطعي

يمكننا تقسيمُ الأصْوات، من منطلق هذا الأساس، إلى قسمين رئيسين هما:

1.2.6 الأصوات الصامتة Consonants

وهي الأصوات التي لا تشغل مَوْقِعَ نَواةِ Nucleus مَقْطعٍ في النسيج المقطعي للبنية العربية، وإنما تشغلُ مواقعَ المطْلع onset ، والخاتمة Coda في ذلك النَّسيج. وهي تشمل الصوامت العربية Consonants كلّها، وأنصاف الحركات Semi vowels ، الواو، والياء، في مثل: ولد، ويلد، كما مرَّ معنا آنفا.

2.2.6 الحركات Vowels

وهي الأصوات التي تشغل موقع النواة فقط في المقطع، ويشمل ذلك الفتحة، والكسرة، والضمة، قصيرة وطويلة.

عزيزي الدارس،

سوف نعرض للمصطلحات المقطعية، التي مرّت معك الآن، وهي النواة، والمطلع، والخاتمة، وغيرها من المصطلحات الخاصة بهذا الموضوع؛ في الوحدة السادسة، من هذا المقرر، إن شاء الله تعالى.

اسئلة التقويم الذاتي (6)

1- عدد أقسام الأصوات العربية من وجهة النظر الفوناتيكية.
2- وضح المقصود بالحركات، من منطلق الأساس المقطعي.

تدريب (5)

1- وضح المقصود بالصوامت من وجهة النظر الفوناتيكية.
2- بيِّن الفرق بين الحركات، وأنصاف الحركات من ناحية فوناتيكية.
3- بم تتّفقُ الصوامتُ، وأنصافُ الحركات من حيث الأساسُ المقطعي؟

7. الخلاصة

هذه الوحدة استمرار للوحدة السابقة الثالثة وموضوعها (الفونيم) بشكل عام، وهو أكثر المباحث الصوتية أهمية واستعمالاً، وقد بينت الوحدة السابقة أنه الوحدة الصوتية الصغرى التي تميز بين الأصوات المنطوقة من شخص إلى آخر. وقد فصلت هذه الوحدة القول في تعريف الفونيم في المدرسة الفيزيائية والمدرسة الذهنية والمدرسة الوظيفية، ثم تحدثت الوحدة عن مكونات (الفونيم) وآراء العلماء في ذلك، لأن بعضهم يرى أنه كل موحد غير قابل للتجزئة، وبعض آخر يرى أنه يتألف من مجموعة من الخصائص والسمات سموها الملامح التمييزية، ثم تحدثت الوحدة عن أهمية الفونيم وعن أنواعه المتعددة، ومنها الفونيم التركيبي والفونيم غير التركيبي، واختتمت الوحدة بأسس تقسيم الأصوات ومنها الأساس الفوناتيكي، والأساس المقطعي. واشتملت على عدد من التدريبات وأسئلة التقويم الذاتي.

8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

عزيزي الدارس،

سوف نخصص الوحدة الدراسية التالية، من مقرر علم أصوات العربية، للحديث عن النوع الأول، أو القسم الأول، من أقسام الفونيم، ونعني به الفونيم التركيبي في اللغة العربية.

وسيدور حديثنا، حول هذا الفونيم، من حيث قسماه الرئيسان: الصوامت، والحركات، وما يتعلق بكل قسم منهما من تصنيف، وتوصيف.

وسنحاول، في هذه الوحدة، إن شاء الله تعالى، أن تكون دراستنا للأصوات العربية، بقسميها: الصوامت والحركات، دراسة عملية تطبيقية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

فكن معنا، عزيزي الدارس، ونحن نطالعُ معاً الصَّفَحات القادمةَ من صفحات الوحدة الخامسة، حيث ستجد، في أثنائها وحناياها، إجاباتٍ واضحةً وشافيةً عن كثيرٍ من الأمور والقضايا المتعلقة بأصوات لغتنا العظيمة، اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

-1

- في كلمة «أشْغال»، وقعت الشين، وهي صوت مهموس، ساكنةً قبل صوت مجهور متحرك، هو الجيم، مما أدّى إلى تأثر صوت الشين المهموس الساكن، بصوت الغين المجهور المتحرك تأثراً رجعياً. وقد ترتب على ذلك طروء صفة "التجهير" على صوت الشين، مما أدى إلى انقلابه، تقريباً، إلى مقابله المجهور، والمقابل المجهور لصوت الشين هو صوت الجيم.
- أما في كلمة «اجْتماع»، فقد وقعت الجيم، وهي صوت مجهور، ساكنةً قبل صوت مهموس متحرك، هو التاء، مما أدى إلى تأثر صوت الجيم المجهور، بصوت التاء المهموس المتحرك تأثراً رجعياً أيضاً. وقد ترتب على ذلك طروء صفة «التهميس» على صوت الجيم، مما أدّى إلى انقلابه، تقريباً، إلى مقابله المهموس، والمقابل المهموس لصوت الجيم، هو صوت الشين.

إن الهدف، من وراء ذلك كله، هو إحداث تماثل Assimilation، في الصفة، بين الأصوات المتجاورة.

-2 نُسمّي التنوُّعَ الصوتي السياقي، الذي يطرأ على نطق الفونيم، في مثل هذه الحالات، باسم «الألوفون». فصوت الجيم، الذي كان نتيجة نطقية للسياق الذي وقع فيه فونيم الشين، في الكلمة الأولى «أشغال»، وما كان على شاكلتها، وصوت الشين، الذي كان نتيجة نطقية للسياق الذي وقع فيه فونيم الجيم، في الكلمة الثانية «اجتماع»، وما كان على شاكلتها، يعدّان من قبيل الالوفونات.

تدريب (2)

-1 نسمّي التنوعات اللهجية المختلفة، لنطق فونيم القاف، ديافونات. ويقصد بالديافون Diaphone . التنوع اللهجي الذي يتخذه فونيم ما، على لسان الناطقين باللهجات المختلفة للغة ما.

-2 ونسمّي التنوع البيئي والاجتماعي والثقافي لنطق بعض الفونيمات المفخمة، كما لو كانت أصواتاً مرققه، أو شبه مرققة - نسميه ڤاريفون Variphone .

تدريب (3)

يطلق مصطلح التوزيع التكاملي Complementary distribution على الصور النطقية المختلفة للفونيم الواحد، حيث تختصّ كل صورة نطقية منها بموقع لا تشركها فيه أية صورة نطقية أخرى من صور هذا الفونيم. ويشكل مجموع هذه الصور النطقية التوزيع التكاملي لهذا الفونيم.

ومن أمثلة ذلك في لغتنا العربية الراء اللمسية Tap/Flap التي تكون متبوعة بحركة Vowel نحو هَرَبَ، والراء الترددُيّة، أو المكررة Trill/Roll ، التي تكون متبوعة دائماً بصامت Consonant ؛ أي مشدّدة، أو غير متبوعة بشيء؛ أي ساكنة نحو: مَرَّ عُمَرْ. فهاتان الصورتان تتكاملان لتشكلا التوزيع التكاملي لفونيم الراء.

تدريب (4)

تكون العلاقة القائمة بين الفونيمات، والألوفونات المتفرعة عنها، كالعلاقة القائمة بين الأصول وما تتوزع إليه من فروع، أو كالعلاقة القائمة بين الكل الواحد والأجزاء المنبثقة عنه. وعلى هذا، فإن العلاقة الصوتية بين الفونيمات والألوفونات لا تكون دائماً علاقة واحد إلى واحد، وإنما يغلب عليها أن تكون علاقة واحد إلى متعدد، يختلف باختلاف السياق النطقي الذي يقع فيه الفونيم الواحد المعيّن.

إن «النون»، من الناحية الوظيفية والدلالية، على سبيل المثال، فونيم واحد، ولكن هذا الفونيم «الواحد»، يتوزع، من الناحية النطقية والسمعية، إلى «فروع»، أو «صور» مختلفة، تحددها طبيعة السياق الذي يرد فيه هذا الفونيم. ولهذا فقد رأى بعض اللغويين أن لفونيم النون «الواحد»، «سبعَ» صور ألوفونية، بمعنى أنَّ العلاقةَ بين فونيم النون، وألوفوناته هي علاقة واحد إلى متعدد، وهذا المتعدد قد يصل إلى سبع صور.

تدريب (5)

1- يقصد بالصوامت، من وجهة النظر الفوناتيكية، تلك الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين، في أثناء إنتاجها، إلى قدر كبير من التضييق، والتوتر، والاحتكاك، والغلق، في بعض الأحيان.

2- يكمن الفرق بين الحركات، وأنصاف الحركات، من الناحية الفوناتيكية، في أن التضييق، الذي يواجهه تيار الهواء، عند انتاج أنصاف الحركات، يكون أكثر من التضييق الذي يواجهه تيار الهواء، عند انتاج الحركات. أو لنقل ما سبق، بعبارة أخرى:

إن التضييق، الذي يواجهه تيار الهواء، عند إنتاج الحركات، يكون ضئيلاً جداً إذا ما قيس بالتضييق الذي يواجهه تيار الهواء عند إنتاج أنصاف الحركات.

3- تتفق الصوامت، وأنصاف الحركات، من حيث الأساس المقطعي، في أنها تشغل مواقع المطلع والخاتمة في المقطع، ولكنها لا تشغل موقع النواة فيه.

10. مسرد المصطلحات

- **الفونيم (Phoneme)**: وحدة الكلام الصغرى التي من شأنها أن تميز منطوقا من آخر في كل التنوعات أو التشكلات التي تتجلى بوساطتها في كلام شخص ما أو في لهجة واحدة.
- الفونيم التركيبي أو القطعي (نسبة إلى قطعة) (Segmantal Phoneme)
- **الفونيم غير التركيبي أو غير القطعي (بكسر القاف) (Suprasegmental Phoneme)**
- **الصوامت (Consonants)**: الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين في أثناء انتاجها إلى قدر كبير من التضييق والتوتر والاحتكاك والغلق في بعض الأحيان.
- **الحركات (Vowels)**: الأصوات التي يواجه معها تيار الهواء في أثناء خروجه من الرئتين ماراً بالاعضاء النطقية أقل قدر من التضييق والتوتر والاحتكاك.

11. المراجع

أ- المراجع العربية:

1- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ط2 . ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، 1983.

2- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، ط7 . القاهرة: دار المعارف، 1980.

3- بولجرام، في علم الأصّوات الفيزيقي. ترجمة: سعد مصلوح، القاهرة: مكتبة دار العلوم، 1977.

4- حجازي، محمود، مدخل إلى علم اللغة، ط2 . القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981.

5- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

6- شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، ط2. القاهرة: مطبعة المدني، 1977.

7- عبدالتواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ط2 . القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985.

8- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط1 . القاهرة: عالم الكتب، 1976.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Dinneen, F.P, An Introduction to General Linguistics. U.S.A: 1967.

2- Gleason, H.A, An Introduction to Descriptive Linguistics, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1975.

3- Hyman, L.M, Phonology: Theory and Analysis. New york: Holt, Rinchard and Winston, 1975.

4- Jones, D. The Phoneme: Its Nature and Use. Cambridge: Cambridge University Press, 1976.

5- Lyons, J., (Ed) New Horisons in Linguistics. England. Penguin Books Harmonds worth, Middlesex, 1975.

الوحدة الخامسة

الفونيمات التركيبية في اللغة العربية

محتويات الوحدة

الموضوع الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك في هذه الوحدة المهمة، من وحدات مقرر علم أصوات العربية، وأسعد الله أوقاتك كلها، ونحن نتناول موضوعات هذه الوحدة، التي تدور حول جانب صوتي مهمّ، من جوانب علم أصوات لغتنا العربية الشريفة، إنه جانب الفونيمات التركيبية بقسميها: الصوامت والحركات.

في هذه الوحدة المركزية، من هذا المقرر، سنتناول حديثاً ضافياً عن الصوامت، من حيث تصنيفها، وتوصيفها، وتصنيفها من منطلق هيئة النطق، وموضعه، وتصنيفها من منطلق الجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق، ثم القيام بوصفها صوتاً صوتاً، كما سنحاول إلقاء الضوء على نظرة العلماء القدماء والمحدثين، حول بعض الصوامت العربية، وما طرأ عليها من تطور وتغير صوتي.

وسيكون حديثنا عن الحركات، بعد ذلك، مشابهاً، في تناوله ودراسته، لحديثنا السابق عن الصوامت. فأهلاً بك، عزيزي الدارس، ومرحباً في هذه الوحدة، التي ستضيف إلى معلوماتك، بمتابعتك واستيعابك، فكراً صوتياً قيّماً، في ميدان الدرس اللغوي بعامة، والدرس اللغوي العربي بخاصة.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الدارس،

نتوقع منك، بعد دراسة هذه الوحدة، واستيعاب ما يرد فيها من موضوعات، وحل ما يتخللها من تدريبات وأسئلة، نتوقع منك أن تكون قادراً على أن:

1. تحدِّدَ المقصود بالفونيمات التركيبية بقسميها: الصوامت والحركات..
2. تذكرَ الأسسَ والمعايير التي تستطيع من خلالها، تصنيف الصوامت والحركات.
3. تصفَ الصوامت والحركات على نحوٍ يبرز الملامح التمييزية التي يتسم بها كل صوت منها.

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس،

جاءت هذه الوحدة مكونةً من قسمين هما:

القسم الأول: يتناول دراسة الصوامت من حيث أسس تصنيفها، وطرائق توصيفها، وما طرأ على بعضها من تطور في النطق المعاصر، بالقياس إلى نطق القدماء لها، ويحقق الهدفين (1، 2).

القسم الثاني: ويبحث في القسم الثاني من الفونيمات التركيبية، ونعني بها الحركات. وسيدور حديثنا عنها هنا، حول تصنيفها وتوصيفها أيضاً، ويحقق الهدفين (1، 2).

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس،

لقد حاولنا أن نجعل حديثنا، عن موضوعات هذه الوحدة، واضحاً ومتكاملاً،ومكتفياً بذاته إلى حدٍّ كبير. ومع ذلك، فإن موضوعات هذه الوحدة متشعبة، وأجزاءها متعددة، ولهذا، فإن تمكنك من فهم مواد هذه الوحدة واستيعابها، يحتاج منك إلى متابعةٍ دقيقةٍ لكل جزئيةٍ ترد فيها، ومحاولة الإجابة عن كل ما نقدمه لك، خلالها، من تدريباتٍ وأسئلة. وبالاضافة إلى ذلك، فإننا نوجهك، عزيزي الدارس، إلى أمرٍ في غاية الأهمية، وهو أن تعود إلى بعض المراجع، التي سنورد لك في نهاية هذه الوحدة ثَبَتاً بها، فتطالع ما يتخللها من فصول تتناول موضوعات هذه الوحدة بالدرس والتحليل.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس،

إن كل ما تحتاج إليه، وأنت بصدد دراسة هذه الوحدة، هو أن تتابع موضوعاتها، بالقراءة المستوعبة، وأن تتعامل مع تدريباتها وأسئلتها بالفهم والحل. ولن ننسى أن نذكرك، بما نصحناك به قبل قليل، وهو ضرورة العودة إلى بعض المصادر والمراجع التي تناولت موضوعات هذه الوحدة، إن رجوعك إليها سيغني فهمك، ويعزز معرفتك، دونما شك في ذلك.

2. الصوامت Consonants

عزيزي الدارس،

تحدثنا، في الوحدة السابقة، وهي الوحدة الرابعة، من مقرر علم أصوات العربية، عن أنواع الفونيم، وذكرنا، في تلك الوحدة، أن علماء الأصوات يقسمون الفونيم على قسمين رئيسين هما: الفونيم التركيبي، وهو ما نحن بصدد دراسته في هذه الوحدة، والفونيم غير التركيبي، وهو ما سنتحدث عنه، أو عن بعض ظواهره، في الوحدة الثامنة من هذا المقرر.

ونعتقد أنك، عزيزي الدارس، لا تزال تذكر التعريف الذي قدمناه لك في تلك الوحدة، للفونيم التركيبي. ومع ذلك، فلا مانع لدينا من إعادته وتكراره، مرةً أخرى، في مستهل هذه الوحدة الخاصة به، ففي الإعادة إفادة، وفي التكرار تثبيت للمعلومات، كما يقولون.

لقد ذكرنا، في تعريفنا للفونيم التركيبي، أنه الوحدة الصوتية، أو القطعة الصوتية Segmental Sound، التي تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق، وذكرنا، في تعريفٍ آخر له أيضاً، أنه ذلك العنصر الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة. ويشمل ذلك، بطبيعة الحال، الوحدات الصوتية المتمثلة بالصوامت Consonants، والوحدات الصوتية المتمثلة بالحركات Vowels، بالإضافة إلى وحدتي نصف الحركة Semi Vowel، الواو، والياء.

وسنقوم، في هذه الوحدة معاً، إن شاء الله تعالى، بدراسة هذين القسمين الرئيسين للفونيمات التركيبية، بشيءٍ من التوسع والتفصيل. وستكون بداية حديثنا، الآن، عن القسم الأول من الفونيمات؛ ونعني به الصوامت.

1.2 أسس تصنيف الصوامت

عزيزي الدارس،

من المعلوم، أن الأصوات اللغوية تختلف، فيما بينها، اختلافاً واضحاً، ويعود ذلك إلى عوامل متعددةٍ، وسنقصر الحديث، في هذا المجال، على بعض الأسس والمعايير التي تميز بين الصوامت، وهذه الأسس والمعايير هي:

1.1.2 هيئة النطق، أو كيفية تدخل أعضاء النطق في مجرى تيار الهواء المنتج للأصوات

تنقسم هيئة النطق المنتجة للصوامت العربية، حسب هذه الأسس، إلى الأقسام التالية:

1. الإغلاق Closure :

يقصد بالاغلاق هنا، التقاء عضوي نطق في موضع من مواضع النطق، بحيث يؤدي التقاؤهما إلى وقف تدفق تيار الهواء عند نقطة الالتقاء. ويتخذ هذا الاغلاق عدة أشكال هي:

أولاً: الاغلاق التام Complete Closure :

وفيه يتم التقاء عضوي نطق التقاءً تاماً، بحيث يؤدي ذلك إلى وقف كامل لتدفق تيار الهواء الصادر من الرئتين عند نقطة الالتقاء، ثم يعقب ذلك بانفصال العضوين الملتقيين بسرعة، وذلك بفعل ضغط الهواء المتراكم خلفهما، مما يؤدي إلى حدوث صوت قويّ له دويّ يسمى صوتاً انفجارياً Plosive Sound. وتمر هذه العملية النطقية المسماة بالانفجار بثلاث مراحل هي:

- مرحلة الحبس: وفيها يتم التقاء، أو، لنقل، التحام عضوي نطق في أحد مواضع القناة الصوتية.
- مرحلة الوقف: وفيها يستمر الالتقاء والالتحام مدةً من الزمن قد تطول وقد تقصر، بحسب الصوت المراد إصداره، في الوقت الذي يكون فيه الهواء في حالة تراكمٍ وضغطٍ خلف نقطة الالتقاء.
- مرحلة الانفجار: وفيها تنفصل أعضاء النطق، بعضها عن بعض، في حركة فجائية، مما يؤدي إلى اندفاع تيار الهواء المتراكم والمنضغط خلف نقطة الالتقاء، محدثا، في اندفاعه، صوتاً انفجارياً.

ويمكن تسمية هذه الأصوات الناتجة باعتبار المرحلتين الأولى والثانية أصواتاً وقفية Stop، ولكنها تسمى، باعتبار المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الانفجار، أصواتاً إنفجارية Plosives.

والصوامت الانفجارية، في اللغة العربية، هي: الهمزة، والباء، والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والقاف، والكاف.

ثانياً: الاغلاق المتقطع Intermittent Closure :

ويتمثل هذا النوع من الاغلاق في نوعين من الصوامت هما:

1. الصوامت التكرارية Trills/ Rolls :

يحدث هذا النوع من الصوامت، بناءً على سلسلةٍ متوالية من الاغلاقات والانفتاحات لمجري تيار الهواء، يقوم بها عضو نطقٍ مرنٍ هو، في الغالب، طرف اللسان Tip Of The Tongue، ويتم ذلك في أثناء اتصالاته المتوالية باللّثة، وذلك على نحو ما يحدث في صوت الراء الساكنة، أو الراء المشددة، في اللغة العربية، في نحو: مرٌّ عُمَرْ.

2. الصوامت اللمسية Taps/ Flaps :

وتحدث هذه الصوامت عندما تكون سرعة الاتصال والانفصال بين عضوي النطق المنتجين لهذا النوع من الأصوات كبيرةً، وذلك على نحو ما يحدث في الشكل السابق، أو في الحالة السابقة، وهي الحالة التي تنتج الصوامت التكرارية، غير أن الاتصال بين عضوي النطق في هذه الحالة، يحدث مرة واحدةً فقط، وليس مرات متكررةً، كما هو الحال في الاغلاق السابق [Crystal, A First Dictionary Of Linguistics And Phonetics, P: 147]

ومن أمثلة هذا النوع من الصوامت، في العربية، صوت الراء المتحركة في كلمة ضَرَبَ.

3. الإغلاق الجزئي Partial Closure :

يتمُّ هذا الاغلاق عند نقطةٍ ما في الفم، بحيث يتمكن الهواء من مواصلة التدفق عند أحد جانبي اللسان، أو كليهما. [المرجع السابق، ص: 204].

وتسمى الفئة الأولى، من هذا النوع من الأصوات، بالأصوات الجانبية الأحادية Unilateral Sounds، وتسمى الفئة الثانية، من هذه الأصوات، بالأصوات الجانبية الثنائية Bilateral Sounds، ومن أمثلة ذلك، في لغتنا العربية، صوت اللام، الذي يتم إنتاجه عندما يتصل طرف اللسان باللثة خلف الأسنان العليا، بحيث تنشأ عقبة، في وسط الفم، تمنع الهواء من المرور، إلا من منفذٍ يسمح للهواء بالانسياب من أحد جانبي الفم، أو كليهما. وهذا هو معنى الجانبيه في هذا النوع من الصوامت.

2. التضييق Narrowing :

قد لا ينطبق عضوا النطق المنتجان للصوت انطباقاً تاماً، وإنما يقتربان اقتراباً شديداً، بحيث يؤدي هذا الاقتراب إلى خروج الهواء من خلال العضوين المتقاربين، مع حدوث احتكاك مسموع. وتسمى الصوامت، التي تنتج بمثل هذه الطريقة، بالصوامت الاحتكاكية Fricatives.

وفي الإمكان حدوث هذا النوع من الصوامت في أي موضع من مواضع النطق، ابتداءً بالحنجرة، وانتهاءً بالشفتين، وإن كان هذا لا يعني تساوي الصوامت المختلفة المواقع في درجة الشيوع والاستعمال، حيث تعدُّ المخارج الأسنانية، والأسنانية اللثوية، والغارية، من أكثر المخارج المنتجة للصوامت الاحتكاكية.

.[Brosnahan and Malmberg, Introduction To Phonetics, P: 104]

وتتسم بعض الصوامت الناتجة بهذه الكيفية بكونها عالية الدرجة High Pitch بحيث تكون ذات صفةٍ هسيسية. ويدعى هذا النوع من الصوامت بالصوامت الصفيرية Sibilants، وذلك كما في أصوات السين، والشين، والزاي، والصاد.

ويتم إنتاج هذه الصوامت عن طريق حدوث تضييق أخدودي بين نصل اللسان، والجزء الخلفي من حافة اللثة، في حين يكون بعضها الآخر أقل اتّصافاً بهذه الظاهرة، وذلك على نحو ما في أصوات الفاء، والثاء، والظاء...، ويسمى هذا النوع من الصوامت الاحتكاكية، بالصوامت غير الصفيرية. [الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 24، ودراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 98].

والصوامت الاحتكاكية، في اللغة العربية، هي: الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والعين، والغين، والفاء، والهاء.

3. الإغلاق والتضييق:

يؤدي هذا النوع من تدخل أعضاء النطق، في تيار الهواء المنتج للأصوات، إلى إنتاج نوع من الصوامت المسماة بالصوامت المركبة Affricates، وهذا النوع من الصوامت، يمثل نمطاً صوتياً خاصاً، حيث يشترك في إنتاجها أكثر من طريقة تدخل في مجرى تيار الهواء. فهي صوامت تجمع بين طريقة التدخل الأولى، وهي طريقة الإغلاق التام، التي تؤدي إلى إنتاج الصوامت الانفجارية، وطريقة التدخل الثانية، وهي التضييق، التي تؤدي إلى إنتاج الصوامت الاحتكاكية.

بَيْدَ أن هذا النوع من الصوامت؛ أي الصوامت المركبة، يختلف عن الصوامت الانفجارية، في أن الانفصال بين العضوين المتصلين لا يكون انفصالاً تاماً، وإنما يكون انفصالاً خفيفاً بحيث يتبعه نوعٌ من الاحتكاك في نفس موضع النطق تقريباً، وذلك على نحو ما يحدث في أثناء إنتاج صوت الجيم العربية الفصحى (d3)، فهذا الصوت صوت مركب Affricate، الجزء الأول منه صوت قريب من الدال، والثاني صوت معطش كالجيم الشامية. [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص:126].

؟

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. حدد المقصود بمعنى الاغلاق، ثم اذكر أنواعه.
2. عدِّد الصوامت الاحتكاكية في اللغة العربية.
3. بين المراحل التي تمر بها عملية إنتاج الصوت الانفجاري.

تدريب (1)

عزيزي الدارس،

1. وضح الهيئة التي يتم بها إنتاج الصوت المركب.
2. بين السبب الذي تختلف من أجله الأصوات الاحتكاكية في نسبة صفة الاحتكاك فيها.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

تشتمل اللغة العربية الفصحى على صامت مركب واحد، هو "الجيم". ولهذا الصامت نظائر في لغات أخرى كالانجليزية التي تشتمل على الصامت المركب (ch) الذي ينطق به هكذا "تش" وذلك كما في كلمة "Chair" بمعنى كرسي، والألمانية التي يوجد فيها نظير له في مثل (Z) الذي ينطق به هكذا "تس" كما في كلمة "Zehn"، بمعنى عشرة، ونظير آخر في مثل (pf) الذي ينطق به هكذا "بف"، كما في كلة Pflanz، بمعنى نبات. [المدخل الى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ص: 34، وكذلك علم الأصوات، لمالبرج، ص: 104- 107].

2.1.2 مواضع النطق

عزيزي الدارس،

يمكننا تصنيف الصوامت العربية، من حيث المواضع التي يتم نطقها منها، إلى الأقسام التالية:

1. الموضع الشفوي الثنائي Bi- labial :

ويتم، في هذا الموضع، إنتاج الصوامت التالية: الباء /b/، والميم /m/، (والواو /w/).

2. الموضع الشفوي الأسناني Labio- Dental :

ويتم، في هذا الموضع، إنتاج صامت واحد هو الفاء /f/.

3. الموضع الأسناني Dental :

وفي هذا الموضع، يتم إنتاج صوامت الثاء /θ/، والذال /ð/، والظاء /ð/.

4. الموضع الأسناني اللثوي Denti Alveolar:

تنتج، في هذا الموضع، صوامت التاء /t/، والطاء /t/ والدال /d/، والضاد /d/، والسين /s/، والصاد /s/، والزاي /z/.

5. الموضع اللثوي Alveolar :

وتنتج، في هذا الموضع، صوامت اللام /l/، والراء /r/، والنون /n/.

6. الموضع الغاري Palatal :

وفي هذا الموضع، يتم إنتاج صامتي الشين /š/، والجيم /dʒ/، ونصف الحركة، أو نصف الصامت الياء /y/.

7. الموضع الطبقي Velum :

ويتم، في هذا الموضع، إنتاج صوامت الكاف /k/، والخاء /X/، والغين /o/، ونصف الحركة، أو نصف الصامت الواو /w/.

8. الموضع اللهوي Uvula :

وفي هذا الموضع ينتج صامتٌ واحدٌ فقط، هو القاف /q/.

9. الموضع الحلقي Pharyngeal :

وفي هذا الموضع ينتج صامتا الحاء /h/، والعين /c/.

10. الموضع الحنجري Glottal :

وينتج، في هذا الموضع، صامتا الهاء /h/، والهمزة /⊃/.

عزيزي الدارس،

لقد اتضح لك، مما سبق، أن مواضع نطق الصوامت، في العربية، وعددها ثمانيةٌ وعشرون صامتاً، تمتد، في الجهاز النطقي، على طول القناة الصوتية كلها، ابتداءً بالشفتين وانتهاءً بالحنجرة، وأن هذه الصوامت قد وُزِّعت على طول هذه القناة توزيعاً عادلاً على نحوٍ متوازن، فأكسبها ذلك نوعاً من الانسجام الصوتي الجميل، في حين أنك "تجد في لغاتٍ أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً، ولكنها محصورةٌ مخارجها في نطاقٍ أضيق، وفي مدرج أقصر، قد تجدها مجتمعة متكاثرة في جانب الشفتين، وما والاها من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة، أو تجدها متزاحمةً في جهة الحلق، وفي كلا الحالين ضيق في الأفق الصوتي، واختلالٌ في الميزان الصوتي، وفقدان لحسن الانسجام بسبب سوء توزيع الحروف" [فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد المبارك، ص: 250].

3.1.2 الجهر والهمس الدور الذي يقوم به الوتران الصوتيان

عزيزي الدارس،

يمكننا تصنيف الصوامت العربية إلى صوامت مجهورة، وأخرى مهموسة، وذلك بالاعتماد على الدور الذي يقوم به الوتران الصوتيان الموجودان في الحنجرة:

1. الصوامت المجهورة Voiced Consonants : يهتز بهما الوتران الصوتيان

ويقصد بها الصوامت التي يتذبذب، في أثناء النطق بها، الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار، وضيق مجرى الهواء، واقتراب الوترين الصوتيين اقتراباً يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز.

والصوامت المجهورة، في اللغة العربية، هي: الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، بالاضافة الى نصفي الحركة، أو نصفي الصامت: الواو والياء.

2. الصوامت المهموسة Voiceless Consonents : لا يهتز الوتران

ويقصد بها الصوامت التي لا يهتز، في أثناء النطق بها، الوتران الصوتيان نتيجة انبساط فتحة المزمار، واتساع مجرى الهواء، وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز.

والصوامت المهموسة، في اللغة العربية، هي: التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء.

3. الصوامت غير المجهورة وغير المهموسة :

ويشمل ذلك، فيما نرى، ويرى غيرنا أيضاً، صامتاً واحداً، في اللغة العربية، هو صامت الهمزة.

ولقد اختلف الباحثون في شأن هذا الصامت، فمنهم من اعتبره صامتاً مهموساً، حيث ينطبق الوتران الصوتيان، حال النطق به، انطباقاً تاماً، مما يؤدي إلى حبس الهواء خلفهما، ثم يطلق بفتحهما فجأة، وتأتي جهة الهمس، في هذا الصامت، من أن إقفال الوترين الصوتيين معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق. [مناهج البحث في اللغة، للدكتور، تمام حسان، ص: 97، وأصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 183].

ومن الباحثين من اعتبرها صوتاً لا هو بالمجهور، ولا هو بالمهموس، حيث إن مخرجها هو فتحة المزمار. فعندما يتلاحم الوتران الصوتيان، عند النطق بها، فإنهما يسدان فتحة المزمار، وهذا يعني أن الوترين الصوتيين يكونان مشغولين بآلية إحداث هذا الصوت، فلا هما مهتزان، شأنهما مع الأصوات المجهورة، ولا هما متباعدان، شأنهما مع الأصوات المهموسة، لذا، فإن هذا الصوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس. [الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 90 وعلم اللغة، للدكتور محمد السعران، ص: 171، وعلم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 112، وغيرهم].

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

عرفت، مما سبق، أن الصوت المجهور هو الصوت الذي يتذبذب، أو يهتز، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان، كما عرفت أيضاً، أن الصوت المهموس هو، على العكس من ذلك، الصوت الذي لا يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

وهنا، نود أن نضيف إلى معلوماتك شيئاً جديداً هو أن هناك عدة تجارب، يمكنك أن تجريها بنفسك، تستطيع من خلالها، أن تتعرف إلى طبيعة الصوت من حيث كونه مجهوراً أو مهموساً. ومن هذه التجارب:

1. أن تضع إصبعك فوق البروز الحنجري الكائن في صفحة العنق، وهو البروز المعروف بتفاحة آدم، ثم انطق بأحد الأصوات مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بأن تشكل الصوت، موضع التجربة، بالسكون، مثل: بْ. فإذا كان الصوت مجهوراً، فإنك، عزيزي الدارس، ستشعر باهتزازات الوترين الصوتيين على نحوٍ لا يحتمل الشك.

2. أن تضع اصبعين من أصابع يديك في أذنيك، ثم انطق بالصوت، على النحو السابق الذي فعلته به؛ أي مستقلاً عن غيره من الأصوات، فإن أحسست برنين، أو ضجةٍ في رأسك، فاعلم، عزيزي الدارس، بأنّه صوتٌ مجهور، وإلاّ فإنه يكون صوتاً مهموساً.
3. أن تضع كفك فوق جبهتك، وذلك في أثناء نطقك بالصوت، موضع الاختبار، فإن أحسست برنين الصوت، كان مجهوراً، وإلا كان العكس؛ أي مهموساً.

وتجدر الإشارة، عزيزي الدارس، إلى أن الرنين، الذي تحس به مع الصوت المجهور، هو، في الحقيقة، صدى ذبذبة الوترين الصوتيين.

اسئلة التقويم الذاتي (2)

1. حدد المخرج الذي يتصف بكثرة إنتاج الأصوات في العربية .
2. هناك مخرجان، ينتج عن كل واحد منهما في العربية، صوت واحد. حددهما، عزيزي الدارس، ثم عين الصوت الصادر عن كل منهما .
3. عرف الصوت المجهور، والصوت المهموس، مع التمثيل لكل منهما .

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

ذكرنا لك، في أثناء حديثنا عن تصنيف الصوامت، من حيث الجهر والهمس، أن الباحثين قد اختلفوا، في وصف الهمزة بالهمس، أو بعدم الهمس والجهر.

ولقد حاول الدكتور عبد الصبور شاهين أن يوفق بين الرأيين السابقين عندما قال: إنه لا تعارض بين كلا الرأيين، فكلاهما قد نفى عن الهمزة صفة الجهر، ولكن من وصفها بالهمس أخذ بالأثر السمعي، ومن وصفها بعدم الهمس والجهر أخذ بالوصف العضوي. [القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص: 24- 25].

4.1.2 التفخيم والترقيق

عزيزي الدارس،

يمكننا تصنيف الصوامت العربية، من حيث التفخيم والترقيق، إلى قسمين:

1. الصوامت المفخمة Velarized Consonants:

هي الصوامت التي يصاحب إنتاجها أثرٌ سمعي ناتج عن ارتفاع مؤخرة اللسان قليلاً إلى أعلى في اتجاه الطبق، ثم تتحرك قليلاً في اتجاه الجدار الخلفي للحلق، أو هو: أي التفخيم، صفة صوتية تنتج عن تراجع مؤخرة اللسان، بحيث يصير فراغ البلعوم الفموي ربع حجمه الطبيعي [العربية ولهجاتها، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 95، ومحاضرات في اللغة، للمؤلف نفسه، ص: 105].

ويطلق على هذا النوع من الصوامت اسم الصوامت المفخمة، أو الصوامت المطبقة.

وينقسم التفخيم، في اللغة العربية على قسمين:

- تفخيم كلي، ويشمل ذلك ثلاثة صوامت أسنانية لثوية هي: الصاد، والضاد، والطاء، وصامتا أسنانياً واحداً هو: الظاء.
- تفخيم جزئي، ويشمل ذلك صامتين طبقيين هما: الخاء، والغين، وصامتاً لهوياً، واحداً هو: القاف.

وقد أطلق علماؤنا القدماء، على هذين النوعين من الصوامت، مصطلح الأصوات المستعلية، أو أصوات الاستعلاء، وجمعوها بقولهم: خص، ضغط، قظ، وذلك في مقابل الأصوات المرققة الأخرى، التي أطلقوا عليها مصطلح الأصوات المستفلة، أو أصوات الاستفال.

وتجدر الإشارة إلى أن الأصوات المفخمة تفخيماً كلياً، هي أصواتٌ فيها مع استعلائها إطباق، أما الأصوات المفخمة تفخيماً جزئياً فلا إطباق فيها مع استعلائها. [سر صناعة الاعراب، لابن جني 1/70- 71].

كما تجدر الإشارة أيضا، عزيزي الدارس، إلى أن للصوامت المفخمة تفخيماً كاملاً مقابلاتٍ مرققةً، ولهذا يجب الفصل بين هذه الصوامت المتقابلة، حتى لا يقع لَبْسٌ دلاليٌ.

ويتمثل هذا التقابل على النحو التالي : ص- س

ض- د

ط- ت

ظ- ذ

أما الصوامت ذات التفخيم الجزئي، فليس لها مقابلاتٌ مرققةٌ، ولهذا، فإن اللغة تتساهل في ترقيقها، نظراً لأنه لا يترتب على ذلك تداخل فونيمي. [دراسة الصوت اللغويّ، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 279].

2. الصوامت المرققة Non Velarized Consonants :

يحدث الترقيق عندما يصاحب إنتاج الصامت ارتفاع مقدم اللسان في اتجاه الغار. ويطلق على ظاهرة الترقيق هنا مصطلح التغوير Palatalization. وللترقيق مفهومٌ آخر، في اللغة العربية، هو أنَّ الصامت المرقق هو الصامت غير المفخم، وبذلك تكون جميع الصوامت، في العربية، باستثناء الصوامت المفخمة، التي ذكرناها آنفاً، أصواتاً مرققة.

فائدة (4)

عزيزي الدارس،

هناك فرق كبير، يجدر بك أن تدركه، بين ما يسمى بالأصوات المفخمةً، أو الأصوات المطبقة، من جهة، والأصوات الطبقية، من جهة أخرى.

فالأصوات المطبقة، هي الأصوات التي ترتفع، في أثناء النطق بها، مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، بحيث لا تتصل به، في حين يجري النطق بها من مخرج أخر غير الطبق، يغلب أن يكون طرفُ اللسان أحدَ الأعضاء العاملة فيه؛ كالمخرج الأسناني اللثوي، مع الصاد، والضاد، والطاء، والمخرج الأسناني، مع الظاء.

أما الأصوات الطبقية، فهي الأصوات التي ترتفع في أثناء النطق بها، مؤخرة اللسان حتى تتصل بالطبق، فيسد المجرى، كما في صوت الكاف الانفجاري، أو يضيقه تضييقاً، يؤدي إلى احتكاك الهواء المار بهما؛ أي بالطبق ومؤخرة اللسان، في نقطة تقاربهما، فالطبقية، إذن، حركةٌ عضويةٌ مقصودةٌ لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضعٍ محايد. وعلى هذا يجب التفريق بين الأصوات الطبقية التي يكون الطبق مخرجاً أساسياً لها، والأصوات المطبقة التي يكون الطبق مخرجاً ثانوياً لها. [مناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، ص: 89].

فائدة (5)

عزيزي الدارس،

مر معك، في أثناء حديثنا عن التفخيم والترقيق، في اللغة العربية، أن الصوامت المفخمة من الدرجة الأولى، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، لها مقابلات، أو نظائر مرققة، هي: على التوالي، السين، والدال، والتاء، والذال.

وهنا، نريد أن نضيف إلى ثقافتك الصوتية، شيئاً آخر، يتمثل في أنّ:

* بعض الصوامت المجهورة في العربية، لها مقابلات أو نظائر مهموسة، فصوامت: الدال، والذال، والزاي، والضاد، والعين، والغين، صوامت مجهورة، ونظائرها المهموسة هي: التاء، والثاء، والسين، والطاء، والحاء، والخاء، على التوالي.

* بعض الصوامت المجهورة في العربية، ليس مقابلات أو نظائر مهموسة، وهذه الصوامت هي: الباء، والجيم، والراء، والظاء، واللام، والميم، والنون.

* بعض الصوامت المهموسة في العربية، ليس لها مقابلات، أو نظائر مجهورة، وهذه الصوامت هي: الشين، والصاد، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء.

اسئلة التقويم الذاتي (3)

> **عزيزي الدارس**
>
> **من خلال دراستك للتفخيم والترقيق، نطلب منك أن:**
>
> 1. تُعرِّفَ الصوت المفخَّم، والصوتَ المرقق، مع التمثيل لكل منهما.
> 2. تحدِّدَ نوعي التفخيم في اللغة العربية، والتمثيل لهما.

تدريب (2)

> **عزيزي الدارس،**
>
> ما هو معيار التفريق والتمييز بين الصوامت المطبقة، والصوامت الطبقية ؟

2.2 وصف الصوامت العربية

عزيزي الدارس،

استعرضنا، فيما سبق، المقصود بالفونيمات التركيبية، في اللغة العربية، وبينا الأسس التي نستطيع، بمقتضاها، التمييز بين أنواع القسم الأول من هذه الفونيمات، ونعني به الصوامت، وذلك من حيث هيئة النطق، ومواضع النطق، وكيفية التمييز بينها من حيث الجهر، والهمس، والتفخيم، والترقيق.

والآن سنحاول، معاً، العودة إلى الصوامت، لدراستها وتقديم وصفٍ وافٍ لها، وبيان الملامح التمييزية التي يتّسم بها كل صامت منها.

1. الهمزة /ʾ/ :

عند النطق بهذا الصامت؛ ونعني به همزة القطع، تقفل الفتحة التي بين الوترين الصوتيين، وهي فتحة المزمار، إقفالاً تاماً، مما يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، عبر القصبة الهوائية، فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران الصوتيان، فيخرج الهواء فجأةً عبر المزمار Glottisمحدثاً صوتاً انفجارياً Plosive Sound، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، "إذ إن وضع الأوتار الصوتية، حال النطق بها، لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر، أو ما يسمى بالهمس". [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 112].

فالهمزة صامت: رئوي، مستخرَج أو طَردي، فموي، حنجري، انفجاري، ليس بمهموس ولا مجهور.

وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأصوات الكلامية العربية هي أصوات رئوية مستخرجة طردية؛ بمعنى أن تيار الهواء، المنتج لها، هو تيار هواء رئوي، وأن هذا التيار الهوائي الرئوي، من النوع المستخرج، أو الطردي Egressive. وهذا يعني أنه لا علاقة لآلية تيار الهواء الحنجري، أو آلية تيار الهواء الطبقي أو الفموي، في إنتاج الأصوات العربية. ولهذا، فإننا في غنى عن ذكر هذين الملمحين: الرئوي، والمستخرج الطردي؛ في أثناء ذكر الملامح الصوتية لكل صامت من صوامت العربية التالية.

2. الباء /b/ :

ينتج هذا الصامت، عندما تقفل الشفتان إقفالاً تاماً أمام تيار الهواء، ويصاحب ذلك رفع الحنك الليّن Soft Palate، أو ما يسمى أيضاً بالطبق Velum، حتى لا يخرج الهواء من التجويف الأنفي، الأمر الذي يؤدي إلى حبس الهواء في التجويف الفموي مدةً من الزمن، ثم تنفرج الشفتان، فيندفع الهواء من بينهما فجأةً محدثاً صوتاً انفجارياً. ويتذبذب في أثناء النطق بهذا الصامت، الوتران الصوتيان، فيكسبانه صفة الجهر.

فالباء صامت: فموي، شفوي ثنائي، انفجاري، مجهور.

وتجدر الإشارة إلى أنّ جميع الأصوات العربية، باستثناء صوتي الميم والنون، هي أصوات فموية، يتم إنتاجها عندما يرتفع الطبق إلى أعلى، مما يؤدي الى خروج تيار الهواء المنتج للصوت من خلال التجويف الفموي.

وقد يتعرض هذا الصامت المجهور، في بعض السياقات النطقية، الى التهميس. ولهذا، ومن أجل المحافظة على خاصة الجهر، في الباء العربية، فقد أضاف إليه قدماء اللغويين العرب، من أمثال سيبويه، "صُوَيْتاً" قصيراً، وذلك فيما يعرف بظاهرة القلقلة. [في التطور اللغوي، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص: 249].

3. التاء /t/ :

يتكون هذا الصامت، عندما يحتبس تيار الهواء المنتج له احتباساً تاماً خلف منطقة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، ثم يبتعد اللسان فجأة عن نقطة الالتقاء، مما يؤدي إلى انطلاق الهواء محدثاً صوتاً إنفجارياً، غير مصحوب بذبذبة في الوترين الصوتيين.

فالتاء صامت: فموي، أسناني لثوي، انفجاري، مهموس، مرقق.

ويعدُّ صوتُ الدال النظير المجهوّر لصوت التاء، كما يعد صوت الطاء النظير المفخم له.

4. الثاء /θ/ :

ينتج هذا الصامت عند وضع اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، بحيث يكون معظم جسم اللسان مستوياً. ويتكون، عند منطقة التضييق، منفذٌ ضيق يمرُّ من خلاله، تيار الهواء المنتج لهذا الصامت محدثاً صوتاً احتكاكياً، لا يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

فالثاء صامت: فموي، أسناني، احتكاكي، مهموس.

ويعد صوت الذال النظير المجهور لهذا الصوت.

5. الجيم /dʒ/ :

يتم انتاج هذا الصامت، في العربية الفصحى، عندما يرتفع مقدم اللسان في اتجاه مؤخر اللثة، ومقدم الغار، حتى يتصل بهما، مما يؤدي الى احتباس تيار الهواء خلف منطقة الاتصال، غير أن انفصال العضوين المتصلين لا يتم فجأة، على نحو ما يحدث في الصوامت الانفجارية المحضة، وإنما يتم ببطء، فيعطي الفرصة للهواء، بعد الانفجار، أن يحتك بالأعضاء المتباعدة احتكاكاً شبيهاً بما يسمع من صوت الجيم الشامية. [مناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، ص: 103- 104]. ولذا، فإن هذا الصامت يجمع بين الانفجار والاحتكاك؛ بمعنى أنه يبدأ انفجارياً، وينتهي احتكاكياً.

فهذا الصامت إذن، صامت مركب Affricate Consonant، الجزء الأول منه صوتٌ قريبٌ من الدال، والثاني صوت معطش كالجيم الشامية [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص:126].

وتجدر الإشارة، إلى أن الوترين الصوتيين يكونان، في أثناء النطق بهذا الصامت، في حالة ذبذبة، فيكسبانه صفة الجهر، كما أنه يعدُّ من أصوات القلقلة أيضاً.

فالجيم الفصحى صامت: فموي، لثوي غاري، مركب (انفجاري احتكاكي) مجهور.

6. الحاء /ħ/ :

يتكون هذا الصامت عند تضييق الفراغ الحلقي من فوق الحنجرة، بحيث يُحْدِثُ مرورُ تيار الهواء احتكاكاً مسموعاً في المضيق الحلقي، دون أن يحدث ذلك ذبذبةً في الوترين الصوتيين.

فالحاء صامت: فموي، حلقي، احتكاكي، مهموس.

ويعد هذا الصامت النظير المهموس للعين.

7. الخاء /x/ :

عند النطق بهذا الصامت، تقترب مؤخرة اللسان من الطبق، بحيث يسبب قربهما احتكاك الهواء الخارج بينهما، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حين النطق به.

فالخاء صامت: فموي، طبقي، احتكاكي، مهموس.

ويعد هذا الصامت المقابل المهموس للغين.

فائدة (6)

عزيزي الدارس،

يرى اللغوي الفرنسي جوزيف فندريس، أنّ صوت الجيم المركب، وما كان على شاكلته يعدّ من الأصوات المتوسطة بين الأصوات الانفجارية، والأصوات الاحتكاكية. ويذكر هذا اللغوي، أن هذا النوع من الأصوات يسمى أصواتاً شبه انفجارية، أو انفجارية احتكاكية. وينصّ على أن هذه الأصوات تتميز بالاغلاق الذي لا يستمر إحكامه، وأن فيها، كما في الأصوات الانفجارية، حَبْساً، ولكن هذا الحَبْسَ تتبعه حركةٌ خفيفة من الفتح بحال يجعل الانفجاري ينتهي بالاحتكاكي، ثم ينصُّ صراحةً على أنّ هذا الصوت الانفجاري الاحتكاكي هو انفجاري فاشل. [اللغة، لفندريس، ص: 50].

عزيزي الدارس،

ننصحك بالاطلاع على هذا الكتاب اللغوي، ففيه مادة لغوية وصوتية غزيرة، وهو، أي الكتاب، مترجم إلى العربية، وقد قام بتلك الترجمة الأستاذان عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص.

فائدة (7)

عزيزي الدارس،

لصوت الجيم العربية الفصحى نظائر لها في لغات أخرى، كما ذكرنا لك في موضع سابق. ولكن ألا تعتقد معنا، أنّ بعض لهجاتنا العربية المحلية، تشتمل على مثل هذا الصوت المركب، وذلك كما في نطق معظم أبناء الريف عندنا، في فلسطين، على سبيل المثال، لصوت الكاف العربية، هذا الصوت الذي نسمعه، على لسان أولئك الناطقين، هكذا: تْشْ، أي على غرار الصوت الانجليزي (ch)، وذلك فيما يعرف بظاهرة الكشكشة التي تنسب إلى قبيلتي ربيعة ومضر.

وإذا أردت أن تتأكد، عزيزي الدارس، من ذلك بنفسك، فما عليك إلا أن تَسْتَمعُ إلى أحد الناطقين، من تلك البيئة، وهو ينطق كلمات مثل: كبير، و: كيف، وكلب، وكتف، وغيرها كثير.

فائدة (8)

عزيزي الدارس،

لقد استثقل كثير من الناطقين العرب النطق بصوت الجيم الفصحى، ويعود ذلك إلى أن النطق بهذا الصوت يستدعي نوعين من تدخل أعضاء النطق في مجرى تيار الهواء المنتج للأصوات، وهذان النوعان هما، على التوالي:

- الاغلاق التام، الذي ينتج صوتاً قريب الشبه بصوت الدال، أو هو صوت الدال نفسه.
- التضييق، الذي ينتج صوتاً معطشاً قريب الشبه بالجيم الشامية، أو هو صوت الجيم الشامية نفسه.

ويتم النطق بصوت الجيم المركب، بنوعي التدخل السابقين، في فترة زمنية واحدة لا تصلح إلا للنطق بصوت واحد.

ولهذا، فقد استثقل أولئك الناطقون هذا الصوت، وحوّلوه، في لهجاتهم، إلى تنوعات صوتية، أو، لنقل، إلى "ديافونات" أحادية بسيطة:

1. ففي فلسطين، وسوريا، ولبنان، على سبيل المثال، حذف معظم الناطقين بهذا الصوت المركب، الجزء الأول منه، وهو الجزء الانفجاري، وحافظوا على جزئه الثاني، وهو الجزء الاحتكاكي؛ أي أنهم طرحوا، من نطقهم، الصوت القريب من الدال، ونطقوا جزأه الثاني، وهو الجيم المعطشة، التي يطلق عليها أيضاً اسم الجيم الشامية، نسبة إلى بلاد الشام التي ينطق أهلها هذا الصوت على النحو الذي وصفناه الآن.

2. وفي مصر، وعلى وجه التحديد، في منطقة الصعيد، قام الناطقون هناك، بعملية عكسية لما قام به أهل فلسطين، وسوريا، ولبنان بعامة، فقد حافظوا، في نطقهم لهذا الصوت، على الجزء الأول منه، وهو الصوت الانفجاري، وطرحوا الجزء الثاني، وهو الجزء الاحتكاكي. لذلك، فإننا نسمع كثيرين منهم ينطقون كلمةً مثل: جيش، وكلمةً مثل: جاموسة، هكذا: ديش، وداموسة، على التوالي.

3. وفي مصر أيضاً، وعلى وجه التحديد، في منطقة القاهرة، وفي بعض مناطق اليمن أيضاً، قام الناطقون باستبدال هذا الصوت المركب كلياً، وحولّوه، إلى ما يعرف بالجيم القاهرية (g)، وهو صوت الكاف مجهوراً.

4. وفي منطقة الخليج العربي بعامة، حول الناطقون، أو معظمهم، هذا الصوت، إلى صوت قريب الشبه جداً بالياء، ولذلك، فإننا نسمعهم في أحاديثهم، ومسلسلاتهم الإذاعية والتلفازية ينطقون كلمات مثل: شجرة، و: مسجد، و: دجاج، و: مجنون، هكذا: شيرة، و: مسيِد، و: دياي، و: مينون، على التوالي.

8. الدال /d/ :

ينتج هذا الصامت، عندما يحتبس تيار الهواء المنتج له احتباساً تاماً خلف منطقة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، ثم يبتعد اللسان فجأة عن نقطة الالتقاء، مما يؤدي الى انطلاق الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

فالدال صامت: فموي، أسناني لثوي، انفجاري، مجهور، مرقق.

وهذا الصامت هو أحد أصوات القلقلة. ويعد النظير المجهور لصوت التاء. ومن جهة أخرى، يعتبر صوت الضادالنظير المفخم له في النطق العربي المعاصر. أما علماؤنا القدماء، فكانوا يعدون الطاء النظير المفخم للدال، وهذا واضح من كلام سيبويه: "لولا الاطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها". [كتاب سيبويه، 4/436].

9. الذال /ð/ :

يتم انتاج هذا الصامت، عند وضع طرف اللسان بين أطراف الثناياالعليا والسفلى، بحيث يكون معظم جسم اللسان مستوياً، ثم يمرُّ تيار الهواء عبر منفذ ضيق من منطقة الاقتراب، محدثاً صوتاً احتكاكياً، يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

فالذال صامت: فموي، أسناني، احتكاكي، مجهور.

ويعد هذا الصامت المقابل المجهور للثاء، والنظير المرقق للظاء.

10. الراء /r/ :

عند النطق بالراء المشددة، أو الساكنة، في نحو: مدٌّ عُمَرْ، تتتابع طرقات اللسان على اللثة عدة مرات، فتسمع الراء على صورة سلسلةٍ من الانحباسات والانفجارات المتوالية. ولهذا السبب كان قدماء اللغويين العرب يطلقون على هذه الراء اسم الصوت المكرر. [سر صناعة الإعراب، لابن جني 72/1].

أما عند النطق بالراء المتحركة، في نحو هَرَبَ، فإنَّ طرف اللسان يلتقي باللثة، ثم يفارقها بمجرد لمسها، فتُسْمَعُ هذه الراء على صورة انحباسٍ وانفجارٍ متواليين. ويطلق على هذه الراء اسم الراء اللمسية.

فالراء صامت: فموي، لثوي، مكرر أو لمسي، مجهور، مائع، ذو وضوح سمعي.

11. الزاي /z/ :

عند النطق بالزاي، ترتفع مقدمة اللسان في اتجاه اللِّثَةِ العليا، مع وجود منفذ ضيق يتسرب منه تيار الهواء محدثاً صوتاً احتكاكياً يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

ومن الجدير بالذكر، أن إنتاج هذا الصامت يكون مصحوباً بظاهرة التقوس اللساني الذي يتخذ شكل أخدود Groove. وبهذه الظاهرة تتميز الصوامت الاحتكاكية الصفيرية Sibilants، من الصوامت الاحتكاكية الأخرى.

فالزاي صامت: فموي، أسناني لثوي، احتكاكي، مجهور، صفيري.

ويعد هذا الصامت النظير المجهور للسين.

12. السين /s/ :

يتم نطق هذا الصامت بالكيفية التي ينطق بها الصامت السابق، وهو الزاي، مع فارق عدم تذبذب الوترين الصوتيين في أثناء النطق بالسين.

فالسين صامت: فموي، أسناني لثوي، احتكاكي، مهموس، مرقق، صفيري.

ويعد هذا الصامت النظير المهموس للزاي، والنظير المرقق للصاد.

13. الشين /š/ :

يقترب، عند النطق بهذا الصامت، مقدم اللسان من مقدم الغار ومؤخر اللثة، ويمر تيار الهواء في منطقة الاقتراب عبر منفذٍ ضيقٍ دون حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الصامت صامتٌ صفيري كالزاي والسين، إلاّ أن درجة التقوس اللساني معه، أي مع الشين، تكون قليلة نسبياً. ومن ناحية أخرى، فإن المنفذ، الذي يمر فيه تيار الهواء، مع الشين، يكون أوسع نسبياً من ذلك المنفذ الذي يمر فيه تيار الهواء،

مع السين. [الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 77]. ولذلك، فقد نعته اللغويون القدماء بصفة الاستطالة والتفشّي. [كتاب سيبويه 1/ 457].

فالشين صامت: فموي، غاري، احتكاكي، مهموس، صفيري.

14. الصاد /s/ :

يتكون هذا الصامت بالكيفية التي يتكون بها صامت السين، مع فارق التفخيم الذي تتسم به الصاد، والذي ينتج عن ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، ورجوعه في اتجاه الجدار الخلفي للحلق، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بهذا الصامت.

فالصاد صامت: فموي، أسناني لثوي، احتكاكي، مهموس، مفخم، صفيري.

ويعد هذا الصامت النظير المفخم للسين.

15. الضاد /d/ :

يتكون هذا الصامت على نحوٍ مماثل للطريقة التي يتكون بها صامت الدال، إلاّ أنه يختلف عن الدال، بصفة التفخيم، التي تتم، كما ذكرنا، قبل قليل، عن طريق رفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وبصفة الجهر، الناتجة عن ذبذبة الوترين الصوتيين.

فالضاد صامت: فموي، أسناني لثوي، انفجاري، مجهور مفخم.

ويعد هذا الصامت النظير المفخم للدال، والنظير المجهور للطاء.

16. الطاء /t/ :

يتمُّ انتاج هذا الصامت بالكيفية التي يتم بها انتاج التاء، مع فارق التفخيم في الطاء، حيث تتخذ مؤخرة اللسان مع الطبق، في أثناء النطق به، الوضع الذي سبق ذكره، في صوتي الصاد والضاد. ولا يتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء النطق بهذا الصامت.

فالطاء صامت: فموي، أسناني لثوي، انفجاري، مهموس، مفخم.

ويعد هذا الصامت النظير المهموس للضاد، والنظير المفخم للتاء، كما أنه يعد من أصوات القلقلة في العربية.

17. الظاء /ð/ :

يتكون هذا الصامت بالكيفية التي يتكون بها صوت الذال، غير أن هذا الصامت؛ أي الظاء، يعدُّ من الصوامت المفخمة في العربية، حيث تتّخذ مؤخرة اللسان، في أثناء النطق به، الوضع الذي تتخذه مع الصاد، والضاد، والطاء، والذي وصفناه لك، عزيزي الدارس، غير مرّة. ويتذبذب في أثناء النطق بهذا الصامت، الوتران الصوتيان.

فالظاء صامت: فموي، أسناني، احتكاكي، مجهور، مفخم.

ويعد هذا الصامت النظير المفخم للذال.

18. العين /c/ :

يتكون هذا الصامت بالطريقة التي يتكون بها صامت الحاء، مع فارق ذبذبة الوترين الصوتيين في أثناء إنتاج هذا الصامت؛ أي العين.

فالعين صامت: فموي، حلقي، احتكاكي، مجهور.

ويعد هذا الصامت النظير المجهور للحاء.

19. الغين /ġ/ :

يتم إنتاج هذا الصامت بالكيفية التي يتمُّ بها انتاج الخاء، مع فارق ذبذبة الوترين الصوتيين المصاحبة لانتاج هذا الصامت؛ أي الغين.

فالغين صامت: فموي، طبقي، احتكاكي، مجهور.

ويعد هذا الصامت النظير المجهور للخاء.

20. الفاء /f/ :

يتم إنتاج هذا الصامت عن طريق ملامسة الشّفة السفلى، أو باطن الشفة السفلى للأسنان العليا، بحيث يسمح لتيار الهواء بالمرور بين هذين العضوين محدثاً صوتاً احتكاكياً لا يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

فالفاء صامت: فموي، شفوي أسناني، احتكاكي، مهموس.

وليس لهذا الصامت نظير مجهور في العربية، وإنما النظير المجهور له هو صامت الفاء /v/، وهو صامت موجود في بعض اللغات الأجنبية كاللغة الانجليزية في نحو كلمة Victory.

21. القاف /q/ :

يتكون هذا الصامت بوساطة التقاء أقصى اللسان مع أدنى الحلق واللهاة، مما يؤدي الى احتباس تيار الهواء خلف منطقة الالتقاء، ثم تنفصل هذه الأعضاء، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً لا يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

فالقاف صامت: فموي، لهوي، انفجاري، مهموس.

ويعد هذا الصامت من أصوات القلقلة في اللغة العربية.

22. الكاف /k/ :

يتم إنتاج هذا الصامت عندما يلتقي أقصى اللسان بالطبق، مما يؤدي إلى احتباس تيار الهواء خلف نقطة الالتقاء، ثم ينفصل العضوان الملتقيان، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان.

فالكاف صامت: فموي، طبقي، انفجاري، مهموس.

ويعد هذا الصامت النظير المهموس لصوت الجيم القاهرية (g).

23. اللام /l/ :

عند النطق بهذا الصامت، يتصل طرف اللسان باللثة خلف الأسنان العليا، بحيث تنشأ عقبة، في وسط الفم، تمنع تيار الهواء من المرور إلا من منفذ يسمح للهواء بالانسياب من أحد جانبي الفم، أو كليهما، وهذا هو معنى الجانبية Lateral في هذا الصامت. ويكون الوتران الصوتيان، في أثناء النطق باللام، في حالة ذبذبة.

فاللام صامت: فموي، لثوي، جانبي، مجهور، مائع، ذو وضوح سمعي.

24. الميم /m/ :

عند النطق بهذا الصامت، تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً. فتحدث عقبة على نحو ما يحدث في أثناء النطق بالصوامت الانفجارية، غير أن تيار الهواء المنتج لهذا الصامت، يمضي، بعد خفض الحنك اللين، وهو الطبق، إلى التجويف الأنفي Nasal Cavity، فيُحْدِثُ صوتاً سمّاه العلماء العرب القدماء باسم الغُنَّة. ويتذبذب، في أثناء النطق بهذا الصامت، الوتران الصوتيان.

فالميم صامت: أنفي، شفوي ثنائي، مجهور، مائع، ذو وضوح سمعي.

25. النون /n/ :

يلتقي، عند النطق بهذا الصامت، طرف اللسان باللثة خلف الثنايا العليا، فتحدث عقبة على نحو ما يحدث في الصوامت الانفجارية، ولكن تيار الهواء المنتج لهذا الصوت، يمضي، بعد خفض الحنك اللين، وهو الطبق، إلى التجويف الأنفي محدثاً صوتاً أطلق عليه القدماء من لغويي العرب اسم الغنة أيضاً. ويتذبذب في أثناء النطق بالنون، الوتران الصوتيان.

فالنون صامت: أنفي، لثوي، مجهور، مائع، ذو وضوح سمعي.

؟

أسئلة التقويم الذاتي (4)

عزيزي الدارس،

1. عَدِّد الملامح التمييزية للصوامت التالية :

الباء، والراء، والقاف.

2. وضح الكيفية التي يتم بوساطتها نطق الصوامت التالية :

الحاء، والسين، واللام.

تدريب (3)

عزيزي الدارس،

1. لقد وصف القدماء من اللغويين العرب أصوات: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال، بأنها أصوات قلقلة. فما هو المقصود بظاهرة القلقلة في الوصف القديم لهذه الأصوات ؟
2. كما وصفنا لك أصوات اللام والراء والميم والنون، بأنها من الأصوات المائعة، وأنها ذات وضوح سمعي، فماذا نعني بذلك ؟

تدريب (4)

1. يطرأ ملمح التفخيم على نطق صوت الراء، في بعض السياقات النطقية، حاول، عزيزي الدارس، رصد الحالات التي يطرأ، خلالها، هذا الملمح، على صوت الراء.
2. كما يطرأ هذا الملمح أيضاً، على نطق صوت اللام، في بعض السياقات النطقية. حاول، عزيزي الدارس، رصد الحالات التي يطرأ، خلالها، ملمح التفخيم، على هذا الصوت.

26. الهاء /h/ :

يتخذ الفم، عند النطق بهذا الصامت، الوضع المناسب لنطق حركة Vowel، كالفتحة على سبيل المثال، ويمر تيار الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين في الحنجرة، محدثاً صوتاً احتكاكياً، ولا يكون الوتران الصوتيان، في أثناء النطق بهذا الصامت، في حالة ذبذبة.

فالهاء صامت: فموي، حنجري، احتكاكي، مهموس.

27. الواو /w/ :

عند النطق بالواو، في مثل كلمة "ولد"، تقترب مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق اقتراباً يسمح لتيار الهواء بالمرور دون إحداث احتكاك مسموع. وتضم الشفتان ضماً دون الإقفال، مع نتوئها إلى الأمام، ويتذبذب الوتران الصوتيان، في أثناء مرور الهواء بالحنجرة عند انتاج هذا الصوت.

فالواو صوت: فموي، نصف صامت، أو نصف حركة، طبقي (شفوي ثنائي) مجهور.

28. الياء /y/ :

عند النطق بالياء، في مثل كلمة "يلد"، يقترب مقدم اللسان تجاه الغار اقتراباً يسمح لتيار الهواء بالمرور دون إحداث احتكاك مسموع. وتفتح الشفتان، ويتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء مرور الهواء بالحنجرة عند إنتاج هذا الصوت.

فالياء صوت: فموي، نصف صامت، أو نصف حركة، غاري، مجهور.

عزيزي الدارس،

لقد طالت رحلتنا معاً، ونحن نقوم بعملية تصنيف الصوامت العربية وتوصيفها، ولكنها رحلةٌ كانت، في تقديرنا، ممتعةٌ وشائقةٌ، لأننا تعرفنا، في أثنائها، إلى جانب عملي مهمٍ من جوانب الدرس الصوتي، المتمثلة في كيفية إنتاج كل صامت من تلك الصوامت، والملامح التي يتصف بها.

غير أننا نودّ أن نشير، في نهاية حديثنا عن هذا الجانب الصوتي المهم، إلى مسألة ضرورية، هي أن صوتي الواو والياء، في مثل: ولد، وَ: يلد، يُعدّان من قبيل أنصاف الصوامت Semi Consonants، أو أنصاف الحركات Semi Vowels، وهذا يعني أن هذين الصوتين لا ينتميان كلياً إلى الصوامت من جهة، أو إلى الحركات من جهة أخرى، وإن تمثلت فيهما بعض خصائص هذين النوعين. ولذلك، فإنهما يبقيان محتفظين بخصائصهما المستقلة التي تفردهما عن كلا النوعين:

ففي أثناء نطق كل من الواو والياء، يكون المجرى، الذي يمرُّ فيه تيار الهواء المنتج لهذين الصوتين، أوسع من الوضع الذي يكون عليه، في أثناء إنتاج الصوامت الاحتكاكية؛ بمعنى أن التضييق الذي يتعرض له هذان الصوتان يكون أقلّ من مقابله الذي تتعرض له الصوامت الاحتكاكية.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا التضييق، الذي يتعرض له تيار الهواء، في أثناء إنتاج هذين الصوتين، الواو، والياء، يكون أكثر من مقابله الذي تتعرض له أصوات الحركات Vowels، ذلك أن تيار الهواء يمر، في أثناء النطق بالحركات، على نحوٍ متتابع مستمر، دون أن يتعرض إلى تدخل يعيقه، أو يُضَيِّقُ مجراه، كما هو الحال في الصوامت، أو يضييق مجراه نسبياً، كما هو الحال في أثناء النطق بصوتي الواو والياء. ولذلك، فإن هذين الصوتين يصنّفان معاً تصنيفاً نوعياً في مقابل كلٍّ من الصوامت والحركات.

عزيزي الدارس،

إن هذا الكلام يذكرنا، بما سبق لنا أن درسناه معاً في الوحدة السابقة، وهي الوحدة الرابعة، من هذا المقرر، وعلى وجه التحديد في [1.6]، عندما ذكرنا لك هناك، بأننا نستطيع تصنيف الأصوات العربية، من الناحية الفوناتيكية، إلى ثلاثة أقسام هي: الصوامت Consonants، والحركات Vowels، وأنصاف الحركات Semi Vowels.

إن تصنيفنا السابق للواو، والياء، واعتبارهما نصفي حركة، يستند الى الناحية الفوناتيكية المحضة، غير أننا نستطيع أن نصنفهما مع الصوامت إذا ما استندنا، في عملية التصنيف، إلى الناحية الفونولوجية الوظيفية، وإذا ما رجعت، عزيزي الدارس، إلى ما ذكرناه لك، في الوحدة الرابعة أيضاً، وعلى وجه التحديد في [2.6]، فإنك سترى أننا اعتبرنا الواو والياء ضمن الأصوات الصامتة، وذلك لأنها لا تشغل ، من الناحية المقطعية، موقع نواة المقطع في بنية الكلمة العربية، كما هو الحال مع الحركات، وإنما تشغل مواقع المطلع Onset، والخاتمة Coda، كما هو الحال مع الصوامت.

ومن هذا المنطلق، فقد صنفنا لك الأصوات العربية، في ذلك الموقع من مقرر علم أصوات العربية، وهو الوحدة الرابعة، إلى قسمين اثنين فقط هما:

1. الأصوات الصامتة: وتشمل الصوامت العربية Consonants، وأنصاف الحركات Semi Vowels وتشغل هذه الأصوات، بنوعيها، مواقع المطلع والخاتمة فقط في بنية المقطع العربي.
2. أصوات الحركات Vowels: وتشمل الفتحة، والكسرة، والضمة، قصيرة وطويلة، وهي تشغل موقع النواة فقط في بنية المقطع العربي.

عزيزي الدارس،

سنقدم لك، فيما يلي، جدولاً مفصلاً يبين لك الصوامت العربية، وأنصاف الصوامت، أو أنصاف الحركات، وهو المصطلح الأكثر شهرة لها، وأنت قادرٌ، من خلال القراءة الأفقية والعمودية لهذا الجدول، دونما شك، على أن تستخلص الملامح التمييزية، والخصائص المختلفة لكل صامت من الصوامت التي يشتمل عليها هذا القسم من أقسام الفونيمات التركيبية في اللغة العربية.

مخارج الأصوات	صفات الأصوات													
	انفجاري (شديد)					احتكاكي (رخو)				مركب	خلاف ذلك			
	مجهور		مهموس		لامجهور ولامهموس	مجهور		مهموس		مجهور	مجهور			
	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم		مرقق	مفخم	مرقق	مفخم		جانبي	تكراري	أنفي	نصف الحركة
شفوي	ب												م	(و)
شفوي أسناني								ف						
أسناني						ذ	ظ	ث						
أسناني لثوي	د	ض	ت	ط		ز		س	ص					
لثوي											ل	ر	ن	
غاري								ش		ج				ي
طبقي			ك			غ		خ						(و)
لهوي			ق											
حلقي						ع		ح						
حنجري					ء			هـ						

ملاحظة:

1) يمكننا تصنيف الواو ضمن الأصوات الشفوية، والأصوات الطبقية.

2) تعتبر الهمزة، من وجهة نظر هذه الدراسة، صوتاً غير مجهور وغير مهموس.

تدريب (5)

1. يطلق بعض الدارسين على أصوات اللام، والراء، والميم، والنون، مصطلح "أشباه حركات"، لاحظ، عزيزي لادارس، أننا نقول: "أشباه حركات"، لا "أنصاف حركات". فما هو السبب الذي دعاهم الى ذلك ؟
2. تُصَنّف الأصوات العربية الى نوعين رئيسين هما:
   - الأصوات الفموية Oral Sound :
   - والأصوات الأنفية Nasal Sound :

   فهل تعرف، عزيزي الدارس، العضو المعين، في جهاز النطق، الذي يقوم بدور رئيس في إنتاج هذين النوعين من الأصوات والتمييز بينهما ؟

فائدة (9)

عزيزي الدارس،

وصف القدماء، من لغويي العرب، صوت الواو بأنه صوت شفوي، أو بأنه صوت من بين الشفتين. وقد دعاهم إلى ذلك وضع الشفتين عند النطق بهذا الصوت، حيث تكونان في وضع استدارة.

ولكن هذا الوصف غير دقيق، فعلى الرغم من استدارة الشفتين، في أثناء النطق بالواو، إلا أن آلية إنتاجها تتم، كما أثبت الدرس الصوتي الحديث، عندما تقترب مؤخرة اللسان تجاه الطبق اقتراباً لا يؤدي إلى حدوث احتكاك تيار الهواء المنتج لها عند مروره بين هذين العضوين المتقاربين، لذلك، فإن الوصف المخرجي الدقيق لهذا الصوت هو أنه صوت طبقي، لا شفوي.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

عزيزي الدارس،

1. حاول أن تتلمس الملمح التمييزي الوحيد الذي يفرق بين أزواج الصوامت التالية :
   - الخاء والغين.
   - الحاء والعين.
   - التاء والطاء.
   - الدال والضاد.
2. وحاول أيضاً أن تتلمس شبكة العلاقة القائمة بين الأصوات التالية :

   السين - مع كل من الزاي والصاد.

   الذال - مع كل من الثاء والظاء.

3.2 الصوامت العربية بين القدماء والمحدثين وقضية التطور الصوتي

عزيزي الدارس،

إن الباحث، في التراث الصوتي عند العرب، يجد أن هناك اختلافاً واضحاً بين وصف القدماء لبعض الأصوات العربية، والخصائص التي تسم هذه الأصوات في النطق المعاصر لها. ولعل السبب، في معظم جوانب ذلك الاختلاف، يعود إلى إمكان حدوث تطور لغوي أصاب تلك الأصوات فغيّرها، في النطق المعاصر لها، عن الوضع النطقي الذي كان لها في الماضي.

وسنحصر حديثنا، في هذا الموضوع، حول بعض الأصوات التي تبرز فيها جوانبُ خلافٍ واضحة، وهذه الأصوات هي: الجيم، والقاف، والضاد، والطاء.

1. صوت الجيم :

عزيزي الدارس،

لقد وصف لغويو العرب القدماء هذا الصوت بأنه صوتٌ شديد؛ أي انفجاري، وأن مخرجه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، أو من شجر الفم. [كتاب سيبويه 4/ 433، وسر صناعة الإعراب، لابن جني 52/1، وشرح المفصل، لابن يعيش 10/ 124]. وهذا المخرج، الذي نسب القدماء له صوت الجيم، يقابل، في رأينا، أو لنقل، يرادف، مصطلح المحدثين له، وهو الحنك الصلب، أو الغار Hard Palate. كما صنّف القدماء هذا الصوت ضمن المجموعة الصوتية التي أطلقوا عليها مصطلح "أصوات القلقلة"، وهي الأصوات التي يجمعها قولهم "قطب جد".

والواقع أن هذا الصوت يعدُّ من أكثر الأصوات التي اختلف الباحثون اللغويون، ولا يزالون، في كيفية نطق القدماء له. ولعل ما يعزز هذا الأمر، أن النطق المعاصر لهذا الصوت لا يقل اختلافاً وتنوعاً عما كان عليه من قبل، فهو لا يتخذ سمتاً واحداً، أو طريقةً واحدة في اللسان العربي، وإنما تتعدد طرائق نطقه من بيئة لغوية أو لهجية، إلى أخرى.

* فهو ينطق، في ألسنة أهل القاهرة المصريين، كافاً مجهورة؛ أي صوتاً خالياً من التعطيش، مخرجة من أقصى الحنك، وذلك على النحو الذي ينطق به الصوت الانجليزي (g) في كلمة مثل: go. وهذا يعني أن مخرج الجيم قد تراجع موضعياً، أو مخرجياً- بالقياس إلى ما قرره قدماء اللغويين العرب- إلى الخلف قليلاً، فاقترب من أقصى الحنك؛ أي الطبق.
* وينطق هذا الصوت نفسه، في ألسنة أهل الصعيد في مصر، صوتاً شديداً قريباً من نطق صوت الدال- أو هو صوت الدال عينه- إلى حد كبير. وهذا يعني أن مخرج الجيم قد تقدم موضعياً- بالقياس الى ما قرره القدماء- إلى الأمام، فاقترب من المخرج الأسناني اللثوي.

* أما في اللسان الشامي، ولدى بعض المغاربة، فإن هذا الصوت ينطق شيناً مجهورة؛ أي صوتاً مبالغاً في تعطيشه. وهذا يعني أن مخرج الجيم، قد حافظ على موضعه، الذي وصفه القدماء، غير أنه تعرض، في أثناء النطق به، إلى التجهير، بفعل ذبذبة الوترين الصوتيين.

* ولقد أخذ هذا الصوت، في منطقة الخليج العربي بعامة، لوناً آخر من النطق. فهو يسمع، هناك، كأنه صوت نصف حركة Semi Vowel؛ ونقصد به الياء. وهذا يعني أن مخرج صوت الجيم قد حافظ، مرةً أخرى، على موضعه الذي وصفه القدماء، بَيْدَ أن المضيق الذي يمر فيه تيار الهواء، في أثناء النطق بهذا الصوت، والواقع بين وسط اللسان، ووسط الحنك الأعلى، قد اتخذ شكلاً أوسع مما اتخذه في أثناء نطق صوت الجيم المعطشة.

* أما مجيدو القراءات القرآنية، وهم، في واقع الأمر، مُعْتَمَدُ الدارس المعاصر ومرجعه في عملية توصيف الأصوات وتصنيفها، فينطقون هذا الصوت على نحو مركب Affricate، يجمع، إلى حدٍّ كبير، بين نطق أهل صعيد مصر، وهو صوت الدال، ونطق الشاميين له، وهو صوت الجيم المعطشة. وهو النطق الذي سبق أن وصفناه لك عزيزي الدارس، في أثناء وصفنا للصوامت العربية.

ولقد تعددت وجهات نظر الباحثين اللغويين المعاصرين في تفسير الواقع المتعدد لنطق هذا الصوت. فذهب بعضهم إلى أن وصف القدماء لهذا الصوت بالشدة، أي بالانفجار، يعني أحد احتمالين:

الأول: أنه كان ينطق على نحوٍ قريب من نطق صوت الدال؛ أي على النحو الذي ينطق به في بعض اللهجات العربية، في صعيد مصر، وبعض مناطق الجزائر. [دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 290].

والثاني: أنه كان ينطق قريباً من نطق الجيم القاهرية (g). والدليل على ذلك ما ذهب إليه المستشرق "أنو ليتمان" Enno Littmann، من أن مقارنة اللغات السامية، كالعبرية، والسريانية، والحبشية يؤكد ذلك.

ويرجِّح كثير من الباحثين اللغويين الاحتمال الأخير، ويعتبرون الجيم الخالية من التعطيش، هي الأصل في نطق هذا الصوت، ثم طرأ عليها بعض التغيير في ألسنة القبائل العربية.

فالدكتور ابراهيم أنيس يرى أن الجيم الخالية من التعطيش هي الأصل، وقد بقيت على هذا الأصل السامي في اللغات السامية الأخرى، كالعبرية والسُّريانية. أما في العربية، فيبدو أنها تعرضت لتطورات كتلك التي حصلت للغتين الإغريقية واللاتينية، وذلك فيما يعرف بقانون الأصوات الحنكية Palatal Law. ومُلخَّصُ هذا القانون، أن صوت الجيم الخالي من التعطيش يتم نطقه من أقصى الفم، بَيْدَ أنه يتعرض إلى التعطيش إذا وليته حركات أمامية (كالكسرة)، في حين يبقى هذا الصوت غير معطش إذا وليته حركة خلفية (كالضمة).

ويؤيد الدكتور إبراهيم أنيس، في رأيه هذا، كلٌ من الدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور كمال بشر. يقول الدكتور رمضان: "والظاهر أن صوت الجيم المزدوج (أي المركب) هذا ليس أصلياً في اللغة العربية القديمة، وإنما هو متطور عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت. والدليل على ذلك، مقارنة اللغات السامية الأخرى، كالعبرية والسريانية، والحبشية، فصوت الجيم، في هذه اللغات، صوتٌ شديدٌ يشبه نطق المصريين". [المدخل الى علم اللغة، ص: 52].

ويقول الدكتور كمال بشر: " الراجح في نظرنا، ربما كانت الجيم تُنْطق في القديم بما يشبه الجيم القاهرية (g) في اللغة العامية، وهذه الجيم الأخيرة شديدة؛ أي انفجارية، ولا شك. وهذا الاحتمال له ما يؤيده في القديم والحديث". [علم اللغة العام، ص: 126].

أما إذا كان وصف القدماء لصوت الجيم بالشدة غير دقيق، فيرى بعض الباحثين المحدثين، أن هذا الصوت كان مركباً من صوت الدال الشديد، وصوت الجيم الشامية المعطشة، أو أنه كان مركباً من صوت الجيم القاهرية، وهو صوت شديد، وصوت الجيم الشامية المعطشة، غير أن القدماء ركزوا، في رصدهم لنطق هذا الصوت، على خصائص الجزء الأول، وهو الدال، أو الجيم القاهرية، وأهملوا الجزء الثاني، وهو الانتقال من الانحباس إلى الانفجار البطيء الذي يحدث الاحتكاك. [المرجع السابق، والصفحة نفسها].

ويعزز هذا الرأي، عزيزي الدارس، أن فكرة الازواج أو التركيب في الصوت لم تكن واضحةً في تصور العلماء العرب القدماء بدليل وهمهم في وصف ظاهرة الكشكشة في نطق بعض القبائل العربية. [المدخل الى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ص: 79، وفصول في فقه العربية، للدكتور رمضان أيضاً ص: 140- 150].

وفي رأينا، أن النطق المتعدد لصوت الجيم، في اللهجات العربية المعاصرة، ما هو إلا صورة مشابهة للواقع النطقي المتعدد الذي كان عليه هذا الصوت في الماضي. ويبدو أن الدارسين والعلماء اللغويين العرب القدماء، فيما نرى، قصروا اهتمامهم، في أثناء حديثهم عن هذا الصوت، على نطق لهجة دون أخرى، إما لكثرة ذيوعها وانتشارها من جهة؛ أو لأنها كانت تمثل البيئة اللغوية التي ينتمون إليها، من جهة أخرى.

2. صوت القاف :

عزيزي الدارس،

وصف القدماء، من لغويي العرب، هذا الصوت، بأنه صوتٌ شديدٌ يخرج "من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى". [كتاب سيبويه، 433/4، وسر صناعة الاعراب، لابن جني 52/1]، أو من اللهاة، كما ذكر الخليل بن أحمد، والزمخشري، وابن يعيش. [كتاب العين، للخليل بن أحمد 58/1، وشرح المفصل لابن يعيش 10/ 124]. ونعت القدماء هذا الصوت بأنه صوتٌ مجهور.

أما عند المحدثين، من دارسي الأصوات والباحثين فيها، فإنه صوتٌ لهويٌ إنفجاريٌ مهموس، يتم إنتاجه عندما يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة، ثم يضغط الهواء المتراكم خلف نقطة الالتقاء مدةً من الزمن إلى أن ينخفض أقصى اللسان فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً مسموعاً، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حين النطق به.

ويكمن الفارق الكبير والأساس بين وصف القدماء لهذا الصوت، ووصف المحدثين له، في صفة الجهر والهمس، فهو عند القدماء، مجهور، أما، عند المحدثين، فهو صوتٌ مهموس. ويبدو لنا أن السبب، في هذا الخلاف، يعود إلى واحد أو أكثر من الاحتمالات التالية:

1. أن القاف، التي تحدث عنها القدماء، كانت صوتاً "يشبه- إلى حدٍّ كبير- تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان، وبعض القبائل في جنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين". [الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 84].
يقول كانتينو: " وبما أن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربية يَنْطِقُ بقافٍ مجهورة، أمكننا الاعتقاد، على سبيل الاحتمال والترجيح، بأن القاف كان بالفعل حرفاً مجهوراً في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموساً في العربية الفصحى اليوم، ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم، هم من أصلٍ مدني". [دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، ص: 107].
ولهذا النوع من النطق بالقاف، أمثلةٌ في التراث القديم، فقد ذكر أبو الطيب اللغوي أن من العرب من يقول: "غلام أقلف وأغلف؛ أي لم يختن، والقمز من الناس والغمز؛ أي الرذال، ومن لا خير فيه، وقلقل الأرض وغلغل؛ أي ذهب في الأرض". [الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، 328/2- 329].

2. أن القاف، التي تحدثوا عنها، كانت صوتاً قريب الشبه بالجيم القاهرية (g)، وهذا الصوت الأخير يتسم، كالقاف بالشدة، إلاّ أنه يختلف عنه في صفة الجهر، وتقدم المخرج إلى الأمام قليلاً.

ويؤيد هذا الرأي ويدعمه، نطق كثيرٍ من أبناء اللهجات العربية لهذا الصوت، فالكثير من أبناء القبائل البدوية، وأغلب الناطقين في الأردن، يحولون هذا الصوت، في نطقهم إلى صوت الجاف، أو ما يسمى بالجيم القاهرية.

ولهذا النوع من النطق بالقاف أمثلةٌ في التراث العربي، فقد روى أبو الطيب اللغوي قول العرب: " بائقة وبائجة للداهية... وأحنق وأحنج أي ضمر الفرس، وتلقّفت البئر وتلجّفت، أي أكل الماء جوانبها، وزلّقت الموضع وزلّجته، أي ملّسته. [المرجع السابق 1/239- 245].

وهكذا، فقد تعددت، عزيزي الدارس، صور النطق بصوت القاف، في اللسان العربي القديم، ولم تلتزم صورة موحدة، أو شبه موحدة، غير أن القاسم المشترك، أو الجامع بين صور النطق القديم لها، يتمثل في صفة الجهر. وعلى الرغم من هذا التعدد النطقي لصوت القاف في الماضي، وفي الحاضر أيضاً، إلا أن الاتجاه السائد بين الدارسين اللغويين يميل إلي ترجيح كون القاف القديمة صوتاً شديداً مجهوراً قريباً في نطقة من نطق الجيم القاهرية. ولعل هذا عائدٌ إلى كثرة الناطقين بهذا الصوت على هذه الشاكلة، مما أدّى إلى ذيوعها وانتشارها كثيراً، بالقياس إلى غيرها من الصور المحلية لنطق هذا الصوت.

بَيْدَ أن هذه الصورة النطقية قد تعرضت، مع الزمن، إلى التطور، حيث أصبح النطق بهذا الصوت مهموساً لا أثر فيه لاهتزاز الوترين الصوتيين. ولقد تجلى هذا التطور عبر العصور، بوضوح، على ألسنة قرّاء القرآن الكريم الذي نعتبرهم، ويعتبرهم غيرنا أيضا، مصدر التوثيق والتأصيل في ميدان الدرس التاريخي لأصوات العربية.

ولعل المسوّغ الذي استند إليه الخطُّ التطوري لهذا الصوت، يتمثل في سهولة النطق به، في حالة توقف آلية الوترين الصوتيين عن الاهتزاز والذبذبة، التي من شأنها، في حالة حدوثها، إكساب الصوت ملمح الجهر. ولقد لمح القدماء ذلك، ونصُّوا عليه، فها هو ذا شيخهم سيبويه يقرر أن "المهموس أخف من المجهور" [الكتاب 4/ 436].

ومن ناحية أخرى، فلعل التغير النوعي الذي طرأ على البيئة العربية، في انتقالها من مرحلة البداوة إلى مرحلة التمدُّن والحضارة، قد أسهم بدوره، في حدوث مثل هذا التطور والتحول من الجهر الى الهمس. فالبيئة الصحراوية، التي تنتشر فيها الأصوات في مسافة شاسعة لا يعوقها عائق، ولا يحول دونها حائل، تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات بطرق عدة، من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحاً في أذن السامع. لهذا نلحظ أن القبائل البدوية تميل إلى جهر بعض الأصوات، في حين أن غيرها من قبائل الحضر تبقي على همسها". [في اللهجات العربية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 107- 108]. ومن المشاهد أن البيئات المتمدينة، التي تتحدث بين جدران المنازل، والتي لا ترى داعياً لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه السامع القريب، تميل عادةً إلى همس الأصوات. [المرجع السابق، ص: 106].

3. صوت الطاء :

عزيزي الدارس،

لقد وصف اللغويون العرب القدماء هذا الصوت بأنه صوتٌ مجهورٌ مفخم، كما أن القدماء، وعلى رأسهم سيبويه، عدّوا هذا الصوت مقابلاً مفخماً لصوت الدال. يقول سيبويه:" لولا الاطباق، أي التفخيم، لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً...". [الكتاب 4/ 436].

وهذا الوصف لصوت الطاء، عند القدماء، يختلف عن وصف المحدثين له. فهو، في الوصف الصوتي الحديث، صوتٌ أسناني لثوي، انفجاري، مهموس، مفخم.

ويكمن الخلاف، بين القدماء والمحدثين، في وصف هذا الصوت، كما هو واضح، في أن القدماء عدوا هذا الصوت مجهوراً، وأنه المقابل المفخم لصوت الدال، في حين يعده المحدثون، كما ينطقه مجيدو القراءات القرآنية، صوتاً مهموساً، ويعتبرونه المقابل، أو النظير المفخم لصوت التاء.

والواقع أنّ وصف القدماء لهذا الصوت، بأنه المقابل المفخم لصوت الدال، هو الذي سوّغ لهم وصفه بالجهر، حيث يؤدي اعتبار التفخيم والترقيق، الفارق الرئيسي والوحيد، بين هذين الصوتين، إلى اتفاقهما في كل الخصائص والصفات، ومن بينها صفة الجهر.

أما وصف المحدثين لهذا الصوت، بأنه النظير المفخم لصوت التاء، فقد سوّغ لهم وصفه بالهمس، حيث يؤدي اعتبار التفخيم والترقيق، الفارق الرئيسي والوحيد، بين هذين الصوتين، إلى اتّفاقهما في كل الخصائص والصفات، ومن بينها صفة الهمس.

عزيزي الدارس،

وكما يبدو لنا المحدثون منسجمين مع أنفسهم، في وصف هذا الصوت بالهمس، فإن القدماء أيضاً يبدون منسجمين مع أنفسهم في وصف هذا الصوت بالجهر. بل إن هذا التصور يقودنا إلى استنتاج مؤدّاه: أن الطاء التي يتكلم عنها المحدثون غيرُ الطاء التي تحدث عنها القدماء.

إذن، فما هي هذه الطاء التي وصفها القدماء، وتحدثوا عنها، وخلعوا عليها صفة الجهر، واعتبروها النظير المفخم لصوت الدال؟

عزيزي الدارس،

يقرر الدرس الصوتي الحديث، أنّ المقابل المفخم لصوت الدال هو صوت الضاد الحالية، فهل كانت طاؤهم القديمة تقابل ضادنا الحالية؟

يرى الدكتور إبراهيم أنيس "أنه من الممكن أن نستنتج من وصفهم- يعنى القدماء- أنها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن. وهنا يتضح معنى قول ابن الجزري: إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاءً مهملة". [الأصوات اللغوية، ص: 62].

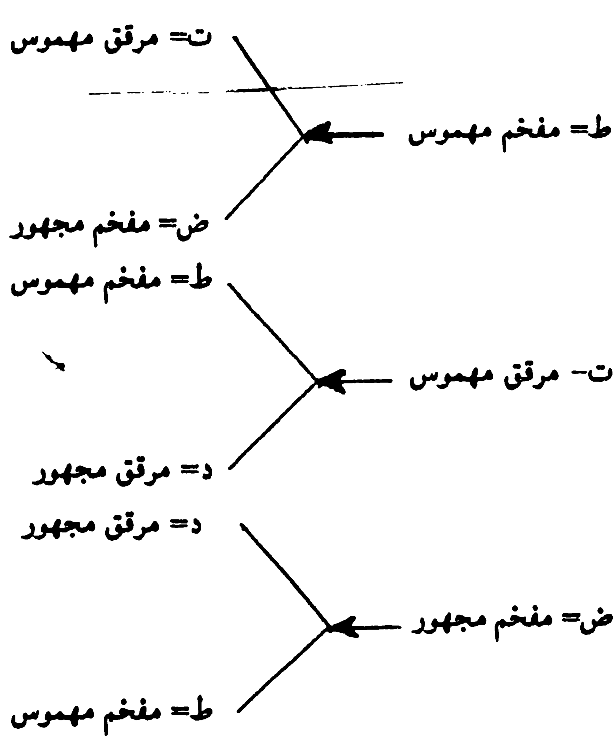
وهذا يعني، أن هناك خلافاً حاداً بين صوت الضاد، بمفهوم القدماء، وربما في نطقهم أيضاً، وهذا الصوت نفسه، عند المحدثين، من علماء الأصوات. ويؤكد علماء اللغة القدماء

هذا الخلاف، عندما يذكرون أن الاطباق هو الفارق الوحيد بين الطاء والدال. يقول سيبويه:" لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً...ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها؛ أي مخرجها، شيء غيرها". [الكتاب 436/4].

ونحن نعلم، كما يزودنا الدرس الحديث لعلم الأصوات، أن المخرج الذي ينتمي إليه صوت الضاد، وهو المخرج الأسناني اللثوي، لا ينفرد به هذا الصوت وحده، وإنما تشترك معه فيه أصواتٌ أخرى، كالطاء، والدال، والتاء، والسين، والصاد، والزاي.

وبالإضافة الى ذلك، فإنَّ القدماء يعدون الضاد صوتاً مفخماً، ليس له مقابل مرقق، على خلاف المحدثين، الذين يعتبرون صوت الدال نظيراً مرققاً لصوت الضاد المفخم. وهذا من شأنه أن يؤدي بنا إلى اعتقادٍ جازمٍ بأن الضاد القديمة لم تكن، في النطق، شبيهةً بالضاد الحديثة، وهذا يرجح، في نظرنا، اعتبار الطاء القديمة المجهورة صوتاً شبيهاً، أو قريب الشبه جداً، بصوت الضاد الحالية.

- إن شبكة العلاقات الصوتية، التي تربط بين الأصوات المفخمة، ومقابلاتها المرققة والمجهورة ومقابلاتها المهموسة، تمكننا من تأكيد هذه الحقيقة التي نذهب إليها. فصوت الطاء الحالي، صوتٌ شديدٌ مهموسٌ مفخم، يقابله صوت التاء الشديد المهموس المرقق، ويقابله، من ناحية أخرى، صوت الضاد الشديد المجهور المفخم، ويرتبط صوتا التاء والضاد المقابلان لصوت الطاء في الترقيق والجهر، على التوالي، بشبكة علاقات تفخيم وترقيق، وجهر وهمس مع أصوات أخرى. والتخطيط التالي يوضح ذلك:



وهكذا يتضح لنا، أن طروء الجهر على الطاء يحولّها إلى مقابلها المجهور، وهو صوت الضاد، في حين يؤدي طروء الهمس على الضاد يحولها إلى مقابلها المهموس، وهو صوت الطاء.

ومما يؤكد هذا الاستنتاج، ما ذهب إليه المستشرق الألماني برجشتراسر من أن "الطاء أيضاً مهموس اليوم، مجهورة في الجدول" (أي في الجدول الذي وضع فيه وصف القدامى للأصوات العربية).

والفرق بينها وبين القاف، أن نطق القاف العتيق لا يزال باقياً في بعض الجهات، ونطق الطاء العتيق قد امحى وتلاشى تماماً". [التطور النحوي، ص: 17].

كما يؤكد ذلك المستشرقُ الألماني شاده، حيث يقول:" سيبويه يعدُّ من المجهورة، الطاء، والقاف. وفي لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية في انتاجهما، ولكن ذلك لا يصحّ إلا عن لفظ المدارس (يعني الفصحى الحالية). وأما اللهجات، فتخالفها مخالفة شديدة. فإن سكان جنوب جزيرة العرب مثلاً، يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين، والقاف كأنها جيم المصريين باطباق، فيقولون مثلاً: (وجع فوجنا مضر) يعني: وقع فوقنا مطر، أو (قضعت ورجة) يعني: قطعت ورقة. ومثل ذلك يصحّ عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب من اللهجات العصرية". [علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، لشاده، ص: 13].

وعلى هذا، فان التطور الصوتي، الذي لحق صوت الطاء القديمة، يتمثل، عزيزي الدارس، في أنه انقلب الى مقابله المهموس، وشبيهه في الإطباق، وهو صوت الطاء الحالية، إن كل ما حدث لهذا الصوت، في رحلة تطوره، يتجلى في توقف الوترين الصوتيين عن الذبذبة، مما أدّى الى تحوُّله في النطق، إلى صوت مهموس، على كل مستوى في جميع أنحاء العالم العربي، وفي قراءة القرآن الكريم. [في التطور اللغوي، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص: 222].

ولقد سبق لنا أن ذكرنا لك، عزيزي الدارس، في أثناء حديثنا عن صوت القاف، أن الانتقال من المجهور إلى المهموس، يمثل، أو يمكن أن يمثل، لوناً من ألوان التطور الذي يلحق بعض الأصوات، إذ إنه يعدُّ نوعاً من الانتقال من الصعوبة إلى السهولة، فضلاً عن كون هذا الانتقال يلائم، كما ذكرنا أيضاً، البيئات التي انتقلت من طور البداوة إلى طور الحضارة، وأصابت، في جوانب حياتها المختلفة، طرفاً من المدنية.

4. صوت الضاد :

عزيزي الدارس،

لقد وصف قدماء اللغويين العرب هذا الصوت بأنه صوتٌ رخوٌ، أي احتكاكي، يتمُّ إنتاجه من بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس [كتاب سيبويه 433/4]، وهو، بالاضافة إلى ذلك، صوت مجهور مطبق؛ أي مفخم.

أما عند المحدثين من اللغويين، فإنه صوتٌ انفجاري، يتمُّ إنتاجه عندما يحتبس تيار الهواء المنتج له احتباساً تاماً خلف منطقة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدم اللثة، كما يصاحب نطق هذا الصوت ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق. وعندما ينفصل اللسان عن نقطة الالتقاء، ينطلق الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، يتذبذب، في أثناء النطق به، الوتران الصوتيان.

وعلى هذا، فصوت الضاد، يعدُّ المقابل المفخم لصوت الدال، والمقابل المجهور لصوت الطاء. فالفارق بين صوتي الضاد والدال هو فارق التفخيم والترقيق، كما أن الفارق بينه وبين صوت الطاء، هو فارق الجهر والهمس. فالضاد، بناء على هذا الوصف عند المحدثين، صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم.

ويتضح لنا، من خلال مقارنة وصف القدماء والمحدثين لهذا الصوت، أن ثمة فروقاً أساسيةً بين الضاد العربية القديمة، والضاد المعاصرة التي ينطق بها الآن في معظم أنحاء العالم العربي. وإننا لمجملون أهم تلك الفروق فيما يلي من سطور:

1. المخرج

فهو عند المحدثين، كما ذكرنا لك، عزيزي الدارس، قبل قليل، وفي مواضع سابقة أيضاً، المخرج الأسناني اللثوي، أو المخرج اللثوي، كما يذكر بعضهم، في حين ينتج هذا الصوت، كما ذكر سيبويه، من مخرج "من بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس"، أو كما يقول ابن جنّي:" من أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس، إلاّ أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر". [سر صناعة الإعراب 52/1]. وقد شرح ذلك أبو العباس المبرّد حيث قال: "والضاد ومخرجها من الشدق فبعض الناس تجرى له في الأيمن، وبعضهم تجرى له في الأيسر". [المقتضب، 1/193].

وينسب الخليل بن أحمد صوت الضاد إلى مخرج الجيم والشين، فيقول:" ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد"، ثم يحدد الخليل، بعد ذلك، مخرج هذه الأصوات الثلاثة، وهو شجر الفم، فيقول:"والجيم والشين والضاد شجرية، لأنَّ مبدأها من شجر الفم". [كتاب العين، 58/1].

غير أن سيبويه خالف ذلك، وذهب إلى أن صوت الضاد يستقل بمخرجه، ولا يشاركه فيه غيره من الأصوات. فهو يقول:" لولا الاطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها".

وهكذا، فإن مخرج الضاد عند القدماء، على الرغم من اختلافهم فيما بينهم حوله، يختلف عن مخرجها الذي يصفه المحدثون. وهذا يوحي، بوضوح، أن الضاد التي كانوا يتحدثون عنها قد طرأ عليها، في نطق المعاصرين، تطور ليس بالقليل.

فهي، في رأيهم، من بين أول حافة اللسان، وما يليه من الأضراس، أو من هذا الموضع مع إمكان تكلفها من الجانب الأيمن، أو من الجانب الأيسر، كما ذهب آخرون إلى أن الشدق، أو شجر الفم هو مخرج هذا الصوت. ومما عقّد الأمر وجعله أكثر صعوبةً في التصور، ما ذهب إليه سيبويه، وأشرنا إليه أيضاً، وهو استقلالية هذا الصوت بمخرجه، وعدم اشتراك غيره معه في موضع نطقه وإخراجه.

أما الضاد الحالية، فهي أحد الأصوات التي تنتمي، وينتمي معها عدد كبير من الأصوات العربية، إلى المخرج الأسناني اللثوي. لهذا كلّه، فإنّ الضاد القديمة، من ناحية المخرج، غير الضاد التي يصفها دارسو أصوات العربية المحدثون، وينطق بها معظم أبناء العربية في الوقت الحاضر.

صفة الرخاوة :

وصف القدماء هذا الصوت بأنه صوت رخو، أي احتكاكي، يخرج الهواء، في أثناء النطق به، من الجانب الأيمن، أو من الجانب الأيسر، أو من كليهما. ولهذا، فقد وصف القدماء أنفسهم هذا الصوت بصفتين أخريين تدعمان وصفهم للضاد بالرخاوة، وهاتان الصفتان هما: الاستطالة والتفشي.

ويقصد بالاستطالة:" أن الصوت يشغل من طول اللسان مساحة تصل مخرجه بمخرج صوت آخر يجاوره" [في التطور اللغوي، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص: 243] أمّا التفشّي فيقصد به "أن هواء النفس مع الصوت (المتفشي) لا تقتصر في تسربه، إلى الخارج، على مخرجه، أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين، بل يتوزع في جنبات الفم". [الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 119].

ولقد نص القدماء على أن صفة الاستطالة بالضاد، تصلها بمخرج اللام. يقول سيبويه: ".... لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام". [الكتاب 4 /457].

إن وصف القدما للضاد بالرخاوة، وإضافتهم لها صفتي الاستطالة والتفشي اللتين تصلها بمخرج اللام، من شأنه أن يقدم لنا مساعدةً قيّمةً في مجال تصور الوضع النطقي القديم لهذا الصوت، تمهيداً لمعرفة التطور، أو التطورات التي طرأت عليه في رحلته من الماضي الى الحاضر.

أما المحدثون، فيصنّفون هذا الصوت ضمن مجموعة الأصوات الانفجارية التي ينحبس، في أثناء النطق بها، تيار الهواء الصادر من الرئتين خلف نقطة الإغلاق، إلى أن ينطلق بفعل الضغط المتزايد والمستمر محدثاً صوتاً انفجارياً مسموعاً.

3. صفة الإطباق :

صنّف القدماء من اللغويين، ويؤيدهم في ذلك المحدثون، هذا الصوت ضمن المجموعة الصوتية المفخمة، وتشمل هذه المجموعة، بالاضافة الى صوت الضاد، أصوات الصاد، والطاء والظاء.

غير أن هؤلاء القدماء يعدُّون الضّاد صوتاً مطبقاً (مفخماً) ليس له، على غرار الأصوات المطبقة الأخرى، مقابل مرقق. ففي الوقت الذي نص فيه اللغويون القدماء، وعلى رأسهم سيبويه، على أن أصوات السين، والدال، والذال هي المقابلات المرققة لأصوات الصاد، والطاء، والظاء، فإنهم أخرجوا صوت الضاد المطبق من إطار هذا التقابل والتناظر. يقول سيبويه:" لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها".

أما المحدثون، فإنهم يرون في صوت الدال المقابل والنظير المرقق لصوت الضاد. ولعل هذه القضية الخلافية، بين القدماء والمحدثين، تدعم وجهة النظر القائلة بخصوصية نطق الضاد، وأن قدراً لا يستهان به من التطور قد طرأ عليه.

إذن ما هي حقيقة نطق هذا الصوت؟ كيف كان؟ وكيف تطور إلى وضعه النطقي المعاصر؟

عزيزي الدارس،

* إن وصف القدماء، لتيار الهواء المنتج لهذا الصوت، يقترب كثيراً من وصفهم، ووصف المحدثين أيضاً، لتيار الهواء في أثناء نطق صوت اللام. ويذكر المستشرق برجشتراسر أن "مخرجها (أي الضاد، قريب من مخرج اللام.) وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه... ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب، غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة. ويظهر أن الاندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك، ولذلك استبدلها الأسبان بألـ (Id) في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك أن كلمة "القاضي" صارت في الإسبانية: alcalde، ومما يدل أيضاً على أن الضاد كانت في نطقها قريبةً من اللام، أن الزمخشري ذكر في كتاب المفصّل أن بعض العرب كانت تقول "الطجع" بدل: اضطجع" [التطور النحوي، ص: 18- 19].

ولعل ما يرجح ذلك، أن سيبويه ينصُّ، في معرض حديثه عن الإدغام، على جواز إجراء تبادل بين الضاد واللام، ومن أمثلة ذلك "قول بعض العرب "الطجع" في اضطجع، أبدل اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف". [الكتاب 4/ 483].

ويروي المستشرق يوهان فك عن بعض اللغويين العرب أن الضاد العربية تنطق بست صور، من بينها، على حدِّ قوله، من "ينطقها لاماً مفخمة". [العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص: 111- 112].

* ذهب بعض القدماء الى وجود شبه بين صوتي الظاء والضاد، فهي، أي الظاء، كما يقول ابن حماد "تشارك الضاد في أوصافه (المذكورة) غير الاستطالة، فلذلك اشتدّ شبهه به، وعسر التمييز بينهما، واحتاج القارئ في ذلك إلى الرياضة للاتصال بين مخرجيهما، ولولا اختلاف المخرجين، وما في الضاد من الاستطالة لاتحدتا في السّمع ". [الحاسف العباد، ص: 18].

ويقول ابن الجزري:" والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء..". [النشر في القراءات العشر 1/ 219].

ولقد أدّى هذا الشبه في نظرهم، بين الصوتين، إلى إمكان حدوث تعاقب بينهما.فقد روى ابن خلكان أن ابن الأعرابي كان يقول:" جائز في كلام العرب، أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه. وينشد:

إلى الله أشكو من خليل أودّه * * ثلاث خصال كلها لي غائض

بالضاد (بدل غائظ). ويقول: هكذا سمعته من فصحاء العرب. [وفيات الأعيان 4/ 307].

ويذكر لنا السيوطي جملة من الكلمات التي أثرت عن العرب، والتي كانوا يعاقبون فيها بين الظاء والضاد، فهو يقول: "في الغريب المصنّف: فاظت نفسه تفيظ: مات، وناسٌ من بني تميم يقولون: فاضت نفسه تفيض. وقال المبرد: أخبرني التوّزيّ عن أبي عبيدة قال: كل العرب تقول: فاضت نفسه، بالضاد، إلا بني ضَبَّة، فإنهم يقولون: فاظت نفسه، بالظاء... وفي الجمهرة: الحُضُض، ويقال: الحُضَض، ويقال: الحُظُظ والحُظَظ: صمغ نحو الصبر والمر وما أشبههما..." [المزهر 1/561- 562].

ويرى المستشرق الفرنسي هنري فليش أن العرب كانوا "يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارةٌ عن صوتٍ مفخّم، يحتمل أنه كان ظاءً جانبية؛ أي أنّه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرةٍ واحدة، وقد اختفى هذا الصوت، فلم يعد يسمع في العالم العربي، وأصبح، بصفةٍ عامةٍ، إمّا صوتاً انفجارياً، وهو مطبق الدال، وإمّا صوتاً أسنانياً هو الظاء" [العربية الفصحى، ص: 37].

ويرجح "كانتينو" احتمال كون النطق بالضاد " ظْ لْ، أي ظاء ذات زائدة انحرافية، أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا، كما في النطق بالظاء، وبأن يجري النفس لا من طرف اللسان فقط، بل من جانبيه أيضاً". [دروس في علم أصوات العربية، ص: 85- 86].

ويرى كثيرٌ من الدارسين والباحثين العرب المحدثين هذا الرأي، فالدكتور كمال بشر يقول: "وليس أمامنا من توضيحٍ لنطق هذا الصوت أكثر من القول: لعلها كانت تشبه ذلك الصوت الذي هو وسط بين الضاد والظاء، في بعض اللهجات العربية، كالعراق والكويت، أو بعبارة أدق، لعل ماينطقه هؤلاء الناس، في هذه المناطق، أثرٌ من آثار الضاد القديمة، أو هو تطورٌ صوتي لها". [علم اللغة العام، ص: 107].

أما الدكتور ابراهيم أنيس، فيتخيل إمكان النطق بالضاد "بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلةٌ وسطى فيها شيءٌ من شدة الضاد الحديثة، وشيءٌ من رخاوة الظاء العربية، ولذلك كان يعدُّها القدماء من الأصوات الرخوة". [الأصوات اللغوية، ص: 49].

بيد أننا نرجح، فيما نرى، أن النطق القديم للضاد، كان قريباً، في أغلب الحالات، من الظاء، وإن كنا لا ننفي، في الوقت نفسه، إمكان نطقه على نحوٍ مقارب للام المفخمة على ألسنة بعض العرب لا جلّهم، كما ورد في بعض النصوص القديمة. ولعل شيوع ظاهرة استبدال صوت قريب جداً من الظاء بالضاد، في كثير من الممارسات النطقية اللهجية، القديمة والحديثة، يعزز هذا الذي نذهب إليه.

أما الآن، فإن النُّطق المعتمد للضاد، في اللغة العربية الفصحى، يغاير الأصل القديم الذي وصف به هذا الصوت، بل ويغاير، أيضاً، تلك التصورات التي افترضها الباحثون القدماء لإمكانات نطقه. فهو، عندنا الآن، واحدٌ من الأصوات الانفجارية الشديدة المجهورة، ومخرجه هو المخرج الأسناني اللثوي، ويقف هذا الصوت المعاصر مقابلاً ونظيراً مفخماً لصوت الدال المرقق، ومقابلاً ونظيراً مجهوراً لصوت الطاء المفخم.

ويبدو لنا أن هذا الصوت قد انتقل في رحلة تطوره، من قائمة الأصوات الاحتكاكية، إلى القائمة المقابلة لها، وهي قائمة الأصوات الانفجارية، بدافع الاقتصاد في المجهود العضلي، وقد قرر اللغويون "أن الأصوات الشديدة (الانفجارية) تحتاج إلى جهد عضلي أقل من نظائرها الرخوة (الاحتكاكية)" [في اللهجات العربية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 200].

عزيزي الدارس،

هذه لمحة سريعة عن بعض الأصوات العربية، التي أصابها بعض التطور، ولحق بها شيء من التغيير في بعض الملامح. إن رصد معالم التطور، الذي يصيب اللغة بعامة، والجانب الصوتي منها بخاصة، من شأنه أن يزود الدارسين والباحثين بمعلومات مهمة عن الخط التطوري الذي تسلكه اللغة في رحلة عطائها، وتفاعلها مع الحياة والأحياء، ثم معرفة العوامل التي أدّت الى ذلك، تمهيداً لرسم الخطط، وتصميم الاجراءات التي من شأنها أن تحافظ على جوهر اللغة من التحور، أو الانحلال الذي يُفقدها، في حالات كثيرة، هُويتَها وأصالتها.

إنّ للغة العربية، عزيزي الدارس، خصوصيةً تتسم بها، وتميزها من غيرها من اللغات؛ فهي لغة كتابٍ سماويٍّ مقدس، هو القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي ارتبطت به لغتنا العربية مُذْ نزل قبل أربعةَ عشرَ قرناً. ولقد وعد الله سبحانه وتعالى، في كتابه العزيز، بحفظ القرآن الكريم، فقال عزّ وجل: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". إن هذا الوعد الإلهي بحفظ القرآن الكريم، هو وعد، في الوقت نفسه، بحفظ اللغة التي نزل بها القرآن، وهي اللغة العربية. من هنا، فان دراسة هذه اللغة، والمحافظة عليها من عوادي التغيير والتحوير، يعدُّ جزءاً مهماً من الواجبات الملقاة على كواهلنا، نحن أبناء هذه اللغة الشريفة، لغة القرآن العظيم.

فائدة (10)

عزيزي الدارس،

يطلق على اللغة العربية، مصطلح "لغة الضاد". وقد علّل ابن جني ذلك بأن صوت الضاد كان "للعرب خاصة". غير أننا نعتقد أن السبب في تلك التسْمية يعود إلى أن النطق بهذا الصوت كان، كما ذكر الدكتور ابراهيم أنيس، "عصياً على أهالي الاقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة... كما يظهر أن النطق القديم بالضاد، كان إحدى خصائص لهجة قريش". [الأصوات اللغوية، ص: 49].

أسئلة التقويم الذاتي (6)

عزيزي الدارس،

من خلال دراستك لبعض الصوامت، التي أصابها بعض التغيير والتطور الصوتيين، في اللغة العربية، حاول أن:

1. تعلل سبب تطور النطق ببعض تلك الصوامت من الجهر الى الهمس كما هو الحال مع الطاء، والقاف، ومن الاحتكاك الى الانفجار كما هو الحال مع الضاد.
2. وتوضّح المقصود بمصطلحي التفشي والاستطالة.

3. الحركات Vowels

عزيزي الدارس،

هيّا بنا الآن، إلى القسم الرئيس الثاني من أقسام الأصوات العربية، إلى موضوع الحركات، لنتعرف معاً إلى المقصود بها، وإلى أسس تصنيفها، والى كيفية إنتاجها، والسمات التي تتصف بها، وتميزها من قسيمها المقابل؛ الصوامت.

عن طريق متابعتك لنا، عزيزي الدارس، في هذا الجانب من جوانب الدرس، في الأصوات العربية، تستطيع أن تقفَ على معلوماتٍ ذات أهميةٍ عن طبيعة مجموعة صوتيةٍ لا تقل شأناً، أو شأواً عن المجموعة الصوتية السابقة؛ ونعنّي بها الصوامت.

1.3 ما المقصود بالحركات ؟

عرف اللغوي الانجليزي دانيال جونز الحركة:"بأنها- في الكلام العادي- صوت مجهور، يخرج الهواء، في أثناء تشكيله، في تيار متتابع مستمر، من خلال الحلق والفم، دون أن يتعرض لتدخل يمنع خروجه، أو يسبب له احتكاكاً مسموعاً".

[Jones, An outline of English Phonetics, pp: 22- 23].

ومن المعلوم أنَّ أصوات الحركات كلّها مجهورة، والسبب في ذلك واضح وبسيط، فالحركات- وقد فقدت الانسداد الكامل، الذي تنشأ عنه الصوامت الانفجارية Plosive Consonants والانسداد الجزئي، الذي تنشأ عنه الصوامت الاحتكاكية Fricative Consonants، لم يبق لها إلاّ الوتران الصوتيان لتعتمد عليهما في تصويتها. وعلى هذا، فلولا الجهر، الذي هو تدخل الوترين الصوتيين، لمرّ الهواء من الرئتين الى الخارج دون تدخل يذكر، تماماً كما يحدث في الزفير، فالجهر، في الحركات، هو الذي يجعلها صوتاً مسموعاً، وليس مجرد زفير. [أصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 176].

2.3 أسس تصنيف الحركات

يعدُّ العالم اللغوي دانيال جونز، الذي عرضنا، آنفاً، تعريفه للحركات- يعدُّ من أوائل اللغويين الذين ابتكروا تصوراً لإمكانات الحركات في النطق الانساني، ولقد تمثل ذلك التصور فيما أطلق عليه، في مجال الدراسات اللغوية، بالحركات المعيارية Cardinal Vowels. وقد وصل هذا اللغوي إلى تصوره لهذه الحركات بالنظر إلى عضوين هامين كل الأهمية في إنتاج الحركات وتكوينها، وهذان العضوان هما: اللسان، والشفتان، باعتبارهما العضوين الرئيسين المسئولين عن تعديل شكل تيار الهواء المتدفق من الرئتين خلال الفم، والمنتج للحركات.

1.2.3 موضع اللسان في الفم

استطاع علماء الأصوات تحديد منطقة خاصة، داخل التجويف الفموي، يمكن للسان أن يعترض فيها تيار الهواء المنتج للحركات، دون أن يُحْدثَ هذا الاعتراض أيَّ احتكاك مسموع. ويتمثل ذلك بحركة مقدمة اللسان، أو مؤخرته تجاه سقف الحنك الأعلى ارتفاعاً أو انخفاضاً.

1. فقد يحدث ذلك، بأن تكون أعلى نقطة في اللسان أمامية، وقريبة من مقدمة سقف الحنك الأعلى (الغار) على قدر الامكان، دون أن يحدث أيُّ احتكاك مسموع لتيار الهواء المار بين هذين العضوين.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الكيفية حركة أمامية ضيقة. ومن أمثلتها، في اللغة العربية حركة الكسرة الخالصةقصيرة وطويلة في مثل: بلاد bilaad، و: تكتبين taktubiin.

2. وقد يحدث ذلك، بأن تكون أعلى نقطة في اللسان أمامية، وبعيدة من مقدمة سقف الحنك الأعلى (الغار) على قدر الامكان. ويتم ذلك بفتح الفكين العلوي والسفلي على قدر المستطاع.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الكيفية حركة أمامية واسعة، ومن أمثلتها في اللغة العربية، حركة الفتحة الخالصة قصيرة وطويلة في مثل: سأل: sa'ala، و: مال: maal.

3. وقد يحدث ذلك، بأن تكون أعلى نقطة في اللسان أمامية، وتقع في مواقع تتوسط بين الموضعين الأماميين لسقف الحنك العلوي (الغار) وهما: الموضع الأول، والموضع الثاني المذكوران أعلاه، بحيث لا يؤدي مرور تيار الهواء الى حدوث أيِّ احتكاك مسموع أيضاً.

ويتم في هذه الحالة، إنتاج نوعين من الحركات:

- أولهما: حركات تكون أعلى نقطة في اللسان، عند النطق بها، أمامية، وتقع في الثلث الأعلى من المسافة بين الحركة الأمامية الضيقة، والحركة الأمامية الواسعة وتسمى الحركة الناتجة بهذه الطريقة حركة أمامية نصف ضيقة. ومن أمثلتها، في اللغة الانجليزية، الحركة الموجودة في الكلمة get.أما في اللغة العربية فيكثر وجود هذه الحركة في اللهجات العربية، وذلك فيما يعرف بالكسرة الممالة قصيرة وطويلة نحو كلمة: بيت beet، في النطق العامي لها.
- وثانيهما: حركات تكون أعلى نقطة في اللسان، عند النطق بها، أمامية، وتقع في الثلث الأسفل من المسافة بين الحركة الأمامية الضيقة، والحركة الأمامية الواسعة.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الطريقة حركة أمامية نصف واسعة. ومن أمثلتها، في اللغة العربية، الحركة الموجودة في الكلمة المصرية: باع [أصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 163].

4. وقد يحدث ذلك، بأن تكون أعلى نقطة في اللسان خلفية، وقريبة من مؤخرة سقف الحنك الأعلى (الطبق) على قدر الإمكان، دون أن يُحْدِثَ هذا الاقتراب أيَّ احتكاك لتيار الهواء.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الكيفية حركة خلفية ضيقة. ومن أمثلتها، في اللغة العربية، حركة الضمة الخالصة قصيرة وطويلة، في مثل: سؤال Su'aal، و: يسوم: yasuum.

5. وقد يحدث ذلك، بأن تكون أعلى نقطة في اللسان خلفية، وبعيدة من مؤخرة سقف الحنك (الطبق) على قدر الإمكان، دون حدوث احتكاك لتيار الهواء عند خروجه.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الكيفية حركة خلفية واسعة. ومن أمثلتها، في اللغة العربية حركة الفتحة القصيرة، أو الطويلة التي ترد تاليةً لأحد الصوامت المفخمة الأربعة، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، في نحو ضلال: dalaal، و: طاب taab.

6. وقد يحدث ذلك، بأن تكون أعلى نقطة في اللسان خلفية، وتقع في مواقع تتوسط بين الموضعين الخلفيين لسقف الحنك العلوي (الطبق)، وهما الموضع الرابع، والموضع الخامس المذكوران أعلاه، بحيث لا يؤدي مرور تيار الهواء إلى إحداث أيٍّ احتكاك مسموع.

ويتم، في هذه الحالة، إنتاج نوعين من الحركات:

- أولهما: حركات تكون أعلى نقطة في اللسان، عند النطق بها، خلفية، وتقع في الثلث الأعلى من المسافة بين الحركة الخلفية الضيقة، والحركة الخلفية الواسعة.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الطريقة حركة خلفية نصف ضيقة. ومن أمثلتها في اللغة العربية، أو على وجه الدقة، في اللهجات العربية، حركة الضمة الممالة قصيرة وطويلة في نحو كلمة: لون = loon في النطق العامي لها.

- وثانيهما: حركات تكون أعلى نقطة في اللسان، عند النطق بها، خلفية، وتقع في الثلث الأسفل من المسافة بين الحركة الخلفية الضيقة، والحركة الخلفية الواسعة.

وتسمى الحركة الناتجة بهذه الطريقة حركة خلفية نصف واسعة. ومن أمثلتها "الحركة الموجودة في النطق الأمريكي للكلمة (got). ويرمز لها بالرمز د". [أصوات اللغة، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص: 163].

7. وهناك نوعٌ آخر من الحركات، "تكون أعلى نقطة في اللسان، عند النطق بها، في وسط منطقة الحركات، ويسمى هذا النوع من الحركات بالحركة المركزية Central Vowel، أو بالحركة المتوسطة، وهي قريبة من الحركة الثانية في الكلمة الانجليزية beter، ويرمز لها بالرمز ə ". [المرجع السابق، ص: 164].

2.2.3 وضع الشفتين

وفيما يتعلق بوضع الشفتين، في أثناء إنتاج الحركات، فقد لاحظ علماء الأصوات، وفي مقدمتهم دانيال جونز، أنهما تتخذان ثلاثة أوضاع هي:

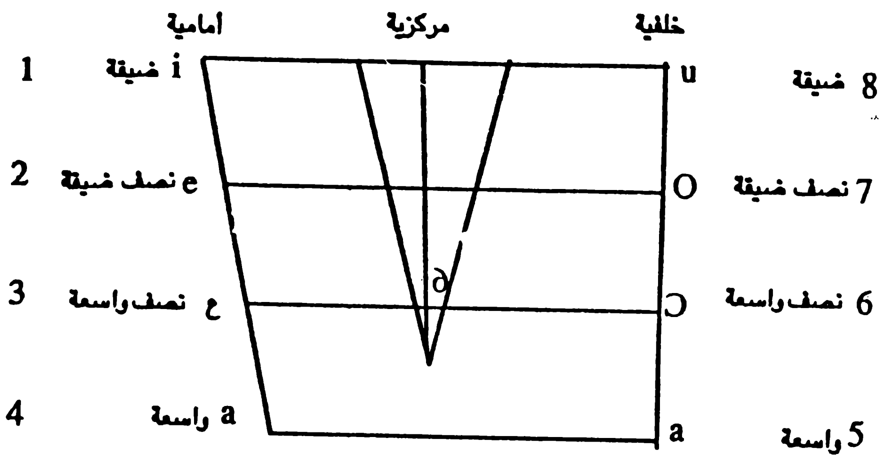
أ- وضع الضم: وتتخذه الشفتان، على تفاوت في نسبته، مع الحركات الخلفية.

ب- وضع الانفراج: وتتخذه الشفتان، على تفاوت في نسبته، مع الحركات الأمامية.

ج- وضع الحياد: وتتخذه الشفتان مع الحركة المتوسطة، أو الحركة المركزية كما تسمى.

عزيزي الدارس،

لقد استطاع دانيال جونز بنظرته إلى موضع اللسان في الفم، ونظرته إلى الوضع الذي تتخذه الشفتان في أثناء النطق بالحركات- نقول: لقد استطاع بهاتين النظرتين أن يتوصل إلى وضع تسع حركات معيارية، يمثلها الشكل التالي:



شكل (1)

وتجدر الإشارة إلى أن الحركات المعيارية "ليست مأخوذة من لغة معينة، ولا يفترض وجودها في لغة معينة كذلك. فربما يوجد بعضها في بعض اللغات، وقد لا يوجد بعضها الآخر، فهي إذن حركات لا تنسب إلى أي لغة، وإنما هي "معايير"، أو "مقاييس" عامة، تنسب إليها، وتقاس عليها حركات أية لغة يراد دراستها، أو تعلمها". [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 139].

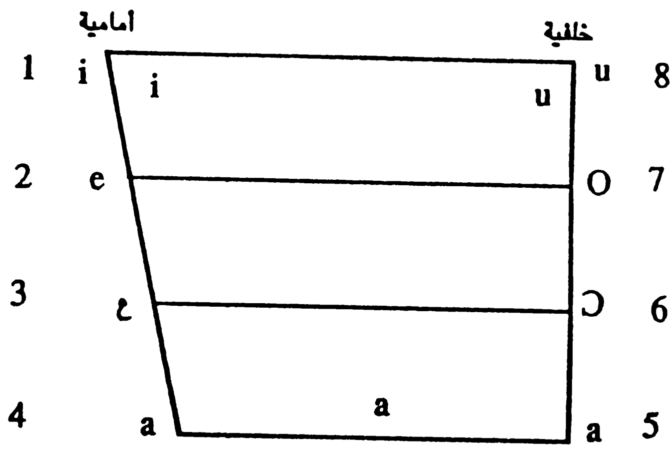
كما تجدر الإشارة أيضاً، إلى أن نظام الحركات يختلف من لغة إلى أخرى. ففي اللغة العربية يتسم هذا النظام بالبساطة، [o'connor, phonetics, 216] حيث يتألف من ست حركات أساسية هي: الكسرة، والفتحة، والضمة، بين قصيرة وطويلة.

وإذا ما نظرنا الى الحركات العربية، والمواقع التي تحتلها، أو يمكن أن تحتلها في جدول "جونز" للحركات، فإننا نلاحظ ما يلي:

1. إن حركة الكسرة العربية، هي حركة أمامية ضيقة، إلا أنها تختلف عن الحركة المعيارية الأمامية الضيقة، وهي الحركة رقم (1) في جدول "جونز"، بأنها أقل ضيقاً، وأقل أمامية؛ بمعنى أن مقدم اللسان، عند النطق بالكسرة العربية، يكون أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية رقم (1)، كما أن أعلى نقطة، في هذا الجزء الأمامي من اللسان تتجه نحو الخلف قليلاً.

2. إن حركة الفتحة العربية، هي حركة أمامية واسعة تقريباً، إلا أنها تختلف عن الحركة المعيارية الأمامية الواسعة، وهي الحركة رقم (4) في جدول "جونز"، بأنها أقل اتساعاً وأقل أمامية؛ بمعنى أن أعلى نقطة في اللسان، عند النطق بالفتحة العربية، تكون قريبة من وسطه، مع ارتفاع خفيف في هذا الجانب من اللسان. وعلى هذا، فإن حركة الفتحة العربية هي حركة أمامية، ولكنها أقل اتساعاً من الحركة المعيارية رقم (4)، أو الحركة المعيارية رقم (5).

3. إن حركة الضمة العربية، هي حركة خلفية ضيقة، إلا أنها تختلف عن الحركة المعيارية الخلفية الضيقة، وهي الحركة رقم (8) في جدول "جونز"، بكونها أقل ضيقاً، وأقل خلفية، بمعنى أن الجزء الخلفي من اللسان، عند النطق بالضمة العربية، يكون أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية رقم (8)، كما أن أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان تتجه نحو الأمام قليلاً.والشكل التالي يوضح ذلك:



شكل (2)

عزيزي الدارس،

يوضح لك هذا الشكل الحركات العربية والمواقع التقريبية التي ترد عليها في جدول "جونز" للحركات المعيارية. ولقد جاءت الحركات المعيارية، في هذا الجدول، خارج الشكل، في حين أوردنا الحركات العربية داخله، وذلك بهدف التمييز بين النوعين.

عزيزي الدارس،

إن موضوع الحركات بعامة، والحركات القصيرة short vowels بخاصة، لم يجد ما يستحق العناية والاهتمام من قبل علماء اللغة العرب القدماء. ويعود السبب في ذلك، إلى أنها لم تكن، كالصوامت، أو الحركات الطويلة، مكتوبةً في بداية عهد العرب بالدرس اللغوي. ومع ذلك، فقد أدرك بعض اللغويين، بحسّهم اللغوي المرهف، الفرق بين أصوات الحركات، من جهة، والأصوات الصامتة، من جهة أخرى، في النطق والصفات، كما أدركوا أهمية هذا النوع من الأصوات، وتبينوا الصلة القائمة بينها وبين ما أطلقوا عليه حروف المدّ واللين. فابن جنّي، على سبيل المثال، ينصُّ صراحة على "أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف، والياء، والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي: الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمُّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة. [سر صناعة الاعراب، 1/ 72].

إن هذا الكلام يعني أنَّ التراث العربي قد نص على وجود ثلاث حركات في اللغة العربية، هي: الفتحة، والكسرة، والضمة، وأن هذه الحركات تكون قصيرة وطويلة، وأن القصيرة منها هي التي سماها القدماء من اللغويين، كابن جنّي، حركات، أما الطويلة فهي التي سَمَّوْها حروف المد واللين. وقول ابن جني إن الحركات أبعاض حروف المد واللين، يعني أنهم يؤمنون بأن حروف المد واللين حركات، وأنه لا فرق بينها وبين الحركات القصيرة سوى في الكمية؛ أي في القصر والطول.

عزيزي الدارس،

إن ما سبق من كلام، يقودنا الى التسليم بأن اللغة العربية تشتمل على ثلاثة فونيمات للحركات القصيرة، هي فونيم الفتحة القصيرة /a/ وفونيم الكسرة القصيرة /i/ وفونيم الضمة القصيرة /u/ ومثلها في العدد للحركات الطويلة، وهي فونيم الفتحة الطويلة /aa/، وفونيم الكسرة الطويلة /ii/، وفونيم الضمة الطويلة /uu/. غير أن هذه الفونيمات الستة قد تتعرض، بسبب السياق الصوتي الذي تقع فيه كل حركة منها، إلى تنوعات نطقية مختلفة.

فالفتحة، على سبيل المثال، قد ترد مرققةً، وقد ترد مفخمةً، كما يمكن أن ترد وسطاً بين الترقيق والتفخيم؛ فهي مفخمةٌ مع الصوامت ذات التفخيم الكلي، أو التفخيم الكامل، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، وهي ذات تفخيم متوسط مع الصوامت ذات التفخيم الجزئي، وهي: الخاء، والغين، والقاف، ولكنها ترد مرققة مع الصوامت الأخرى. وهذا يعني أن لدينا، بحسب النطق الفعلي، ثلاثة أنواع، أو ثلاثة تنوعات نطقية فعلية للفتحة، أو ستة تنوعات لها حين نأخذ القصر والطول في الاعتبار، إذ إن الفتحة الطويلة يعتريها ما يعتري الفتحة القصيرة من الترقيق، والتفخيم، والحالة الوسطى بين الترقيق والتفخيم.

إن ما ذكرناه عن الفتحة، ينطبق على كل من الكسرة والضمة، قصيرةً وطويلةً، وهذا يعني أن لدينا، بحسب النطق الفعلي، ثلاثة تنوعات نطقية لكل من الكسرة والضمة، أو ستة تنوعات نطقية لكل منها، وذلك حين نأخذ القصر والطول في الاعتبار. وتجدر الإشارة إلى أن النطق بالتنوعات المختلفة للحركة الواحدة، من بين الحركات الثلاث، لا يرد على نسق واحد تماماً، وانما ترد بينه فروقٌ بسيطةٌ تتمثل في موضع اللسان ارتفاعاً وانخفاضاً، وأمامية وخلفية، وذلك على النحو الذي سنوضحه في أثناء وصفنا المفصل للحركات العربية.

عزيزي الدارس،

وإذا ما عدنا إلى ما سبق، فإننا سنجد أن عدد الحركات العربية، بحسب النطق الفعلي السياقي لها، هو تسع حركات، أو ثماني عشرة حركة، في حالة أخذ قصر الحركة وطولها في الاعتبار. غير أنه من الناحية الفونولوجية الوظيفية؛ أي من ناحية كون الحركات قادرة على التفرقة الدلالية بين الكلمات، فإن اللغة العربية تشتمل على ثلاث حركات قصيرة، وثلاث حركات طويلة فقط. أما الأعداد الأخرى للحركات، فهي عبارة عن تنوعات سياقية، أو لنقل تنوعات ألوفونية لفونيمات الحركات الثلاث، أو الست.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الفرق في المعنى بين الكلمات: سلب، وطلب، وقلب، لا يعود إلى وجود الفتحة المرققة في الكلمة الأولى، والفتحة المفخمة في الكلمة الثانية، والفتحة المتوسطة؛ أي التي بين الترقيق والتفخيم، في الكلمة الأخيرة، وإنما يرجع الفرق في المعنى بين هذه الكلمات الثلاث، إلى وجود السين في الكلمة الأولى، والطاء في الكلمة الثانية، والقاف في الكلمة الأخيرة، ويمكننا قول الشيء نفسه عن الفرق في المعنى بين الكلمات الثلاث التالية: سال، وطال، وقال.

وهذا يعني أن الأنواع المختلفة، أو التنوعات المختلفة للفتحة لا تفرق بين المعاني، لأن هذه الأنواع المختلفة، هي تنوعاتٌ نطقيةٌ فعليةٌ أوجدها السياق الصوتي الذي وقعت فيه، أو هي، بعبارة أخرى، تنوعات ألوفونية لفونيم الفتحة، وليست فونيمات مستقلة تستطيع التفرقة بين المعاني عن طريق التبادل فيما بينها. وعلى هذا، فإن الفتحة حركة واحدة، أو فونيمٌ واحدٌ من الناحية الوظيفية، ولكنها ثلاث حركات، أو، لنقل، ثلاثة أصوات، أو ثلاثة ألوفونات، من الناحية النطقية الفعلية السياقية.

عزيزي الدارس،

إن ما ذكرناه هنا عن الفتحة، بأنواعها المختلفة، يمكن ذكره هو نفسه عن كل من الكسرة والضمة.

أسئلة التقويم الذاتي (7)

1. عرف الحركة، ثم بين أهم ملمح صوتي تتسم به.
2. ما العضوان الرئيسان اللذان يعدان أساسيين في تكوين الحركات وانتاجهما ؟
3. ما السبب الذي جعل القدماء من علماء اللغة العرب لا يهتمون، في درسهم الصوتي، بالحركات، على النحو الذي اهتموا به في دراستهم للصوامت.

تدريب (6)

عزيزي الدارس،

1. هل تعرف السبب الذي جعل من ملمح الجهر سمة رئيسة في عملية إنتاج الحركات ؟
2. وهل تعرف أهم الخصائص التي تتسم بها الحركات المعيارية ؟
3. وهل تعرف الكيفية التي نظر، من خلالها، "دانيال جونز" الى اللسان، ودوره في إنتاج الحركات ؟

3.3 تصنيف الحركات العربية

عزيزي الدارس،

يمكننا- من خلال عرضنا السابق للحركات المعيارية، والمقارنة السريعة التي أجريناها للحركات العربية بها- يمكننا، من خلال ذلك، أن نصنف الحركات العربية إلى مجموعات وذلك على النحو التالي :

1. **الحركات الأمامية Front Vowels :**

يقصد بالحركات الأمامية، تلك الحركات التي تكون نقطة إنتاجها واقعةً في الجزء الأمامي من التجويف الفموي. ويتمُّ إنتاجها بدفع اللسان نحو الجزء الأمامي من الفم، ويتقوس الجزء الأمامي من اللسان نحو الغار.

وتشمل الحركات الأمامية، في اللغة العربية، حركة الكسرة الخالصة بأنواعها المختلفة: المرققة، والمفخمة، والتي بين الترقيق والتفخيم، كما تشمل أيضاً حركة الفتحة المرققة.

2. **الحركات الخلفية Back Vowels :**

ويقصد بها الحركات التي تقع نقطة إنتاجها في الجزء الخلفي من التجويف الفموي، ويتم انتاجها بتقويس الجزء الخلفي من اللسان في اتجاه الطبق.

وتشتمل اللغة العربية على الحركات الخلفية التالية: الضمة الخالصة بأنواعها المختلفة: المرققة، والمفخمة، والتي بين الترقيق والتفخيم، بالإضافة إلى الفتحة المفخمة.

3. الحركات المركزية Central Vowels :

هي الحركات التي ترد غير منبورة في العادة. ويتم إنتاجها عندما يكون اللسان في وضع محايد؛ أي عندما يكون في وضع مركزي متوسط غير مرتفع ولا منخفض، وكذلك فإنه، أي اللسان، لا يكون أمامياً ولا خلفياً [Hartmaan And Stork, Dictionary Of Language And Linguistics, P: 151].

وتعد الحركة المصاحبة للحروف، التي اصطلح القدماء من اللغويين العرب، على تسميتها بحروف القلقلة، من قبيل الحركة المركزية.

4. الحركات الضيقة Close Vowels :

ويقصد بها الحركات التي تنتج عندما يكون الانفتاح في الفم ضيقاً، واللسان مرفوعاً نحو الجزء الأمامي، أو الجزء الخلفي من سقف الحنك الأعلى بقسميه: الغار، والطبق.

وتشمل الحركات الضيقة، في اللغة العربية، الكسرة الخالصة بأنواعها المختلفة، والضمة الخالصة بأنواعها المختلفة كذلك.

5. الحركات الواسعة Open Vowels :

وهي الحركات، التي يتم إنتاجها، عندما يكون اللسان في وضع منخفض في الفم، وذلك بالنسبة لسقف الحنك الأعلى بقسيمة السابقين.

وتشمل الحركات الواسعة، في اللغة العربية، الفتحة بأنواعها المختلفة.

6. الحركات المستديرة Rounded Lips :

ويراد بها الحركات التي يصاحب نطقها استدارة في الشفتين. ويشمل هذا النوع من الحركات ، في اللغة العربية، حركة الضمة الخالصة بأنواعها المختلفة.

7. الحركات غير المستديرة Unrounded Lips :

وهي الحركات التي تكون الشفتان، في أثناء النطق بها، غير مستديرتين. ويشتمل هذا النوع من الحركات في اللغة العربية، على حركتي الكسرة والفتحة بأنواعها المختلفة.

8. الحركات القصيرة Short Vowels :

هي الحركات التي يميزها من غيرها من الحركات المناظرة لها، وهي الحركات الطويلة، قصر الزمن الذي تستغرقه نسبياً. وهي تشتمل، في اللغة العربية، على الكسرة القصيرة، والفتحة القصيرة، والضمة القصيرة.

9. الحركات الطويلة Long Vowels :

تختلف هذه الحركات، عن سابقتها، الحركات القصيرة، في كون الزمن، الذي يستغرقه النطق بها، أطول نسبياً. واللغة العربية تشتمل على نظائر ثلاثة للحركات القصيرة السابقة، هي الكسرة الطويلة، والفتحة الطويلة، والضمة الطويلة.

4.3 وصف الحركات العربية

عزيزي الدارس،

تحدثنا، في الصفحات السابقة، عن معنى الحركات، والمقصود بها، وكيفية نطقها، والأعضاء التي تسهم في إنتاجها، كما وضحنا، في حديثنا المشار إليه، المقصود بالحركات المعيارية، التي وضع تصورها وتصميمها اللغوي الانجليزي "دانيال جونز"، ثم عقدنا مقارنة سريعة بين الحركات المعيارية، وما تشتمل عليه لغتنا العربية من حركات. كما قمنا، أيضاً، بتصنيف الحركات العربية وفق أسسٍ معينةٍ مستقاةٍ من ميدان دراسة هذا النوع من الأصوات، ونعني به الحركات.

أما الآن، فتعال بنا، عزيزي الدارس، لنقوم معاً بتقديم وصفٍ وافٍ للحركات العربية، من حيث آلية إنتاجها، والملامح التمييزية التي تتسم بها كل حركةٍ منها:

أولاً: الكسرة العربية /i/ :

تتصف حركة الكسرة، في اللغة العربية بأنها حركة أمامية ضيقة غير مستديرة، وترد هذه الحركة قصيرة وطويلة، ولكل واحد من هذين النوعين: القصير ،الطويل، تنوعاتٌ نطقيةٌ من حيث الترقيق، والتفخيم، والحالة المتوسطة بين الترقيق والتفخيم، وفيما توضيح لهذه الأنواع :

1. الكسرة القصيرة الخالصة المرققة (i) :

عند النطق بهذا الصوت، يرتفع الجزء الأمامي من اللسان تجاه المنطقة الأمامية من سقف الحنك الأعلى، وهي منطقة الغار، دون أن يؤدي هذا الارتفاع إلى إعاقةٍ في مجرى الهواء، إذ لو تم ذلك، أي زيادة ارتفاع اللسان نحو الغار، لسمع بسببه حفيفٌ مسموعٌ، وكانت النتيجة حدوث صوت الياء (y)، وهي نصف حركة Semi Vowels، لا حركة Vowels.

ومن ناحية أخرى، فإن الشفتين تكونان، عند النطق بهذا الصوت، في حالة انفراج، وتراجعٍ نحو الخلف، وذلك على نحوٍ قريبٍ مما يحدث في حالة التبسم. ومن أمثلة ذلك الكسرة القصيرة المرققة في الكلمات التالية: بلاد bilaad، سهام Sihaam، من min.

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (1) في منطقة الحركة المعيارية رقم (1) في الشكل رقم (3) المرافق.

فالكسرة المرققة حركة: أمامية، ضيقة، غارية، مجهورة، غير مستديرة.

وتعد هذه الحركة- كما ذكرنا لك عزيزي الدارس، في أثناء عرضنا للحركات المعيارية- أقرب حركات الكسر العربية تقريباً إلى الحركة المعيارية الأولى (i) من حيث أمامية اللسان، ودرجة ارتفاعه، ومن حيث تقدم أعلى نقطةٍ من هذا الجزء المرتفع أو تأخرها. [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 153].

ومن الجدير بالذكر، أن لهذه الحركة نظيراً طويلاً لا يختلف عنها إلاّ في الطول أو الكمية. ومن أمثلتها حركة الكسرة الطويلة الخالصة المرقق في كلمة يبيع = $yabii^{c}$، وكلمة نسيم = nasiim.

2. **الكسرة القصيرة المتوسطة (I) :**

ونعني بها الكسرة التي تصاحب نطق الصوامت ذات التفخم الجزئي في العربية، وهي: الخاء، والغين، والقاف. ويتم إنتاج هذه الحركة بالكيفية التي يتم بها إنتاج حركة الكسرة القصيرة المرققة، مع فارق يتمثل في أن مقدم اللسان يكون في وضع أقل ارتفاعاً نحو الغار، وأكثر رجوعاً الى الخلف منه مع الكسرة القصيرة المرققة. ومن أمثلتها الكسرة القصيرة في كلمة خراف= xiraaf، وغذاء ɣi aa'، وقماش qimaa's.

ولهذه الحركة أيضاً نظير طويل، لا يختلف عنها إلا في صفة الطول، أو الكمية، ومن أمثلتها الكسرة الطويلة في كلمة خيطان xiitaan و: يغييب ya iib، و: رقيب raqiib

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (2) في منطقة الحركة المعيارية رقم (1) في الشكل رقم (3) المرافق.

فالكسرة المتوسطة حركة: أمامية، بين الضيقة ونصف الضيقة، غارية، مجهورة، غير مستديرة.

3. **الكسرة القصيرة المفخمة /I/ :**

ترد هذه الحركة مصاحبةً للصوامت المفخمة تفخيماً كلياً، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء. ويتم انتاجها بالكيفية التي تنطق بها حركة الكسرة السابقة، مع فارق يتمثل في أن مقدم اللسان يكون أقل ارتفاعاً نحو الغار، وأن أعلى نقطة في الجزء الأمامي من اللسان تبتعد الى الخلف قليلاً بالنسبة للكسرتين السابقتين. ومن أمثلتها الكسرة القصيرة في كلمة: طلاء tilaa'، وكلمة: ظباء ðibaa'، ولهذه الحركة نظير طويل لا يختلف عنها إلا في الكمية أو الطول، ومن أمثلتها حركة الكسرة الطويلة في كلمة: طين tiin، وكلمة عظيم ʕadiim.

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (3) في منطقة الحركة المعيارية رقم (1) في الشكل (3) المرافق.

فالكسرة المفخمة حركة: أمامية، بين الضيقة ونصف الضيقة، غارية، مجهورة، غير مستديرة.

ثانياً: الفتحة العربية /a/ :

تتصف حركة الفتحة، في اللغة العربية، بأنها حركة أمامية (أو خلفية) تميل إلى الاتساع. ولا تكون الشفتان، عند النطق بها، في وضع استدارة. وترد هذه الحركة قصيرة وطويلة، كما ترد مرققة، ومفخمة، ووسطاً بين الترقيق والتفخيم، وفيما يلي توضيح لهذه الأنواع:

1. الفتحة القصيرة المرققة (a) :

عند النطق بهذه الحركة، تكون أعلى نقطة في اللسان أمامية، وبعيدة عن الغار. كما أن الفم، مع هذه الحركة، يكون مفتوحاً بنسبة أكبر من نسبة فتحه مع حركة الكسرة السابقة.

وتقع هذه الحركة بين الحركتين المعياريتين رقم (3)، ورقم (4)؛ أي أنها حركة وسط بين الحركة الأمامية نصف الواسعة، والحركة الأمامية الواسعة. ومن أمثلتها حركة الفتحة القصيرة المرققة في كلمة من man، وكلمة سأل sa'ala، وغيرها.

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (1) في منطقة الحركة المعيارية رقم (4) في الشكل رقم (3) المرافق.

فالفتحة القصيرة المرققة حركة: أمامية، بين الواسعة ونصف الواسعة، مجهورة، غير مستديرة.

ولهذه الحركة، في العربية، نظير طويل لا يختلف عنها إلا في صفة الطول أو الكمية. ومن أمثلتها حركة الفتحة الطويلة المرققة في كلمة سال= saal، وباع= baa^{c}، وينام= yanaam، وغيرها.

2. الفتحة القصيرة المتوسطة (ə) :

ونعني بها الحركة التي تصاحب نطق الصوامت ذات التفخيم الجزئي. ويتم انتاجهابحيث يكون الجزء الأوسط من اللسان، تقريباً، هو الجزء الفعّال في عملية نطق هذه الحركة. ومن أمثلتها، حركة الفتحة القصيرة المتوسطة في كلمة: غلب ɣalab وكلمة: خيال xayaal، وغيرهما.

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (2)، في منطقة الحركة المعيارية رقم (4) في الشكل رقم (3) المرافق.

فالفتحة المتوسطة حركة: وسطية، (بين الأمامية والخلفية تقريباً)، بين الواسعة ونصف الواسعة، مجهورة، غير مستديرة.

ولهذه حركة نظير طويل لا يختلف عنها الا في صفة الطول أو الكمية، ومن أمثلتها الحركة الفتحة المتوسطة الطويلة في كلمة غائب ɣaaʔib وخاتم xaatim، وقائم qaaʔim.

3. الفتحة القصيرة المفخمة (a) :

ترد هذه الفتحة مصاحبة للصوامت المفخمة تفخيماً كلياً. وعند النطق بها تكون أعلى نقطة في اللسان خلفية، وبعيدة عن الطبق، كما أن الفم يكون مفتوحاً، وتكون الشفتان غير مستديرتين.

وتعد هذه الحركة أقرب الحركات العربية الى الحركة المعيارية رقم (5)، إلا أن الجزء الخلفي من اللسان يكون أكثر ارتفاعاً، كما أن أعلى نقطة من هذا الجزء الخلفي من اللسان تكون متقدمة بالقياس الى الحركة المعيارية رقم (5). ومن أمثلتها حركة الفتحة المفخمة في كلمة صبيح ṣabiiḥ، وطريق ṭariiq، وغيرهما. ولهذه الحركة نظير طويل لا يختلف عنها إلا في صفة الطول، أو الكمية، ومن أمثلتها حركة الفتحة الطويلة المفخمة في كلمة طالب ṭaalib، وصابر ṣaabir، وظالم ð̣aalim وغيرها.

فالفتحة المفخمة حركة: خلفية بين الواسعة ونصف الواسعة، مجهورة، غير مستديرة.

ثالثاً: الضمة العربية /u/ :

تتصف حركة الضمة، في اللغة العربية، بأنها حركة خلفية ضيقة مستديرة. وترد هذه الحركة قصيرة وطويلة، ولكل واحدة منهما تنوعات من حيث الترقيق، والتفخيم، والحالة المتوسطة بين الترقيق والتفخيم. وفيما يلي توضيح لهذه الأنواع :

1. الضمة القصيرة الخالصة المرققة (u) :

عند النطق بهذه الحركة، يرتفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه المنطقة الخلفية من سقف الحنك الأعلى، وهي منطقة الطبق، دون أن يؤدي هذا الارتفاع إلى إعاقة مجرى الهواء، أو إحداث احتكاك من أي نوع، إذ لو تمّ ذلك، وارتفع اللسان أكثر نحو الطبق، لسمع بسببه حفيفٌ مسموع، وكانت النتيجة حدوث صوت الواو (w)، وهي نصف حركة semi vowel، لا حركة. كما أن الشفتين، تتخذان وضع استدارة كاملة، مع بقاء فرجة بينهما، تسمح بمرور الهواء مروراً حراً طليقاً، لا يؤدي الى احتكاك بالشفتين. ومن أمثلة ذلك الضمة القصيرة المرققة في كلمة سؤال suʔaal.

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (1) في منطقة الحركة المعيارية رقم (8) في الشكل رقم (3) المرافق.

ولهذه الحركة نظير طويل لا يختلف عنها إلا في صفة الطول، أو الكمية، ومن أمثلتها حركة الضمة الطويلة الخالصة المرققة في كلمة يتوب yatuub، وكلمة ربوع rubuu^c فالضمة المرققة حركة: خلفية، ضيقة، طبقية، مجهورة، مستديرة.

وتعد هذه الحركة- كما ذكرنا لك، عزيزي الدارس، في أثناء عرضنا للحركات المعيارية- أقرب حركات الضمّ العربية، تقريباً، الى الحركة المعيارية رقم (8)، إلا أن الضمة المرققة العربية، تختلف، عن هذه الحركة المعيارية، في أن أعلى نقطة، في الجزء الخلفي من اللسان، تكون معها متقدمةً إلى حدٍّ ملحوظ عن أعلى نقطة في الحركة المعيارية رقم (8) [علم اللغة العام، للدكتور كمال بشر، ص: 153].

2. الضمة القصيرة المتوسطة (ʊ) :

ترد هذه الحركة مصاحبة للصوامت ذات التفخيم الجزئي التي ذكرناها لك، عزيزي الدارس، غير مرة. ويتم انتاجها بالكيفية التي يتم بها انتاج الضمة القصيرة المرققة، غير أنها؛ أي الضمة المتوسطة، أكثر خلفية، وأقل ضيقاً منها. ومن أمثلة ذلك الضمة القصيرة المتوسطة في كلمة خلفاء xʊlafaa'، وكلمة غراب ɣuraab .

ملاحظة :

انظر الحركة رقم (2) في منطقة الحركة المعيارية رقم (8) في الشكل رقم (3) المرافق.

ولهذه الحركة نظير طويل لا يختلف عنها إلا في صفة الطول، أو الكمية، ومن أمثلتها حركة الضمة الطويلة المتوسطة في كلمة يخون yaxʊʊn، ويقوم yaqʊʊm.

فالضمة المتوسطة حركة: خلفية، بين الضيقة ونصف الضيقة، مجهورة، مستديرة.

3. الضمة القصيرة المفخمة (ɤ) :

ترد هذه الحركة مصاحبة للصوامت المفخمة تفخيماً كلياً، وهي، كما ذكرنا غير مرة الصاد، والضاد، والطاء، والظاء. ويتم انتاجها بالكيفية التي يتم بها إنتاج الحركة السابقة، إلا أنها أكثر خلفية، وأقل ضيقاً منها. ومن أمثلتها حركة الضمة المفخمة في كلمة طموح ṭʊmuuḥ، وكلمة صعود ṣcuud.

ملاحظة :

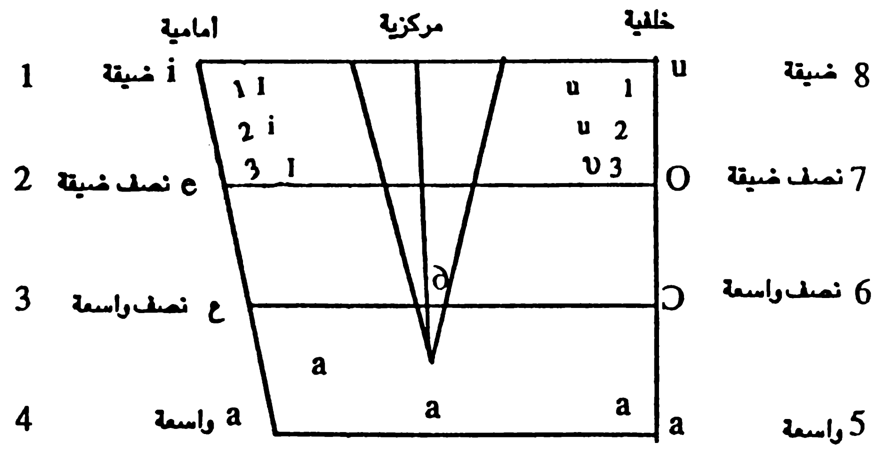
انظر الحركة رقم (3) في منطقة الحركة المعيارية رقم (8)، في الشكل رقم (3) المرافق.

ولهذه الحركة نظير طويل لا يختلف عنها إلا في صفة الطول، أو الكمية، ومن أمثلتها حركة الضمة الطويلة المفخمة في كلمة صودر ṣʊʊdira، وبطون buṭʊʊn.

فالضمة المفخمة حركة: خلفية، نصف ضيقة تقريباً، مجهورة، مستديرة.

وتعد هذه الحركة، عزيزي الدارس، أكثر قرباً الى الحركة المعيارية رقم (7) منها إلى الحركة المعيارية رقم (8)، وإن كانت تختلف عن الحركة المعيارية رقم (7) في أن الجزء الخلفي من اللسان يكون معها أكثر ارتفاعاً نحو الطبق.

والشكل التالي يوضح الحركات العربية، وموقعها من الحركات المعيارية:



شكل (3)

5.3 الفرق بين القدماء والمحدثين في النظرة إلى الحركات وأنصاف الحركات

عزيزي الدارس،

في نهاية حديثنا عن الحركات vowels، نود أن ننبه إلى مسألة مهمة، هي أن الواو والياء اللتين اعتبرناهما نصفي حركة semi vowels هما الواو والياء، في مثل: ولد walad ويلد yalid، أما الواو والياء في مثل: كتبوا katabuu، و: كتابي kitaabii، فإنهما تعدان حركتين طويلتين صِرْفَتَيْن pure vowels، هما: الضمة الطويلة /uu/، والكسرة الطويلة /ii/.

ولقد سبق لنا أن بينا لك الفرق بين هذين النوعين من الأصوات؛ أي أنصاف الحركات، والحركات في موضع سابق يمكنك الرجوع إليه.

عزيزي الدارس،

ولكن القدماء من علمائنا الأجلاء، خلطوا بين هذين النوعين من الأصوات، واعتبروا نصف الحركة الواو /w/، وحركة الضمة الطويلة /uu/ شيئاً واحداً، كما اعتبروانصف الحركة الياء /y/، وحركة الكسرة الطويلة /ii/ شيئاً واحداً أيضاً. فالواو الأولى، في كلمة مولود mawluud، على سبيل المثال، تمثل فونيم نصف الحركة /w/، أما "الواو" الثانية، في الكلمة نفسها، فتمثل فونيم الضمة الطويلة /uu/. ولكن هاتين الوحدتين الصوتيتين، أو، لنقل الفونيمين المختلفين، كانا يرتبطان، في الدرس اللغوي العربي القديم، بوحدة كتابية واحدة، أو برمز كتابي واحد، أو لنقل، بحرف واحد هو: الواو، الأمر الذي أدّى إلى الوقوع في الخلط، واعتبار الفونيمين المختلفين فونيماً واحداً.

ويمكننا، عزيزي الدارس، قول الشيء نفسه عن الياء الأولى، والثانية في الفعل يمشي yamsii، فالياء الأولى، في هذا الفعل، تمثل فونيماً مستقلاً هو فونيم نصف الحركة الياء /y/، أما الياء الثانية، في الفعل نفسه، فتمثل فونيم الكسرة الطويلة /ii/. ولكن هاتين الوحدتين الصوتيتين، أو هذين الفونيمين المختلفين، كانا يرتبطان، في الدرس اللغوي العربي القديم، بوحدة كتابية واحدة، أو برمز كتابي واحد، أو بحرف واحد هو: الياء، الأمر الذي أدّى الى الخلط، واعتبار الفونيمين المختلفين فونيماً واحداً.

تدريب (7)

1. هل تقوم التنوعات النطقية السياقية المختلفة للحركات بوظيفة دلالية؟ وضح ذلك مع التمثيل .
2. اكتب البنى اللغوية التالية كتابة صوتية، ثم ميِّز الحركة vowel، من نصف الحركة semi vowel في كل منها: وصل، يصلون، يكتب، تكتبين.

اسئلة التقويم الذاتي (8)

1. وضح المقصود بالحركات الأمامية والحركات الخلفية، ثم عدد الحركات العربية في كلا النوعين .
2. وضح الفرق الرئيس بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة .
3. ما التنوعات النطقية السياقية التي تتعرض لها كل حركة من الحركات العربية ؟

4. الخلاصة

هذه الوحدة الخامسة من مقرر الأصوات، وهي وحدة أساسيّة مهمة تتناول الفونيمات التركيبية في اللغة العربية، وتشمل الصوامت والحركات. أما الصوامت فقد عالجتها من حيث أسس تصنيفها ومواضع النطق بكل منها وأقسامها من حيث الجهر والهمس والتفخيم والترقيق، وبينت الوحدة آراء العلماء السابقين والمحدثين في هذه الصوامت. ثم تناولت الوحدة الحركات وبينت المقصود بها وهي أصوات مجهورة يخرج الهواء في أثناء تشكيلها في تيار متتابع مستمر من خلال الحلق والفم، ثم بينت الوحدة أسس تصنيف الحركات حسب مواصفها، ثم بينت أخيراً موقف العلماء السابقين والمحدثين في النظر إلى الحركات وأنضياق الحركات. واشتملت الوحدة على عدد من التدريبات وأسئلة التقويم الذاتي.

5. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

عزيزي الدارس،

سيدور حديثنا، في الوحدة القادمة، وهي الوحدة السادسة من وحدات مقرر علم أصوات العربية، حول موضوع الحركات المزدوجة Diphthongs .وسيشمل ذلك بياناً بالمقصود بها، وبأنواعها، ومدى تحققها في اللغة العربية.

ولسوف نعرف، من خلال دراستنا لهذه الوحدة، أنَّ الحركات المزدوجة تمثل نوعاً خاصاً من الحركات vowels، وأن لها آلية إنتاجٍ خاصة بها، تميِّزُها من الحركات البسيطة على اختلاف أنواعها.

6. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. يتم إنتاج الصوت المركب عن طريق نوعين من تدخل أعضاء النطق في مجرى تيار الهواء المنتج للأصوات. وهذان النوعان هما.
   - الاغلاق التام الذي ينتج الأصوات الانفجارية.
   - التضييق الذي ينتج الأصوات الاحتكاكية.

ولكن الصوت المركب يختلف عن الصوت الانفجاري الناتج عن الإغلاق التام، في أن الانفصال بين العضوين المتصلين لا يكون انفصالاً تاماً، وإنما يكون انفصالاً بطيئاً خفيفاً، بحيث يتبعه نوع من الاحتكاك في نفس موضع النطق. فهو صوت انفجاري احتكاكي، أي أنه يبدأ انفجارياً، وينتهي احتكاكياً. ومن أمثلته، في اللغة العربية الفصحى، صوت الجيم، فهذا الصوت صوت مركب Affricate؛ الجزء الأول منه صوتٌ قريبٌ من الدال، أو هو الدال نفسه، والثاني صوتٌ معطش كالجيم الشامية التي هي صوت الشين في حالة النطق به مجهوراً، أو مجهراً.

2- يعود اختلاف الأصوات الاحتكاكية، فيما بينها، في نسبة صفة الاحتكاك فيها، إلى نسبة التضييق الأخدودي الحاصل بين نصل اللسان، والجزء الخلفي من حافة اللثة. فكلما زادت نسبة التضييق زادت نسبة الاحتكاك، مما يؤدي إلى ارتفاع درجة الصوت. ومن الأمثلة على الأصوات الاحتكاكية ذات التضييق الشديد الأصوات الصفيرية، كالزاي، والسين، والصاد، والشين، في حين تكون الأصوات الاحتكاكية الأخرى أقلّ اتصافاً بهذه الظاهرة، ومن الأمثلة على الأصوات ذات التضييق غير الشديد، أصوات الثاء، والفاء، والظاء، وغيرها.

وعلى هذا، فإن نسبة التضييق، في مجرى تيار الهواء، هي التي تحدد نسبة صفة الاحتكاك في الأصوات الاحتكاكية.

تدريب (2)

يعتمد معيار التمييز بين الصوامت المطبقة، والصوامت الطبقية على الطبق. فإذا كان الطبق مخرجاً أساسياً للصوامت، فإن هذه الصوامت تكون طبقية، أمّا إذا كان الطبق مخرجاً ثانوياً للصوامت، فانها تكون عندئذ صوامت مطبقة؛ أي مفخمة.

تدريب (3)

1. يقصد بالقلقلة- التي تصاحب أصوات القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال، عند اللغويين العرب القدماء- ضغطٌ يصاحب نطق هذه الأصوات من "مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم "صويت"، ونبا اللسان عن موضعه". [كتاب سيبويه 4/ 174].

ومعنى هذا الكلام، أن أصوات القلقلة تتعرض في مخرجها إلى ضغط شديد في أثناء الوقف، ومن شأن هذا الضغط الشديد أن يؤدي، كما قال سيبويه، الى نبوّ اللسان عن موضعه، مما يستتبع تذييل عملية النطق بها بما سمّاه سيبويه "صويتاً"، والمقصود بالصُّوَيْت، صوت حركة صغيرة مختلسة لم تبلغ، في درجتها وهيئتها، درجة الحركة العادية، كالكسرة، والفتحة، والضمة.

ولعل الذي دعا العرب إلى الوقوف على هذه الأحرف بطريقة "القلقلة"، هو إحساسهم بأنها توشك أن تختفي في حالة الوقف، حيث من الممكن أن تتحول الى أصوات مهموسة خفية، فكانت هذه القلقلة وسيلةً إلى إظهار الصوت، وتوفيته حقّه من ملمح الجهر.

2- يقصد بالاصوات المائعة Liquids، أو الأصوات الرنانّة Resonants، كما تسمى أيضاً، تلك الأصوات التي يمرّ معها الهواء في مجراه، في الممر الصوتي، دون احتكاك، أو انحباس من أيّ نوع. ويعود ذلك إلى أن مجرى الهواء في الفم يتجنب المرور بنقطة السدّ، أو التضييق، كما هو في صوت اللام، أو لأن هذا التضييق غير ذي استقرار، كما هو الحال في صوت الراء، أو لأن الهواء يمرُّ بالانف، كما هو الحال في صوتي الميم والنون.

وتشبه هذه الأصوات الأربعة الحركات في أهم خاصة من خواصها، وهي قوة الوضوح السمعي Sonority. ويعود ذلك إلى أن الهواء يخرج، في أثناء نطق أصوات اللام والميم والنون، حراً طليقاً كالحركات، إلاّ أنه؛ أي الهواء، يخرج في أثناء نطق الحركات من وسط الفم، في حين يخرج مع اللام من أحد جانبي الفم، أو كليهما، ومع الميم والنون من الأنف، كما أن الهواء، في أثناء إنتاج صوت الراء، يتمتع بنوعٍ من الحرية غير المتحققة مع الصوامت الأخرى، وذلك بسبب الاتصال والانفصال المتكررين. كما أن هذه الأصوات الأربعة تشبه الحركات أيضاً، في جانب آخر، هو صفة الجهر التي تعدُّ خصيصةً مميزة للحركات. ومن المعلوم أنّ صفة الجهر تكسب الأصوات قوة وضوحٍ في السمع.

تدريب (4)

1. الحالات التي يرد فيها صوت الراء مفخماً:

- إذا كان مفتوحاً غير مسبوق بياء، أو كسرة لازمة، ولم يقع بعده الكسر، نحو: احتارَ، و: أعْرَب، و: راشد، و: رحيم.
- إذا كان مضموماً، ولم يسبق بكسرة، نحو: يشكرون، و: رُسُل.
- إذا كان ساكناً ومسبوقاً بفتحة، نحو: عرش ربك، أو مسبوقاً بضمة نحو: قُرْآن.
- إذا وقع مجاوراً لأحد الصوامت المفخمة، نحو: أرطال، مرصد، عَرْض، ظَرْف.

2. الحالات التي يرد فيها صوت اللام مفخماً:

- إذا وقع مجاوراً لأحد الصوامت المفخمة، نحو: صلاح، ضلال، طلع، ظلم.
- في لفظ الجلالة مسبوقاً بفتحة، أو ضمة، نحو: كان اللّهُ عليماً حكيماً، ونحو: يكونُ اللهِ عليهم شهيداً.

تدريب (5)

1. يطلق مصطلح "أشباه حركات" على أصوات: اللام، والراء، والميم، والنون، لأن هذه الأصوات الأربعة تشبه الحركات في أمرين أساسيين هما: قوة الوضوح السمعي، والجهر. ومع ذلك، فقد ظلت هذه الأصوات، على الرغم من شبهها بالحركات، أصواتاً صامتة، لا حركات.

2. إنه الطبق Velum الذي يؤدي ارتفاعه إلى أعلى إلى إغلاق ممر التجويف الأنفي Nasal Cavity، الأمر الذي يسمح للهواء المنتج للأصوات بالتدفق عبر التجويف الفموي Oral Cavity، فتكون النتيجة حدوث الأصوات الفموية. أما عندما ينخفض الطبق إلى أسفل، بحيث يغلق ممر التجويف الفموي إغلاقاً تاماً، فإن تيار الهواء المنتج للأصوات يتدفق عبر التجويف الأنفي وحده، فتكون النتيجة حدوث الأصوات الأنفية، وهي، في اللغة العربية، صوتا الميم والنون.

تدريب (6)

1. يعدُّ الجهر ملمحاً أساسياً في إنتاج الحركات، لسبب واضح وبسيط، هو أن الحركات، وقد فقدت الانسداد الكامل، الذي تنشأ عنه الصوامت الانفجارية، والانسداد الجزئي، الذي تنشأ عنه الصوامت الاحتكاكية، لم يبق لها إلا الوتران الصوتيان لتعتمد عليهما في تصويتها. ولولا صفة الجهر، الذي هو تدخل الوترين الصوتيين في تيار الهواء المنتج للحركات، لمرَّ الهواء من الرئتين إلى الخارج دون تدخل يذكر، تماماً كما يحدث في الزفير العادي. وعلى هذا، فالجهر، في الحركات، هو الذي يجعلها صوتاً مسموعاً، وليس مجرَّد زفير.

2. أهم الخصائص، التي تتسم بها الحركات المعيارية، هي أنها ليست مأخوذةً من لغةٍ معينة، ولا يفترض وجودها في لغةٍ معينةٍ كذلك. فربما يوجد بعضها في بعض اللغات، وقد لا يوجد بعضها الآخر، فهي إذن حركات لا تنسب إلى أيِّ لغة، وإنما هي "معايير"، أو "مقاييس" عامة، تنسب إليها، وتقاس عليها حركات أيّة لغة يراد دراستها، أو تعلمها.
3. نظر "دانيال جونز" الى اللسان، من حيث دوره في إنتاج الحركات باعتبارين اثنين هما:
   - وضعه بالنسبة للحنك الأعلى، من حيث الارتفاع والانخفاض.
   - الجزء المعين من اللسان، الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض.

تدريب (7)

1. لا تقوم التنوعات النطقية السياقية المختلفة للحركات بوظيفة دلالية. لأنها تنوعات ألوفونية، وليست فونيماتٍ قائمةً بذاتها، فالفتحة، على سبيل المثال، تستوي، بأنواعها الثلاثة، من حيث التفريق وعدم التفريق بين معاني الكلمات. فالفرق، في المعنى، بين "صَبرَ"، و "سَبرَ"، و "خَبرَ"، لا يعود الى وجود الفتحة المفخمة في الكلمة الأولى، والفتحة المرققة في الكلمة الثانية، والفتحة المتوسطة بين التفخيم والترقيق في الكلمة الأخيرة، وإنما يرجع الى وجود الصاد، في الكلمة الأولى، والسين في الثانية، والخاء في الكلمة الأخيرة. ومعنى هذا أنّ أنواع الفتحة، أو التنوعات النطقية التي فرضها السياق للفتحة، لا تفرق بين المعاني، وإنما الذي يفرق هو الفتحة نفسها، بغض النظر عن نوعها، بوصفها ليست كسرةً، وليست ضمةً. وما ذكرناه عن الفتحة هنا ينطبق هو نفسه على الكسرة والضمة.
2. التمييز بين الحركات وأنصاف الحركات :
   - وَصَلَ= wasala، تشتمل هذه الكلمة على "الواو"، وهي، هنا، نصف حركة semi vowel.
   - يصلون= yasiluun، تشتمل هذه البنية على الضمة الطويلة، المسماة "واواً"، وهي حركة صرفة pure vowel.
   - يكتبُ= yaktubu، تشتمل هذه الكلمة على الياء، وهي، هنا، نصف حركة.
   - تكتبين= taktubiin، تشتمل هذه البنية على الكسرة الطويلة، المسماة "ياءً"، وهي حركة صرفة.

مسرد المصطلحات

وردت في هذه الوحدة مصطلحات (الصوامت) و(الحركات) وقد سبق تعريفها في الوحدة الرابعة. وهذه الوحدة تفصيل كما ورد في الوحدة الرابعة من حديث عن (الفونيم).

8. المراجع

1. ابن أحمد، الخليل، العين، ط1. تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988.
2. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. نشر علي محمد الضباع، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت).
3. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968- 1972.
4. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط6. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.
5. ـــــــــ، في اللهجات العربية، ط3.القاهرة:: مكتبة الأنجلو المصرية، 1965.
6. أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط2. القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1968.
7. ـــــــــ، التطور اللغوي. القاهرة: دار الطباعة القومية، 1964.
8. ـــــــــ، العربية ولهجاتها. القاهرة: مطابع سجل العرب، 1968.
9. برجشتراسر، التطورالنحوي للغة العربية. أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1982.
10. بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، الأصوات، ط7. القاهرة: دار المعارف، 1980.
11. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1955.
12. حماد، محمد نمر، اتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد. نابلس: 1323هـ.
13. السعران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. الاسكندرية: دار المعارف بمصر، 1962.

14. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، ط3. بيروت: تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، 1983.
15. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط2. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت).
16. شاده، آرتور، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا. مجلة صحيفة الجامعة المصرية، العدد الخامس، السنة الثانية، 1931.
17. شاهين، عبد الصبور، في التطور اللغوي. القاهرة: المطبعة العالمية، 1975.
18. ________، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. القاهرة: دار القلم، 1960.
19. عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980.
20. ________، المدخل إلى علم اللغة، ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985.
21. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط1. القاهرة: عالم الكتب، 1976.
22. فك، يوهان، العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980.
23. فليش، هنري، العربية الفصحى. ترجمة عبد الصبور شاهين، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1966.
24. كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، تونس: 1966.
25. اللغوي، أبو الطيب، الإبدال في كلام العرب. تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: 1960.
26. مالمبرج، برتيل، علم الأصوات. ترجمة عبد الصبور شاهين، القاهرة، مكتبة الشباب، 1984.
27. المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ط7. دار الفكر، دمشق: 1981.
28. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، 1963- 1968.

الوحدة السادسة

الحركات المزدوجة

محتويات الوحدة

الموضوع الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

كان من الممكن أن نختتم حديثنا معك عن موضوع الحركات Vowels، الذي تناولناه في الوحدة السابقة، وهي الوحدة الخامسة، من مقرر علم الأصوات العربية، بالحديث عن هذا الموضوع، الذي نحن بصدد دراسته، في هذه الوحدة، وهو موضوع الحركات المزدوجة Diphthongs، إذ إن الحديث عن هذا النوع من الحركات، ما هو إلا امتداد للحديث عن موضوع الحركات بصورة عامة.

غير أننا آثرنا إرجاء مناقشة الحركات المزدوجة، إلى وحدة خاصة بها كي يكون الحديث عنها، رغم إيجازه وبساطته، مستقلا، ومحققا للفائدة المتوخاة.

سوف نتناول، في هذه الوحدة من مقرر علم أصوات العربية، موضوع الحركات المزدوجة، من حيث تحديد مفهومه، وبيان أنواعه، وتصنيف أقسامه، وما طرأ على هذا النوع من الحركات من تطور صوتي، في كثير من اللهجات العربية المعاصرة.

إن الحديث عن هذا الموضوع، الذي يتسم بالمحدودية والإيجاز، كما ذكرنا قبل قليل، سوف يضيف إلى معلوماتك الصوتية التخصصية، لبنة جديدة، تتآزر مع غيرها من اللبنات اللغوية، التي درستها في الوحدات السابقة، والتي ستدرسها في الوحدات التالية، كي تُكَوِّنَ، في مجموعها، فِكْرًا صوتياً تخصصياً لديك. فكن، عزيزي الدارس، معنا، بفكرك ومتابعتك، ونحن نعالج جزئيات هذا الموضوع، وأسعدك الله، وأسعد بك، وسلامٌ من الله عليك.

2.1 أهداف الوحدة

نتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد قراءة هذه الوحدة، واستيعاب ما سيرد فيها من معلومات صوتية، وما سيتخللها من فوائد، وأسئلة، وتدريبات – نتوقع منك أن تكون قادراً على أن :

1. تحدد المقصود بالحركات المزدوجة.
2. توضح أنواع الحركات المزدوجة.
3. تصنف الحركات المزدوجة.
4. تذكر ما طرأ على الحركات المزدوجة من تطور في بعض اللهجات العربية.

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس،

تشتمل، هذه الوحدة، التي بين يديك، من مقرر علم أصوات العربية، على الأقسام الثلاثة التالية :

القسم الأول : ويتناول تحديد المقصود بالحركات المزدوجة. ويحقق الهدف (1).
القسم الثاني : ويشتمل على دراسة لأنواع الحركات المزدوجة، ويحقق الهدف (2).
القسم الثالث : ويبحث في تصنيف الحركات المزدوجة. ويحقق الهدفين (4،3).

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس،

أنت تعلم، دونما شك، أن القراءة الإضافية، في أي موضوع، من شأنها أن تشكل روافد تغذي الجانب الثقافي والتخصصي الذي تدور حوله. ومن هذا المنطلق، فإننا- بعد قراءة مواد هذه الوحدة، واستيعاب ما اشتملت عليه من أفكار – ننصحك بقراءة فصول بعض الكتب اللغوية والصوتية التي عالجت موضوع الحركات المزدوجة، ومن هذه الكتب :

1. أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط 2. القاهرة : مطبعة الكيلاني، 1968.
2. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة : عالم الكتب، 1976.
3. باي، ماريو، أسس علم اللغة. ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة : عالم الكتب، 1983.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس،

إن كل ما تحتاج إليه، وأنت بصدد دراسة هذه الوحدة، يتمثل في قراءة كل ما سيرد فيها من مواد، بتمعن واستيعاب، وحل ما سنقدمه لك من أسئلة وتدريبات، وفهم ما قد نورده لك من فوائد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مطالعة الكتب اللغوية والصوتية، التي ذكرنا لك، آنفاً، طرفا منها، سيعود عليك، بلا ريب، بالنفع، والخير، والفائدة.

2- تعريف الحركات المزدوجة

عزيزي الدارس،

سبق لنا أن ذكرنا لك، في نهاية حديثنا عن موضوعات الوحدة الخامسة، من وحدات هذا المقرر؛ أي مقرر علم أصوات العربية، أن الحركات Vowels ، بأنواعها المختلفة، تعد القسم الرئيس الثاني من أقسام الأصوات العربية، وأنها تعدُّ القسيم الثاني للصوامت في أجزاء الكلام.

ولقد قدمنا لك، في أثناء حديثنا عن الحركات أيضا، في ذلك الموضع من الوحدة الخامسة، التعريف الذي قدمه اللغوي الإنجليزي المشهور دانيال جونز للحركة "بأنها، في الكلام العادي، صوت مجهور يخرج الهواء، في أثناء تشكيله في تيار متتابع مستمر، من خلال الحلق والفم، دون أن يتعرض لتدخل يمنع خروجه، أو يسبب له احتكاكاً مسموعاً".

إن هذا النوع من الحركات، التي تناولناها، بالدراسة في تلك الوحدة، يوصف بأنه من قبيل الحركات البسيطة Monophthongs ، أي من النوع، الذي يتم إنتاجه دون حدوث تغيير في النوع Quality- وإن كان من الممكن أن يطرأ عليه تغيير في الكم quantity- والذي يقتضي موقعاً خاصاً ثابتاً، مدة من الزمن، لا يغيره خلال النطق به.

أما الحركات، التي نحن بصدد دراستها، في هذه الوحدة، فهي من نوع آخر، إنها حركات مزدوجة، أو حركات مركبة Diphthongs ، كما تسمى أيضاً.

فما هو المقصود بهذا النوع من الحركات، عزيزي الدارس ؟

يقصد بالحركة المزدوجة، تلك الحركة التي تقع ضمن مقطع واحد، والتي يتغير نوعها في أثناء إنتاجها. وهذا يعني أن اللسان ينتقل، في أثناء إنتاج هذا النوع من الحركات، من موضع النطق بحركة، إلى موضع النطق بحركة أخرى باستمرار ودونما توقف، فاللسان يتخذ، في أثناء نطقه بالحركة المزدوجة، وضعاً معيناً، ثم ما يلبث أن يغيره إلى وضع جديد.

فالحركة المزدوجة، بناء على ذلك، هي عبارة عن "تتابع مباشر لصوتي علة (أي صوتي حركة) يوجدان في مقطع واحد"، أو هي "صوتا علة (أي صوتا حركة) ينطقان في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد" [أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 80].

ويمكننا تعريفها أيضا بقولنا : إنها "صوت يتكون من حركتين بسيطتين، أو إنها صوت يتكون من حركة بسيطة Vowel ، ونصف حركة Semi Vowel متتاليين في مقطع واحد، مثل : /ay/ في نحو : bite ، و : /aw/ في نحو Cow " [علم اللغة النظري، للدكتور محمد على الخولي، ص : 75، بتصرف قليل].

ومن المعلوم، عزيزي الدارس، أن صوتي الواو والياء، يعدان، من الناحية الفوناتيكية الصوتية النطقية المحضة، نصفي حركة Semi Vowel، وإن كانا من الناحية الفونولوجية، يعدان من قبيل الصوامت. ففي هذين الصوتين يقل احتكاك تيار الهواء المنتج لهما بالأعضاء النطقية التي يمر خلالها، إلى حدٍّ يقربهما من الحركات، على عكس الصوامت التي تتميز بقدر كبير من الاحتكاك والتضييق، والتوتر، والغلق. ولهذا السبب فقد عَدَّ بعض اللغويين اجتماع الحركة مع نصف الحركة متتاليين في مقطع واحد من قبيل الحركة المزدوجة. [O'connor, Phonetics, p: 221] وهذا النوع من الحركة المزدوجة هو الشائع في اللغة العربية، وفي غيرها من اللغات أيضا.

عزيزي الدارس،

ولكي نوضح لك الآلية التي تُكَوِّنَ الحركة المزدوجة، نسوق إليك المثالين التاليين :

1- عند النطق بالحركة المزدوجة الموجودة في كلمة "لَوْن" Lawn، على سبيل المثال، يتخذ اللسان موضعه الخاص، في منطقة الحركات، للنطق بالفتحة التي تلي صوت اللام، ثم ما يلبث أن يتحرك، أو، لنقل، ينزلق منه مباشرة، لاتخاذ وضع جديد، هو موقع النطق بالضمة، ومعنى هذا أن اللسان قد اتخذ، للوصول من منطقة النطق بحركة، إلى منطقة النطق بحركة أخرى، طريقاً سار فيه من المنطقة الأمامية السفلى من الفم، وهي منطقة النطق بالفتحة، إلى المنطقة الخلفية العليا من الفم أيضا، وهي منطقة النطق بالضمة، وعلى هذا، فإن بوسعنا تسمية هذه الحركة المزدوجة باسم الحركة المزدوجة الصاعدة المتراجعة، أو بعبارة أكثر دقة : الحركة المزدوجة الصاعدة الأمامية الخلفية. لَوْن

2- وعند النطق بالحركة المزدوجة الموجودة في كلمة "بَيْت" Bayt، على سبيل المثال، يتخذ اللسان موضعه الخاص، في منطقة الحركات، للنطق بالفتحة التي تلي صوت الباء، ثم ما يلبث أن يتحرك، أو لنقل ينزلق منه مباشرة لاتخاذ وضع جديد، هو موقع النطق بالكسرة. ومعنى هذا، أن اللسان قد اتخذ، للوصول من منطقة النطق بحركة إلى منطقة النطق بحركة أخرى، طريقا سار فيه من المنطقة السفلى الأمامية من الفم، إلى المنطقة العليا الأمامية من الفم أيضا. وعلى هذا، فإن بوسعنا تسمية هذه الحركة المزدوجة باسم الحركة المزدوجة الصاعدة الأمامية. بَيْت

نشاط (1)

عزيزي الدارس،

ندعوك، وأنت بصدد دراسة هذا النوع من الحركات، إلى ضرورة العودة، سريعاً، إلى الجزء الخاص بموضوع الحركات Vowels، في الوحدة الخامسة ، من هذا المقرر، وذلك حتى تتمكن من استعادة فهم المصطلحات الخاصة بالحركات، كالأمامية، والخلفية، وغيرها.

اسئلة التقويم الذاتي (1)

عزيزي الدارس،

حاول، من خلال قراءتك وفهمك لما مر معك، في موضوع الحركات المزدوجة - أن تجيب عن هذين السؤالين البسيطين :

1- وضح المقصود بالحركة المزدوجة.

2- بين الكيفية التي يتم من خلالها النطق بالحركة المزدوجة في الكلمتين التاليتين : زَيْت، ونَوْم.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

عرفت، من خلال تحديدنا للمقصود بالحركة المزدوجة، أن هناك نوعين من الحركات هما: الحركة البسيطة Monophthong، والحركة المزدوجة Diphthong.

غير أننا نود أن نضيف إلى معلوماتك اللغوية والصوتية أيضاً، أن هناك نوعاً ثالثاً من الحركات يسمى "حركة ثلاثية" Triphthong. وهي حركة يتم إنتاجها مع حدوث تغييرين في النوع في أثناء النطق بها، أو هي حركة مركبة من ثلاث حركات متتالية، أو من: حركة + نصف حركة + حركة، في مقطع واحد، كما في الكلمة الإنجليزية hour (a u ə).

[علم اللغة النظري، للدكتور محمد علي الخولي، ص : 292، ودراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص : 118].

تدريب (1)

عزيزي الدارس،

بين أنواع الحركات الموجودة والمستعملة في اللغة العربية.

3. أنواع الحركات المزدوجة

عزيزي الدارس،

ذكرنا، في أثناء تحديدنا للمقصود بالحركة المزدوجة، أن هناك نوعين من الحركات هما : الحركة البسيطة، والحركة المزدوجة، ثم أضفنا، إلى هذين النوعين من الحركات، في الفائدة التي مرت معك قبل قليل، نوعاً ثالثاً هو الحركة الثلاثية.

والآن، لعلك تسأل، ومن حقك أن تسأل، عن أنواع الحركات التي تشتمل عليها لغتنا العربية، من بين تلك الحركات ؟

وللإجابة عن سؤالك هذا نقول :

في العربية نوعان من الحركات هما :

1- الحركة البسيطة، أو الحركة الأحادية Monophthong كما تسمى أيضاً.

ويشمل ذلك حركات الفتحة، والكسرة، والضمة، قصيرة وطويلة، وهذا النوع من الحركات، هو الشائع والمستعمل كثيراً، في البنى اللغوية للعربية.

2- الحركة المزدوجة، أو الحركة المركبة Diphthong ، كما تسمى أيضا.

ويتخذ هذا النوع من الحركات، في العربية، أيَّ شكل ممكن للانتقال من واحدة إلى أخرى من الحركات التالية : الفتحة، والكسرة، والضمة بأنواعها : قصيرة وطويلة. ويضاف إليها نصفا الحركة : الواو، والياء، في مثل : ولد، و : يدع.

وينتج عن ذلك أن القيمة النظرية لعدد الحركات المزدوجة، في العربية، يساوي ستاً وخمسين حركة، غير أن كثيراً من هذه الاحتمالات غير متحقق عملياً في اللغة العربية.

عزيزي الدارس،

سنحاول أن نقدم لك، فيما يلي، عرضاً لبعض الأشكال الممكنة للحركات المزدوجة في اللغة العربية :

* ياء (نصف حركة) + فتحة قصيرة، مثل : يَرْمي = yarmii

* ياء (نصف حركة) + فتحة طويلة، مثل : ياسين = yaasiin

* ياء (نصف حركة) + ضمة قصيرة، مثل : يُملي = yumlii

* ياء (نصف حركة) + ضمة طويلة، مثل : يوسف = yuusuf

* ياء (نصف حركة) + كسرة قصيرة، مثل : كأيِّن = ka'ayyin

* ياء (نصف حركة) + كسرة طويلة، مثل : تغيير = caəyiir

* واو (نصف حركة) + فتحة قصيرة، مثل : ولد = walad

* واو (نصف حركة) + فتحة طويلة، مثل : والد = waalid

* واو (نصف حركة) + ضمة قصيرة، مثل : وُدّ = wudd

* واو (نصف حركة) + ضمة طويلة، مثل : داود = daawuud

* واو (نصف حركة) + كسرة قصيرة، مثل : وداد = widaad

* واو (نصف حركة) + كسرة طويلة، مثل : غاوين = ɣ;aawiin

* فتحة قصيرة + ياء (نصف حركة)، مثل : بَيْت = bayt

* فتحة طويلة + ياء (نصف حركة)، مثل : ناي = naay

* فتحة قصيرة + واو (نصف حركة)، مثل : لَوْن = lawn

* فتحة طويلة + واو (نصف حركة)، مثل : واو = waaw

* كسرة قصيرة + ياء (نصف حركة)، مثل : بهي = bahiy

* كسرة قصيرة + واو (نصف حركة)، مثل : اجلواذ(1) = idjliwwaa

* ضمة قصيرة + ياء (نصف حركة)، مثل : غُيَّب = uyyab

* ضمة قصيرة + واو (نصف حركة)، مثل : مدعو = maaduw

---

(1) تعني كلمة "اجلواذ" : المضاء والسرعة في السير. (اللسان : جلذ).

عزيزي الدارس،

تناولنا، فيما سبق، تحديد المقصود بالحركة المزدوجة، ثم عرضنا للأنواع المختلفة، التي يمكن أن ترد عليها هذه الحركة في اللغة العربية. أما الآن، فسنحاول تصنيف الحركة المزدوجة وفق بعض المعايير والأسس المتبعة في هذا الشأن.

1.4 الحركات المزدوجة الصاعدة Rising Diphthong والهابطة Falling Diphthong

تكون الحركة المزدوجة، عزيزي الدارس، صاعدة، إذا كان الطرف الثاني، أو المكون الثاني لها، أكثر وضوحاً في السمع More Sonorous من طرفها الأول، أو المكون الاول لها.

أما إذا كان طرفها الأول أكثر وضوحا في السمع من طرفها الثاني، فإن الحركة المزدوجة، عندئذ، تكون حركة مزدوجة هابطة.[علم اللغة، للدكتور محمود السعران، ص : 204، وكذلك : Hartmann and Stork, Dictionary of Language and Linguistics, p; 67]

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الحركة الصاعدة، هي الحركة التي يكون جزؤها الاول صوتاً غير مقطعي Non Syllabic Sound، ويقصد بالصوت غير المقطعي، في الحركة المزدوجة، نصفا الحركة Semi Vowels الواو، والياء. ومن أمثلتها، في اللغة العربية كلمة "وعد" wad، وكلمة "يسر" yasr.

أما الحركة المزدوجة الهابطة، فهي الحركة التي يكون جزؤها الأول صوتاً مقطعياً Syllabic Soung Sound. ويقصد بالصوت المقطعي أصوات الحركات بأنواعها المختلفة، ومن أمثلتها، في اللغة العربية، كلمة "بَيْت" bayt، وكلمة "كون" kawn.

[الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص161: ، وكذلك : أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 81].

ولا يعدو، الرأي الذي قدمه الدكتور أنيس، أن يكون شرحاً وتوضيحاً لما سبق أن أوردناه من تعريف للحركة المزدوجة بنوعيها : الصاعد والهابط.

2.4 الحركات المزدوجة الواسعة Wide Diphthong، والضيقة Narrow Diphthong

تكون الحركة المزدوجة واسعة، إذا كانت إزاحة اللسان بين طرفي الحركة كبيرة، أي إذا كانت مسافة انتقال اللسان، من موضع النطق بالجزء الأول، من الحركة المزدوجة، إلى موضع النطق بالجزء الثاني منها، مسافة واسعة، ومن أمثلتها كلمة "my" (a+i) في الإنجليزية، وكلمة "ناي" naay في العربية.

أما إذا كانت إزاحة اللسان بين طرفي الحركة المزدوجة صغيرة، أي إذا كانت مسافة انتقال اللسان، من موضع النطق بالجزء الأول من الحركة المزدوجة، إلى موضع النطق بالجزء الثاني منها، مسافةً صغيرة، فإن الحركة المزدوجة تكون، عندئذ، حركة مزدوجة ضيقة، ومن أمثلتها كلمة "go" (ou) في اللغة الإنجليزية، وكلمة "ود" wudd في العربية.

[Hartmann and Stork, Dictionary of Language and Linguistics, p: 67]

عزيزي الدارس،

لقد لاحظت أن الحركة المزدوجة عبارة عن صوتين يقعان متتاليين ضمن مقطع صوتي واحد، وأن النطق بهذين الصوتين، يستدعي انتقالاً للسان من موضع النطق بحركة، إلى موضع النطق بحركة أخرى، باستمرار ودونما توقف، ويتم ذلك كله في فترة زمنية لا تكفي إلا للنطق بصوت واحد.

ولا شك في أن النطق، أو آلية النطق بهذا النوع من الأصوات، يعدُّ أمراً صعباً، ويحتاج إلى جهد عضلي، إذا ما قيس بنطق الحركة البسيطة التي لا يطرأ على نوعها، وعلى الموضع، الذي يتخذه اللسان، في أثناء النطق بها، أي تغيير.

ولهذا، فقد تعرضت بعض أنواع الحركة المزدوجة إلى التطور الصوتي، حيث عمدت معظم اللهجات العربية إلى التخلص منها، واستبدال الحركة البسيطة، أو الحركة الأحادية بها.

ولقد تركزت عملية التطور الصوتي، والتحول النطقي بالحركات المزدوجة الى حركات بسيطة - تركزت على نوعين رئيسين من أنواعها ، ونعني بهما :

1- الحركة المزدوجة المكونة من : فتحة قصيرة + ياء (نصف حركة) a+y، في مثل كلمة : بيت = bayt.

لقد تعرضت الحركة المزدوجة، التي من هذا النوع، إلى التطور الصوتي، في معظم اللهجات العربية، حيث تحولت إلى حركة بسيطة أحادية، هي الحركة الطويلة الأمامية نصف الضيقة (ee)، فأصبحت بنية الكلمة السابقة. beet ← bayt

2- الحركة المزدوجة المكونة من : فتحة قصيرة + واو (نصف حركة) a + w، في مثل كلمة: لون = lawn.

لقد تعرضت الحركة المزدوجة، التي من هذا النوع أيضا، إلى التطور الصوتي، في معظم اللهجات العربية، حيث تحولت إلى حركة بسيطة أحادية، هي الحركة الطويلة الخلفية نصف الضيقة (oo)، فأصبحت بنية الكلمة السابقة على النحو التالي :loon ← lawn

عزيزي الدارس،

ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا المجال، هو أن التطور الصوتي، الذي طرأ على نطق هاتين الحركتين المزدوجتين، في معظم اللهجات العربية، قد استتبعه تطور وتعديل مقابلان في النسيج المقطعي للكلمات التي اشتملت على هذين النوعين من الحركات المزدوجة.

فبعد أن كان النسيج المقطعي، للكلمات المشتملة على هذين النوعين من الحركات، من النوع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص)، وهو نوع مقطعي صعب ومعقد، ينفر منه معظم الناطقين باللهجات العربية - أصبح، بعد التطور والتعديل، من النوع الطويل المغلق (ص ح ح ص)، وهو نوع مقطعي أكثر خفة، وأكثر شيوعاً واستعمالاً من سابقه.

تدريب (2)

عزيزي الدارس،

1- مر معك، في أثناء دراستك لتصنيف الحركة المزدوجة، مصطلحان اثنان هما : الصوت المقطعي، والصوت غير المقطعي. فما هو المقصود بهما ؟

2- اشترط اللغويون، في الحركة المزدوجة الصاعدة والهابطة، أن يكون أحد طرفيها أكثر وضوحاً في السمع من الطرف الآخر. فما هو المقصود بالوضوح السمعي ؟

نشاط (2)

عزيزي الدارس،

ندعوك، وأنت بصدد دراسة التطور الصوتي والمقطعي، الذي طرأ على نطق بعض الحركات المزدوجة - ندعوك إلى ضرورة مراجعة الجزء الخاص بموضوع الحركات في الوحدة السابقة، وهي الوحدة الخامسة في هذا المقرر، وذلك حتى تتمكن من تذكر بعض المصطلحات الخاصة بالحركات واستيعابها، مثل الحركة الأمامية نصف الضيقة، والحركة الخلفية نصف الضيقة.

كما ندعوك أيضاً إلى الاطلاع على المقصود ببعض المصطلحات المقطعية الواردة في الوحدة الدراسية التالية، وهي الوحدة السابعة الخاصة بموضوع المقطع الصوتي، وذلك حتى تتمكن من فهم المقصود ببعض القضايا المقطعية الواردة هنا، كالمقطع الطويل المغلق، والمقطع الطويل المزدوج الإغلاق.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- وضح المقصود بالحركة المزدوجة الصاعدة، والحركة المزدوجة الهابطة، مع التمثيل.

2- اذكر أهم أنواع الحركة المزدوجة المشتملة على فتحة قصيرة ونصف حركة.

تدريب (3)

عزيزي الدارس،

1- بين السبب الذي من أجله تخلص معظم الناطقين باللهجات العربية من الحركة المزدوجة المكونة من : فتحة قصيرة + ياء (نصف حركه) و : فتحة قصيرة + واو (نصف حركة).

2- اشرح المقصود بالحركة المزدوجة الواسعة، والحركة المزدوجة الضيقة.

نشاط (3)

عزيزي الدارس،

إذا كنت قد قمت بزيارة إلى كلٍّ من الشقيقة سوريا، والشقيقة لبنان، وتعرفت إلى المعالم السياحية الجميلة في هذين القطرين العزيزين، ثم التقيت، في أثناء زيارتك، بالكثير من أبنائهما، واستمعت إلى طرائق نطقهم اللهجي – فأخبرنا، وأخبر زملاءك كيف ينطقون الحركات المزدوجة ؟

- هل ينطقونها كما تقتضي قواعد الفصحى ؟
- أم أنهم تخلصوا منها، كما فعل كثير من الناطقين باللهجات العربية في معظم أقطار العروبة ؟

تدريب (4)

عزيزي الدارس،

من خلال دراستك لنوعي الحركة المزدوجة : الصاعد والهابط، اقرأ الكلمات التالية، ثم حاول تصنيفها من حيث اشتمالها على حركة مزدوجة صاعدة، أو حركة، مزدوجة هابطة، وهذه الكلمات هي :

بَيْت، وداد، تَغْيير، ناي، لَوْن، يَرْمي، والد، غَيْب.

5. الخلاصة

تناولت هذه الوحدة السادسة (الحركات المزدوجة)، والحركة المزدوجة هي الحركة التي تقع ضمن مقطع واحد، ويتغير نوعها في أثناء انتاجها. وأنواعها هي الحركة البسيطة أو الحركة الاحادية، والحركة المركبة وقد ذكرت الوحدة أشكالاً عدة للحركات المزدوجة وصلت إلى عشرين شكلاً. ثم تحدثت الوحدة عن تصنيف الحركات المزدوجة وشمل التصنيف الحركات الصاعدة والهابطة، ويقصد بالأولى الحركة التي يكون جزؤها الأول غير مقطعي وبالثانية التي يكون جزؤها الأول مقطعياً كما شمل التصنيف الحركات الواسعة والضيقة، وهذا التصنيف يتعلق بمسافة انتقال اللسان في أثناء الحركات.

6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

سيدور حديثنا، في الوحدة القادمة، وهي الوحدة السابعة في مقرر علم أصوات العربية، حول موضوع طريف ممتع، هو المقطع الصوتي. ولسوف تتركز دراستنا لموضوع المقطع حول تحديد المقصود به، وبيان أنواعه، وأشكاله المختلفة. وسنحاول، بعد ذلك، القيام بتصنيف المقطع الصوتي بناء على بعض المعايير والأسس المتبعة في هذا المجال. وسنختم حديثنا، عن هذا الموضوع، ببيان أهمية دراسة المقطع في علم الأصوات، والفوائد التي يمكن تحقيقها من وراء دراسته.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

تشتمل اللغة العربية على نوعين من الحركات هما :

- الحركات البسيطة، وتشمل الفتحة، والكسرة، والضمة، قصيرة وطويلة.
- الحركات المزدوجة بأنواعها المختلفة.

تدريب (2)

1- الصوت المقطعي : هو الصوت الذي يشغل موقع النواة، أو القمة، في المقطع الصوتي، ويشمل ذلك الحركات بأنواعها المختلفة. وتتسم هذه الأصوات، أي أصوات الحركات، التي تشغل موقع النواة، بأنها أصوات ذات وضوح سمعي عال.

أما الصوت غير المقطعي، فيقصد به الصوت الذي يشغل موقع القاعدة، أو الهامش، في المقطع الصوتي. ويشمل ذلك أصوات الصوامت، وأنصاف الحركات. وتتسم هذه الأصوات، بأنها أقل وضوحا في السمع من أصوات الحركات.

عزيزي الدارس،

ولتوضيح هذين النوعين من الأصوات؛ أي الصوت المقطعي، والصوت غير المقطعي، نسوق لك هذا المثال، وهو الفعل : كان kaan . فصوت الكاف والنون صوتان غير مقطعيين، أما صوت الفتحة الطويلة فيعد صوتاً مقطعياً.

عزيزي الدارس،

لا بد من مطالعة الوحدة السابعة الخاصة. بموضوع المقطع الصوتي، حتى تكون هذه المصطلحات، في ذهنك، أكثر جلاء ووضوحاً.

2- الوضوح السمعي عبارة عن ملمح صوتي تتصف به بعض الأصوات اللغوية، مثل أصوات الحركات، وأنصاف الحركات، بالإضافة إلى أصوات اللام، والراء، والميم، والنون. وتتحكم في هذا الملمح عوامل مثل : علو الصوت أو طوله، كما تتصف هذه الأصوات جميعاً بأنها أصوات مجهورة.

تدريب (3)

1- يعود السبب في تخلص معظم الناطقين باللهجات العربية، من الحركتين المزدوجتين أو = aw و : أي ay الواقعتين في مثل الكلمتين : كَوْن، وبَيْت - يعود السبب إلى الطبيعة الانتقالية التي يقوم بها اللسان في أثناء إنتاج هذا النوع من الحركات. فاللسان، في أثناء النطق بهذه الحركة ينتقل من موضع نطق حركة، إلى موضع نطق حركة أخرى، في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد فقط.

ولهذا، فقد استثقل معظم الناطقين باللهجات العربية مثل هذا النوع من النطق، وتخلصوا منه عن طريق تحويل الحركة المزدوجة إلى حركة بسيطة طويلة ممالة.

2- يقصد بالحركة المزدوجة الواسعة، تلك الحركة المركبة، التي تكون مسافة انتقال اللسان، من موضع النطق بالجزء الأول منها إلى موضع النطق بالجزء الثاني منها، مسافة واسعة، مثل كلمة ناي naay في اللغة العربية. أما الحركة المزدوجة الضيقة، فيقصد بها تلك الحركة المركبة، التي تكون مسافة انتقال اللسان، من موضع النطق بالجزء الأول منها إلى موضع النطق بالجزء الثاني منها، مسافة صغيرة، مثل كلمة ود wud العربية.

تدريب (4)

* تتمثل الحركة المزدوجة الصاعدة في الكلمات التالية :

يرمي = yarmii ، تغيير = taryiir، وداد = widaad، والد = waalid .

* وتتمثل الحركة المزدوجة الهابطة في الكلمات التالية :

بَيْت = bayt، لون = lawn، ناي naay.

* أما كلمة "غُيَّب" ɣuyyab فإن مقطعها الأول، يشتمل على حركة مزدوجة هابطة، في حين يشتمل مقطعها الثاني على حركة مزدوجة صاعدة.

8. مسرد المصطلحات

- الحركة البسيطة (Monophthongs): صوت مجهور يخرج الهواء في أثناء تشكيله في تيار متتابع مستمر من خلال الحلق أو الفم دون أن يتعرض لتدخل يمنع خروجه أو يسبب له احتكاكاً مسموعاً.
- الحركة المزدوجة (Diphthongs): تتابع مباشر لصوتي علة (صوتي حركة) يوجدان في مقطع واحد.
- الحركة المزدوجة الصاعدة (Rising Diphthong): الحركة التي يكون طرفها الثاني أكثر وضوحاً في السمع.
- الحركة المزدوجة الهابطة (Falling Diphthong): الحركة المزدوجة التي يكون طرفها الأول أكثر وضوحا في السمع.

9. المراجع

أ - المراجع العربية :

1- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط 6. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.

2- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ط2. القاهرة : مطبعة الكيلاني، 1968.

3- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ط2. القاهرة : ترجمة احمد مختار عمر، عالم الكتب، 1983.

4- الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، ط1. بيروت: مكتبة لبنان، 1982.

5- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة : عالم الكتب، 1976.

ب - المراجع الاجنبية :

1- Hartmann, R.R.K, and Stork, R.C, Dictionary of Language and Linguistics, London : Applied Science Pubblishers LTD, 1976.

2- O'connor, J.D, Phonetics. England : Penguin Books, Harmondsworth, Middlesex, 1982.

الوحدة السابعة

المقطع الصوتي

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

نرحِّبُ بك في هذه الوحدة، من وحدات مقرر علم أصوات العربية، إنها الوحدةُ السابعةُ، التي سيدور الحديثُ فيها، حول موضوع طريفٍ شائقٍ، هو موضوع المقطع الصوتي Syllable.

سنحاولُ، في هذه الوحدة، إلقاءَ الضَّوْءِ على بعض القضايا والجوانبِ، التي تتناول المقطعَ الصوتي، من حيثُ تحديدُ المقصودِ به، وأنواعُه، وتصنيفُ تلك الأنواعِ ، وفق بعضِ الأسس والمعايير المتبعة في هذا الشأن. كما سنحاولُ، في هذه الوحدة، دراسة النسيج المقطعي للبنية العربية، وتحليلها، ثم سنختم، دراستنا لموضوع المقطع، ببيان أهمية الدرس المقطعي، في علم الأصوات، وغيره من العلوم اللغوية الأخرى.

وفي هذه الوحدة، سنخطو، عزيزي الدارس، في رحلة درسنا الصوتي، خطوةً نوعية إلى الأمام، وذلك بتناولنا بنى لغوية، تتكوَّنُ كلُّ توليفةٍ منها، أو كل وحدة صغرى منها، من مجموعة من الأصوات، اصْطُلِحَ على تسميتها باسم المقطع الصوتي.

عزيزي الدارس،

لقد مرَّ معك، في أثناءِ دراستك لبعضِ وحداتِ هذا المقرر، وعلى وجه التحديد، في الوحدة الرابعة، أن علماء اللغة قد حللوا الكلام إلى وحداتٍ صوتيةٍ دُنْيا Minimal units، أطلقوا عليها مصطلح فونيمات، وجعلوها محوراً أساسياً لدراستهم الصوتية للغات. غير أن هؤلاء اللغويين ارتَقَوْا، في تحليلهم للكلام، فتناولوا، في أحد جوانب الدرس لديهم، وحدات صوتية أكبر من تلك الوحدات الصوتية الدنيا، أو تلك الوحدات الصوتية المفردة، وهي الوحدات التي أطلقوا عليها مصطلح المقاطع الصوتية.

لقد لاحظ أولئك اللغويون أن الكلام لا يمكن أن يتألف كلُّه من صوامت Consonants فقط، كما لا يمكنُ أنْ يتألفَ كلُّه من حركات Vowels فقط، وإنما يتألف، في حدود تجميعاته أو قطاعاته الدنيا، من صوامتَ تتلوها حركاتٌ تتلوها صوامتُ ... وهكذا.

إن هذه التجميعات، أو القطاعات الصوتية الدنيا، هي الموضوع الذي سنتناوله، وإياك، عزيزي الدارس، في هذه الوحدة الدراسية الموجزة. فكنْ معنا، كعادتك، في كلِّ جزئية من الجزئيات، التي سنعالجها في الصفحات التالية، وأسْعَدَكَ اللهُ، وأسعدَ بك ، وسلامُ الله عليك.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الدارس،

نتوقع منك، بعد دراسة هذه الوحدة، والتّمعُّنِ في موضوعاتها، وأسئلتها، وتدريباتها، وما يتخللها من فوائدَ ، أنْ تكونَ قادراً على أن :

1- تَذْكُرَ مفهوم المقطع الصوتي.
2- تحدِّدَ أنواعَ المقطع الصوتي في اللغة العربية.
3- تحلِّلَ النسيج المقطعي للبنية العربية، وتوظيف ذلك في تحليل التراكيب الصرفية.
4- توضح أهمية المقطع في علم الأصوات.
5- تحدِّدَ الصلة بين المقاطع الصوتية، والتفعيلات المستخدمة في علم العروض.

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس،

جاءت هذه الوحدة مشتملةً على الأقسام الخمسة التالية:

القسم الأول : يشتملُ على تعريفِ المقطع، وعَرْضِ بعض المناهج المتَّبعة في دراسته. ويحقق الهدف (1).

القسم الثاني: يشتملُ على بيانِ الأنواع المختلفة للمقطع في اللغة العربية، ويحقق الهدف (2).

القسم الثالث: يشتمل على تصنيف المقاطع الصوتية وفق أسس ومعايير معينة، ويحقق الهدف (3).

القسم الرابع: يبحث في النسيج المقطعي للبنية العربية، ويحقق الهدف (3) أيضاً.

القسم الخامس: يتناول البحث في أهمية المقطع في علم الأصوات، وغيره من العلوم اللغوية الأخرى، ويحقق الهدفين (4، 5).

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس،

هذه الوحدة، من وحدات مقرّر علم أصوات العربية، وحدةٌ دراسيةٌ موجزة. وقد حاولْنا أنْ نَجعلَها - بما عالجناه فيها من موضوعاتٍ، وأوردناه من فوائدَ، وتدريباتٍ، وأسئلةٍ - مكتفيةً بذاتها إلى حدٍّ كبير. ومع ذلك، وكعادتنا، في كل وحدة دراسية، فإننا ننصحك ونشجِّعُك على مطالعة بعض الكتب، وفصولِ بعض الكتب اللغوية ذاتِ الصلةِ بموضوعِ المقطع. ومن هذه الكتب:

1- أنيس، ابراهيم، الأصوات اللغوية، ط7 . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1984.

2- شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، ط2 . القاهرة: مطبعة المدني، 1977.

3- مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام. القاهرة: عالم الكتب، 1980.

4- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب، 1976.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الدارس،

كلُّ ما تحتاج إليه، وأنتَ بصَدَدِ دراسةِ هذه الوحدة الخاصة بموضوع المقطع الصوتي، هو أن تستوعبَ كلَّ ما يردُ فيها من موضوعات، وتجيبَ عن كلِّ ما يتخللها من أسئلة، وتتفاعلَ مع كلِّ ما تتضمنه من تدريبات وفوائد.

ولا رَيْبَ في أنّ المطالعةَ الإضافية، لبعض الكتب اللغوية، التي عالج فيها أصحابها من المؤلفين موضوعَ المقطع، من شأنه أن يعمّق فَهْمَكَ لموادِّ هذه الوحدة، ويزيدَ من منسوبِ استيعابك لقضاياها. فكنْ عِنْد حسن الظّنِّ بك في الأمرين معاً، وأنت جدير، دونما شكٍّ، في ذلك.

2. تعريف المقطع الصوتي

عزيزي الدارس،

يقعُ المقطع الصوتي Syllable ، أو ما يمكن أن يسمّى بالوحدة المقطعية Syllabic unit ، بوجه عام، بين الوحدات الصوتية الدنيا، وهي الفونيمات Phonemes ، من جهة، والكلمات Words ، من جهة أخرى. ولقد تعددت الاتجاهاتُ اللغويةُ التي تناولت، بالدرس والتحليل، مفهومَ المقطع. ولسوفَ نجعلُ دراستَنا، للمقطع، من حيثُ مفهومُه، ومكوناتُه، محصورةً فيما يقدِّمه لنا أحدُ الاتجاهات اللغوية من معطيات ومفاهيم، ونعني بذلك، الاتجاه الفونولوجيَّ في تعريف المقطع وتحديد مفهومه.

يقوم الاتجاه الفونولوجي، في تعريف المقطع، على وجود ارتباط وثيق بين بنية الكلمة، وبنية المقطع. (Hyman, Phonology, P: 189). وهو يركز، في عملية تصور المقطع، على الطرق المختلفة التي تتجمع فيها الأصوات، من صوامت وحركات، في كل لغة على حدتها، وذلك لإنتاج تتابعات نمطية في تلك اللغة.

(Crystal, A first Dictionary of Linguistics and phonetics, P:343).

ويعدُّ اللغوي هيلمسليف Hjelmslev واحداً من الأنصار المتطرفين لهذا الاتجاه، وهو يعرِّفُ المقطعَ بأنه "سلسلةٌ تعبيريةٌ تشتملُ على نَبْرٍ واحدٍ بالضبط".

وقد أيّد بعضُ اللغويين هذا الاتجاه، وعرّفوا المقطعَ بأنه: "نمطٌ أدنى من التجميعات الفونيمية، تقومُ فيها وحدةُ الحركة Vowel بدور النواة، وتكون مسبوقة ومتلوة بوحدة صامتية، أو تجميع صامتي ممكن الوقوع".

وينقسم المقطع، حسب هذا الاتجاه، على ثلاثة أقسام هي:

المطلع Onset ، والقمة، أو النواة، أو المركز Peak/Nucleus ، والخاتمة Coda.

ويطلق على المطلع والخاتمة معاً اسم طرَفي المقطع، أمّا النواةُ والخاتمة، فيطلق عليهما اسمُ اللُّبّ Core . ويشكل اللُّبُّ العُنْصُرَ الأساس في تحديد الخصائص الفونولوجية للمقطع. والشكل التالي يمثل الأقسام المختلفة للمقطع:

وإذا أردنا التمثيل لهذه المكونات المقطعية، فإننا نجد أنّ كلمة « باعْ » baa^c ، في اللغة العربية، على سبيل المثال، يتألف نسيجها المقطعي من مطلع، هو الباء، وخاتمة، هي العين، وقمة، أو نواة هي حركة الفتحة الطويلة. أما عنصر اللُّبّ، في هذه الكلمة، فتمثّله الفتحةُ الطويلة، والعين معاً.

عزيزي الدارس،

يتضح لنا، مما سبق، أن للمقطع الصوتي جزأين أساسيين:

أحدهما: يُسمّى القمة، أو النواة. ويطلق على الصوت الذي يشغلُ موقعَ هذا الجزء من المقطع اسم الصوت المقطعي.

وثانيهما: يسمّى القاعدة، أو الهامش. ويطلقُ على الصوت، الذي يشغل موقع هذا الجزء من المقطع، اسم الصوت غير المقطعي.

ولقد لوحظ، بالتجربة القائمة على تسجيل الذبذبات الصوتية للجمل، أنّ أثر هذه الذبذبات يبدو في خطٍّ متموّجٍ من قِمَمٍ وقواعد. وهذا يتوقفُ على مَعْرفةِ درجةِ الوضوح السمعي Sonority ، فأعلى الأصوات وضوحاً في السمع يمثلُ القمة، أو النواة في المقطع، وما عداها، مما يدخل في تركيب المقطع الصوتي، يمثل القاعدةَ، أو الهامش.

ومن المعلوم، في ميدان الدرس الصوتي، أن أصوات الحركات vowels ، تعدُّ أعلى وضوحاً في السمع من الصوامت Consonants ، كما أن هذه الأصوات، أي الحركات، تختلف فيها بينها في درجة الوضوح السمعي نسبياً؛ فالحركاتُ الطويلةُ، المتمثلة بالفتحة الطويلة. (aa) ، والكسرة الطويلة (ii) ، والضمة الطويلة (uu) ، على التوالي ، أوضحُ في السمع، من الحركات القصيرة، المتمثلة بالفتحة القصيرة (a) ، فالكسرة القصيرة (i) ، فالضمة القصيرة (u) ، على التتالي.

ويليها، في ذلك، الأصوات الصامتة، التي تتفاوت، هي الأخرى، فيما بينها، في درجة الوضوح السمعي. فالراء، والميم، والنون، واللام، هي أوضح في السمع من غيرها من الصوامت، ولذلك، فإن بعض اللغويين يسمونها «أشباه حركات»، وذلك لأنها تلي الحركات Vowels في درجة وضوحها السمعي، ويليها، في ذلك، الصوامت الاحتكاكية المجهورة، كالزاي، والذال، والظاء، والغين، والعين ....الخ، فالصوامت الانفجارية المجهورة كالباء، والدال، والضاد ....الخ، فالصوامت الاحتكاكية المهموسة، كالسين والفاء ...الخ. فالصوامت الانفجارية المهموسة، كالتاء، والكاف، والقاف. (دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 143-244، و: دراسة السمع والكلام، للدكتور سعد مصلوح، ص: 266-267، و: أصوات اللغة العربية، للدكتور عبدالغفار هلال، ص: 239-240، واللغة بين القومية والعالمية، للدكتور إبراهيم أنيس، ص:28).

عزيزي الدارس،

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه هنا، هو أن اللغويين قد اشترطوا، في نواة المقطع، أن تكون صوتاً واحداً، ولكنَّ هذا الأمر يختلف بالنسبة لمطلع المقطع وخاتمته. ففيما يتعلق بمطلع المقطع، فإنَّ عدَدَ الصوامت، التي تَبْدَأُ بها مطالعُ بعضِ المقاطع، يختلفُ من لغةٍ إلى أخرى. ففي اللغة العربيةِ، على سبيلِ المثال، لا يجوزُ البدءُ إلاَّ بصامتٍ واحدٍ فقط، ويَمْتَنِعُ البدْء فيها، بما يُسمَّى بالعُنْقود الفونيمي، أو الصوتي Sound Cluster ؛ أي البدء بصامتين، أو أكثر. أما بعض اللغات الأخرى، كالانجليزية، على سبيل المثال، فيمكن أن يتألف عدد صوامت بعض المطالع، في بعض المقاطع فيها، من صامتٍ، أو اثنين، أو ثلاثة صوامت في بعض الحالات، ومن أمثلة ذلك، في تلك اللغة؛ أي اللغة الانجليزية، كلمة: School ، وكلمة: Spring. وفي هذه الحالة، أي في حالة اجتماع ثلاثة صوامت في مطلع المقطع، نجد أن المطلع يبدأ بالصامت (s)، ويكون الصامتُ الثاني صوتاً انفجارياً مهموساً. أما الصامت الثالث، فإنّه يكون مائعاً، نحو: Strange، و: Scream ... وغيرهما.

أما بالنسبة لخاتمة المقطع، فإنَّ عددَ الصوامتِ المكوِّنة لها يختلفُ من لغة إلى أخرى أيضاً. ففي المقاطع المشتملة على خواتم، في لغة كالعربية، نجدُ أنَّ عَدَدَ الصوامت فيها قد يكون واحداً، وقد يكونُ اثنينِ كحدٍّ أقصى، نحو: خُبْز: xubz ، و: بِنْت: bint ، وذلك عندما يُنْطَقُ بهاتين الكلمتين، وأمثالهما، مَوْقوفاً عليها.

أما اللغة الانجليزية، على سبيل المثال، فيمكن أن تشتمل خواتمُ بَعْضِ مقاطعها على أكْثَرَ من صامتٍ، بل إنَّ بَعْضَها يصلُ عَدَدُهُ إلى أربعةِ صوامت، نحو : Sixthx .

اسئلة التقويم الذاتي (1)

1- أين يقع المقطع ، في هرمية البناء اللغوي بعامة.
2- عرِّف المقطع، من وجهة نظر الاتجاه الفونولوجي.
3- وضِّح المقصود بلُبِّ المقطع.

تدريب (1)

1- ما المقصود بالصوت المقطعي، والصوت غير المقطعي.
2- ما نوع الأصوات التي تشغل موقع النواة في المقطع بصورة عامة.
3- وضح المقصود بالعنقود الفونيمي، أو العنقود الصوتي في ميدان الدرس المقطعي.

تدريب (2)

عزيزي الدارس،

1- وضِّحْ تسلسل الأصوات الصامتة، وأصوات الحركات، في اللغة العربية، من حيث درجة وضوحها في السمع.

2- قسِّم البنية «كَتَبْتُما» إلى مقاطعها المكوِّنة لها، ثم بيِّن ما يشتملُ عليه كلُّ مَقْطعٍ مِنْ مقاطعها مِنْ أقسام.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

لم يكن التعريف، أو التعريفان اللذان مرًا معك، في أثناء حديثنا عن الاتجاه الفونولوجي، في دراسة المقطع – هما كلُّ ما يمكن أن يعرَّفَ به المقطع. فهناك تعريفاتٌ أخرى كثيرة له، وضعها بعضُ لغويِّينا المعاصرين، من بينها:

* تعريف الدكتور إبراهيم أنيس بأنه "عبارة عن حركة قصيرة، أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة (يعني الأصوات الصامتة)" (موسيقى الشعر، ص: 147).

* تعريف الدكتور عبدالصبور شاهين بأنه «تأليف صوتي بسيط تتكون منه، واحداً أو أكثر، كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها». (القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث، ص: 25، و : علم الأصوات لمالمبرج، ص: 164).

* تعريف الدكتور عبدالرحمن أيوب بأنه «مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة». (أصوات اللغة، ص: 139).

عزيزي الدارس،

ما رأيك الآن، وبناءً على ما سبق من تعريفات مختلفة للمقطع – ما رأيك في أن نشترك معاً، في محاولة وضع تعريف موسَّع للمقطع، نعبِّر فيه عن فَهْمنا له، لنحاول ذلك:

* نحن نرى، ولعلك تشاركنا في الرأي، أنَّ المَقْطَعَ عبارةٌ عن كُتْلَةٍ صَوْتية يمكن أن تُنْطَقَ منفصلةً ومستقلةً عمَّا قبلها، وما بعدها، أي أنَّه يمكن، من الناحية العملية، أن تُسْبَقَ بصمت تام، وأن تُتْبع، كذلك، بصمت تام. ومن الطبيعي أن تكون هذه الكتلة مؤلفة من صوتين على الأقل، أولهما: صوت صامت متلو بحركة، وهذه الحركة قد تكون طويلة، وقد تكون قصيرة، وقد تتبع، بعد ذلك، بصوت صامت آخر، وقد لا تتبع.

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

إن معرفتك لتسلسل الأصوات وتدرجها، من حيثُ درجةُ وضوحها في السمع، قوةً وضعفاً، من شأنه أن يفيدك في كثير من النواحي التطبيقية في الحياة.

ففي الحديث الهاتفي، وفي التسجيل الإذاعي، لا يكادُ المرءُ يميز الأصْوات المهموسةَ الانفجارية كالتاء، والكاف، والطاء، وذلك لأن درجةَ وضوحها السمعي ضعيفة، ولكنه، عن طريق السياق، أو المعنى العام، يفترض وجودها، ويتم هذا الفرض دون شعورٍ مُتَعَمَّدٍ منه، أي أنه يعوض فقدانها في الحقيقة بوجودها في خياله.

ولهذا يجدر بالمغنين، ومؤلفي الأغاني، أن يتحاشَوا مثل هذه الأصوات في أغانيهم كلما أمكن ذلك، فهي أصوات لا تكادُ تصلحُ للغناء، وهي، في نفس الوقت، معرضةٌ للسقوط، أو الاختفاءِ في التسجيل الصوتي. (اللغة بين القومية والعالمية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 28-29).

3. أنواع المقطع في اللغة العربية

عزيزي الدارس،

تختلف اللغات، فيما بينها، في أنواع المقاطع التي تستخدمها، فلكلِّ لغةٍ أنواعُها وأشكالُها المقطعية الخاصة، التي تتفق مع نظامِها اللغوي الذي ارتضته الجماعةُ اللغويةُ المعنية. واللغةُ العربيةُ، كأيّةِ لغة أخرى، لها أنواعُ مقاطعَ خاصة بها، وإن كانت هذه الأنواع المقطعية ليست سواءً من حيثُ الشيوعُ والاستعمال.

وهاك، عزيزي الدارس، الأنواعَ المقطعية التي تشتمل عليها لغتنا العربية:

1.3 المقطع القصير = ص ح (CV)(*):

يتألف هذا النوع المقطعي، في اللغة العربية، من صامتٍ متلوٍ بحركةٍ قصيرة، أي من: صامت + حركة قصيرة. ومن أمثلته المقاطعُ الثلاثةُ المتواليةُ في الفعل الماضي: كَتَبَ: ka + ta + ba .

(*) يشير الرمز (ص) إلى اختصار كلمة صامت، وللدلالة عليها، ويقابله في الانجليزية الرمز (C) الذي يشير إلى اختصار كلمة : Consonant.

ويشير الرمز (ح) إلى اختصار كلمة حركة، وللدلالة عليها. ويقابلها في الانجليزية الرمز (V) الذي يشير إلى اختصار كلمة: vowel.

2.3 المقطع المتوسط المفتوح = ص ح ح (CVV):

يتألف هذا النوع من المقاطع من صامتٍ متلوٍ بحركةٍ طويلة؛ أي من:

صامت + حركة طويلة. ومن أمثلتِه المقطعُ الأول من الكلمة: كاتب: kaa + tib

3.3 المقطع المتوسط المغلق = ص ح ص (CVC):

يتألف هذا النوع من المقاطع من صامتين يحصران بينهما حركة قصيرة، أي من:

صامت + حركة قصيرة + صامت. ومن أمثلته، هذا المقطع الذي تتألف منه أداة الإستفهام: مَنْ : man ، والمقطعان المكوّنان للبنية، كنتم: kun + tum.

4.3 المقطع الطويل المغلق = ص ح ح ص (cvvc):

يتألف هذا النوع من المقاطع من صامتين يحصران بينهما حركة طويلة؛ أي من :

صامت + حركة طويلة + صامت. ومن أمثلته، هذا المقطعُ الذي تتألف منه كلمة. "مالْ": mall ، في حالة النطق بها ساكنة، والمقطع الأخير من الفعل المضارع "نستعين"، عند النطق به في حالة الوقف: nas + ta + ^{c}iin .

5.3 المقطع الطويل المزدوج الاغلاق = ص ح ص ص (cvcc):

يتألف هذا النوع المقطعي من صامت متلو بحركة قصيرة، متلوة، بدورها، بصامتين؛ أي من: صامت + حركة قصيرة + صامتين. ومن أمثلته، هذا المقطع الذي تتألف منه الكلمات التالية: بِنْتْ : bint ، و: خُبْزْ xubz ، و: شَعْبْ: s^{v}a^{c}b . في حالة النطق بها ساكنة، وحين الوقف.

6.3 المقطع البالغ الطول المزدوج الاغلاق = ص ح ح ص ص (cvvcc):

يشبه هذا المقطع سابقه، باستثناءِ كونِ الحركةِ، التي يشتمل عليها طويلةً؛ أي أنه يتألف من: صامت + حركة طويلة + صامتين. ومن أمثلته، المقطع الذي تتألف منه الكلمتان التاليتان: ضالّ: daall ، و: رادّ : raadd،

وتجدر الإشارة، عزيزي الدارس، إلى أنّ الشكلَ، أو النوعَ المقطعيَّ الأخير؛ أي المقطع: ص ح ص ص ، قد أهمله كثيرٌ من اللغويين، ولم يحفلوا به. (الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس، ص: 164 ، ومناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، ص: 140).

ومن ناحية أخرى، فإنّ الأنواعَ المقطعيةَ الثلاثةَ الأولى، وهي: (ص ح)، و (ص ح ح)، و (ص ح ص) تعدُّ من أكثر الأنواع المقطعية شيوعاً واستعمالاً في الكلام العربي، كما أن هذه المقاطع الثلاثة، وحدها، هي التي يُبْنَى عليها الشعرُ العربيّ. (دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 257) أما الأنواع المقطعية الأخرى المتبقية، فقليلةُ الشيوع، ولا تردُ إلا في أواخر الكلمات، وحين الوقف. (الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص:164).

4. تصنيف المقاطع

عزيزي الدارس،

بعد أن استعرضنا، معاً، الأنواعَ المقطعية، في لغتنا العربية، نجدُ من الضروري أن نُصنِّفَ تلك الأنواعَ المختلفةَ للمقطع، وَفْقَ بعضِ الأسسِ والمعاييرِ، التي يتَّبعها، في العادة، الباحثون في اللغة. وتتمثلُ هذه الأسسُ والمعاييرُ فيما يلي:

1.4 المقطع القوي والمقطع الضعيف:

يعتمد تصنيف المقطع، إلى مقطع قوي، وآخر ضعيف، على نوعِ اللُّب المكوِّن له. فيكون المقطعُ ضعيفاً، إذا كان اللبُّ فيه مكوَّناً من حركة قصيرة، متلوة بما لا يزيد عن صامت قصير واحد، ومن أمثلته المقاطع الثلاثة في البنية التالية: دَرَسْتُمْ : da + ras + tum . ويطلقُ على الزمنِ الذي يستغرقُه نطقُ مثلِ هذا المقطع اسم "مورا" Mora .

أما المقطعُ القويُّ ، فيقصدُ به المقطعُ الذي يستغرقُ زَمَنُ النطقِ به أكثر من "مورا" ، ويكون اللبُّ فيه مؤلفاً من أحدِ الأشكالِ التالية:

1- حركة طويلة متلوة بخاتمة، أو بدونها، نحو: مال: maal ، و: ما : maa.

2- حركة قصيرة متلوة بصامتين، أو أكثر، نحو: بِنْتْ : bint في العربية، وكلمة Sixths في الانجليزية.

3- حركة قصيرة متلوة بصامتٍ طويلٍ على الأقل، نحو: شدّ: s^{v}add . ويقصد بالصامت الطويل، الصامت المضعف أو المشدَّد، كما في الكلمة السابقة، أما الصامت القصير، فيقصد به الصامت الوحيد غير المشدد، نحو: ضَعْ: da^{c} .

2.4 المقطع المفتوح والمقطع المغلق:

يعرّفُ المقطعُ المفتوح Open Syllable بأنه المقطعُ الذي لا يشتملُ على خاتمة Coda؛ أي أنه ينتهي بحركة قصيرة، أو حركة طويلة. أما المقطع المغلق Closed/checked syllable ، فيعرّف بأنه المقطع الذي يشتمل على خاتمة. ومن أمثلة هذين النوعين من المقاطع، مقطعا الفعل "كَتَبَ" في حالة النطق به ساكناً: ka + tab ؛ فالمقطع الأول مفتوح، والثاني مغلق.

3.4 المقطع القصير، والمقطع المتوسط، والمقطع الطويل:

يوصف المقطع بأنه قصير إذا لم يكن مشتملاً على أكثر من صوتين؛ أي إذا كان من نوع (ص ح)، نحــو: لَ: la ، و: مَ : ma ، و: بِ: bi ....الخ.، ويوصف المقطع بأنه متوسِّط، إذا كان مشتملاً على ثلاثة أصوات، أو على صوتين أحدهما طويل؛ أي اذا كان من نوع (ص ح ص)، و (ص ح ح) نحو: لم: lam، وما: mea.

أما المقطع الطويل، فيتكون من أربعة أصوات، أو من ثلاثة أصوات بعضها طويل؛ أي إذا كـان من نوع (ص ح خع ص) و (ص ح ص ص) و (ص ح ح ص ص)، نحو: كـان: kaan ، وشعب: $\check{S}a^{c}b$ وضالّ: ḍaall .

4.4 المقطعُ الحرّ، والمقطعُ المقيّد:

يُقصَدُ بالمقطع الحرّ Free Syllable ذلك المقطع الذي يمكن أن يأتي في بداية الكلمة، وسطحها، ونهايتها. ويشمل ذلك المقطعَ القصير، والمقطعين المتوسطين المفتوح، والمغلق: (ص ح) ، و(ص ح ح)، و (ص ح ص). ومن أمثلة النوع الأول، مقاطع الفعل الماضي: درسَ: da+ra+sa ، ومن أمثلة النوع الثاني المفتوح، مقاطع كلمة موسيقى muu+sii + qaa ، ومقاطع، كانوا: kaa+nuu ...الخ، ومن أمثلة النوع الثاني المغلق، مقاطع فعل الأمر، استَفْهِمْ: ʔis+taf+him

ويمكن للمقطع من النوع الرابع (ص ح ح ص) أن يرد، بالاضافة إلى نهاية الكلمة، في أكثَرَ مِنْ موقع من الكلمة، ومن أمثلة: رادكَ raad+du+ka ، و: ضالّين: daal+liin ، و: تحاضّون: ta+haad+ḍuun ...الخ، وتتجه العربية المعاصرة إلى التقليل من استعمال هذا النوع من المقاطع.

أمّا المقطع المقيّد Bound Syllable ، فيقصد به ذلك المقطع الذي يلزم موقعاً معيناً في الكلمة. ومن أمثلته المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص)، الذي لا يرد إلاّ في أواخر الكلمات، وحين الوقف، ومن أمثلة ذلك، كلمة مستقرّ mus+ta+qarr ، في قوله تعالى: "إلى ربك يومئذٍ المُسْتَقَرّ".

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

سبق لنا أن ذكرنا لك، أن النظام المقطعي، في اللغة العربية، لا يسمح بأن يبدأ المقطعُ بصوتين صامتين، أو بما يسمّى، في علم الأصوات، بالعُنْقود الفونيمي، أو العُنْقود الصوتي Cluster . وهذا الذي ترفضه العربيةُ، تسمحُ به، كما تعلم، بعضُ اللغات الأجنبية، كالانجليزية. ففي هذه اللغة، يسمحُ نظامُها المقطعي أن تبدأ بعضُ مقاطعها، بصامتٍ واحد، وبصامتين، بل وبثلاثة صوامت في بعض الحالات.

ولكنك تعلم، عزيزي الدارس، أن الفعل المضارع يكتُبُ yak+tu+bu ، على سبيل المثال، يمكن أن يصاغ منه فعل الأمر، عن طريق حذف اللاصقة التي تدلُّ على المضارعة، وهي التي تسمّى، في علم اللغة، بمورفيم المضارعة (ya) ويترتب على ذلك أن فعل الأمر، أو بنية فعل الأمر الناتجة تصبح هكذا: كْتُبْ ktub ، بيد أن النوع المقطعي لهذه البنية، وهو، كما ترى، (ص ص ح ص)، نوع غير موجود في اللغة العربية، ولا تسمح به أيضاً، لأنه يبدأ بما يرفضه النظام المقطعي للعربية، ونعني به العنقود الصوتي (ص ص):

والسؤال الذي نودُّ أن نوجهه إليك الآن، عزيزي الدارس، هو: ماذا فعلت اللغةُ العربيةُ من أجل التخلص من هذا الوضع المقطعي، في هذه الحالة، والحالات المشابهة؟

وللإجابة عن ذلك، نقول لك عزيزي الدارس: كان من الطبيعي الاتيان بحركة قبل الكاف، على هذه الصورة (uktub)، ولكن هذا الأمر، لو تمَّ ، لأدى إلى الوقوع في محذورٍ، أو مرفوضٍ آخَرَ في النظام المقطعي العربي، ونعني به وجودَ حركةٍ في بداية المقطع من الكلمة، وهو أمر لا تسمح به العربية. من هنا، فقد عمدت اللغة العربية إلى الاتيان بهمزة الوصل كي تكون وسيلة مساعدة للنطق بالمجموعة الصوتية الممنوعة في بناء اللغة العربية. وقد ترتّبَ على ذلك، إعادة صياغة النسيج المقطعي لهذا الفعل، وما كان على غراره، وتقسيم بنيته إلى مقطعين من النوع المتوسط المغلق (ص ح ص) هكذا: اكتب ʔuk+tub ؛ أي: ص ح ص + ص ح ص. ولكن هذه الهمزة، التي جيء بها لاستهلال نطق الكلمة العربية المبدوءة بصامتين، لا تثبت، في النطق، إلا ابتداءً، أما في دَرْجِ الكلام وسياقه، فإنها تسقط، وهذا هو شأن همزة الوصل دائماً: تُنْطَقُ بدءاً، وتَسْقُطُ دَرْجاً، فنقول، على سبيل المثال، قال اكتب= qaala-ktub.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- عدِّد أنواع المقطع في اللغة العربية، مع التمثيل لها.

2- ما هي المقاطع التي يكثر استعمالها في الكلام العربي، والمقاطع التي يقل استعمالها ؟

3- وضِّح الفرق بين المقطع الطويل المغلق، والمقطع الطويل المزدوج الاغلاق.

تدريب (3)

عزيزي الدارس،

1- متى يكون المقطع في اللغة العربية، قوياً، ومتى يكون ضعيفاً؟

2- ما المقاطع التي يُبْنى عليها الشعر العربي؟

3- وضِّح المقصود بمصطلح "مورا" ، Mora .

فائدة (4)

عزيزي الدارس،

1- ألا تلاحظ معنا أن تقسيم المقاطع إلى مقاطع قوية، وأخرى ضعيفة، يعتمد على معيار الزمن الذي يستغرقه النطق بلبِّ المقطع؟.

2- وألا تلاحظ معنا أيضاً، أن تقسيم المقاطع إلى مقاطع قصيرة، وأخرى متوسطة، وأخرى طويلة، يعتمد على معيار عدد المكونات الصوتية للمقطع؟

3- وألا تلاحظ معنا أيضا، أن تقسيم المقاطع إلى مقاطع مفتوحة، وأخرى مغلقة، يعتمد على معيار نوع المكونات الصوتية للمقطع؟

4- وألا تلاحظ معنا أخيراً، أن تقسيم المقاطع، إلى مقاطع حرَّة، وأخرى مقيَّدة، يعتمد على معيار نوع المقطع نفسه وهُويَّتِه؟

فائدة (5)

عزيزي الدارس،

مرَّ معك، في أثناء حديثنا ودراستنا لأنواع المقطع في العربيـة، أن المقطع الطويل المزدوج الاغـلاق (ص ح ص ص) قليل الاستعمـال، وأنه لا يرد إلا حين الوقف، وأن الناطق العربي يستثقله، ويفرُّ منه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ولعلك تسأل الآن عن السبب في ذلك، فنقول لك، باختصار ووضوح: إن السبب بسيط، وهو أن اللغة العربية لا تسمح بالتقاء الساكنين، ولا تجيزه إلاّ في هذه الحالة.

ومن هذا المنطلق؛ أي منطلق استثقال هذا النوع من المقاطع، ومحاولة الفرار منه، نودُّ أن نَسْألَ هذا السؤال:

ماذا يفعل الناطق العربي، في الفصحى، عندما يواجهه مقطع من هذا النوع، في مثل الفعل المضارع: يَمُدّ، في حالة وروده مجزوماً هكذا: لم يَمُدّ lam --> ya+mudd ؟.

قد يَنْطِقُ به على هذا النحو، في بعض الحالات، مُتَحمِّلاً ثِقَلَ مثل هذا النطق، وقد يتخلصُ منه، في كثير من الحالات، إما عن طريق حالة الوصل، وذلك بتحريك الدال الثانية بحركة التخلص من التقاء الساكنين هكذا: لم يَمُدَّ: lam --> ya+mud+da ، وإمّا عن طريق فكِّ الادغام بين الحرفين المثلين في الصيغة، فتصبح هكذا : لم يَمْدُدْ lam --> yam+dud .

أما الناطق العربي، في معظم اللهجات العربية، فإنّه يتخلصُ من هذا المقطع "الشاق"، عن طريق تحريك ما قبل الصامت الأخير، الأمرُ الذي يترتب عليه تحويل هذا المقطع (ص ح ص ص) إلى مقطعين اثنين من نوع (ص ح + ص ح ص) هكذا:

بِنْتْ = bint ، وصورتها المقطعية: ص ح ص ص، تصبح في معظم اللهجات العربية هكذا: بِنِتْ: bi + nit وصورتها المقطعية: ص ح + ص ح ص.

5. النسيج المقطعي للبنية العربية

من الأمور البدهية، التي نعتقد بأنّك على عِلْمٍ بها، هي أنه لا توجد كلمة واحدة، في اللغة العربية، وفي غيرها من اللغات أيضاً، تشتمل على أقَلّ من مقطع واحد، ذلك أن المقطع يعدُّ أصغر قطاع صوتي، أو أصغر تجميع صوتي، أو، قل إن شئت، أصْغر كتلة صوتية يمكن نطقها بنفسها.

أما بالنسبة لعددِ المقاطع، والأنواعِ المقطعية، التي يمكن أن يتشكّلَ منها النسيجُ المقطعي للكلمة الواحدة، فهذا أمرٌ يختلف من لغة إلى أخرى، فضلاً عن اختلافه بحسب نوع الكلمات: مجردة أم غير مجردة، فعلية أم اسمية.

1- فإذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد، فإن هذا المقطع، في اللغة العربية، قد يكون:

* من النوع القصير؛ أي من نوع (ص ح)، نحو: بِ = bi ، و: لَ = la ... وغيرهما.

* ومن النوع المتوسط المفتوح؛ أي من نوع (ص ح ح)، نحو: يا = yaa ، و: لا = laa ، وغيرهما. وأغلب ما يرد على هذا النوع من المقاطع يكون من قبيل الأدوات النحوية، وما كان من غير الأدوات فهو قليل، مثل: قِ = qi ، و: عِ = ci ، فِ: fi ، وهي أفعالُ أمرٍ من: وقى، و: وعى، و: وفى.

* ومن النوع المتوسط المغلق؛ أي من نوع (ص ح ص) نحو: يَدْ = yad ، و: دَمْ = dam. ويكثر هذا النوع من المقاطع في الأدوات النحوية نحو مِنْ = min ، و: عَنْ = can ، و: هَلْ = hal ، و: بَلْ = bal ... وغيرها.

* ومن النوع الطويل المغلق؛ أي من نوع (ص ح ح ص) نحو: باب = baab ، وعود = cuud ، وميل = miil وغيرها.

* ومن النوع الطويل المزدوج الاغلاق، نحو: خُبْزْ = xubz ، وقَدْرْ: qadr ، وبِنْتْ = bint، وغيرها.

* ومن النوع البالغ الطول المزدوج الاغلاق؛ أي من نوع (ص ح ح ص ص)، نحو: رادّ =raadd ، وضالّ daall ، وما كان على غرارها.

2- أما إذا كانت الكلمةُ العربية مشتقةً مجردة؛ أي إذا كانت خاليةً من الضمائر مع الأفعال، ومن (ال) التعريف مع الأسماء، فإنها لا تكادُ تزيدُ على أربعة مقاطع، أو خمسة مقاطع في بعض الحالات القليلة. ومن الأمثلة على ذلك، الكلمات التالية: يتقدَّمُ، ومتقدمٌ، ويتسامحُ، ومتسامحٌ. فهذه الكلمات، الفعلية والاسمية، تتألف من خمسة مقاطع على النحو التالي:

* الكلمة الأولى: يَتَقَدَّمُ = ya+ta+qad+da+mu = cv+cv+cvc+cv+cv
يَ + تَ + قَدْ + دَ + مُ = ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح .
تتألفُ هذه الكلمةُ مِنْ أربعةِ مقاطعَ من النوعِ القصير (ص ح) تحصر بينها مقطعاً من النوع المتوسط المغلق (ص ح ص).

* الكلمة الثانية: مُتَقَدِّمٌ mu+ta +qad+di+mun = cv+cv+cvc+cv+cvc
مُ + تَ + قَدْ + د + مُنْ = ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح ص.
تتألفُ هذه الكلمةُ، أيضاً، من خمسة مقاطع، الأوّلان منها والرابع، من النوع القصير (ص ح)، والثالث والخامس منها، من النوع المتوسط المغلق (ص ح ص).

* الكلمة الثالثة: يتسامَحُ = ya+ta+saa+ma+hu = cv+cv+cvv+cv+cv
يَ + تَ + سا + مَ + حُ = ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح

تتألفُ هذه الكلمةُ من أربعةِ مقاطعَ من النوعِ القصير (ص ح)، وذلك، على غرار الكلمة الأولى، بَيْدَ أن المقطع الأوسط، الذي تحصره بينها، جاء من النوع المتوسط المفتوح (ص ح ح).

* الكلمة الأخيرة: متسامحٌ= cv+cv+cvv+cv+cvc =mu+ta+saa+mi+hun

مُ + تَ + سا + مِ + حُنْ = ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح ص.

تتألفُ هذه الكلمةُ من خمسة مقاطعَ، الأولان منها، والرابع من النوع القصير (ص ح)، وذلك على غرار الكلمة الثالثة، بَيْدَ أن المقطع الثالث منها جاء من النوع المتوسط المفتوح، والمقطع الخامس من النوع المتوسط المغلق (ص ح ص).

3- أمّا الكلماتُ التي اتّصلتْ بها اللواصقُ Affixes ، سواءٌ أكانت هذه اللواصقُ سوابق prefixes ، أمْ لواحقَ sufixes ، فإن نسيجَها المقطعي لا يزيد على ستة مقاطع، أو سبعةِ مقاطع، أو ثمانية مقاطع، كحدٍّ أقصى. (دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص: 260، والأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 162). ومن الأمثلة على ذلك البنية: "فَسَيَكْفِيكَهُمُ"، التي جاءت في قوله تعالى في سورة البقرة: «... فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وهو السميع العليم». (الآية رقم: 137). والبنية "أَنُلْزِمُكُمُوها"، التي جاءت في قوله تعالى في سورة هود: «... أَنُلْزِمُكُمُوها وأنتم لها كارهون». (الآية رقم: 28)، والبنية السابقة منطوقةٌ على النحوِ التالي: أَفَنُلْزِمُكُموها.

* فالبنية الأولى تتألف، عند الوقف، من ستة مقاطع، هي:

فَ + سَ + يَكْ + في + كَ + هم - fa + sa + yak + fii + ka + hum

ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح ح + ص ح + ص ح ص - cv + cv + cvc + cvv + cv + cvc

* وتتألف البنية الثانية من سبعة مقاطع، هي:

أَ + نُلْ + زِ + مُ + كُ + مو + ها - ʔa + nul + zi+mu+ku+muu+ haa

ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح ح - cv+cvc+cv+cv+ cv+cvv++cvv

* أما البنية الأخيرة فتتألف من ثمانية مقاطع، هي:

أَ + فَ + نُلْ + زِ + مُ + كُ + مو + ها - a + fa + nul + zi + mu + ku + muu + haa

ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح ح - cv + cv + cvc + cv + cv + cv + cvv + cvv

وربما تُعدُّ البنيتان الأخيرتان، وما يمكنُ أنْ يَردَ على شاكلتهما، منْ أكبر التجمعات المقطعية، التي يمكن أن تقع في بنيةٍ واحدة، في اللغة العربية، في حالة الزيادة والتركيب.

عزيزي الدارس ،

إن استيعابك لموضوع النسيج المقطعي للكلمات والبنى، في اللغة العربية، من شأنه أن يقودك، بشيءٍ من المتابعةِ والتمعُّن، إلى استخلاص الحقائق والنتائج التالية المتعلقة بطبيعة المقطع العربي:

1- لا توجدُ كلمةٌ، في اللغة العربية، تتألفُ من أقلَّ من مقطعٍ واحد.

2- لا توجدُ كلمةٌ مشتقة مجردة، في اللغة العربية، تشتملُ على أكثر من أربعةِ مقاطع، إلاّ ما جاء منها على صيغة الكلمات التي عرضناها آنفاً، وهي: يَتَقَدَّمُ، ومُتَقَدِّمٌ، ويَتَسامَحُ، ومُتَسامِحٌ، وما كان على شاكلتها. إن عدد مقاطع هذه الكلمات يصل إلى خمسة مقاطع، في حالة الوصل، ولكنَّ هذا العدد ينقص إلى أربعة مقاطع فقط، عند الوقف.

3- تبدأ جميعُ المقاطع، في اللغة العربية، بصامتٍ واحدٍ متلوٍّ بحركة، ولا تسمح العربية بأن يبدأ المقطعُ فيها بحركةٍ، أو بصامتين، وإن كانت تسمح بأن تنتهيَ بعضُ مقاطعها بصامتين، وذلك في حالة الوقف، كما في كلمة: بِنْتْ = bint ، وخُبْزْ = xubz ، وما كان على غرارها.

4- إن أكثر المقاطع وقوعاً، في اللغة العربية، هو المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، يليه، في ذلك، المقطع القصير (ص ح). أما أقل المقاطع وقوعاً فهي المقاطع الطويلة، ولا سيما المقطع (ص ح ص ص) الذي لا يتحقق إلا حين الوقف.

5- تجيز العربية توالي المقاطع القصيرة (ص ح)، والمقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص)، وإن كانت العربية تميل، في تطورها، إلى التخلص من توالى المقاطع القصيرة. أما المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح) فإن تواليها مُقَيَّد، وغَيْرُ مألوف في الكلام العربي، ولا يسمح هذا الكلام بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع.(الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 165).

6- تقع الأنواعُ المقطعية القصيرة، والمتوسطة بنوعيها، في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، ولا يختصُّ أيٌّ منها بموضع ما من الكلمة. أما الأنواع المقطعية الطويلة بعامة، فإنها محدودة الاستعمال، وتردُ، في الأعمِّ الأغلب، متطرفةً في أواخرِ الكلمات، وحين الوقف.

7- لا تقبل العربية، في تشكيل نسيجها المقطعي، كلمةً مجردةً من اللواحق، مؤلفةً من أربعة مقاطع من النوع القصير (ص ح)، ولكنَّ الكلماتِ المؤلفةَ من ثلاثةِ مقاطع من هذا النوع فكثيرة، مثل: كَتَبَ = ka+ta+ba ، وشرب = sa+ri+ba ، و: رسم = ra+sa+ma . أما إذا لحق هذا النوعَ من الكلماتِ شيءٌ من الضمائر، فيجوزُ اشتمالُها على أكثرَ من ثلاثة مقاطع من النوع القصير، مثل: شَجَرَتُكَ= ša+Ja+ra+tu+ka ، وغيرها.

8- لا تقبل العربية، في تشكيل نسيجها المقطعي، كلمةً مجردةً من اللواحق، مؤلفة من ثلاثة مقاطع من النوع المتوسط المفتوح (ص ح ح)، غير أن الكلمات العربية ذات اللواحق فمن الممكن أن ترد مؤلفة من ثلاثة مقاطع من هذا النوع نحو: باعوها = baa+^{c}uu+haa ، و:قاسوها = qaa+suu+haa ، وغيرهما.

أما المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، فتجيز العربية توالي ثلاثة مقاطع، أو أربعة مقاطع منه في الكلمة، مثل فعل الأمر: استَفْهِمْ = is+taf+him ، والفعل الماضي: استَفْهَمْتُمْ = is+taf+ham+tum .

9- لا تقبل العربية بعض أنواع النسيج المقطعي، ومنها:

* النسيج المقطعي المؤلف من: صَ حَ حَ + صَ حَ صَ صَ .

* النســـيج المقطعي المؤلف من: صَ ح صَ + صَ حَ حَ + ص ح ح ، إلا في بعض الكلمات التي يوقف عليها بالألف بدل التنوين المنصوب، مثل : قنطارا = qin+taa+raa

* النسيج المقطعي المؤلف من: ص ح ح + ص ح ص + ص ح ص

إن الكلمات التي ترد على هذه الأنحاء من النسج المقطعي، تكونُ، في الأعمِّ الأغلب، كلماتٍ غيرَ عربية.

؟

أسئلة التقويم الذاتي (3)

عزيزي الدارس،

1- قطع الكلمات التالية تقطيعاً يُبْرِزُ الأنواعَ المقطعية التي تتألف منها: كتابكمْ، رسائلنا، مكتباتْ، استخراجْ.

2- عدِّد بعض أشكال النسج المقطعي الذي لا تجيزه اللغة العربية.

3- اعطِ أمثلة مختلفة، تشتمل على أنواع المقاطع المتنوعة، مع تحديد موقع كل مقطع منها، في كل مثال.

6. أهمية المقطع في علم الأصوات وفي غيره من العلوم اللغوية

عزيزي الدارس،

لاشك لدينا، في أنك أحْسَسْتَ بأنّ دراستك للمقطع، بجوانبه المختلفة، التي مرّ معك، في الصفحات السابقة، قد أضافت إلى معلوماتك الثقافية، والتخصصية أيضاً، في ميدان الدرس اللغوي بعامة، والدرس الصوتي بخاصة، زاداً فكرياً جديداً، تستطيع، من خلاله، مناقشةَ كثيرٍ من القضايا والمسائل اللغوية، وفَهْمَها. ولعلّ خيرَ ما نُنْهي به حديثَنا عن هذا الجانب اللغوي، هو بيان الأهمية التي يعولُ عليها الدارسون لهذا الموضوع، والفائدة التي يمكن للدرس المقطعي أن يُقَدِّمَها لدارسيه.

1- إن المنطوقَ اللغوي، كما هو معلوم لديك، عزيزي الدارس، يتكون عملياً من مقاطع، وليس من سلسلة خطيّة من الصوامت والحركات، ولهذا، فإن من الممكن الاعتماد على المقطع، في عملية تحليل المنطوق وفهمه، تماماً كما هو الحال بالنسبة للفونيمات. بل إنّ من الأسهل تَبيُّن المقاطع، التي يتألف منها نسيج الكلمة، من تبيُّن فونيماتها، في كثير من الحالات.

2- يعدُّ المقطعُ الوحدةَ الأساسية التي تتأثر بالملامح، أو الفونيمات غير التركيبية، كالنبر، والتنغيم، والمفصل، وما إليها. ولهذا، فإنّ دراسةَ المقطع، والتعرُّف إلى بنى النسج المقطعي للغة، يعدان أمرين ضرورين قبل الشروع في عملية دراسة الفونيمات غير التركيبية.

3- ولا تقتصر أهمية المقطع على دراسة الفونيمات غير التركيبية فقط، فله أهمية خاصة في ميدان الدرس العروضي للشعر، إذ إنّ الدراسةَ العروضية، أو التحليل العروضي إلى تفعيلات مختلفة، ما هو إلاّ تحليل للنسج المقطعي للشعر، موضع الدراسة، إلى عناصره المكوِّنَة له، وهي المقاطع.

كما أنّ لدراسة المقطع أهميةً أخرى تتجلى في كتابَةِ بَعْض اللغات التي وضعت على أساس مقطعي، كاللغة الصينية.(Ladefoged, A course in phonetics, P:217).

4- وللدراسة المقطعية، عزيزي الدارس، علاوة على ما سبق، فائدةٌ في المستوى الوظيفي التعليمي للغة، فهي ضرورية جداً في أثناء عملية تعليم لغة ما للأجانب، أو للمبتدئين في التحصيل اللغوي. ويتمُّ ذلك، في الأعمِّ الأغلب، عن طريق تقسيم المنطوق إلى مقاطعَ يتمُّ التعرف إليها ابتداءً، وذلك قبل الانطلاق نحو البنى الأكبر، التي يعدُّ المقطع واحداً من مكوناتها، وعنصراً أساسياً من عناصرها.

5- وتتمثل بعض الفوائد القيِّمة، التي يمكن للدرس المقطعي أن يزوِّدَنا بها، في التعرف إلى طبيعةِ نسيج الكلمة، وما إذا كان هذا النسيجُ موافقاً، أو مخالفاً لما يَسْمَحُ به نظامُ اللغةِ العربية في صياغة مفرداتها وبناها اللغوية، ولقدْ ألمحنا إلى طرفٍ من هذا الموضوع، في أثناء حديثنا عن النسيج المقطعي للبنية العربية.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

عزيزي الدارس،

وضح ثلاث فوائد تشعر، من خلالها، بأهمية دراسة المقطع، في الميدان اللغوي بعامة، والصوتي بخاصة.

فائدة (6)

عزيزي الدارس،

من الطرق التي تتّبعها بعض المناهج التربوية، في تعليم القراءة للمبتدئين، طريقة تحليل الكلمة إلى مكوّناتها المقطعية، بوصفها مرحلة من مراحل تحليلها إلى مكوناتها الفونيمية الصوتية. وهي الطريقة التي يُطلق عليها، في كتب التربية، وأساليب التدريس، اسم الطريقة "التحليلية"، أو الطريقة "الكلية"، لأنها تبدأ بتعليم الكل، وهو الكلمة، ثم تنتقل إلى تعليم الأجزاء، وهي المقاطع، فالحروف.

ويعود السبب في اتباع هذه الطريقة، في كثير من الأحيان، إلى أن تبيُّن المكوّنات المقطعية للكلمة، والنطق بها، لدى المتعلم، يكون أيسر عليه، في البداية، من تبيُّن مكوناتها الصوتية والنطق بها.

فائدة (7)

عزيزي الدارس،

لاشكّ في أن الدراسة العروضية، في جوهرها، هي دراسة صوتية، ترتكز إلى المكونات المقطعية للكلمات التي يتألف منها الشعر.

خُذْ، على سبيل المثال، قَوْلَ أبي الطيِّب المتنبي:

سَيَعْلَمُ الجَمْعُ مِمَّنْ ضمَّ مَجْلِسُنا ** بأنَّني خَيْرُ مَنْ تَسْعى بهِ قَدَمُ

ثم حاول أن تقطعه عروضياً:

سَ / يَعْ/ لَ/ مُلْ/ جَمْ/ عُ/ مِمْ/ مَنْ/ ضَمْ/ مَ/ مَجْ/ لِ/ سُ/ نا

بَ / -/ ب/ -/ -/ ب/ -/ -/ -/ ب / -/ ب/ ب/ -

بِ/ أنْ/ نَ/ ني/ خَيْ/ رُ/ مَنْ/ تَسْ/ عا/ ب/ هي/ قَ/ دَ/مو

ب/ -/ ب/ -/ -/ ب/ -/ -/ -/ ب/ -/ ب/ ب/ -

ستجد أنك، في الوقت الذي تقوم فيه ببيان تفعيلات البيت، تقوم بتقسيمه إلى مقاطعَ، تستشفُ، من خلالها، نوع تلك التفعيلات.

ولنكتب البيتَ السابقَ نَفْسَه الآن، عزيزي الدارس، كتابةً صوتية مقطعية، لنرى دقّةَ ما نقول:

sa/ya^c/ la/ mul/ Jam/ ^{c}u/ mim/ man/ ḍam/ ma/ maJ/ li/ su/ naa

bi/ an/ na/ nii/ ʔxay/ ru/ man/ tas/ ^{c}aa/ bi/ hii/ qa/ da/ muu

إن كل رمز عروضي، سواء أكان قصيراً (ب)، أم طويلاً (-) يشير إلى بعض الأنواع المقطعية التي درسناها معاً. فَصَدْرُ البيت يتألف من المقاطع الأربعة عشر التالية:

ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح ح ، وعجزه يتألف، كذلك، من أرْبعةَ عَشَرَ مقطعاً، هي:

ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح + ص ح + ص ح ح + ص ح + ص ح + ص ح ح .

وهذا يعني، أن كل رمز عروضي، يمثّل نوعاً من أنواع المقاطع الصوتية، وأن مجموع الرموز العروضية لأيٍّ بحر عروضي، ما هو إلاّ تجميع للمقاطع الصوتية التي يتألف منها البيت من الشعر.

وتجدر الإشارة، في هذا المجال، إلى أن الشعر العربي، يعتمد، في بنائه اللغوي، والموسيقي، والنّغمي، كما اتّضحَ لنا مما سبق، على المقاطع القصيرة، والمتوسطة بنوعيها المفتوح والمغلق، وهذه المقاطع هي: (ص ح)، و (ص ح ح)، و (ص ح ص). أما المقاطع الطويلة الأخرى فنادرةُ الوقوع، إنْ لم تَكُنْ مستحيلةً، في كثيرٍ من الأحيان.

نشاط

عزيزي الدارس،

ارجع إلى بعض كتب اللغة والأدب التي بحوزتك، وحاول أن تكتبَ بعض النصوص - ولا سيما النصوص الشعرية، التي تختارها بنفسك، من تلك الكتب - كتابةً صوتية. ثم قُمْ، بعد ذلك، بتقسيم كلِّ نصٍّ مختار منها، تقسيماً مقطعياً، ذاكراً نوع المقاطع التي تشتمل عليها كل كلمة، وكل بنية فيها.

وهذا أمرٌ ضروريٌّ ومهمٌّ بالنسبة لك، ومن شأنه، في حالة حدوثه وتكرره، أن يحقق لك هدفين جليلين:

أولهما: التدرب على الكتابة الصوتية، التي تعدُّ الآن كتابة دولية، يعتمد عليها الدارسون، في ميدان البحث اللغوي والصوتي.

وثانيهما: التدرب على معرفة المكونات المقطعية، وأشكال النسج المقطعي للبنى المختلفة.

7. الخلاصة

عزيزي الدارس،

اختصت هذه الوحدة السابعة بالحديث عن (المقطع الصوتي) وهو نمط ادنى من التجميعات الفونيمية، تقوم فيها وحدة الحركة بدور النواة، وقد قسّموا المقطع إلى مطلع ونواة ومركز وخاتمة. ثم تحدثت الوحدة عن أنواع المقطع في اللغة العربية وهي المقطع القصير والمتوسط المفتوح والمتوسط المغلق والطويل المغلق والطويل المزدوج الاغلاق والمقطع البالغ الطول المزدوج الاغلاق. ثم تحدثت الوحدة عن تصنيف المقطع إلى قوي وضعيف ومفتوح ومغلق وقصير ومتوسط وطويل وحر ومقيد واختتمت الوحدة ببيان أهمية المقطع في علم الأصوات في اللغة العربية.

8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

عزيزي، الدارس،

لقد خصّص منهج هذا المقرر، وهو مقرر علم أصوات العربية، الوحدةَ الخامسةَ، للحديث عن الفونيمات التركيبية في اللغة العربية. أما الوحدة القادمة، وهي الوحدة الثامنة، فسوف تدورُ حول موضوعِ الفونيمات غير التركيبية في اللغة العربية. وسيشمل الحديث، عن هذا الموضوع، ثلاث ظواهر فونيمية غير تركيبية في العربية هي: النبر، والتنغيم، والمفصل.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- يقصد بالصوت المقطعي، الصوت الذي يشغل موقع النواة، أو القمة في المقطع. ويشمل ذلك أصوات الحركات، بصورة رئيسة.

أما الصوت غير المقطعي، فيقصد به الصوت الذي يشغل موقع القاعدة، أو الهامش في المقطع، ويشمل ذلك أصوات الصوامت، وأنصاف الحركات.

2- الأصوات التي تشغل موقع النواة في المقطع، هي الأصوات التي تتّسم بالوضوح السمعي، وأعلى الأصوات وضوحاً في السمع هي الحركات vowels .

3- يقصد بالعنقود الفونيمي، أو الصوتي Cluster ، في ميدان الدرس المقطعي، اجتماع أكثر من صامت في بداية المقطع، أو نهايته.

تدريب (2)

1- تتسلسل الأصوات العربية، من حيثُ درجةُ وضوحها في السمع على النحو التالي:

أولاً: الحركات Vowels ، وهي أعلى وضوحاً في السمع من الصوامت Consonants . بيد أن الحركات تتفاوت، فيما بينها، في وجه وضوحها السمعي. فالحركات الطويلة، المتمثلة بالفتحة الطويلة (aa) ، والكسرة الطويلة (ii) ، والضمة الطويلة (uu) ، على التوالي أوضح في السمع، من الحركات القصيرة، المتمثلة بالفتحة القصيرة (a) ، والكسرة القصيرة (i) ، والضمة القصيرة (u) على التوالي.

ثانياً: الصوامت = Consonants ، وهي تأتي، في وضوحها السمعي، بعد الحركات. وتتفاوت الصوامت فيما بينها أيضاً، في درجة الوضوح السمعي. فالراء، والميم،والنون، واللام هي أوضح الصوامت في السمع، يليها ، في ذلك، الصوامت الاحتكاكية المجهورة، فالصوامت الانفجارية المجهورة، فالصوامت الاحتكاكية المهموسة، فالصوامت الانفجارية المهموسة.

2- تتألف البنية: "كَتَبْتُما" ka+tab+tu+maa ، من أربعة مقاطع، هي =

- مقطع قصير (ص ح) ka .
- مقطع متوسط مُغْلق (ص ح ص) tab .
- مقطع قصير (ص ح) tu
- مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) maa.

تدريب (3)

1- يكون المقطع قوياً إذا كان عنصر اللّب فيه مكوّناً من الأشكال التالية:

- حركة طويلة متلوة بخاتمة، أو بدونها، نحو: مال = maal ، و: ما = maa.
- حركة قصيرة متلوة بصامتين، نحو: بِنْتْ = bint.
- حركة قصيرة متلوة بصامت مضعّف، أو مشدّد، نحو شدّ = sadd .

أما المقطع الضعيف، فهو المقطع الذي يكون عنصر اللّب فيه مكوناً من حركة قصيرة، متلوّة بما لا يزيد عن صامت قصير واحد، نحو: مَنْ = man .

2- المقاطع التي يبنى عليها الشعر العربي، في الأعمّ الأغلب، هي المقاطع القصيرة، والمتوسطة بنوعيها: المفتوح والمغلق، وهي، على التوالي،: ص ح، ص ح ح، ص ح ص.

3- يطلق مصطلح "مورا" Mora على الزمن الذي يستغرقه النطق بالمقطع بالضعيف.

- **المقطع الصوتي (Syllable):**

نمط أدنى من التجميعات الفونيمية تقوم فيها وحدة الحركة بدور النواة وتكون مسبوقة ومتلوة بوحدة صامتية.

- **المقطع القصير: ص + ح :**

يتألف من صامت + حركة قصيرة، مثل كَ .

- **المقطع المفتوح: ص + ح ح:**

يتألف من صامت + حركة طويلة، مثل ما.

- **المقطع المتوسط المغلق: ص ح ص :**

يتألف من صامتين يحصران بينهما حركة قصيرة، مثل مَنْ.

- **المقطع الطويل المغلق: ص ح ح ص :**

يتألف من صامتين يحصران بينهما حركة طويلة، مثل: مال.

- **المقطع الطويل المزدوج الاغلاق: ص ح ص ص :**

يتألف من صامت متلو بحركة قصيرة متلوة بصامتين، مثل: خُبْزْ.

- **المقطع البالغ الطول المزدوج الاغلاق: ص ح ح ص ص:**

يتألف من صامت متلو بحركة طويلة متلوة بصامتين: مثل رادّ.

11. المراجع

أ- المراجع العربية:

1- أنيس، ابراهيم، الأصوات اللغوية، ط7 . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1984.

2- ــــــــــ، موسيقى الشعر. القاهرة: دار النهضة العربية، ط4، 1972.

3- ــــــــــ ، اللغة بين القومية والعالمية. القاهرة: دار المعارف، 1970.

4- أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، ط2. القاهرة: مطبعة الكيلاني، 1968.

5- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1955.

6- شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، ط2. القاهرة: مطبعة المدني، 1977.

7- ــــــــــ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. القاهرة: دار القلم، 1996.

8- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب، 1976.

9- مالمبرج، برتيل، علم الأصوات. تعريب ودراسة، عبدالصبور شاهين، القاهرة: مكتبة الشباب، 1984.

10- مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام. القاهرة: 1980.

11- هلال، عبدالغفار حامد، أصوات اللغة العربية ط2. القاهرة: مطبعة الجبلاوي، 1988.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Crystal, D, A first Dictionary of Linguistics and Phonetics. London: 1980.

2- Hyman, L.M., Phonology. New York: Theory and Analysis, Holt, Renihart and Winston, 1975.

3- Ladefoged, Peter, A course in phonetics. New York: Har Court Brace Jovanovich, 1975.

الوحدة الثامنة

الفونيمات غير التركيبية في اللغة العربية

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك الى هذه الوحدة الثامنة، من مقرر علم أصوات العربية، وتختص هذه الوحدة بدراسة موضوع "الفونيمات غير التركيبية في اللغة العربية".

لقد سبق لك أن درست، في الوحدة الرابعة، من هذا المقرر، وحدة الصوت التمييزية التركيبية أو القِطْعيّة، كما تسمى أيضا، وهي الفونيم Phoneme، وتعرفت الى أن لغتنا العربية، تمتلك مجموعة من تلك الوحدات الصوتية التمييزية التركيبية؛ وهي الفونيمات.

وتعرفت، في أثناء تلك الدراسة أيضا، إلى أن الفونيم، يمثل أصغر وحدة صوتية تبنى منها الكلمة، بحيث يؤدي استبدال هذه الوحدة بغيرها الى اختلاف في معنى الكلمة، كما تعرفت، علاوة على ذلك، الى أهم الفوارق القائمة بين وحدة الصوت التمييزية التركيبية، ووحدة الصوت التمييزية غير التركيبية.

ثم انتقلت، بعد ذلك، عزيزي الدارس، الى الوحدة الخامسة، في هذا المقرر، فدرست صوامت اللغة العربية وحركاتها، وتعرفت الى أن لغتنا تمتلك مجموعة من الصوامت والحركات التي يبلغ عددها أربعة وثلاثين فونيما، منها ستة وعشرون صامتاً، واثنان من أنصاف الحركات، هما الواو والياء، وثلاث حركات قصيرة، ومثلها في العدد حركات طويلة، ودرست، في أثناء ذلك أيضا، تصنيف الأصوات العربية، وتوصيفها بنوعيها الصوامت والحركات، وما يتصل بهذين النوعين من خصائص في مستوى المخارج والصفات.

عزيزي الدارس،

لقد كانت تلك الدراسة تقوم، كما مر معك في تينك الوحدتين، على أساس الوحدات الفونيمية التمييزية Segmental Phonems، التي تعد جزئيات قطعية رئيسة تستخدم في عملية تركيب الحدث الكلامي، والمنطوقات اللغوية بعامة، بيد أن النظام الصوتي للغة العربية، وغيرها من اللغات الأخرى أيضا، لا يقتصر، في وجوده وأدائه، على تلك الوحدات الفونيمية فقط، نظراً لأنها، أي تلك الوحدات الفونيمية، لا تقوى بمفردها، على استيعاب كل ما في المنطوقات اللغوية من تنوعات ذات شأن، وإنما يشتمل ذلك النظام على نوع آخر من الفونيمات التي يطلق عليها مصطلح الفونيمات غير التركيبية، أو الفونيمات غير القِطْعيّة ، وهي عبارة عن ملامح صوتية إضافية تؤثر على الأصوات الكلامية أو مجموعاتها، (أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 92)، أو هي عبارة عن ملامح وخصائص صوتية تؤثر في أكثر من قطعة

صوتية، أو فونيم، في منطوق ما، ومن أمثلتها: النبر Stress ، والمفصل Juncture، والتنغيم Intonation ، وطبقة الصوت أو درجته Pitch، وغيرها (Crystal, A .First Dictionary of Linguistics and Phonetics, p:341)

وعلى هذا، فإن هذه الفونيمات غير التركيبية، لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل جملة. (علم اللغة العام، الأصوات، للدكتور كمال بشر، ص : 161).

وتتصل دراسة هذه الملامح بالجانب الفونولوجي للغة، فعند إجراء تحليل فونولوجي للمنطوقات في لغة ما، فإن هذا التحليل يمكن أن يكون تحليلا فونيميا تركيبيا أو قطعياً، أو تحليلاً فونيمياً غير تركيبي، أو غير قطعيّ. ولا تعتمد هذه الملامح على ما تعتمد عليه الملامح الصوتية التركيبية من محددات، كآلية تيار الهواء، وأوضاع المزمار والإنتاج الأساسي، أو الثانوي للأصوات، وتردد الحزم التكوينية Formants (Ladefoged, Acourse in Phonetics, p:217).

وتجدر الإشارة الى أن الفونيمات غير التركيبية تقوم، أو يقوم بعضها، في الأعم الأغلب، بدور تمييزي في بعض اللغات، فالنبر، على سبيل المثال، يقوم بدور بارز في التمييز بين المعاني والدلالات في لغة كالانجليزية، في حين لا يقوم هذا الملمح بمثل هذا الدور في اللغة العربية.

ومن ناحية أخرى، فإن الارتباطَ القائم بين الفونيمات غير التركيبية والقيم الدلالية، أقلُّ من الارتباط القائم بين الفونيمات التركيبية وهذه القيم. وبالاضافة الى ذلك، فإن للفونيمات غير التركيبة صلةً بالتعبير عن المعنى القواعدي، أكثر من صلتها بالمعنى المعجمي، وهذا يعني أن هذا النوع من الفونيمات يقوم بدور مهم في رسم حدود وحدة القواعد المعروفة، وهي الكلمة، أو تعيين سماتها، فالنبر، وهو أحد هذه الفونيمات، قد يستغل أحياناً للتفريق بين الأسماء والأفعال في الانجليزية.

ومن البدهي أن تغيير الصفة الصرفية، من اسم الى فعل، أو العكس، يؤدي إلى نوع من التغيير في الوظائف النحوية والدلالية. (علم اللغة العام، الأصوات، للدكتور كمال بشر، ص : 162-163).

وسنقدم لك، عزيزي الدارس، في الصفحات التالية، دراسةً لبعض الفونيمات غير التركيبية في العربية، وهي : النبر، والتنغيم، والمفصل، فكن معنا في هذا الجانب من الدرس الصوتي الممتع، ونحن على ثقة ويقين من أنك ستجدُ، في موضوعات هذه الوحدة، ما يضيف إلى فكرك اللغوي والصوتي الشيءَ النافعَ والمفيد، وأسعدك الله، وأسعد بك، وسلام الله عليك.

2.1 أهداف الوحدة

ينتظر منك، عزيزي الدارس، بعد قراءة هذه الوحدة، واستيعاب ما تضمنته من معلومات، أن تكون قادراً على أن :

1. تحدد مفهوم الفونيمات غير التركيبية.
2. تستخدم الفونيمات غير التركيبية في تحليل الكلمات، والعبارات، والجمل العربية.
3. تشرح قيمة الفونيمات غير التركيبية في الأداء والتمييز بين المعاني.
4. تقرأ النصوص العربية قراءة دلالية معبرة.

3.1 أقسام الوحدة

عزيزي الدارس،

تنقسم هذه الوحدة على الأقسام التالية :

القسم الأول : النبر في اللغة العربية.

القسم الثاني : التنغيم في اللغة العربية.

القسم الثالث : المفصل في اللغة العربية.

4.1 القراءات المساعدة

عند دراسة هذه الوحدة، يستحسن، عزيزي الدارس، الاطلاع على فصول بعض الكتب اللغوية ذات الصلة بموضوعاتها، ومن هذه الكتب :

1. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط 6. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1984.
2. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة : عالم الكتب، 1976.
3. عبده، داود، دراسات في علم أصوات العربية. الكويت، مؤسسة الصباح،(د.ت) .
4. بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، ط 6. القاهرة : دار المعارف، 1980.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

لقد حاولنا، عزيزي الدارس، أن نجعل هذه الوحدة، بما اشتملت عليه من مادة، وأسئلة، وأنشطة، وفوائد، مكتفية بذاتها الى حدٍّ كبير، وما عليك إلا أن تتبعها خطوة خطوة، مستوعباً ما جاء فيها من معلومات، ومشاركا في مناقشة ما تخللها من قضايا، ومقدما إجابات وحلولاً عما ورد فيها من أسئلة.

وقد أشرنا عليك، قبل قليل، بقراءة فصول بعض الكتب ذات الصلة بموضوعات هذه الوحدة، وهذه القراءة إضافية واختيارية ولكنها مفيدة ونافعة، بإذن الله تعالى، ومن شأنها تعميق صلتك بهذا الجانب الطريف من جوانب الدرس اللغوي في العربية.

2. النبر في اللغة العربية

1.2 تصدير

عزيزي الدارس،

يعرَّف النبر Stress بأنه جهد يبذل في نطق جزء من المنطوق، بالقياس الى جزء آخر منه، مما يؤكد أحد أجزاء المنطوق بجعله أكْثَرَ بروزاً، ويقترن المقطع المنبور بنبضة صدرية مقواة يصاحب انتاجَها بذلُ طاقةٍ إضافية.

.(Hartmann and Stork, Dictionary of Language and Linguistics, p: 220)

وقد عرَّفه اللغوي الانجليزي المشهور "دانيال جونز" بأنه "درجة القوة التي تقع على أحد مقاطع الكلمة". [An Outline Of English Phonetics, p:245]

عزيزي الدارس،

من الأمور، التي يجدر بك معرفتها، وأنت تدرس موضوع النبر، أن أعضاء النطق، أو بعضها على الأقل، يعتريها، في أثناء النبر، نشاط فجائي في وقت واحد. فعند النطق بمقطع منبور، ينشط الحجاب الحاجز نشاطاً كبيراً، كما تنشط عضلات الرئتين. علاوة على ذلك. فإن حركة الوترين الصوتيين تقوى أيضاً، فيقترب أحدهما من الآخر، حتى لا يسمحا إلا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لتوترهما الذبذبات الصوتية، فيترتب على ذلك زيادة في حدة الصوت المنطوق. في حالة الأصوات المجهورة، أما مع الأصوات المهموسة، فيبتعد الوتران الصوتيان، أحدهما عن الآخر، أكثر من ابتعادهما في حالة الصوت غير المنبور، فيتسرب مقدار أكبر من الهواء يجعل الاحتكاك، أو الانفجار، في الصوت، أقوى وأوضح في السمع.

كما يلاحظ، مع المقطع المنبور، نشاط في أعضاء النطق الأخرى، كأقصى الحنك، واللسان، والشفتين، والأمر على عكس ذلك كله مع المقطع غير المنبور. [الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص : 169-170].

ويرى "كريستال" أن المقاطع المنبورة تتميز، من غيرها من المقاطع غير المنبورة، في أنها؛ أي المقاطع المنبورة، أكثر بروزاً من المقاطع غير المنبورة، ويشار الى المقطع المنبور، في الكتابة، بخط رأسي مرتفع ( ). ويرجع البروز، في العادة، الى زيادة في علو Loudness المقطع المنبور، لكن يمكن أن يسهم الطول Length، وفي أحيان كثيرة، طبقة الصوت، أو الدرجة Pitch، في الانطباع العام للبروز.

(Crystal, A First Dictionary of Linguistics and Phonetics, p:332)

عزيزي الدارس،

لعل من الواضح لديك، مما سبق، أن بعض التعريفات التي قُدِّمتْ للنبر ركّزت على الجانب السمعي فيه، كما هو واضح، في تعريف "كريستال" آنف الذكر، وربما اقتصر بعض هذه التعريفات على جانب العلوّ وحده، في حين ركز بعضها الآخر على الجانب المخرجي Articulatory Aspect، ويعتبر الجوانب الأخرى، من أكوستيكية فيزيائية Acoustic، وسمعية Auditory ، ذات أهمية ثانوية.

ولكننا نستبعد إمكانية إخراج أحد الجوانب الصوتية الثلاثة من حدود التعريف، ونعتبرها جميعاً وجوهاً مختلفة لظاهرة النبر؛ ذلك أن بذل مزيد من الجهد، في إنتاج الصوت، أو المقطع المنبور، يصاحبه اندفاعٌ أشدُّ للهواء، ونشاطٌ أكبرُ للحنجرة، وغيرها من أعضاء النطق، وبطبيعة الحال، فإن الموجاتِ الصوتيةَ الصادرةَ سوف تكون مختلفةً في التردد Frequance ، والشدة Intensity عن نظائرها في الحالات الأخرى، وسيؤدي هذا كله الى اختلاف مناظر في الدرجة، والعلو عند سماع المنطوق، وعلى هذا ، فإن بوسعنا تعريف المقطع المنبور بأنه «مقطع يتميز إنتاجه، عن سواه من المقاطع الأخرى، في المنطوق، بزيادة في نشاط العضلات التي تعمل على دفع تيار الهواء المنتج للصوت، وزيادة في نشاط أعضاء النطق المختلفة، مما يكسب المقطع المنبور بروزاً خاصاً عن سواه، قد يتمثل في جوانب مثل العلو، والدرجة، والطول».

عزيزي الدارس،

إن قدماء اللغويين العرب، قد لمحوا جانباً لا بأس به من مفهوم النبر الحديث، فقد نصّ ابن منظور، في لسان العرب (مادة نبر) على أن النبر، عند العرب، ارتفاع الصوت. يقال : نبر الرجل نبرةً إذا تكلم بكلمة فيها علو ... ونبرة المغني : رَفْعُ صوته عن خفض ... والمِنْبَرُ: مَرْقاةُ الخاطب. سمي مِنْبراً لارتفاعه وعلوه. وانتبر الأمير : ارتفع فوق المنبر".

2.2 اللغات النبرية

يطلق هذا المصطلح على اللغات التي تختلف مقاطعها من حيث النبر، وأهم ما تمتاز به هذه اللغات، هو أن للنبر فيها وظيفةً أوجية Culminative Function؛ بمعنى أن فيها واحداً من مقاطع الكلمة، أو ما يمكننا تسميته بالوحدة النبرية، يستأثر دون غيره بأعلى درجات البروز النبري، أو النبر الأولي : Primary Stress فلا تخلو أي كلمة، أو وحدة نبرية، من مقطع واحد يبلغ فيه البروز أوجه. وهذا المقطع المتّسم بهذه السمة مقطع وحيد، لا يشاركه فيها سواه من المقاطع، وهكذا يمكننا تعيين عدد كلمات منطوق ما بحساب عدد مرات ظهورالنبر الأولي فيه.

1.2.2 اللغات ذات النبر الثابت Fixed Stress

ويقصد بها اللغات التي يشغل النبر الأوجي فيها موقعاً محدداً من الكلمة، كأن يرد في أوائل الكلام دائماً، كما في اللغة المجرية، والفنلندية، والتشيكية، أو على المقطع قبل الأخير، كما في اللغة البولندية والسواحيلية، أو في نهايات الكلمات دائماً، كما في اللغة الفرنسية. ويقوم النبر في هذه اللغات، بوظيفة تعيين حدود الكلمة Demarcative Function. وتتميز اللغات، التي تثبت نبرها في موضع معين، بحيث لا يكون حراً، بأن النبر فيها لا يقوم بدور فونيمي، أي أنه لا يستخدم للتفريق بين المعاني، وتعد اللغة العربية من بين اللغات التي تمتاز بقواعد نبرية يثبت بموجبها النبر، كما سنرى فيما بعد، في المقطع المعين من الكلمة، ولذا، فإن النبر فيها لا يقوم بدور فونيمي، بمعنى أنه لا يستخدم بوصفه ملمحاً تمييزياً، يكون معنى الطرف المنبور فيه مخالفاً لمعنى الطرف غير المنبور.

2.2.2 اللغات ذات النبر الحر Free Stres

ويقصد بها اللغات التي يمكن أن يقع النبر الأوجي فيها في مواقع مختلفة وغير محددة من الكلمة، وفي هذه الحالة يقوم النبر بدور معجمي Lexical، أو قواعدي Grammatical. ويطلق على هذا النبر اسم النبر الفونيمي Phonemic Stress، خلافاً للنبر الثابت الذي يعد نبراً غير فونيمي.

ومن اللغات التي تشتمل على هذا النوع من النبر؛ أي النبر الفونيمي، اللغة الروسية، واللغة الانجليزية. ففي اللغة الروسية، على سبيل المثال، تختلف الكلمتان Mu'ka، التي يقع النبر فيها على المقطع الأول ، و :Muka' ، التي يقع النبر فيها على المقطع الأخير، في المعنى، فالكلمة الأولى تعني "عذاب"، في حين تعني الكلمة الثانية "الدقيق"، وفي اللغة الانجليزية، تختلف الكلمتان Increase، التي يقع النبر فيها على المقطع الأول، و : Incre'ase، التي يقع النبر فيها على المقطع الأخير، في كون الكلمة الأولى تعد اسماً بمعنى "زيادة"، في اللغة الانجليزية، في حين تعدُّ الكلمة الثانية "فعلا"، بمعنى "يزيد".

ويمكن القول، من الناحية الفوناتيكية، إن اللغات ذاتَ النبر الحر، هي اللغات التي لا يمكن التنبؤ، بموقع النبر الأوجي فيها، بناء على البنية الفوناتيكية لها، خلافا للغات ذات النبر الثابت، كاللغة العربية التي يمكن التنبؤ بموقعية النبر الأوجي فيها بناء على نسيج بنيتها الفوناتيكية.

ومهما يكن من أمر، فإن اللغات، التي تستخدم النبر، بوصفه فونيماً يقوم بالتمييز بين المعاني والصيغ، تسمى لغات نبرية Stress Languages، أما اللغات التي لا يقوم فيها النبر بدور فونيمي تمييزي، فتسمى لغات غير نبرية.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

مر معك، قبل قليل، أن النبر، في اللغة العربية، لا يقوم بدور فونيمي، أي أنه لا يستخدم للتفريق بين المعاني، وذلك عائد الى أن هذه اللغة تمتاز بقواعد نبرية يثبت بموجبها النبر في المقطع المعين من الكلمة.

ومع ذلك؛ فإن بوسعنا العثور على بعض أزواج من الكلمات، التي يؤدي تغيير موقع النبر فيها، الى تغيير مقابل في المعنى، ونستطيع أن نتبين ذلك عندما نوازن بين نطق أزواج الكلمات التالية ومعانيها :

* أرق a'+raq، بالنبر على المقطع الأول، بمعنى السهاد، والقلق، وعدم القدرة على النوم ليلاً.

و : أرقّ ʔa'raqq، بالنبر على المقطع الأخير، بمعنى الرقة واللطافة.

* أسد ʔa'+sad، النبر على المقطع الأول، بمعنى الحيوان المفترس المعروف.

و : أسدّ ʔa+s'add، بالنبر على المقطع الأخير، بمعنى أكثر سداداً.

* أمل ʔa'+mal، بالنبر على المقطع الأول، بمعنى : ضد اليأس.

و : أملّ ʔa+ma'll، بالنبر على المقطع الأخير، بمعنى : فعل مضارع من الملل.

* أمر ʔa'+mar، بالنبر على المقطع الأول، بمعنى : فعل ماض من الأمر.

و : أمرّ ʔa+m'arr، بالنبر على المقطع الأخير، بمعنى : أكثر مراراً.

3.2 درجات النبر

من الواضح لديك، عزيزي الدارس، أن الكلمات المكونة من مقطع واحد، لا يمكن أن تشتمل على أكثر من نبر واحد، أما الكلمات المكونة من عدة مقاطع، فمن الممكن أن تشتمل على أكثر من نبر واحد، غير أن درجات النبر، في الكلمة الواحدة، من أمثال هذه الكلمات، لا تكون متساوية، ففي كلمة مثل: Mu'ltiplica'tion المنطوقة وحدها، نجد أن النبر فيها واقع على المقطعين الأول والرابع، إلا أن النبر الواقع على المقطع الرابع أقوى من مثيله الواقع على المقطع الأول.

ولكن اللغويين يختلفون، فيما بينهم، حول عدد درجات النبر الواقع على الكلمة الواحدة.

1- فمنهم من يرى أن النبر متساو، بمعنى أن له درجةً واحدة، غير أن الاختلاف في البروز يعود الى عوامل أخرى تعزز النبر، ومن ذلك تواجد نمط تنغيمي مع النبر على نفس المقطع المنبور، أو قيام اختلاف في طول الحركة التي في المقطع، وتكون المقاطع، حسب هذا الرأي، منبورة، أو غير منبورة، فإذا كانت منبورة توضع العلامة فوقها، أو على أحد جانبيها.

2- ومنهم من يرى أن للنبر درجتين هما : النبر الأولي Primary Sress وهو النبر الأقوى، والنبر الثانوي Secondary Stress، وهو النبر الأضعف، ويشار الى النبر الأولي بعلامة النبر الحاد (ˈ)، ويشار الى النبر الثانوي بعلامة النبر غير الحاد (ˌ)، ومن أمثلة ذلك الكلمة السابقة Mu'ltiplica'tion، التي تشتمل على هذين النوعين من النبر.

3- ومن اللغويين من يذهب الى وجود ثلاث درجات للنبر هي : النبر القوي، والنبر المتوسط، أو الثانوي، والنبر الضعيف Week Stress. ويرمز لهذه الدرجات النبرية بالأرقام. وتجتمع هذه الدرجات جميعاً في المنطوق: Bla'ck board era'ser.

4- ومنهم من يرى أن للنبر أربعَ درجات، هي النبر الأولي، ويرمز له بالعلامة (ˈ)، والنبر الثانوي، ويرمزله بالعلامة (ˆ)، وهو أضعف من النبر الأولي، وأقوى من نوع النبر الثالث، والنبر الثالثي Tertiary Stress ويرمز له بالعلامة (ˋ)، وهو أضعف من النبر الثانوي، والنبر الضعيف Week/Minimal Stress، ويرمز له بالعلامة (˘)، وهو أضعف درجات النبر جميعاً، ومن الممكن استعمال الأرقام : 1 ,2 ,3 ,4، على التتالي، للدلالة على درجات النبر الأربعة السابقة [أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 93-94].

وقد اجتمعت هذه الدرجات الأربع في عبارة elevator operator، ويمكن توضيح النبر، بأنواعه الأربعة، بالأرقام على النحو التالي :elevator operator.

[Hartmann and Stork, Dictionary of Language and Linguistics, pp:220-221]

4.2 نبر الجملة Sentence Stress

لا يقتصر وقوع النبر على النسيج المقطعي، أو بعبارة أدق، على جزء من النسيج المقطعي للكلمة، وإنما هناك نوع آخر من النبر يسمى "نبر الجملة"، وهو يقع على كلمة ما من الجملة لتوكيد التغاير Contrastive Stress؛ أي توكيد اختيار هذه الكلمة، دون غيرها من البدائل التي يمكن أن تقع موقعها في الجملة، فمثلا حين نقول : "نجح أخوك"، بإيقاع النبر على كلمة "أخوك"، فإن ذلك يقتضي توكيد أن الناجح هو "أخوك"، وليس شخصاً آخر سواه، أمّا إذا أوقعنا النبر على الفعل "نجح"، فإن هذا يعني توكيد حدوث النجاح دون سواه من الأحداث المتوقعة الأخرى.

وينبغي ألا يفهم هذا الكلام على إطلاقه، ذلك أن النبر لا يقع على الكلمة برُمّتها، وإنما الذي يحدث، في هذه الحالة، هو أن النبر يقع على المقطع المعين، الذي يستأثر بالنبر، فيما لو نطقت الكلمة منفردة، مع فارق في كون هذا المقطع المنبور، من الكلمة، داخل الجملة، قد طرأ عليه قدر أكبر من البروز.

5.2 قواعد النبر في اللغة العربية

عزيزي الدارس،

لقد حَرَصَ اللغويون العرب القدماء على دراسة لغتهم من جوانبها المختلفة، إلا أنهم لم يعيروا موضوع النبر اهتماماً يذكر. ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن النبر في العربية، لا يقوم بوظيفة دلالية، أو صرفية، أو نحوية.

غير أن بعض المحدثين من لغويي العرب، وبعض المستشرقين، مثل جان كانتينو، حاولوا وضع قواعد لهذه الظاهرة، في اللغة العربية، معتمدين، في الأعم الأغلب، على نطق قرّاء القرآن الكريم. وقبل أن نتحدث عن قواعد النبر، في العربية، يحسن بنا، عزيزي الدارس، أن نتذكر أشكال المقطع العربي، الذي سبق أن تعرفت إليها في الوحدة السابعة، من هذا المقرر، وهي :

1- المقطع القصير : ص ح.
2- المقطع المتوسط المفتوح : ص ح ح.
3- المقطع المتوسط المغلق : ص ح ص.
4- المقطع الطويل المغلق : ص ح ح ص.
5- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق : ص ح ص ص.
6- المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق : ص ح ح ص ص.

عزيزي الدارس،

يعين معظم اللغويين المحدثين القواعد الأساسية للنبر الأولي، أو الرئيس، في العربية، على النحو التالي :

1- يقع النبر في الكلمة المؤلفة من مقطع واحد على هذا المقطع بكليته، نحو: شَعْبْ $\overset{V}{Sa}\,^{c}b$، و: دار da'ar، و : بِنْتْ bi'nt.

2- ينبر المقطع الأخير من الكلمة إذا كان مقطعاً طويلاً مغلقاً من النوع الرابع (ص ح ح ص)، أو مقطعاً طويلاً مزدوج الإغلاق من النوع الخامس (ص ح ص ص)، أو مقطعاً بالغ الطول مزدوج الإغلاق من النوع السادس (ص ح ح ص ص). ويغلب على هذا النوع من المقاطع أن يقع في نهاية الكلمات وفي حالة الوقف، ومن أمثلة ذلك : نستعين nas+ta+ciin، فهذه الكلمة تتألف من المقاطع التالية :ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص، فالمقطع المنبور فيها هو المقطع الأخير، ومثال ذلك أيضا: استقر 'is+ta+qa'rr. فهذه الكلمة تتألف من المقاطع التالية: ص ح ص+ ص ح+ ص ح ص ص، والمقطع المنبور فيها هو المقطع الأخير، ومثال ذلك أيضا كلمة : مدهامْ mud+ha'amm فهذه الكلمة تتألف من المقاطع التالية: ص ح ص + ص ح ح ص ص، والمقطع المنبور فيها هو المقطع الأخير.

3- يقع النبر على المقطع قبل الأخير في الحالات التالية :

أ - إذا كان مقطعاً متوسطاً، أي من نوع : ص ح ص، أو من نوع ص ح ح، والمقطع الأخير من النوع المتوسط أو القصير، ومن أمثلة ذلك كلمة حذار = ḥa+ḏa'a+ri، علمْتُ = cal+la'm+tu استفهم = is+ta'f+ham، ينادي = yu+na'a+dii.

ب - إذا كان مقطعاً قصيراً من نوع : ص ح، وكان غير مسبوق في النطق، بمقطع قصير مثله في بداية الكلمة، ومن أمثلة ذلك :

يكتب : yak+t'u+bu، كتب k'a+tab.

4- يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر، إذا كان المقطع الأخير من النوع المتوسط : ص ح ح، أو : ص ح ص، أو القصير : ص ح، والذي قبل الأخير من النوع القصير : ص ح، ومن أمثلة ذلك :

كتب = ka'+ta+ba، ساعدكم = saa+ᶜa+da+kum، أكرمك = 'ak+ra+mak، أكرموا = 'ak+ra+muu.

5- يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر، إذا كان المقطع الأخير متوسطاً أو قصيراً، والرابع من الآخر قصيراً، وبينهما مقطعان قصيران. مثال ذلك : كلمة k'a+li+ma+tun، يعدهم : Ya'+i+du+hum، يحترمك : yaḥ+t'a+ri+mu+ka، كتبه : k'a+ta+ba+hu.

عزيزي الدارس،

نودُّ أن نضيف الى معلوماتك، وأنت بصدد دراسة موضع النبر في العربية، القضايا التالية:

6.2 النبر الثانوي في العربية

لا يقتصر تأثر الكلمة، في العربية، على النبر الأولي، أو الرئيس فقط، كما مر معك حتى الآن، وإنما قد تتعرض بعض المقاطع، علاوة على النبر الأولي القوي إلى نوع آخر من أنواع النبر، هو النبر الثانوي الضعيف، ومن الأمثلة على ذلك : فسيكفيكهمو : fa+Sa+y'ak+fii+K'a+hu+muu، فالمقطع : يَكْ، ذو نبر قوي، والمقطع كَ، ذو نبر ضعيف.

متعلمتان: mu+ta+^{c}al+li+ma+taa+ni

فالمقطع : عَلْ، ذو نبر قوي، والمقطع : تا، ذو نبر ضعيف.

رئيسهن: ra+'ii+sa+hun+na

فالمقطع : هُنْ، ذو نبر قوي، والمقطع : ئي، ذو نبر ضعيف.

نَسْتَعين: nas+ta+i'in

فالمقطع : عِينْ، ذو نبر قوي، والمقطع : تَ : ذو نبر ضعيف.

يشتري: yaš+t'a+rii

فالمقطع : تَ ذو نبر قوي، والمقطع : يَشْ ذو نبر ضعيف.

استعباداً: is+ti^{c}+ba'a+dun

فالمقطع : با ذو نبر قوي، والمقطع : إسْ : ذو نبر ضعيف.

مقاتلٌ : mu+qaa+ti+lun

فالمقطع : تِ ذو نبر قوي، والمقطع : قا ذو نبر ضعيف.

7.2 النبر في اللهجات العربية

على الرغم من كون النبر، في العربية، مقيداً بقواعد خاصة ومحددة، إلا أن موقعه وقواعده أيضاً، قد يصبحان خاصة لهجية تميز نطق جماعة من نطق جماعة أخرى في إطار اللغة العربية الواحدة، ومن الأمثلة على ذلك كلمة "كتب"، التي ينطقها أهالي القاهرة بنبر على المقطع الأول : k'a+ta+ba، في حين ينطقها بعض أهالي الصعيد بنبر على المقطع الثاني: ka+t'a+ba (دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص : 307).

ومن هذا القبيل أيضا أن اللهجة المصرية، بصورة عامة، توقع النبر في كلمات مثل : حضّروا، ومركزي، ومدرسة، على المقطع الثاني : ضَ، كَ، و : رَ، على التوالي، في حين توقعه لهجات عربية أخرى، كاللهجة الفلسطينية، على المقطع الأول حَضْ، و : مَرْ، و : مَدْ، على التوالي. (أبحاث في اللغة العربية، للدكتور داود عبده، ص : 141-142).

8.2 تغير قواعد النبر في العربية

تتعرض قواعد النبر، في العربية، إلى التغير والانتقال من مواقعها المحددة لها، في بعض الحالات، ويعود ذلك الى أسباب موقعية وتركيبية منها :

1.8.2 الاشتقاق

تختلف مواقع النبر في البنية بحسب نوع الصيغة الاشتقاقية التي تنتمي اليها، ومن الأمثلة على ذلك، أن قواعد النبر توجب وقوعه على المقطع الأول من الفعل الماضي "فتح" f'a+ta+ha، ولكن هذا النبر ينتقل، عند صياغة الفعل المضارع "يفتح"، الى المقطع السابق للأخير : yaf+t'a+hu، وبالمثل أيضا، فإن قواعد النبر توجب وقوعه على المقطع الثالث من الآخر في الفعل الماضي "انفتح" ʔin+fa'+ta+ḥa ولكن هذا النبر ينتقل في صيغة المصدر "انفتاحٌ" 'in+fi+ta'a+ḥun الى المقطع قبل الأخير.

2.8.2 جزم الفعل المضارع

يتغير موقع النبر بحسب حالة الفعل المضارع رفعاً وجزماً، ففي الفعل المضارع "يَكْتُبُ" يقع النبر، كما تذكر قواعده في العربية، على المقطع قبل الأخير yak+tu'+bu، ولكن هذا النبر ينتقل، في حالة جزم هذا الفعل المضارع "لم يَكْتُبْ" الى المقطع الأول ya'k+tub.

3.8.2 إسناد الفعل الى الضمائر

ينتقل النبر من موقعه، الذي تحدده له قواعد اللغة، في الفعل الماضي، وذلك عند سناده الى ضمائر الرفع المتحركة، فالنبر، في الفعل الماضي، كتب، يقع، كما ذكرنا غير مرة، على المقطع الأول ka'+ta+ba، ولكنه ينتقل الى المقطع قبل الأخير عند إسناد هذا الفعل الى ضمائر المتكلم أو المتكلمين، أو المخاطب، أو المخاطبين، نحو : كتبت : ka+ta'b+tu، و : كتبنا : Ka+ta'b+naa و : كتبت : ka+ta'b+ta، و كتبتم : ka+ta'b+tum.

نشاط (1)

عزيزي الدارس،

ارجع إلى بعض المعاجم العربية، كلسان العرب، لابن منظور، وتهذيب اللغة للأزهري، والصحاح للجوهري، وذلك بهدف التعرّف الى معنى "النبر" لدى اللغويين العرب القدامى. ولكي نُسَهِّلَ عليك الأمر، اقرأ ما جاء في مادتي (نبر، وهمز) في هذه المعاجم.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- وضح المقصود بالنبر، كما فهمته، من خلال التعريفات المختلفة له.

2- ما السبب الذي لم يدفع اللغويين العرب القدماء الى العناية بموضوع النبر، ودراسته، في اللغة العربية.

3- بين المقصود بالفونيمات غير التركيبية.

تدريب (1)

1- متى يقوم النبر بدور فونيمي تمييزي ؟

2- ما المقصود باللغات النبرية، واللغات غير النبرية ؟ هات أمثلة على ذلك.

تدريب (2)

1- اذكر الموضع الذي يقع فيه النبر في الكلمات التالية، مع بيان السبب :

بأسْ، مسئولينْ، كتابٌ، سالّ، عربةٌ، أكرموا.

تدريب (3)

1- بين موقع النبر في كلمات الجملة التالية :

انصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً.

3. التنغيم في اللغة العربية

1.3 تصدير

عزيزي الدارس،

يطلق مصطلح التنغيم Intonation على تلك التغييرات التي تحصل في درجة نغم الصوت في الكلام المتصل، وهي تغيرات تتعلق بدرجة نغم النوتة الموسيقية الناجمة عن اهتزازات الوترين الصوتيين Vocal Cords، أو هو نمط اللحن Melodic Pattern الذي ينشأ عن اختلاف درجة الصوت في أثناء الكلام.

[Hartmann and Stork, Dictionary of Language and Linguistics, p:117]

أو هو ارتفاع الصوت وانخفاضه بوساطة تتابع النغمات الموسيقية، أو الايقاعات، في حدث كلامي معين، وذلك من أجل التعبير عن الحالات النفسية المختلفة وعن المشاعر والانفعالات.

ونود أن نضيف الى ما سبق، عزيزي الدارس، أن الصوت، في ارتفاعه وانخفاضه، يُصاحَبُ بارتفاعٍ وانخفاض في درجة الجهر في الكلام، وهذا التغيير، في الدرجة، يرجع الى التغيير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية، ولذلك، فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، ويدل على لحن الكلام [علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، للدكتور محمود السعران، ص : 210].

كما نود أن تعرف أيضا، أن التنغيم موجود في معظم اللغات، وأن لكل لغة عاداتها التنغيمية، بل إن التنغيم يختلف من لهجة الى أخرى بين متكلمي اللغة الواحدة، ومن فرد الى آخر بين ناطقي اللهجة الواحدة.

2.3 وظائف التنغيم

يرد التنغيم، في بعض اللغات، للتمييز في المعنى بين منطوقات بتمامها، دون التدخل في أشكال الكلمات المكونة لها. [O'connor, Phonetics, p:190]

ومن هذا المنطلق، فإن للتنغيم وظيفة فونيمية تستعمل للتفريق بين معان متعددة لكلمة واحدة لا يُفَرِّقُ بينها إلا اختلاف النغمة. ومن الأمثلة على ذلك اللغة الصينية، التي تستعمل التنغيم استعمالاً فونيمياً له قيمة "تعادل تماماً قيمة أصوات العلل [أي الحركات]، أو الأصوات السواكن [أي الصوامت]، في هذه اللغة يمكن أن تنطق Kan shu بألحان متعددة فتعني مرةً "اقرأ كتابا"، ومرة "اقطع خشبا"، وكذلك Fu تنطق بأربعة ألحان مختلفة فتعني مرة "رجل"، ومرة "حَظّاً سعيدا"، ومرة "مقر الوالي"، ومرة "غني". (أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 94). كما أن كلمة "فان" في هذه اللغة تؤدي ستة معان لا علاقة بينها هي: (نوم، ويحرق، وشجاع، وواجب، ويقسم، ومسحوق)، وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة. [الاصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص : 175].

وعلاوة على ما سبق، عزيزي الدارس، فإن التنغيم يستعمل لتوضيح موقف المتكلم؛ فمثلاً إذا قال الناطق بالانجليزية كلمة Yes ، بنغمة هابطة Falling Tone، يكون معنى ذلك أن الجواب "نعم"، أما إذا كان النغم صاعداً عالياً Yes High Rising Tone ، فإن ذلك يعني سؤالا، وإذا كان النغم الصاعد منخفضا Low Rising Tone Yes ، كان ذلك يعني : "استمر أنا أنصت"، وعندما يكون النغم هابطاً صاعداً Falling Rising ، Yes، فإن المعنى يصبح : "إنني في حالة شك"، في حين يكون المعنى : "إنني على يقين"، عندما

يكون النغم صاعداً هابطاً Rising-Falling ، Yes. [Ladefoged, A Course in Phonetics, p:97]

وعلى الجملة، فإن التنغيم يقوم في اللغة، عزيزي الدارس، بعدة وظائف أهمها :

1.2.3 الوظيفية القواعدية

يسهم التنغيم في تعيين حدود المركبات النحوية كالجملة ، والتركيب ، كما أنه يعين طبيعة البنية القواعدية للجملة، من حيث كونها استفهاماً، أو تقريراً، أو أمراً ... الخ.

2.2.3 الوظيفة الشخصية

ويقصد بها ما يتعلق باتجاهات المتكلم، وحالاته النفسية، كأن يكون غاضباً أو مسروراً، أو متهكماً .. كما أنها تظهر الخلفية الاجتماعية التي ينتمي اليها الشخص.

3.2.3 الوظيفة التوكيدية

ويراد بها إبراز الأجزاء التي يريد المتكلم توكيدها بالقياس الى سائر أجزاء المنطوق.

3.3 التنغيم في اللغة العربية

عزيزي الدارس،

إخالك تسأل، بعد كل ما سبق من كلام عن التنغيم، عن مكانة هذا الفونيم غير التركيبي في اللغة العربية، والدور الذي يقوم به في هذه اللغة، وهذا ما سنقوم به، وإياك، عزيزي الدارس، في السطور التالية :

تستعمل اللغة العربية التنغيم لمختلف الأغراض التنغيمية، شأنها في ذلك شأن اللغات التنغيمية الأخرى، فهو قادر على التفريق الدلالي بين حالات الاثبات، والاستفهام والتهكم، والزجر، والموافقة، والرفض، والاستغراب، والدهشة، وغيرها.

ويمكن التمثيل للدور التمييزي الدلالي، الذي يقوم بها التنغيم في العربية بالأمثلة التالية :

1- لا : إذا نطقت هذه الأداة النافية بنغمة هابطة، فإنها تكون جملة تقريرية بمعنى : لا أوافق، وإذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة صاعدة، فإنها تدل على الدهشة أو الاستنكار، وإذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة فإنها تكون توكيدية. [دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ص : 315].

2- الجملة العامية : شفت أخوك، تكون جملة إثباتية، إذا نطقت بتنغيم خاص، ولكنها تكون جملة استفهامية إذا نطقت بتنغيم من نوع آخر.

3- يحمل التعبير العامي : لا يا شيخ، دلالات متعددة، كالاستفهام، أو عدم الاهتمام، أو النفي، أو الانكار، أو الاحتقار والاشمئزاز، ويعود ذلك إلى نوع النغمة التي تصاحب عملية نطقه وأدائه. (علم اللغة العام، الأصوات، للدكتور كمال بشر، ص : 163).

4- قال تعالى: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان». (سورة الرحمن، الآية رقم 60)،

وقال تعالى: «أتعبدون ما تنحتون». (سورة الصافات، الآية رقم 95)،

وقال تعالى: «القارعة ما القارعة ؟ وما ادراك ما القارعة» (سورة القارعة الآية رقم 1-3).

فقد اشتملت كل آية من هذه الآيات، على أداة استفهام معينة، ولكن اللحن التنغيمي الذي يصاحبها، ويصاحب الجملة التي تضمنتها، في أثناء النطق بها، يجعلها ويجعل الجملة أيضا، تزايل الاستفهام الذي وضعت له أساسا إلى معان أخرى، هي على الترتيب: النفي، والانكار، والتهويل.

5- قال جرير : ألستم خير من ركب المطايا * * وأندى العالمين بطـــــون راح

وقال البارودي : يا دهر فيم فجعتني بحليلة * * كانت خلاصة عُدَّتي وعتادي

فقد تضمن كل بيت من هذين البيتين أداة استفهام معينة، ولكن الجملة، أو، لنقل، البيت كله، قد زايل فكرة الاستفهام، في كل صورة أداء، إلى معنى آخر يعبر عن موقف، أو إحساس خاص للمتكلم، وهو، في البيتين السابقين، التقرير، والتحسر، على التوالي.

عزيزي الدارس،

ولعلك تتساءل الآن عما إذا كان قدماء اللغويين العرب قد عرفوا هذا الملمح الصوتي، أو لنقل هذا الفونيم غير التركيبي؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نقول لك :

إن قدماء اللغويين العرب لم يعالجوا موضوع التنغيم، ولم يلتفتوا إليه، ولم يعرفوا كنهه، ومع ذلك، فإننا لا نعدم العثور على الإشارة الى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة، ويعدُّ ابنُ جنّي (ت 392) من أبرز اللغويين العرب القدماء الذين التفتوا إليه، وذلك واضح في كلامه : "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل، وهم يريدون : ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل، أو نحو ذلك.

وأنت تحسن هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول : كان والله رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها [وعليها] أيْ رجلا فاضلاً أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً ! ومكّنُ الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سَمْحاً أو جواداً، أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً ! وتَزْوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك : إنسانا لئيماً، أو لحزاً، أو مبخّلا، أو نحو ذلك". (الخصائص 2/370-371).

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

جاء في كتاب أسس علم اللغة لماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، ص : 94 ما يلي :

"وفي اللغة السويدية تستعمل نغمة نازلة الى جانب نغمة مركبة، فكلمة مثل : anden مع النغمة البسيطة النازلة تعني "البط" ومع النغمة المركبة تعني "النفس" أو "الروح" !!

اسئلة التقويم الذاتي (2)

عزيزي الدارس،

لقد مرت معك تعريفات مختلفة للتنغيم، والمطلوب منك الآن هو أن تحاول صياغة تعريف للتنغيم يجمع أهمّ ما في التعريفات المختلفة من معان.

تدريب (4)

عزيزي الدارس،

1- بين أهم الفوارق الكامنة بين النبر والتنغيم.

2- وضح أهم المعاني التي يضفيها التنغيم على الآيات القرآنية الكريمة المشتملة على الاستفهام فيما يلي :

* قال تعالى : «ألم نشرح لك صدرك».
* قال تعالى : «فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا».
* قال تعالى : «هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم».

تدريب (5)

عزيزي الدارس،

وضح أهم الدلالات التي أكسبها التنغيم للأبيات الشعرية المشتملة على الاستفهام فيما يلي :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا * * ليوم كريهة وسداد ثغر

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري * * أطنين أجنحة الذباب يضير

أتلتمس الأعداء بعد الذي رأت * * قيام دليل أو وضوح بيان

1.4 تصدير

بعد أن تعرفت الى الدور الذي يقوم به التنغيم في إحداث تمايز دلالي بين المنطوقات، فإننا ننتقل بك الآن الى الموضوع الأخير من موضوعات الفونيمات غير التركيبية، ونعني به المفصل Juncture، فما المقصود بهذا الفونيم غير التركيبي ؟ وما الدور الذي يقوم به في اللغة العربية ؟ هذا ما سنحاول التعرف إليه معاً فيما يلي من صفحات :

المفصل هو عبارة عن مصطلح فونولوجي يستعمل للدلالة على الملامح الصوتية التي تتصف بها حدود الوحدات القواعدية، كالمورفيم Morpheme، أوالكلمة Word ، أو العبارة Phrase، أو التركيب Clause، أو الجملة Sentence. ومن هذه الملامح السكوت الذي يغلب أن يكون خفيفاً. وفي الكلام المتصل، تطرأ تعديلات أخرى على الملامح تكون أكثر أهمية، مثل تغيرات الدرجة Pitch ، والنبر Stress .

ويعرّف المفصل بأنه "سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقَصْد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما ، أو مقطع ما ، وبداية آخر". (أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 95). ولهذا الفونيم غير التركيبي أنواع مختلفة، وسنقوم، عزيزي الدارس، وإياك بالتعرف الى هذه الأنواع، وذلك من خلال الحديث عن تصنيفات المفصل :

2.4 تصنيفات المفصل

يمكننا تناول ظاهرة المفصل، وبيان أنواعه، من خلال التصنيفات التالية :

1.2.4 المفصل المفتوح Open Juncture

ويسمّى هذا النوع من المفصل أيضاً باسم المفصل الزائد، ويرمز له في الكتابة بالعلامة (+). ويقصد به الملامح المستعملة عند حد كلمة قبل سكوت. ومن أمثلة ذلك في اللغة الانجليزية كلمة Night+rate، حيث يوجد مفصل مفتوح بين /t/ و /r/ ومن أمثلته في الانجليزية أيضا High+ness، حيث يوجد مفصل مفتوح بين /ai/ و /n/.

2.2.4 المفصل المغلق Close Juncture

ويقصد به الانتقالات العادية التي تجري بين الأصوات في الكلمة الواحدة ومن أمثلته، في الانجليزية، كلمة Nitrate، حيث يوجد مفصل مغلق بين /t/ و /r/، وكلمة Highness، حيث يوجد فيها أيضا مفصل مغلق بين /ai/ و /n/.

3.2.4 المفصل المفتوح الداخلي Internal Open Juncture

وهو يعني الانتقال المفتوح داخل الكلمة نحو : Co-Operation.

4.2.4 المفصل النهائي Terminal Juncture

ينقسم هذا النوع من المفصل الى ثلاثة أقسام هي :

1.4.2.4 المفصل الثابت Sustained Juncture

ويمثل له بسهم أفقي (←) أو خط مائل (/)، وهو يقع عندما يبقى نمط درجة الصوت، أو طبقته ثابتا في المنطوق، ومن أمثلته في العربية، حَدّاً البدل في الجملة العربية التالية : المتنبي / أحمدُ بن الحسين أشهر شعراء العربية.

2.4.2.4 المفصل الصاعد Rising Juncture

ويمثل له بسهم صاعد (↑) أو بخطين مائلين (//)، وهو يقع عند ارتفاع درجة الصوت قبل السكوت، ويرد مثل هذا النوع من المفصل في حالة تعداد المفردات، أو في نهاية استفهام، ومن أمثلته، في العربية، جملة الاستفهام التالية: هل أعجبك الكتاب ؟ //

3.4.2.4 المفصل الهابط Falling Juncture

ويمثل له بسهم هابط (↓)، أو بصليب مزدوج (#)، وهو يقع عندما تهبط درجة الصوت منتهية الى السكون عند نهاية المنطوقات.

3.4 المفصل في اللغة العربية

لا شك في أنك، عزيزي الدارس، تتساءل الآن عما إذا كانت ظاهرة المفصل موجودة في اللغة العربية أم لا ؟ وعما إذا كان هذا الفونيم غيرالتركيبي يقوم بدور تمييزي دلالي في هذه اللغة ؟

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل، نودُّ أن نشير إلى أن بعض اللغات، التي تشتمل على هذه الظاهرة الصوتية، كالانجليزية، تستعمل المفصل استعمالاً فونيمياً. ففي هذه اللغة ثنائيات صغرى Minimal Pairs لا يميز الواحدة منها عن الأخرى إلا موضع المفصل، لذلك سماها اللغويون "فونيم المفصل".

ومن أمثلة استخدام المفصل، بوصفه فونيمياً في اللغة الانجليزية، الثنائيات التالية :

nitrate مع nigh rate

a name مع an aim

a notion مع an ocean

a tease مع at ease

why choose مع white shose

house trained مع how strained

وفيما يتعلق باللغة العربية، فإن هذه الظاهرة موجودة فيها، ويمكن استخدامها استخداماً فونيمياً للتمييز بين المعاني. وقد اهتم علماء العرب اللغويون وغير اللغويين بهذه الظاهرة، وخاصة في قراءة القرآن الكريم الذي يقوم المفصل، أو الوقفة، في أثناء تلاوة بعض آياته، بتغيير المعنى. ومن هذا المنطلق، وبهدف خدمة الجانب الدلالي في قراءة القرآن الكريم، فقد وضع علماء القراءات علامات الوقف الواجب، والجائز، والممتنع في المصحف الشريف. ومن الأمثلة على ذلك، علامة الوقف اللازم (مـ) في قوله تعالى : «إنما يستجيب الذين يسمعون(مـ) والموتى يبعثهم الله». (سورة الانعام آية رقم 36).

فبدون الوقفة عند قوله : يسمعون، يصبح (الموتى) ضمن من يستجيب.

والآن انظر، عزيزي الدارس، إلى النصوص التالية :

1- جادلك أخوك.

أ - جادلك أخوك : جادل (فعل ماض) + ك : ضمير المخاطب مفعول به، والمعنى : ناقشك أخوك، وفي هذه الحالة ننطق بـ : جادلك، دونما وقفه أو سكته بين مكوناتها.

ب - جادلك أخوك : جاد (فعل ماض) + لك : شبه جملة، جار ومجرور، والمعنى : أعطاك، أو منحك أخوك، وفي هذه الحالة يفصل بين الفعل : "جاد"، وشبه الجملة "لك" بسكته خفيفة.

2- عضنا الدهر بنا به * * ليت ما حل بنا به

أ - عضنا الدهر بنا به : ناب (اسم) + به : ضمير مضاف اليه والمعنى : عضنا الدهر بأسنانه على المجاز، في هذه الحالة ننطق بالعبارة : بنابه دونما وقفة أو سكتة بين عناصرها.

ب - ليت ما حل بنا به : بنا (شبه جمله جار ومجرور) + به (شبه جملة جار ومجرور). وفي هذه الحالة يفصل بين شبه الجملة "بنا"، وشبه الجملة "به" بسكتة خفيفة.

ألا ترى معي، عزيزي الدارس، أن المفصل، في هذه النصوص، وما كان على شاكلتها، يقوم بدور واضح في التمييز الدلالي بين المنطوقات المتشابهة في المكونات الصوتية، ولولاه لحدث لَبْسٌ في إدراك المعاني المتوخّاة منها، وعلى هذا، فإن الفواصل الصوتية، في اللغة المنطوقة، تعد بمنزلة الترجمة، أو المعادل الصوتي المنطوق لما تشتمل عليه النصوص المكتوبة من علامات ترقيم. إن المتكلم باللغة مطالب بأن يبرز هذه الفواصل الصوتية، لما لها من أثر في الصحة اللغوية للمنطوقات.

ولا شك، لديك، عزيزي الدارس، في أن هذه الفواصل الصوتية تقوم بدور مهم في فهم بعض القضايا النحوية وتفسيرها، ومن أمثلة ذلك :

1- المنطوق : محمد صديقي. فهذا المنطوق اللغوي يمكن تفسيره على النحو التالي :

أ - محمد + (وقفه أو سكته خفيفة) + صديقي (وقفة طويلة مصحوبة بنغمة هابطة) = مبتدأ + خبر.

ب - محمد + صديقي + سكتة خفيفة مصحوبة بنغمة صاعدة = مبتدأ + صفة + انتظار لما سيأتي من خبر.

2- مسائل النعت المقطوع، ومن الأمثلة على ذلك المثال التالي : مررت بزيد الكريم، فهذا المثال، يحتمل الامكانات التالية :

أ - مررت بزيدِ الكريمِ، وفي هذه الحالة ننطق : "بزيد الكريم" دونما وقفة، أو سكتة بين : "زيد" و "الكريم"، ثم يعقب النص : مررت بزيدِ الكريمِ، بسكتة طويلة تعني انتهاء الجملة. وفي هذه الحالة تكون كلمة "الكريم" نعتاً لكلمة "زيد".

ب - مررت بزيدِ الكريمُ، وفي هذه الحالة ننطق بزيد + الكريم مفصولين بوقفة أو سكتة تأتي باعتبارها مهلة لسماع سؤال مفترض : من هو ؟ وهنا تأتي كلمة الكريم لتكون خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير : هو الكريم.

ج - مررت بزيدِ الكريمَ: ويفصل، في هذه الحالة أيضاً، بين : "زيد" و "الكريم" بوقفة أو سكتة لتصور سؤال مفترض هو : من تعني ؟ وعلى هذا تأتي الإجابة : أعني الكريم، وبهذا يكون إعراب "الكريم" مفعولاً به لفعل محذوف تقديره : أعني.

فائدة ونشاط (3)

عزيزي الدارس،

لقد عرف شعراء العرب وبلا غيْرهم ما يسميه اللغويون الآن بالمفصل، وذلك من خلال ما أطلقوا عليه مصطلح "الجناس المفروق".

وسنقدم لك، على هذه الظاهرة، فيما يلي، بعض الأمثلة، التي استقيناها من كتاب معاهد التنصيص 225-221/3، وما عليك إلا أن تقرأ هذه الأمثلة بتأن وإمعان لكي تتعرف الى مواقع المفصل فيها :

1- قال المعتمد بن عباد يحكي قول جارية له في محنته :

قالت لقد هِنّ هُنا * * مولاي أين جاهنا

قلت لها إلهــنا * * صيرنا الى هُنا

2- قال المطوعي :

أمير كلّه كرمٌ سَعدُنا * * بأخذ المجد عنه واقْتباسه

يحاكي النيلَ حين يروم نَيْلا * * ويحكي باسلاً في وقت باسه

3- وقال ابن أسد الفارقي :

غَدَوْنا بأموال ورحنا بخيبة * * أماتت لنا أنهامنا والقرائحا

فلا تلقَ منا غاديا نَحْوَ حاجة * * لتسأله عن حاله والقَ رائحا

4- وقال ابن نباته :

قمرا نراه أم مليحا أمردا * * ولحاظه بين الجوانح أم ردى

5- وقال القاضي بهاء الدين السبكي :

كن كيف شئتَ، عن الهوى لا أنتهي * * حتى تعود لي الحياة وأنْتَ هي

تدريب (6)

عزيزي الدارس،

لعلك ما زلت تذكر ما قلناه، في أثناء عرضنا للفونيم غير التركيبي، "المفصل"، من أن الفواصل الصوتية تسهم في فَهْم بعض القضايا النحوية وتفسيرها، وقدمنا لك أمثلة مختلفة، كان من بينها مثال على ما يعرف بالنعت المقطوع، وهذا المثال هو: مررت بزيد الكريم.

والآن نريد منك، عزيزي الدارس، أن تقوم بتوجيه الآيتين الكريمتين التاليتين على نفس المنوال :

1- الحمد لله رب العالمين.

2- وامرأته حمالة الحطب.

تدريب (7)

عزيزي الدارس،

سنقدم لك، فيما يلي، جملتين، وسنضع لك في أثناء بعض مكوناتها، العلامة الدالة على موضع المفصل (+). وما عليك إلا أن تبين المعاني المختلفة المترتبة على تغيير موضع المفصل، وهاتان الجملتان هما :

1- رأيت باب + المتحف الجديد.

2- رأيت باب المتحف + الجديد.

تدريب (8)

بين دور المفصل في التمييز بين المعاني، في الثنائيات التالية، فيما يلي من أمثلة :

1- كلكم قد أخــــذ الجــــا * * م ولا جــــام لــــنا

ما الــــذي ضرّ مديــــر الــ * * ـجــام لــو جاملــــنا

2- إذا ملك لم يكــن ذاهــبه * * فدعــه فدولتــه ذاهبــه

3- طرقت الباب حتى كلّ متنــي * * فلما كلّ متنــي كلمتــني

فقالت لي أيا إسماعيل صبراً * * فقلت لها ايا اسماعيل صبري

5. الخلاصة

عزيزي الدارس،

موضوع هذه الوحدة الثامنة كان (الفونيمات غير التركيبية في اللغة العربية) وهي: النبر والتنغيم والمفصل. وقد عرّفوا النبر بأنه درجة القوة التي تقع على أحد مقاطع الكلمة. وقد فصلت الوحدة في أهمية النبر في اللغات وتحدثت عن درجاته وقواعده وفي اللغة العربية وفي لهجاتها. ثم تحدثت الوحدة عن التنغيم وهو التغييرات التي تحصل في درجة نغم الصوت في الكلام المتصل. ثم بينت وظائفه المتعددة في قواعد اللغة وفي فائدته الشخصية للمتكلم. ثم بينت الوحدة المفصل وهو سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما. وقد فصلت الوحدة في تصنيفات المفصل وأهميته.

6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

سنتناول في الوحدة القادمة، وهي الوحدة التاسعة في هذا المقرر، دراسة لبعض الظواهر التعاملية في اللغة العربية، وتشتمل هذه الوحدة دراسة التغيرات الصوتية التي يمكن أن تلحق بعض الأصوات الواقعة في بعض التشكلات البنيوية، وسيتم ذلك من خلال دراسة بعض الظواهر اللغوية، مثل المماثلة، والمخالفة، والتغيرات التي تلحق الواو والياء والهمزة، وتحول الحركات المزدوجة الى حركات بسيطة، وغيرها.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- يقوم النبر بدور فونيمي تمييزي، أي بدور التفريق بين المعاني والصيغ، عندما يكون موضع النبر في الكلمة حراً، وغير خاضع لقواعد ثابتة لموقعية النبر في الكلمة.

2- يقصد باللغات النبرية، تلك اللغات التي تستخدم النبر بوصفه فونيماً يقوم بالتمييز بين المعاني والصيغ، ومن أمثلة ذلك اللغة الانجليزية. أما اللغات غير النبرية، فهي اللغات التي تشتمل بعض مقاطع كلماتها على النبر، ولكن هذا النبر لا يقوم بدور فونيمي تمييزي، ومن الأمثلة على ذلك اللغة العربية.

تدريب (2)

1- بأسْ : يقع النبر على الكلمة كلها، لأنها مؤلفة من مقطع واحد:

2- مسئولين : يقع النبر على المقطع الأخير mas+ uu+li'in، لأنه مقطع طويل مغلق.

3- كتابٌ : يقع النبر على المقطع قبل الأخير ki+ta'a+bun، لأنه مقطع متوسط، والمقطع الأخير مثله؛ أي مقطع متوسط.

4- سأل : يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر sa+a+la، لأن المقطع الأخير من النوع القصير، والمقطع قبل الأخير من النوع القصير، وسابقه من النوع القصير أيضا.

5- عربة : يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر، ʕa+ra+ba+tun، لأن المقطع الأخير متوسط، والرابع من الآخر قصير، وبينهما مقطعان قصيران.

6- اكرموا : يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر ak+ra+muu، لأن المقطع الأخير من النوع المتوسط، والذي قبل الأخير من النوع القصير.

تدريب (3)

يقع النبر في كلمات هذه الجملة على المقطع قبل الأخير لكل كلمة من كلماتها، وهذه المقاطع هي : انْ، خا، لِـ، لو un+sur+a + x́a'a+ka oaa+li'+man+aw mu +lu'u+man أما كلمة "أوْ" فإن النبر يقع عليها برمتها، لأنها تتألف من مقطع واحد.

تدريب (4)

1- يقع النبر على مقطع معين من الكلمة، بحيث يصبح هذا المقطع المنبور أوضح في النطق من غيره من مقاطع الكلمة الأخرى، أما التنغيم فإنه يقع على وحدات صوتية أطول من المقطع.

2- أضفى اللحن التنغيمي، الذي صاحب عملية النطق بهذه الآيات الكريمة، المشتملة على أداتي الاستفهام :الهمزة وهل، معاني : التقرير، والتمني، والتشويق، على التوالي.

تدريب (5)

أضفى اللحن التنغيمي، الذي صاحب عملية النطق بهذه الابيات الشعرية المشتملة على الاستفهام، معاني : التعظيم، والتحقير، الانكار، على التوالي.

تدريب (6)

1- الحمد لله ربِّ العالمين، كلمة "ربِّ" بالجر نعت للفظ الجلالة.

الحمد لله + ربُّ العالمين. كلمة "ربُّ" بالرفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو.

2- وامرأتُه حمالةُ الحطب. كملة "حمالةُ" بالرفع نعت لكلمة "حمالة".

وامرأتُه + حمالةَ الحطب. كلمة "حمالةَ"، بالنصب، مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني أو : أخص.

تدريب (7)

1- رأيت بابَ + المتحفِ الجديدِ. أدى وقوع المفصل بين كلمتي "باب"، و "المتحف" الى جعل كلمة "الجديد صفة لكلمة "المتحف".

2- رأيت بابَ المتحفِ + الجديدَ. أدى وقوع المفصل بين كلمتي "المتحف"، و "الجديد، الى جعل كلمة "الجديد صفة لكلمة "باب".

تدريب (8)

يتضح الدور الفونيمي الذي يقوم به المفصل في التمييز بين المعاني، وذلك من خلال إجراء المقابلة بين الثنائيات الواردة في الأمثلة السابقة على النحو التالي :

1- جام + لنا : جام (اسم متلو بوقفه قصيرة) + لنا (شبه جملة جار ومجرور).

جاملنا : جاملنا (فعل ماض متلو مباشرة بالضمير المتصل "نا" (دونما وقف).

2- ذا + هبه : ذا (أحد الأسماء الستة بمعنى صاحب متلو بوقفه قصيرة + هبه (اسم بمعنى أعطية).

ذاهبه : كلمة واحدة تنطق دفعة واحدة دونما فاصل وهي بمعنى غير باقية.

3- كلٌ + متني، كل (فعل ماض متلو بوقفة قصيرة) + متني (فاعل وضمير متصل مضاف إليه).

كلَّمَتْني: كلمتني (فعل ماض وتاء التأنيث متلو مباشرة بنون الوقاية وضمير المفعول به دونما وقف).

8. مسرد المصطلحات

- النبر (Stress):

جهد يبذل في نطق جزء من المنطوق بالقياس إلى جزء آخر منه مما يؤكد أحد أجزاء المنطوق بجعله أكثر بروزاً.

- النبر الثابت (Fixed Stress):

النبر الذي يأخذ موقعاً محدداً من الكلمة.

- النبر الحر: (Free Stress):

الذي يقع في أماكن ومواقع غير محددة من الكلمة.

- التنغيم (Intonation):

التغييرات التي تحصل في درجة نغم الصوت في الكلام المتصل.

- المفصل (Juncture):

سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقص الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر.

9. المراجع

أ - المراجع العربية :

1- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية. 1975.

2- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر. 1952.

3- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، معجم لسان العرب. تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، القاهرة : دار المعارف. 1981.

4- باي، ماريو، أسس علم اللغة. ترجمة احمد مختار عمر، القاهرة : عالم الكتب. 1983.

5- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات. القاهرة: دار المعارف. 1980.

6- العباسي، عبد الرحمن بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب. 1947.

7- عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية. بيروت: مكتبة لبنان، 1973.

8- عبده، داود، دراسات في علم أصوات العربية. الكويت: مؤسسة الصباح (د.ت).

9- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب. 1976.

10- كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ترجمة صالح القرمادي، تونس: 1966.

ب - المراجع الاجنبية :

1- Crystal, D. A First Dictionary of Linguistics and Phonetics, Londong : 1980.

2- Hartmann, R.R.K, and Stork, R.C, Dictionary of Language and Linguistics, London: Applied Science Pubblishers LTD. 1976.

3- Jones, D. An Outline of English Phonetics. Cambridge: Combridge University Press. 1976.

4- Ladefoged, Peter: A Course in Phonetics: New York: Harcourt Brase, Javanovich, Inc. 1975

5- O'connor, J.D, Phonetics. England: Penguin Books, Harmandsworth, Middlesex. 1982

الوحدة التاسعة

الظواهر التعاملية في اللغة العربية

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس

مرحباً بك إلى هذه الوحدة التاسعة، وهي الوحدة الأخيرة من مقّرر اللغة العربية "علم أصوات العربية". وتدورموضوعات هذه الوحدة حول "الظواهر التعاملية في اللغة العربية".

لقد سبق لك أنْ درستَ، في الوحدتين الرابعة والخامسة، من هذا المقرر، أنّ الصوت المفرد يشكّلُ - في الحقيقة والواقع النطقي - اللبنة الأولى في البناء التركيبي للكلمات، وما يقعُ فوقها، أيضاً، من مستويات بنيوية لغوية. ولكنّ هذا لا يعني أبداً أنّ الأصوات، في الكلمة المفردة، أو في المستويات البنيوية التي تعلوها، تبقى محتفظةً بخصائصها وصفاتها أو، لنقل، بملامحها المختلفة، التي تتّسمُ بها في حالة التعامل معها، بوصفها أصواتاً مفردةً مستقلةً، ذلك أننا لا نستعمل، في أثناء عمليتي الممارسة النطقية، والاتصال اللغوي، أصواتاً مستقلة منعزلة، وإنما نَنطقُ كلماتٍ، وجملاً، وفقرات.

إنّ الصوتَ - في الكلمة، وفي البنى المختلفة، التي تقعُ فوقها أيضاً - يكتسبُ، كما يقرّرُ الدرس الصوتيّ، ملامح جديدةً في حدودِ العلاقات، والأحكامِ التي تخضعُ لها مجموعةُ الأصوات المتجاورة،في الكلمة الواحدة، والكلمات المتجاورة، وهذا يعني - بعبارة أخرى - أن الصوتَ في سياقه يختلف - في الأعمّ الأغلب - عن الصوت المجرد، من حيثُ كميةُ الجُهدِ اللازمةُ لإنتاجه، ومن حيث تأثّرُه بالأصوات السابقة عليه، والتالية له، بحيث نجد صوتاً كالنون في العربية - على سبيل المثال - قد يُنْطَقُ على سَبْعِ صُورٍ، أو أكثر، وذلك عائدٌ، كما هو معلوم، إلى المواقع السياقية المختلفة التي يمكن أن يَقَعَ فيها هذا الصوت.

وسنحاولُ - في هذه الوحدة - أن نَعْرِضَ لك، عزيزي الدارس، بعضَ مظاهر التغيّر الصوتي الذي يصيب، أو يمكنُ أن يصيبَ، بَعْضَ الأصوات العربية في أثناء وقوعها متجاورةً في داخل بعض التشكلات البنيوية الصّرفيّة. ويُعَدُّ هذا النوْعُ من الدرس الصوتي، واحداً من الموضوعات الصرفية الصوتية التي يُطلق عليها مصطلح Morphophonemics.

ونودّ الإشارة، باديَ ذي بَدْءٍ، إلى أنّ معظمَ التغييرات، التي قد تصيب الأصوات، في داخل بعض التشكلات البنيوية، تهدفُ، في مجموعها، إلى توفير قَدْرٍ ما من الإنسجام بين الأصوات المتجاورة، وذلك من أجل تحقيق السهولة في النطق، والخفّة في الأداء. ومن هذا المنطلق فإن بوسعنا القولّ إنّ هذه التغييرات الصوتية، التي يحدث في أثنائها تأثّرُ الأصوات بعضها ببعض، تتمُّ وَفْقَ مباديءَ ومعاييرَقد تَصِلُ، أو قد يَصِلُ بعضُها، في حالات معينة، إلى مستوى القانون الصوتي.

ولسوف ترى، عزيزي الدارس، من خلال الأمثلة، التي سَنُقدّمها للتشكلات البنيوية، التي أصاب بعض أصواتها تغييرٌ، أن الصوتَ القويَّ، يبقى، في داخل البنية التي يقعُ فيها،

محتفظاً، في الأعمّ الأغلب، بملامحه كافةً، وأنّه، من خلال صفة القوة التي يتمتّعُ بها، يؤثر في غيره من الأصوات التي لا تماثله في تلك الصفة.

ولقد لمح بعضُ القدماء والمحدثين من اللغويين ذلك، أو شيئاً من ذلك، ونصّوا عليه. ولعلنا نجد، فيما ذهب اليه ابنُ جنّي، في أثناء حديثه، في كتابه الخصائص،عن إهمال ما أهمل في العربية للاستثقال، بَعضَ الاشارات السريعة إلى هذا الموضوع، فهو ينصُّ على أنه إذا ما "جمع بين اثنين منها (أي من حروف الحلق) قُدّم الأقوى على الأضعف ... وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما، إلا بتقديم الأقوى منهما ... وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين، من قِبَل أنّ جَمْعَ المتقاربين يثقل على النفس، فلما اعتزموا النطق بهما قدمّوا أقواهما، لأمرين: أحدهما أنّ رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى ...." (الخصائص 54/1 - 55).

غير أننا نرى الأمر، عند مكيّ بن أبي طالب، أكثرَ جلاءً ووضوحاً، فهو يذكر، في كتابه الرعاية، أنّ "القوي مِنْ الحروف إذا تَقَدّمَه الضعيفُ مجاوراً له جذبه إلى نفسه ... ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة." (الرعاية لتجويد القراءة، ص: 206).

ثم وجدناه يلحّ على هذه الفكرة، على نَحوٍ أكثرَ صراحة، عندما قال، في الرعاية، أيضاً: وإنما ينقل أبداً الأضعف إلى الأقوى ..ليقوى الكلام. فهذا هو الأكثر في الأصل ... وإذا نقل الأقوى إلى الأضعف ضعف الكلام." (المرجع السابق، ص:207-208).

ولقد حاول هذا العالم، في أثناء مناقشته لهذه القضية، في موضعٍ آخر، أن يصل بها إلى مرحلة التقعيد، وذلك عندما نصّ، في كتابه" الكشف عن وجوه القراءات السبع"(34/1)، على أنّه "ليس من أصول كلام العرب أن يردّوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم في الحروف، وإذا أبدلوا، أن يردوا الأضعف إلى الأقوى".

وإلى مثل هذا أيضاً، ذهب ابن السّيد البطليوسي، فهو يقرر أن "الحرف الأضعف يقلب إلى الأقوى، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف". ثم وجدناه، بعد ذلك، يشرع في شرح هذه القاعدة، إذا جاز لنا التعبير ذلك، فينصّ على أن: "كلّ سين وقع بعدها حرف من الحروف الخمسة (ق،خ،غ،ع،ط) جاز قلبها صادا نحو: سقر و صقر، وسخر منه وصخر من الهزء، فأمّا الذي من الحجارة فبالصاد لا غير، أما (يساقون) فإنما جاز قلبها صادا (يصاقون) لأن السين مستفلة، وأضعف من الصاد المستعلية، والأضعف ينقلب إلى الأقوى .. والأقوى لا ينقلب إلى الأوهى". (الإبدال لأبي الطيب اللغوي 17/1).

ويبدوأن هذا، الذي قررّه بعضُ علمائنا القدامى، قد استحال، لدى بعض المُحْدَثين من اللغويين الغربيين، إلى قانون صوتي يمثل جانباً من التغييرات الصوتية التركيبية. فقد تمكن موريس جرامونت M. Grammont من صياغة قانون صوتي، يعرف باسمه، ينص على أنّه "عندما يؤثر صوت في آخر، فإن الصوت الأضعف (بموقعه في المقطع، أو بقوته النطقية الخاصة) هو الذي يكون عرضه للتأثر بالصوت الآخر".

(Malmberg, phonetics P:100، وينظر أيضاً الترجمة العربية لهذا الكتاب للدكتور عبد الصبور شاهين، ص: 257).

ثم وجدناه يوضّح ذلك بقوله: إن الصوت المؤثر هو ذلك الذي تتوافر فيه صفات:أن يكون أكثر قوةً، أو أكثرَ مقاومةً، أو أكثرَ استقراراً، أو أكثرَ امتيازاً، وانما تتحددُ هذه الصفات سلفاً طبقاً لنظام اللغة ..... ولتبسيط الأمر يمكننا أن نحددَ القضيةَ كلها في كلمة واحدة هي القوة ... وليست المماثلة ونقيضها المخالفة هما اللذان يخضعان وحدهما له، بل تخضع له جميع الظواهر التي يكون فيها تغير صوت ناشئاً عن وجود صوت آخر....". (أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص:233)

وتجدر الإشارة إلى أن القوانين الصوتية، التي تستند إليها، أو إلى بعضها، عملية التشكلات والتغيرات البنيوية للغة، ليست قوانين رياضية صارمة، وإنما هي اتجاهات عامة تحكم الأنظمة النطقية والبنيوية، وهي تنجح في أغلب الحالات، في حين أن بعض الكلمات لا تخضع لها لأسباب مختلفة. (المرجعان السابقان، ص: 103،102، و ص: 260 على الترتيب).

عزيزي الدارس،

سنحاول وإياك، في الصفحات التالية، دراسة بعض الظواهر التعاملية في اللغة العربية، وذلك من خلال ما أصاب بعضَ الكلمات العربية من تغيرات صوتية، فأهلاً بك ومرحباً مرةً أخرى.

2.1 أهداف الوحدة

ينتظر منك، عزيزي الدارس، بعد قراءة هذه الوحدة، واستيعاب ما جاء فيها من معلومات أن تكونَ قادراً على أن :

1. تحددَ مفهوم الظواهر التعاملية.
2. تستقصيَ أثر الظواهر التعاملية فيما أصاب بعض الكلمات من تغيرات صوتية.
3. تشرحَ أثر الظواهر التعاملية في التطور التاريخي لألفاظ المعجم.

3.1 أقسام الوحدة

تتسقم هذه الوحدة على الأقسام التالية:

القسم الأول المماثلة الصوتية.

القسم الثاني: الإدغام.

القسم الثالث: المخالفة الصوتية.

القسم الرابع:تقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة.

القسم الخامس: انقلاب الحركات المزدوجة إلى حروف مدّ.

القسم السادس: تغيرات الواو والياء والهمزة.

4.1 قراءات مساعدة

عزيزي الدارس،

ليس من شكّ في أن المطالعة الخارجية تقدّم لك، إلى جانب المادة التي تدرسها في هذا المقرر، إضافاتٍ فكريةً من شأنها أنْ تُغَذّيَ الجانبَ التخَصصيَّ لديك، لذا فإننا نَنْصَحُك بمطالعة بعض الكتب التي سنورد لك ثبتاً بها في نهاية هذه الوحدة، ولا سيّما تلك الكتب المتعلقة بالجانب الصرفي للغة العربية. ففيها كثيرٌ من القواعدِ والمبادىءِ التي سنتّكيءُ عليها في معالجة كثير من الموضوعات الصوتية في هذه الوحدة الدراسية.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

عزيزي الد ارس،

لقد بذلنا في عرضِ مادة هذه الوحدة جهداً خاصاً، حاولنا، من خلاله، تبسيط الموضوعات التي تناولناها، فأكثرنا، لذلك، من الأمثلة التوضيحية، وكرّرْنا في بعض الحالات، بَعْضَ القضايا والقواعد، هادفين من وراء ذلك كله، إلى تثبيت المعلومات، وتعميق الأفكار الصوتية والصرفية التي دارت حولها موضوعات هذه الوحدة.

لذا، فما عليك، عزيزي الدارس، إلاّ أنْ تقرأ مادة هذه الوحدة بتأنٍ ورويّة، وأن تتفاعل مَعَ ما ورد فيها من أنشطةٍ، وفوائدَ، وأسئلةٍ، وتدريبات، ففي هذا كلّه، إلى جانب المطالعة الاضافية الخارجية، تحقيقٌ للهدف الذي نصبو إليه من وراء عرض مادة هذه الوحدة، من مقرّر علم أصوات العربية.

1.2 تصدير

يقصد بالمماثلة الصوتية Assimilation تلك "التعديلات التكييفية التي تعرض للصوت، بسبب مجاورته، دون أن يكون هذا التجاور مباشراً بالضرورة، لأصوات أخرى في السلسلة".

(Brosnahan and Malmberg, Introduction to phonetics, p: 132)

أو هي "عملية تصبح الفونيمات بوساطتها متشابهة". (Nida, Morphology, p: 21)

أو هي عبارة عن "صوت أكثر قوة يؤثر على صوت أكثر ضعفاً فيحيله شبيهاً به". (النحو التاريخي للغة الفرنسية، ص: 47 ، نقلاً عن كتاب أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي للدكتور عبد الصبور شاهين، ص:232) ويتم ذلك، في الأعمّ الأغلب، من أجل تحقيق نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج، أو في الصفات.

عزيزي الدارس،

لا شك لدينا في أنك على علم ودراية - من خلال دراستك لتصنيف الأصوات العربّية وتوصيفها في الوحدة الخامسة، من هذا المقرر - بأنّ أصوات اللغة، أية لغة، تختلف فيما بينها في المخارج، كما تختلف أيضاً في بعض الملامح من مثل، ملمح الإنفجار، وملمح الاحتكاك، وملمح الجهر، وملمح الهمس، وملمح التفخيم، وملمح الترقيق، وما إلى ذلك.

ولكنّ الذي نودّ الآنَ إضافَتَهُ إلى معلوماتك الآنفة الذكر، هو أنّه إذا ما التقى في الكلام صوتان من مخرجٍ واحد، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً، أو كان أحدهما مفخماً والآخر مرققاً، على سبيل المثال، وكان في تحقيق الصفتين للصوتين المتجاورين مشقةٌ وعُسْرٌ، "حدث بينهما شدّ وجذب، كلُ واحدٍ منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويَجْعَلَهُ يتماثل معه في صفاته كلّها، أو في بَعْضها". (التطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد الواب، ص: 30).

وهذا يعني، عزيزي الدارس، أنّ المماثلة تُعَدّ عمليةً تفاعلٍ صوتيّ تتمّ بين صوتين مختلفين متجاورين أو متقاربين، فيكتسبان بالتماثل خصائصَ صوتية مشتركة، أو يصبحان، في بعض الحالات، كما سترى، متطابقين، وذلك من أجل توفير الجهد، في أثناء عملية النطق، وتحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة في ملامحها المختلفة.

عزيزي الدارس،

سنقدّم لك، في الصفحاتِ التالية، بَعْضَ الصور التي تقع للمماثلة في العربية، ونودُ أن نشير، باديءَ ذي بَدْء، إلى أنّ معظمَ الحالات التي تتجلى فيها المماثلة، في هذه اللغة، تتجسّدُ، في ميدان الدرس الصرفي، في موضوع الاعلال بعامة، وموضوع الابدال بخاصة.

وسنَقْصرُ دَرْسَنا للماثلة على نوعين رئيسين لها، وبعض ما يتفرع عنهما من أقسام جانبية، وهذان النوعان هما: المماثلة الجزئية، والمماثلة الكلية:

2.2 المماثلة الجزئية Partial assimilation

توصف المماثلة بين الصوتين المتجاورين بأنها مماثلة جزئية، عندما تؤدي هذه الظاهرة الصوتية إلى إحداث تماثل بين الصوتين المتجاورين في بعض الملامح دون غيرها.

وسنقدّمُ لك، عزيزي الدارس، فيما يلي، أمثلةً لهذا النوع من المماثلة، وسوف نتخذ من موضوع الابدال في العربية محوراً لدراسة هذه الظاهرة:

-1 زجر ⟵ ازتجر ⟵ ازدجر

صبر ⟵ اصتبر ⟵ اصطبر

-2 ضرب ⟵ اضترب ⟵ اضطرب

ظلم ⟵ اظتلم ⟵ اظطلم

-1 ففي المثال الأول، وما كان على شاكلته، تأثرت التاء، وهي صوت يتّسمُ بملمح الهمس Voicelessness feature - ، بالزاي، وهي صوت يتّسمُ بملمح الجهر Voicedness feature ، تأثراً تقدمياً Progressive assimilation، مما أدّى إلى قلب التاء، إلى مقابلها المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو صوت الدال، وذلك من أجل تحقيق مماثلة بين الصوتين المتجاورين، في داخل البنية، في ملمح الجهر.

وقد نصّ سيبْويه في الكتاب (4/467-468) على أن "الزاي تبدلُ لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مُزْدان في مُزْتان، لأنه ليس شيء أشبهُ بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها، وليست مُطبقةً، كما أنها ليست مطبقة".

وزيادة على ما سبق، فإنّ تأثيرَ الزاي بالتاء، في هذا المثال، وما كان على نحوه، يعود إلى أن صوت الزاي، ومثله صوتا السين والصاد، يتّسمُ بملمح الصفير Sibilant feature، والنداوة في السمع، كما ذكر سيبويه (4/464)، وفي هذا الملمح صفةُ قوةِ تمكّن الصوتَ المتّسمَ به من التأثير في غيره من الأصوات والتغلب عليها، في بعض الأحيان. وتؤيد الدراساتُ اللغوية الحديثة هذا الرأي، إذ تؤكدُ أن الأصواتَ الصفيرية تتميز بوجود ضجة ذات تردد مرتفع تتجاوز 3000 هيرتس (Ladefoged, A course in phonetics, p: 257-258, 264, 268)

وأن هذه الأصوات تمتاز، من بقية الأصوات الاحتكاكية، مثل، الفاء، والذال، والثاء، بارتفاع شدتّها. (O' Connor, phonetics, pp: 48,142 and: crystal, A first Dictionary of Linguistics and phonetics,p:321)

عزيزي الدارس،

2- هذا ما حدث في المثال الأول، أما في أمثلة المجموعة الثانية، فقد تأثرت التاء، وهي صوت يتّسمُ بملمح الترقيق، بأصوات الصاد، والضاد، والظاء، وهي أصوات يجمع بينها ملمح التفخيم Velarization feature تأثراً تقدمياً أيضاً، مما أدّى إلى قلب التاء إلى مقابلها المفخّم، والمقابل المفخم للتاء، هو صوت الطاء، وذلك من أجل تحقيق مماثلة، بين الصوتين المتجاورين، في داخل البنية، في ملمح التفخيم، أو الإطباق كما يُسمّى. وقد عزا سيبويه هذا النوع من التأثر إلى أن الناطقين "لم يريدوا إلا أن يبقى الاطباق" (الكتاب 470/4). وهذا يعني أن الصوت المفخّم قد أثّر في الصوت المرقق فحوّله إلى صوتٍ مفخم لتحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة.

عزيزي الدارس،

لقد ناقش كثيرٌ من اللغويين العرب القدماء جانباً كبيراً من هذا الموضوع، الذي نتحدث لك عنه الآن، باسم المماثلة، فها هو ذا شيخهم سيبويه يذكر، في أثناء حديثه عن ظاهرة الابدال في مثل اصطبر:"وقالوا في مُفْتَعِلٍ من صَبَرْتُ: مَصْطَبِرٌ، أرادوا التخفيف حين تقاربا، ولم يكن بينهما إلاّ ما ذكرت لك، يعني قُرْبَ الحرف، وصارا في حرفٍ واحد. ولم يجز إدخالُ الصّاد فيها لما ذكرنا من المنفصلين، فأبدلوا مكانها أشبهَ الحروف بالصاد، وهي الطاء، ليستعملوا ألسنَتَهُم في ضربٍ واحدٍ من الحروف، وليكون عَمَلُهم من وجهٍ واحدً إذْ لم يصلوا إلى الإدغام". (الكتاب 467/4)

وشبيه بهذا الكلام، عزيزي الدارس،ما ذهب إليه الأزهريّ في (فصل في إبدال الطاء): "وإنما أبدلت تاء الافتعال إثر المطبق طاء لاستثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق، لما بينهما من اتفاق المخرج وتباين الصفة، إذ التاء من حروف الهمس، والمطبق من حروف الاستعلاء، فأبدل من التاء حرف استعلاء من مخرج الطبق، واختيرت الطاء لكونها من مخرج التاء". (شرح التصريح على التوضيح 291/2).

عزيزي الدارس،

وهكذا، فقد رأيت كيف أن ملمح التفخيم، في الصوت مَثَلُه، في ذلك، مَثَلُ ملمحِ الجهر، يُعَدُّ صفةً قوةٍ فيه تميِّزُه على غيره من الأصوات غير المتّسمة بهذا الملمح، وقد ترتب على ذلك أن أصبحَ ملمحُ التفخيم لا يقتصرُ تأثيرُهُ على الصوت الملابِسِ له، وعلى الحركةِ المصاحبةِ له، وإنما بوسعه أن يمدَّ نفوذه إلى ما يسبقه ويتبعه من أصوات.

(Beeston, The Arabic language Today,p:19)

بل إنه في حالة وجود "صوت مفخم في داخل مقطع، فإنّ كل المقطع يفخّم، بل ربما يمتدّ نفوذ الصوت المفخم إلى المقاطع المجاورة". (Salman Al - Ani, Arabic-phonology, p:30)

وقد لمح علماءُ العربيةِ القدماء هذه الظاهرة، وتحدثوا عنها، فسيبويه، على سبيل المثال، ينصّ على أن الصوت "المطبق أفشى في السَّمْع" (الكتاب 460/4)، وهو يقصد بذلك، فيما نرى، أن ملمح الاطباق، أي التفخيم، في الصوت يَمْنَحُهُ صِفَةً قوةٍ ترشّحُهُ للتأثير في غيره من الأصوات والتغلب عليها، ويدلُّنا على ذلك قوله، في أثناء حديثه عن الإدغام بين الطاء والدال، بأن الدال "ليست كالطاء في السمع". (الكتاب 460/4)

ولقد كان مكيُّ بنُ أبي طالب أكْثَرَ وضوحاً وصراحةً عندما علل إمكان وقوع التماثل بين الأصوات المتجاورة، في هذه الحالة، بقوله إن "الطاء حرف قويٌّ متمكن لجهره [حسب التصنيف القديم لهذا الصوت] ولشدته وإطباقه واستعلائه، والتاء حرف مهموس فيه ضَعْفٌ، والقويُّ من الحروفِ إذا تقدّمَهُ الضعيفُ مجاوراً له جَذَبَهُ إلى نَفْسِه إذا كان من مخرجه ليعمل اللسانُ عملاً واحداً في القوةِ من جهةٍ واحدةٍ". (الرعاية لتجويد القراءة، ص: 198،206)

3.2 المماثلة الكلّية Complete / Total assimilation

عزيزي الدارس،

توصف المماثلة بين الصوتين المتجاورين بأنها مماثلة كليّة، وذلك عندما تؤدي هذه الظاهرة الصوتية إلى إحداث تماثل تام بين الصوتين المتجاورين في كلّ الملامح.

وسنقدم لك، عزيزي الدارس، فيما يلي، أمثلةً لهذا النوع من المماثلة. وسوف نتّخذُ من موضوع الإبدال، الذي عالجنا طرفاً منه في المماثلة الجزئية السابقة، وجانباً من التشكلات التي تتخذها لام التعريف - محوراً لدراسة هذه الظاهرة:

1- دعا ←—— ادْتَعى ←—— ادْدَعى ←—— ادَّعى

2- طلع ←—— اطْتَلع ←—— اطْطَلع ←—— اطّلع

3- ذكر ←—— اذْتكر ←—— اذْذكر ←—— اذّكر

ذكر ←—— اذْتَكر ←—— اذْدكر ←—— ادّكر

4- وعد ←—— اوْتَعد ←—— اتْتَعد ←—— اتّعد

يسر ←—— ايْتَسر ←—— اتْتَسر ←—— اتّسر

5- لام التعريف مع بعض الأصوات العربية، وهي: (ت، ث، د، ذ، ر، ز، س، ش، ض، ط، ظ، ن).

وإذا ما حاولنا مراجعةَ هذه الأمثلة وتحليلها، من ناحيةٍ صوتية، فإننا، عزيزي الدارس، سنجدُ ما يلي:

1- تأثرت التاء المهموسة، في المثال الأول وما كان على شاكلته، بالدال، وهي صوت يتّسمُ بملمح الجهرِ، تأثراً تقدمياً، مما أدى إلى قلبها إلى مقابلها المجهور، والمقابل المجهور

للتاء، عزيزي الدارس، كما مر معك، هو صوت الدال، ثم جرت، بعد ذلك عملية الإدغام في الصوتين المتماثلين المتجاورين، وذلك من منطلق أن "الإدغام إنما هو في الأقوى". (شرح المفصل لابن يعيش 140/10، والمنصف لابن جني 328/2). لقد تحقّقتْ بهذه العمليةِ مماثلةٌ تامّةٌ بين الصوتين المتجاورين، في داخلِ البِنْية، في ملمحي المخرج والجهر.

ولقد عزا سيبويْه هذا النوع من التأثر، أو المماثلة الصوتية، إلى أن أبناء اللغة "كرهوا [في نطقهم مثل هذا البنى] أن يذهب جهر الدال" (الكتاب 471/4)، فضلاً عن كون الصوت "المهموس - كما يقرر سيبويه نفسه - أخفّ من المجهور". (450/4) أو أنه، أي الصوت المهموس، حرف ضعيف بالقياس إلى الحرف المجهور". (الرعاية، ص: 116، وما بعدها، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري 202/1).

2- وفي المثال الثاني، وما كان على غراره، تأثرت التاء المرققة بالطاء - وهي صوت، كأصوات الصاد والضاد والظاء التي مرت معك، عزيزي الدارس، في المماثلة الجزئية السابقة، يتّسمُ بملمح التفخيم - تأثراً تقدمياً، مما أدى إلى قلبها إلى مقابلها المفخم، وهو صوت الطاء، ثم جرت، بعد ذلك، عمليةُ الادغام في الصوتين المتماثلين المتجاورين.

إنّ من شأن وقوع المماثلة الصوتية، في هذه الحالة، أن يحققَ بين الصوتين المتجاورين تجانساً وتماثلاً فيما سمّاه القدماء "بالإصعاد"، ويحول دون الانتقال من حالة "إصْعادٍ" إلى حالة "تَسَفُّلٍ"، كما ذكروا، فضلاً عن أنّ الناطقين بهذه البنى أرادوا، على حدّ قول سيبويه "أن تقع ألسنتهم موقعاً واحداً" (130/4).

3- وفي المثال الثالث، تأثّرت التاءُ المهموسة بالدالِ المجهورة، تأثراً تقدمياً، وهذا يقتضي قلب التاء المهموسة إلى مقابلها المجهور، وهو صوت الدال، كي تتحقق بذلك مماثلة بين الصوتين المتجاورين، وهما الذال والدال، في الملمح، وهو ملمح الجهر، فيصبح التشكّل البنيوي، من ثمّ، على النحو التالي: اذ دكر.

ولكن هذا التشكل البنيوي، "القياسي" غير جائز نظراً لأن "كل واحد منهما، أي الذال والدال، يدغم في صاحبه في الانفصال، أي في حالة ورودهما في كلمتين منفصلتين، فلم يجز في الحرف الواحد، أي في الكلمة الواحدة، إلا الادغام". (الكتاب 469/4-470).

ويمكنُ أنّ يتمّ هذا الادغامُ، الذي يراه سيبويهِ الوسيلةَ الوحيدةَ في هذه الحالة، بإجراءِ أحَدِ التشكلين البنيويين التاليين:

أ- أن تدغم الذال في الدال، وذلك جرياً على قاعدةالأصل في الادغام، وهو إدغام الأوّلِ في الآخِر، ويتمّ ذلك على النحو التالي:

اذْتكر ←—— اذْدكر ←—— ادكر

ب- أن تدغم الدال في الذال، أي أن يدغم الآخر في الأول، وذلك خلافاً للأصل في الادغام، ويتمّ ذلك على النحو التالي:

اذْتكر ←—— اذْدكر ←—— اذّكر

وقد نصّ سيبويه على ذلك عندما قال: "وذلك قولك مذّكر، كقولك مطّلم، ومن قال مّظعن، قال مذّكر. وقد سمعناهم يقولون ذلك، والأخرى في القرآن في قوله "فهل من مذكر" (الكتاب 469/4).

عزيزي الدارس،

يتّضحُ لك من هذين التشكلين المختلفين للبنية، أنّ كلّ واحدٍ منهما يستندُ، في وجوده، إلى عُنْصرٍ قُوّةٍ فيه يتمثل في ملمح الجهر، الذي يتّسم به كلّ من صوتي الدال والذال، في حين امتنع وقوعُ مثل هذين التشكلين، أو وقوع أحدهما، مع التشكل البنيوي الأصلي، اذْتكر، ويعود ذلك إلى أنّ وقوعه سوف يؤدي، بسبب اختلاف الصوتين في ملمحي الجهر والهمس، إلى فقدان الذال للمح الجهر، ومن شأن هذا أن يلحق بها، كما ذكر سيبويه (469/4)، الإجحاف".

4- وفي المثالين الأخيرين تأثر صوتا الواو والياء، بوصفهما نصفي حركة Semi vowels بصوت التاء المجاور لهما مباشرة، (تأثراً رجعياً - Regressive / Anticipatory assimilation / -، مما أدّى إلى قلب كلّ واحدٍ منهما إلى تاء، ثم جرت، بعد ذلك، عملية الإدغام، في الصوتين المتماثلين المتجاورين.

عزيزي الدارس،

لا شكّ لدينا، في أنك تتساءل الآن عن السبب الذي أدى إلى تأثر الواو والياء بالتاء، ثم قلب كلّ واحد منهما إلى تاء؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول لك: إن السبب في حدوث هذا التأثر الصوتي يعود، فيما نرى، إلى أن صوتي الواو والياء - وهما، في المثالين الواردين معك هنا: وعد، و: يسر، نصفا حركة Semi vowels - صامتان ضعيفان. (العربية الفصحى، لهنري فليش، ص: 39، و: (Beeston, The Arabic Language Today, p: 19)

كما أنّ هذين الصوتين يتّسمان بالقصر والوضوح السمعي إذا ما قيسا بالحركات الصِّرْفة pure vowels (علم اللغة العام، الأصوات، للدكتور كمال بشر، ص: 132)، وبالاضافة إلى ذلك فقد وقع صوتا الواو والياء، في هذين المثالين، في نهاية مقطع ساكنَيْن، نظراً لاستثقال الحركات فيهما، (المنصف 223/1، 193/2، وشرح الشافية 95/3) فازداد بالسكون ضَعْفُهما، لأنّ من شأن الحركة، كما ذكر ابنُ جنّي وغيره من اللغويين العرب، أنْ تقويَ الحرْفَ وتحصّنُه. (سر صناعة الاعراب 21/1، وشرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي 137/3).

ومن ناحية أخرى، فقد وقع هذان الصوتان المتسمان بهذه الملامح تحت تأثير صوت التاء الانفجاري، ومن المعلوم أن ملمح الانفجار يعدّ، بالقياس إلى ملمح الاحتكاك، صفةَ قوة في الصوت المتّسم به كما قرر اللغويون العرب. (شرح الشافية، 275/3). وعلى هذا، فقد أثّر هذا الصوتُ؛ أيْ صوتُ التاء الانفجاري المتحرك، الذي يعتبره اللغويون العرب «حرفاً أجلد» (سيبويه 334/4، 338، والمنصف 223/1، وشرح الشافية 82/3)، أو حرفاً أقوى من الواو والياء، في كلٍّ منهما، وقلبهما إلى حرف من جنسه.

5- وفيما يتعلق بلام التعريف، وتأثرها ببعض ما يرد بعدها من أصوات، فإنَّ بوسعنا تصوُّرَ الأمر من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن اللام، وهي صوت لثوي Alveolar تتأثر تأثراً رجعياً بالأصوات التالية لها والقريبة منها في المخرج، مما يؤدي إلى قلبها إلى صوت من جنس مجاوره. واذا ما استعرضنا الأصوات التي يتمُّ تأثُّرُ اللامِ بها، فإننا نجد مجموعتين منها تتقدمان مخرج اللام إلى الأمام، وهما: مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية Denti alveolar وهي أصوات: ت - د - ض - ط - ص - س - ز ، ومجموعة الأصوات الأسنانية Dentals وهي أصوات: ث - ذ - ظ ، ونجد مجموعتين منها تتحد أولاهما في المخرج مع اللام، وهي مجموعة الأصوات اللثوية Alvealar ، وهي أصوات: ر + ن ، في حين تتأخر المجموعة الأخرى عن مخرج اللام إلى الخلف، وهي مجموعة الأصوات الغارية Palatal ، متمثلة بصوت الشين.

ويعود السبب في تأثر اللام بهذه الأصوات، عندما تقع تاليةً لها، فيما يبدو ، إلى تقارب مخرج اللام ومخرج كلِّ مجموعة من هذه المجموعات أو اتحادهما. ويرشّح هذا التعليل أن الأصوات العربية الأخرى، التي ترد بعد اللام، ولا يتأثر بها هذا الصوت، تنتمي إلى مخارج تبتعد عن مخرج اللام من الجهة الأمامية أو الخلفية.

الناحية الأخرى: أنَّ جلَّ الأصوات، التي تردُ بَعْدَ اللام، تتّسمُ ببعض الملامح التي من شأنها أن تُكْسِبَ الصوت صفةَ قوةٍ تمكّنه من التأثير في مجاوره من الأصوات. وهاك، عزيزي الدارس، توضيح ذلك:

1- تتّسمُ أصواتُ : ص - ض - ط - ظ بملمح التفخيم الذي يعدّ، كما مر معك سابقاً، صفةَ قوةٍ في الصوت، يكسبه قدرة على التأثير في غيره من الأصوات. وعلاوة على ذلك، فإن صوت الضاد يتّسم، زيادة على ملمح التفخيم، بملمَحَيْ الاستطالة والتفشّي اللذين يعدّان أيضاً صفَتَيْ قُوّةٍ في الصوت تُمكّناهُ من التأثير في غيره من الأصوات (الكشف عن وجوه القراءات السبع 137/1) ، كما أنّ صوت الصاد، يتّسم، علاوة على ملمح التفخيم، بملمح الصفير Sibilant الذي يعدّ أيضاً صفة قوة في الصوت تمكنه من التأثير في غيره من الأصوات. (الرعاية، ص: 124).

2- يتسم صوتا الراء والنون بأكثر من ملمح من شأنه إكسابهما صفةَ القوةِ المؤثرة في غيرهما من الأصوات. فصوت الراء يتسم بملمحي التكرار والتفشّي، وهما من الملامح التي تكسب الصوت قوة التأثير في غيره من الأصوات، وصوت النون يتسم بملمح الأنفية Nazal feature ، أو ما أطلق عليه علماؤنا اللغويون القدماء مصطلح "الغُنّة" ، ويعد هذا الملمح، وسابقه ملمح التكرار، من الملامح التي تكسب الصوت القوة والتأثير في غيره من الأصوات. (الرعاية، ص:131) وعلاوة على ما سبق فإن صوتي الراء والنون، ومعهما صوتا اللام والميم، ينتميان إلى مجموعة الأصوات التي يطلق عليها اللغويون المحْدثون مصطلح الأصوات المائعة Liquids ، أو الأصوات الرنانة Resonants ، وتتّسم هذه المجموعة الصوتية بصفة قوة مميزة لها وهي صفة الوضوح السمعي Sonority .

3- تتسم أصوات: ص – ز – س – ش بملمح الصفير الذي يعدّ صفة قوة تمكن الصوت من التأثير في غيره من الأصوات، كما مرّ معك، عزيزي الدارس، قبل قليل. وعلاوة على ذلك، فإن صوت الشين يتسم، بالاضافة إلى ملمح الصفير القوي، بملمحي الاستطالة والتفشي اللذين يعدان، كما مرّ معك أيضاً، صفتي قوة في الصوت تمكنانه من التأثير في غيره من الأصوات.

4- يتسم صوتا الدال والتاء بملمح الشدة، أو الانفجار plosion ، ويتسم صوت الذال بملمح الجهر Voicedness ، ويعد هذان الملمحان؛ أي الانفجار والجهر، من الملامح التي تكسب الصوت صفة قوة تمكنه من التأثير في غيره من الأصوات.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان لام التعريف، التي ترد قبل هذه الأصوات، وتتأثر بها تأثراً رجعياً، جاءت ساكنةً في نهاية مقطع، ويعدُّ السكونُ مَلْمَحاً يُضْفي على الصامت الملابِسِ له نوعاً من الضَّعْف ، مقابلَ الصامتِ المتحرك الذي تقوِّيه الحركة وتحصِّنُه (سر صناعة الأعراب 21/1 ، وشرح الشافية 119/1 ، وديوان الأدب للفارابي 87/1 ، والمنصف 2/2 ، 328). وفي مقابل ذلك، فإنّ وقوعَ الصوتِ في بدايةِ مَقْطَعٍ يُعَدُّ ملمح قوةٍ فيه، شريطةَ كونِه مسبوقاً بصوتٍ آخَرَ يقعُ ساكناً في نهاية مقطع. وهذا ما حدث فعلاً مع لام التعريف والأصوات التي أثرت فيها في هذه الحالة.

؟

اسئلة التقويم الذاتي (1)

وضح المقصود بالمماثلة الصوتية، ثم بيِّن الأهداف المتوخاة من هذه الظاهرة الصوتية.

تدريب (1)

عزيزي الدارس،

1- وضّح المقصود بالمماثلة الجزئية، مع التمثيل لها.

2- وضح المقصود بالمماثلة الكلية، مع التمثيل لهذه الظاهرة الصوتية.

3- عدد أهم الصفات والملامح التي تكسب الصوت قوة وقدرة على التأثير في غيره من الأصوات المجاورة له.

فائدة (1)

عزيزي الدارس،

لا تقتصر ظاهرة المماثلة على اللغة العربية، وإنما هي موجودة في اللغات الأخرى، كالانجليزيّة. ومن الأمثلة على ذلك، في هذه اللغة، ما حدث لفونيم الـ/v/ في البنية Five pence ، حيث اكتسب هذا الفونيم ملمح الهمس نتيجة تأثره تأثراً رجعياً بفونيم الباء /p/ المهموس. بَيْد أن التماثل الذي حدث بين هذين الصوتين، فوحّدهما في ملمح الهمس، لم يؤد إلى توحيدهما أو، لنقل، إلى تماثلهما، في ملمح المخرج. وهذا يعني - أيضا - أن التماثل الحاصل هنا هو من النوع الجزئي لا الكلي.

اسئلة التقويم الذاتي (2)

عزيزي الدارس،

1- ماذا يُطلقُ على لام التعريف التي تدغم فيما يرد بعدها من أصوات؟ ولماذا؟

2- وماذا يطلق على لام التعريف التي لا تدغم في الأصوات التي ترد بعدها؟ ولماذا؟

تدريب (2)

1- بيّن المقصود بالمماثلة التقدمية، والمماثلة الرجعية، مع التمثيل لهما.

2- ما التعليل الذي يمكن تقديمه لظاهرة إدغام لام التعريف في بعض الأصوات التي ترد مجاورة لها؟

3. الإدغام

إن الامثلة التي قدمناها لك، عزيزي الدارس، في الصفحات السابقة، للمماثلة الكلية، هي أيضا من قبيل ما يُسمّى، في الدرس التراثي الصرفي العربي، باسم الادغام. والإدغام يعني، كما هو معلوم لديك، أن "تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران، لشدة اتصالهما، كحرف واحد ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة ... وذلك نحو شدّ ومدّ ونحوهما". (شرح المفصل 121/10).

وهذا ما حدث، عزيزي الدارس، في تلك الأمثلة التي بسطنا لك الحديث عنها، في أثناء عرضنا لموضوع المماثلة الكلية. فبعد أن أثّر أحدُ الصوتين المتجاورين في الآخر، للمح قوة اتسم به وميزه من الآخر، فقلبه الى صوت مماثل له في كل الملامح والصفات، وقع الادغام بين الصوتين المتماثلين.

ولتوضيح ذلك، عزيزي الدارس، فإن من المستحسن أن نذكرك ببعض تلك الأمثلة التي مرت في المماثلة الكلية، وما حدث في داخلها من تفاعل صوتي أدى، في نهاية المطاف، إلى وقوع الادغام بين مكوناتها الصوتية :

1- ادتَعى ← ادْدَعى ← ادَّعى
2- اطتَلع ← اططلع ← اطَّلع
3- اذتَكر ← اذْذكر ← اذَّكر / ادكر
4- اوتَعد ← اتْتَعد ← اتَّعد
5- ايْتَسر ← اتْتَسر ← اتَّسر
6- الرَشيد ← الرْشيد ← الرُّشيد

وقد ذهب اللغويون العرب القدماء إلى أن الهدف من عملية الادغام يتمثل في "طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به وصار ذلك ضَيِّقاً في الكلام بمنزلة الضيق في الخَطو على المقيّد لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنما يقيد قدمه إلى موضعها الذي نقلها منه فثقل ذلك عليه، فلما كان تكرير الحرف كذلك، في الثقل، حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه". (المرجع السابق نفسه).

وقد نص سيبويه على ذلك أيضا، في معرض حديثه عن "مضاعف الفعل واختلاف العرب فيه"، عندما قال : "فإذا تحرك الحرف الأخير، فالعرب مجمعون على الإدغام،وذلك فيما زعم الخليل أولى به، لأنه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها الى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة" (الكتاب 530/3).

وقد أكد سيبويه ذلك وكرره في مواضع أخرى من كتابه، فهو يذكر، في باب التضعيف، على سبيل المثال، "أن التضعيف يقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفُّ عليهم من أن يكون من موضع واحد ... وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا في موضع واحد، ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، [وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك]". (الكتاب 417/4، وينظر أيضا الممتع في التصريف، لابن عصفور 631/2، وشرح الشافية، 338/3).

وهذا يعني أن الناطق باللغة قد توسل بالادغام، واتكأ عليه في تعامله مع بعض البنى اللغوية، من أجل تحقيق "حدٍّ" أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها". (دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر، ص : 332).

نشاط (1)

عزيزي الدارس،

لمزيد من الفائدة، في ميدان التعرف إلى موضوع الادغام، من ناحية صوتية، يستحسن رجوعك إلى مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1985 لقراءة البحث القيم الموسوم بـ "في حقيقة الادغام" للدكتور جعفر عبابنة.

فائدة (2)

عزيزي الدارس،

نود أن نعززّ معلوماتك السابقة عن الادغام، فنذكرك بأن الإدغام لا يتمُّ إلا في نوعين من الأصوات المتتالية وهما :

1- الأصوات المتماثله : كإدغام الدال في الدال، أو اللام في اللام مثل : قَدْدَم > قدَّم، وسلْلَم > سلَّم. وغيرها.

2- الأصوات المتجانسة أو المتقاربة في المخارج، كادغام الدال في التاء، مثل : قَدْ ترى > قتّرى.

أما إذا كانت الأصوات متباعدة في المخارج، فإن كل صوت منها ينطق بكامل خصائصه وملامحه دونما تغيير ناشيء عن التجاور.

تدريب (3)

عزيزي الدارس،

عرف الادغام، ثم بين الهدف منه.

نشاط (2)

عزيزي الدارس،

وضع الصرفيون، لحدوث ظاهرة الإدغام عدة شروط، تجدها مبسوطة في كتب الصرف المختلفة، ومن هذه الكتب، وهي كثيرة، كتاب "شذا العرف في فن الصرف" للشيخ أحمد الحملاوي. ص 170-177، فارجع إليه ففيه، إن شاء الله، الغناء.

4. المخالفة الصوتية

1.4 تصدير

عزيزي الدارس،

تعرفت، في الصفحات السابقة، الى المقصود بالمماثلة الصوتية، وتعرفت أيضا الى أن الهدف من وراء هذه العملية الصوتية يتمثل في محاولة تحقيق نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج، أو في الصفات.

أما الآن فإنك، عزيزي الدارس، مع قانون صوتي آخر، يسير في اتجاه معاكس للاتجاه الذي يسير فيه قانون المماثلة، ونعني بهذا القانون، المخالفة الصوتية Dissimilation. فما المقصود بالمخالفة الصوتية ؟ وما الدور الذي تقوم به هذه الظاهرة في العربية ؟.

يقصد بالمخالفة الصوتية، تلك العملية التي يتم بموجبها تغيير أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة إلى صوت آخر، وذلك من أجل تجنب الصعوبة الناجمة عن تكرار النطق بالصوت الواحد. وتنطبق هذه الظاهرة على الصوامت والحركات. فالمخالفة الصوتية هي عبارة عن "تعديل يطرأ على الصوت الموجود في سلسلة الكلام، بوساطة صوت مجاور، بَيْدَ أن هذا التعديل عكسي، يسهم في زيادة مدى الخلاف بين الصوتين المتجاورين".

[Brosnahan and Malmberg, Introduction to Phonetics, p:134]

إن المتكلم - وفقاً لظاهرة المخالفة الصوتية - ليس أمام صوتين متنافرين في المخارج والصفات، بحيث يجد في تحقيقهما مشقةً وعسراً، وذلك على نحو ما وجدنا في ظاهرة

المماثلة، وإنما هو أمام صوتين متجانسين تماماً، ولكنه يجد في تحقيقهما نفس المشقة التي وجدها في تحقيق الصوتين المختلفين، في المخرج والصفات، فيسعى - لذلك - الى التخلص من هذه المشقة، عن طريق تغيير أحد هذين الصوتين الى صوت آخر، يغلب أن يكون أحد الحركات الطويلة، أو أحد الأصوات المائعة أو الرنانة وهي اللام والراء والميم والنون. (التطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، ص :57، والأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس، ص : 221-212). وتتسم هذه الأصوات بصفة قوة تميزها من غيرها، وتتمثل هذه الصفة بملمح الوضوح السمعي Sonority.

2.4 أمثلة على هذه الظاهرة الصوتية

وسنحاول في الصفحات التالية، عزيزي الدارس، إيراد بعض الأمثلة على هذه الظاهرة الصوتية :

1- اتَّخذ ← استخذ

عزيزي الدارس،

لقد ذكرت بعض كتب التراث أن بنية الفعل "اتَّخذ" يمكن أن ترد في هيئة تشكل بنيوي آخر هو "اسْتَخَذَ"، حيث استثقل التضعيف، في البنية الأصلية "اتَّخذ"، مما أدى الى حدوث مخالفة صوتية بين صوتي التاء فيها. وقد تمثل ذلك في قلب التاء الأولى الى سين، فأصبحت الكلمة - كما أوردتها بعض كتب التراث- على النحو التالي : "استخذ". (الكتاب 483/4).

ومن المعلوم أن صوت التاء يتسم بملمح الهمس، وهو صفة ضعف في الصوت، كما أنه وقع، زيادة على ذلك، ساكناً في نهاية مقطع، فازداد بالموقعية والسكون ضعفه. ولقد أدت المخالفة إلى استبدال صوت السين، الذي يتسم بملمح الصفير، وهو صفة قوة في الصوت، به، الأمر الذي منح البنية نوعاً من القوة الناشئة عن وجود هذا الملمح.

أما شيوخ العربية القدماء، وعلى رأسهم سيبويه، فقد عللوا هذا التشكل البنيوي بكثرة الاستعمال، وكراهية التضعيف. (المرجع السابق).

2- اضْطجع ← الطجع

ومن أمثلة ذلك أيضا، عزيزي الدارس، ما حدث لبنية "اضطجع" من تشكل بنيوي جديد، في نطق بعض العرب. فقد اجتمع، في هذه البنية، صوتا الضاد والطاء، وهما صوتان يجمع بينهما ملمح التفخيم، فضلاً عن وقوع أولهما، وهو صوت الضاد، ساكنا في نهاية مقطع، مما أدى الى إضعافه بالسكون. ولقد حصل بين هذين الصوتين المتماثلين - في هذا الملمح - تخالف صوتي تمثل في استبدال صوت اللام بصوت الضاد على النحو التالي :

"الطّجع". ويتّسم صوت اللام - ومعه أصوات الراء والنون والميم -، كما تعلم، بالملمح المائع أو الرنّان، وهو ملمح يكسب الأصوات المتصفة به وضوحاً في السمع.

أما القدماء، من علمائنا الأجلاء، فقد علّلوا هذا التشكل البنيوي "بكراهية التقاء المطبقين، أي الصوتين المفخمين، ومثلوا له بقول الراجز :

لما رأى أن لا دَعَهْ ولا شِبَعْ

مال إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فالطَجَعْ

(المرجع السابق، و : شرح الشافية 226/3، 294، 274/4-275، وشرح المفصل 46/10، ولسان العرب، مادة ضجع).

3- وتعد المخالفة الصوتية، عزيزي الدارس، مسئولةً عن خلق تشكلات بنيوية مختلفة لكثير من الكلمات المضعّفة؛ أي تلك الكلمات التي اجتمعت فيها أصوات متماثلة.ومن الأمثلة على- ذلك الكلمات التالية :

قِرّاط > قيراط ← ر + ر ← ي + ر (اللسان مادة قرط)

دِبّاج > ديباج ← ب + ب ← ي + ب (اللسان مادة دبج)

دِنّار > دينار ← ن + ن ← ي + ن (اللسان مادة دنر)

تُجّار > توجار ← ج + ج ← و + ج

إجّاص > إنجاص ← ج + ج ← ن + ج (اللسان مادة أجص)

قِنّبيط > قرنبيط ← ن + ن ← ر + ن

ففي هذه الأمثلة، حدثت مخالفة بين كل صوتين متماثلين متجاورين، وذلك عن طريق قلب الصوت الأول، الذي وقع في نهاية المقطع الأول من البنية ساكناً، إلى أحد الأصوات، التي تتسم بملمح المد أو اللين، وهي الكسرة الطويلة، أو الضمة الطويلة، كما في الأمثلة الأربعة الأولى، أو بملمح الأنفية (الغنة)، كما في المثال الخامس، أو بملمح التكرار كما في المثال الأخير.

ومن المعلوم أن هذه الملامح تتسم بصفات قوة تمنح الصوت قدرة على إضفاء الوضوح والانسجام بين الأصوات المتجاورة في داخل البنى.

وقد عرض بعض القدماء من اللغويين لهذه الظاهرة، فأشار إليها سيبويه، في كتابه، تحت عنوان "هذا باب ما شذّ فأبدل مكان اللام الياء، لكراهية التضعيف وليس بمطرد"، وأعطى على ذلك أمثلة نحو : تَسَرَّيْتُ وتَظَنَّيْتُ، وتَقَصَّيْتُ من القصة، وأمْلَيْتُ ...". (الكتاب 424/4).

كما أشار ابن الشجري إلى هذا ايضا في أماليه حيث قال "وأما ما حذفوا منه وعوضوا فنحو تظننت قالوا تظنيت، فعوضوا من النون الياء ... وقالوا : "تسرّيت من السر،

وتقضى من التقضض، ولا أملاه بدلاً من أملله، ودساها من دسسها ويتمطى من يتمطط". (الأصوات اللغوية، ص : 211).

وتحدث ابن يعيش عن ذلك أيضاً، فنصَّ على أنه : "قد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على سبيل الشذوذ ولا يقاس عليه ... من ذلك قولهم "أمليت" الكتاب ... والأصل أمللت ... وقالوا " قصيت أظفاري" حكاه ابن السكّيت في قصصت أبدلوا من الصاد الثالثة ياء لثقل التضعيف .... وقالوا "تسرّيت" وأصله تسرّرت ... فأبدلوا من الراء الثالثة الياء للتضعيف ... وقالوا "تظنّيت" وأصله تظننت، فأبدلوا من إحدى نوناته الياء لثقل التضعيف ... وقالوا "ديباج" والأصل "دبّاج" ... كأنهم كرهوا "التضعيف فأبدلوا"، وقالوا "قيراط"، وأصله قرّاط ... فأبدلوا من الراء الأولى ياء لثقل التضعيف". (شرح المفصل 10/24-26).

وقد تناول السيوطي ذلك عندما قال : "إن اجتماع الأمثال مكروه، ولذلك يفر منه الى القلب (وهو ما يطلق عليه الدرس الصوتي الحديث مصطلح المخالفة) أو الحذف، أو الفصل، فمن الأول : قالوا في دهدهت الحجر : دهديت، قلبوا الهاء الأخيرة ياء، كراهة اجتماع الأمثال ... وقال الخليل : أصل (مهما) الشرطية : ماما، قلبوا الألف الأولى هاء، لاستقباح التكرير ... وكذلك : دينار، وديباج، وقيراط، وديماس، وديوان، أصلها : دنّار، ودبّاج، ودوّان، قلب أحد حرفي التضعيف ياء لذلك ...."(الاشباه والنظائر للسيوطي 18/1).

4- ولعل المخالفة الصوتية، عزيزي الدارس، هي التي أدت الى خلق بعض صيغ الرباعي في العربية، فالفعل "تقرصع" بمعنى سال أصله "تقصّع"، ثم خولفت فيه الصاد الأولى، وجعلت "راء" على النحو التالي : تقرصع. (لحن العامة والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، ص : 314) ومن أمثلة ذلك، فيما نرى، تحول الصيغة "خمّش" ال "خرمش"، في النطق اللهجي الفلسطيني بخاصة، والعربي بعامة.

5- ومن أمثلة هذه الظاهرة، في اللغة العربية أيضا، ما طرأ على حركة النون في جمع المذكر السالم، والأفعال الخمسة، والمثنى، وما طرأ على حركة التاء في جمع المؤنث السالم، وما طرأ على حركة آخر جموع التكسير الممنوعة من الصرف على صيغة منتهى الجموع. وإليك، عزيزي الدارس، تفصيل ذلك :

* ففي حالة جمع المذكر السالم، تضاف إلى الاسم المفرد لاحقة الضمة الطويلة، وهي ما اصطلح على تسميتها في التراث واوا، والنون، وذلك في حالة وقوع الاسم المجموع جمع مذكر سالماً مرفوعا، ولاحقة الكسرة الطويلة، وهي ما اصطلح على تسميتها في التراث ياء، والنون، وذلك في حالة وقوع الاسم المجموع جمع مذكر سالماً منصوباً أو مجروراً. بيد أن حركة النون لا ترد مماثلة في حركتها لأي من الحركتين السابقتين عليها. ومن أمثلة ذلك جمعا المذكر السالمان التاليان :

كاتب < كاتبون Kaatib > Kaatibuuna

كاتب < كاتبين Kaatib > Kaatibiina

إن لزوم حركة الفتحة للنون، المسبوقة بضمة طويلة، أو كسرة طويلة :
ii - n - a, uu - n - a ، في حالتي جمع المذكر السالم، هو - فيما نرى - نوع من المخالفة الصوتية بين الحركات المتجاورة.

* وفي حالة الأفعال الخمسة، تتم عملية الرفع - كما يقول نحاتنا - بثبوت النون، ولكن هذه النون لا ترد مماثلة في حركتها لأي من الحركات السابقة عليها، والأمثلة التالية توضح ذلك :

يكتب > يكتبان: yaktubu > yaktubaani

تكتب > تكتبان : taktubu > taktubaani

يكتب > يكتبون: yaktubu > yaktubuuna

تكتب > تكتبون: taktubu > taktubuuna

تكتب > تكتبين: taktubu > taktubiina

فقد حدث، في هذه الأمثلة، تخالف صوتي في الأوجه المختلفة للأفعال الخمسة. ففي حالتي التثنية، للغائبين، والمخاطبين، وردت النون مسبوقة بفتحة طويلة، وهي ما اصطلح على تسميتها في التراث ألفا، غير أن حركتها التالية جاءت مخالفة لها حيث وردت مكسورة : aa-n-i.

وفي حالتي الجمع للغائبين والمخاطبين، جاءت النون مسبوقة بضمة طويلة، ولكن حركتها التالية وردت مخالفة لها حيث جاءت مفتوحة uu-n-a، أما في حالة الخطاب للمؤنثة المفردة، فإن النون جاءت مسبوقة بكسرة طويلة، بيد أن حركتها التالية وردت مخالفة لها حيث جاءت، كسابقتها، مفتوحة : ii-n-a.

* وفي حالة التثنية يرد الاسم المثنى مختوماً بلاحقة الفتحة الطويلة والنون في حالة الرفع، ولاحقة الحركة المزدوجة Diphthong (ay) في حالتي النصب والجر، غير أن النون لا ترد مماثلة، في حركتها، لحركة ما قبلها على نحو تام، والأمثلة التالية توضح ذلك :

كاتب > كاتبان Kaatib > Kaatibaani

كاتب > كاتبين kaatib > kaatibayni

ففي حالة الرفع جاءت النون مسبوقة بفتحة طويلة، ومتلوة بكسرة aa-n-i. أما في حالتي النصب والجر، فقد وردت النون مسبوقة بالحركة المزدوجة المؤلفة من الفتحة (a) والياء الساكنة (y)، ومتلوة بكسرة : ay-n-i. ويعدُّ التسكين الطارئ على الياء، الواقعة في نهاية مقطع، بمنزلة إضعاف لها، لما قرره اللغويون القدماء من كون الحروف الساكنة ضعيفة، فكأنها بذلك شابهت الفتحة، مما استدعى تقوية هذا الضعف بحركة قوية هي الكسرة.

* وفي حالة جمع المؤنث السالم، ذكر نحاتنا أن هذا الجمع يُرْفع - قياساً على ما ترفع به بعض أنواع الكلم في لغتنا العربية - بالضمة، ويجر - بالقياس كذلك - بالكسرة، وهو،

في هاتين الحالتين، يجري على قاعدة المخالفة الصوتية بين الحركات المتجاورة :
فاطماتُ : faatimaatu، فاطمات :faatimaati

أما في حالة النصب، فقد كان القياس، الذي انطبق في الحالتين السابقتين، يوجب ضبطه بالفتحة، وهذا يعني أن الأصل - كما ذكر هنري فليش - هو نصب هذا الجمع بالفتحة (العربية الفصحى، ص : 49)، والدليل على ذلك ما رواه الكوفيون عن العرب من قولهم : سمعت لغاتَهم، وقول الرياشي : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراتَهم، وما رواه الميداني في مجمع الأمثال من قولهم : استأصل الله عرقاتَهم، وما رواه الخليل بن أحمد من قولهم : "رأيت بناتَك بالفتح لخفته على اللسان". (الخصائص ، 384/1 ,304/3، ومجمع الأمثال، للميداني 87/1، وكتاب العين للخليل بن أحمد 152/1-153). بيد أن تطبيق هذا الأصل سوف يؤدي الى إحداث مماثلة، غير مقبولة لا شعورياً من قبل الناطقين، بين الحركات المتجاورة. ولهذا فقد وجدنا جمع المؤنث يسلك، في هذه الحالة، مسلكاً مغايراً، بهدف إحداث مخالفة صوتية بين الحركات المتجاورة، وذلك من أجل طَرْدِ الباب على وتيرة واحدة، كما يقولون، فتم نصبه بكسرة نابت مناب الفتحة :

فاطمات faatimaata < فاطمات :faatimaati

* وما حدث لجمع المؤنث السالم - في هذه الحالة - يشابه، إلى حدٍّ كبير، ما حدث لبعض الكلمات الممنوعة من الصرف، التي ترد مجموعة جمع تكسير على صيغة منتهى الجموع :

فهذه الجموع ترد مرفوعة بالضمة، ومنصوبة بالفتحة، ومجرورة أيضا بالفتحة التي تنوب مناب الكسرة، وترد هاتان الحركتان، في هذه الحالات الثلاث، مسبوقة بحركة لازمة مغايرة لهما هي الكسرة، وذلك على النحو التالي :

(رفع) مدارس : mada arisu، (نصب) مدارس :madaarisa

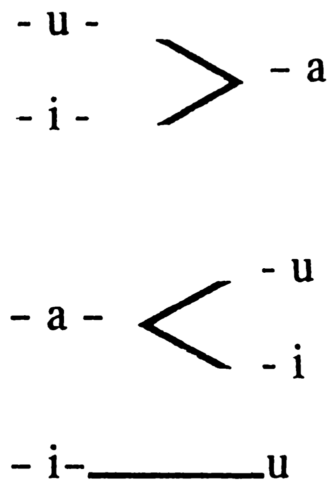
(رفع) مفاتيح : mafaatiihu، (نصب) مفاتيح :mafaatiiha

(جر) مدارس : madaarisi، > مدارس :madaarisa

(جر) مفاتيح : mafaatiihi، > مفاتيح :mafaatiiha

وتجدر الاشارة الى أن حركة الفتحة - بنوعيها القصير والطويل، وهي - كما يذكر علماؤنا أخف الحركات - (الكتاب 420/4، وسر صناعة الاعراب 21/1، وشرح الشافية 119/1) كانت تمثل - في الأعم الأغلب من هذه الأمثلة، التي أوردناها لجمعي المذكر والمؤنث السالمين، والمثنى، والأفعال الخمسة، وجمع التكسير الممنوع من الصرف - القاسم المشترك مع غيرها من الحركات غير الخفيفة، ونعني بها الكسرة والضمة. وحتى في تلك الحالة التي لا ترد فيها الفتحة في حالة تقابل مع إحدى الحركتين الأُخْريين، نجد أن المخالفة تقع أيضا، بين الحركة القوية والحركة الأكثر قوة، ونعني بهما الضمة والكسرة، (سر صناعة الإعراب 22/1) وذلك على نحو ما حدث في جمع التكسير الممنوع من الصرف والواقع في

حالة رفع. ولا شك في أن هذا التعاقب المتخالف وغير المتماثل للحركات، في تلك التشكلات البنيوية، من شأنه أن يحقق نوعاً من اليسر والانسجام النطقي بين الأصوات المتجاورة، وخاصة أنه يؤدي الى إحداث انتقال رتيب، أو، لنقل، منتظم بين الحركات السهلة أو الخفيفة، والحركات المغايرة لها في هذه الصفة. ويتم ذلك، في جميع الحالات السابقة، على النحو الذي يوضحه الشكل التالي :



نشاط (3)

عزيزي الدارس،

للتعرف الى بعض أمثلة ظاهرة المخالفة الصوتية، يمكنك الرجوع الى أحد المعاجم العربية، كلسان العرب لابن منظور، وقراءة ما جاء في بعض مواده، مثل المواد : دبج، و : دنر، و : دون، وقرط ، التي أخذت منها الكلمات : ديباج، و دينار، وديوان، وقيراط.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

عرف المخالفة الصوتية، ثم بين الهدف المنشود من وراء حدوث هذه الظاهرة.

فائدة (3)

عزيزي الدارس،

تعد ظاهرة المخالفة مسئولة، إلى حد كبير، عن خلق بعض الصيغ في اللهجات العامية العربية، والفصحى أيضا.

ومن الأمثلة على ذلك الكلمات التالية :

جلمد من جمّد، وأترنج من أترجّ، وطربق من طبّق، وقرمط من قمّط، وإنجاص من إجّاص، ودرفة الباب من دفّة الباب، وكعبل من كبّل، وخرمش من خمّش، وغيرها كثير.

تدريب (4)

لاتقتصر ظاهرة المخالفة الصوتية على صوامت العربية فقط، وإنما تشمل، بالاضافة اليها، الحركات. عزيزي الدارس، اعط مثالاً واحداً لهذه الظاهرة في مجال الحركات العربية.

5. تقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة

عزيزي الدارس،

لا شك لدينا، في أنك ما زلت تذكر ما درسته في الوحدة السابعة، من هذا المقرر، وما مرَّ معك أيضا، في أثناء دراستك لموضوع النبر في الوحدة الثامنة، حول أشكال المقطع في العربية، وكيف أن المقاطع الطويلة المغلقة لا تأتي إلا متطرفة، وفي بعض حالات الوقف، أما إذا وجد هذا النوع من المقاطع في حالة اتصال، فإنه ينقسم الى مقطعين، ومن أمثلة ذلك كلمة "عام" ʕaam ص ح ح ص، وكلمة "نَهْر" nahr ص ح ص ص، فعند وصلهما يصبح نسيجهما المقطعي على النحو التالي : عام الفيل : aa+mul+fiil ، و : نهر الاردن : nah+rul+ur+dun.

ولكننا نود الآن أن نضيف إلى معلوماتك، عزيزي الدارس، فكرتين اثنتين هما :

1- ان هناك حالتين استثنائيتين بقيت فيهما بعض حالات المقطع الطويل المغلق دون انقسام في حالة الوصل وهاتان الحالتان هما :

أ - عندما يؤكد المضارع المسند الى ضمير التثنية بالنون الثقيلة، فإن الصيغة تصبح : ينصرانِّ yan+su+raan+ni، وقد أساغته اللغة خوف الالتباس بحالة توكيد الفعل المسند للمفرد.

ب - في بعض الكلمات مثل : دابّة وشابّة : daab+bah و šaab+bah ومصغرهما : دويبّة، وشويبّة: du+wayb+bah, šu+wayb+bah

فقد بقي المقطع الأول، في الحالة الأولى، والمقطع الثاني في الحالة الأخيرة، طويلاً مغلقاً دون انقسام. (المنهج الصوتي للبنية الصوتية، للدكتور عبد الصبور شاهين، ص : 39-40).

2- أما الفكرة الثانية، فهي أنه من الممكن تجنب المقطع الطويل المغلق ص ح ح ص، في أي موقف قد يؤدي إلى انتاج هذا المقطع غير الواقع قبل وقف، أي في حالة الوصل، وذلك؛ بوساطة تحقيقه في هيئة مقطع من نوع : ص ح ص، أي عن طريق تقصير الحركة الطويلة في هذا المقطع الطويل المغلق. ويتم ذلك في حالات أهمها :

أ - في بعض العبارات مثل عبارة "في المدى" fiil+ma+daa التي تشتمل على مقطع طويل مغلق من نوع : ص ح ح ص، والتي تقع في حالة اتصال، ولما كانت العربية لا تسمح بهذا المقطع الطويل المغلق إلا في حالة الوقف، وفي الحالتين السابقتين اللتين أشرنا إليهما آنفاً، فقد عمدت هذه اللغة الى التخلص من هذا المقطع غير المقبول في هذا الموضع، عن طريق تقصير حركته الطويلة، وتحويله الى مقطع متوسط مغلق من نوع : ص ح ص في النطق لا في الكتابة هكذا fil+ma+daa.

ب - في بعض الأفعال الماضية ذات الاعتلال الأجوف الواوي أو اليائي، وذلك في حالة إسنادها الى ضمائر الرفع المتحركة، ومن الأمثلة على ذلك :

قام ← يقوم ← قومْت / قومْن ← قُمْتُ، قُمْنَ

سار ← يسير ← سيرْت/سيرْن ← سرْتُ/سرْنَ

ففي هذه الحالة يَعْمِد الناطق الى تقصير الحركة الطويلة في المقطع الطويل المغلق ص ح ح ص quum، siir، وتحويله الى مقطع متوسط مغلق : ص ح ص qum، sir، في النطق والكتابة، سواءٌ أجاء هذا المقطع في حالة وقف أم في حالة وصل

أنا قُمْتُ - قُمْتُ مبكراً

هن قُمْنَ - قُمْنَ مبكرات

ج - في بعض الأفعال المضارعة المشتقة من أصل معتل أجوف، واوي أو يائي، وذلك عند وقوعها في حالة جزم. ومن الأمثلة على ذلك :

قام ← يقوم ← لم يقوم ← لم يقم

سار ← يسير ← لم يسير ← لم يسر

ففي هذه الحالة يعمد الناطق الى تقصير الحركة الطويلة في المقطع الطويل المغلق، ص ح ح ص quum، siir، وتحويله الى مقطع متوسط مغلق : ص ح ص qum، sir في النطق والكتابة أيضا، سواء أجاء هذا المقطع في حالة وقف أم في حالة وصل :

أخوك لم يقم، و : لم يقم أخوك.

أخوك لم يسر، و : لم يسرأخوك.

وعلى أي حال، فإن هناك بعض الأمثلة يكون التغاير فيها بين المقطع : ص ح ص، والمقطع : ص ح ح ص ذا معنى، وتتطلب المحافظة على التغاير قابلية ظهور البنية المقطعية : ص ح ح ص غير الواقعة قبل الوقف؛ أي في حالة الوصل، ومن أمثلة

ذلك كلمة "جدَّة" : jad+dah، بمعنى "والدة الأم"، في مقابل كلمة "جادَّة" jaad+dah بمعنى "طريق"، وكاتب الوثيقة kaa+ti+bul+wa+θii+qah، في مقابل : كاتبو الوثيقة kaa+ti+buul+wa+θii+qah.

(Beeston, The Arabic Language Today, p:20)

نشاط (4)

عزيزي الدارس،

أجازت اللغة العربية ايراد المقطع الطويل المغلق ص ح ح ص في غير حالة الوقف والتطرف. شريطة كون المقطع التالي له مبدوءاً بصامت مماثل للصامت الذي ختم به المقطع الطويل المغلق السابق. وقد عبَّر اللغويون العرب القدامى عن هذه الحالة "بالتقاء الساكنين على حدهما" وفسروا ذلك بأن يكون الأول حرف لين، والثاني مدغماً في مثله. ومن الأمثلة على ذلك : دابَّة، وشابَّة، ومدهامَّتان، والضالِّين.

والآن، عزيزي الدارس، ارجع إلى بعض المصادر اللغوية التراثية للتعرف الى هذه الحالة. ونحن نقترح عليك كتاب "شرح المفصل" لابن يعيش 9/120-121.

تدريب (5)

يمتنع تقصير الحركة الطويلة، في المقطع الطويل المغلق ص ح ح ص، إذا ترتيترتبب على ذلك خلل دلالي، وسوء في الفهم.

عزيزي الدارس،

اعط مثالاً على ذلك مع التوضيح.

تدريب (6)

عزيزي الدارس،

الأصل في المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)، كما علمت، أن يرد متطرفاً، وفي بعض حالات الوقف.

ولكن هناك حالة صرفية رئيسة يرد فيها هذا المقطع دونما تقصير، أو انقسام الى مقطعين، رغم وقوعه غير متطرف، وفي غير حالة الوقف.

والمطلوب منك، عزيزي الدارس، أن تبين هذه الحالة، والسبب في ورودها.

6. انقلاب الحركات المزدوجة الى حروف مد

عزيزي الدارس،

لقد سبق لك أن تعرفت في الوحدة السادسة، من هذا المقرر، إلى المقصود بالحركات المزدوجة، أو الحركات المركبة، كما تسمى أيضا Diphthongs، وعرفت، في أثناء تلك الدراسة أيضا، أن اللسان ينتقل، في أثناء إنتاج هذه الحركة، من موضع نطق حركة، الى موضع نطق حركة أخرى باستمرار ودونما توقف، فالحركة المركبة، بناء على هذا، هي "تتابع مباشر لصوتي علة [أي حركتين]يوجدان في مقطع واحد فقط" (أسس علم اللغة، لماريو باي، ص : 80)، أوهي عبارة عن "صوت يتكون من حركتين بسيطتين، أو حركة بسيطة، ونصف حركة متتاليين في مقطع واحد مثل : /ay/ في نحو بَيْتْ : bayt، و /aw/ في نحو : لَوْنْ : lawn (علم اللغة النظري، للدكتور محمد علي الخولي، ص : 75).

كما تعرفت، عزيزي الدارس، في الوحدة السادسة، والوحدة الخامسة أيضا، في هذا المقرر، إلى أن الحركة البسيطة Monophthong تختلف عن الحركة المزدوجة في أن اللسان، في أثناء النطق بها، لا يغير موضعه مهما طالت كميتها.

عزيزي الدارس،

إن النطق بالحركة المزدوجة يقتضي من الناطق جهداً عضلياً أكثر من ذاك الجهد الذي يحتاج إليه الناطق مع الحركة البسيطة، ويعود السبب في ذلك إلى ما ذكرناه، قبل قليل، من أن اللسان، يتخذ في أثناء النطق بالحركة المزدوجة، وضعاً معيناً، ثم ما يلبث أن يغيره الى وضع جديد. ويتم ذلك على نحو مستمر، ودونما توقف، وفي فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد. أما الحركة البسيطة فهي، على العكس من ذلك، لا تستدعي مثل هذا الجهد، إذ لا يغير اللسان موضعه الذي يتخذه للنطق بها ولو طال امتدادها.

إن هذا الجهد العضلي، الذي يحتاج إليه الناطق، وهو بصدد الحركة المزدوجة أدى الى حدوث تطور صوتي في نطقها، في معظم اللهجات العربية، إذ تحولت الحركة المزدوجة فيها الى حركة بسيطة Monophthongization تتّسم، بالقياس الى الحركة المزدوجة، بالسهولة في النطق، والاقتصاد في الجهد العضلي. وتعدُّ قضية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي من القضايا التي اعترف بها اللغويون المحدثون بوصفها عاملاً من عوامل التطور الصوتي. (التطور اللغوي، للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص : 39، ولحن العامة والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، ص : 44-45).

ومن هذا المنطلق، فقد انقلبت الحركة المزدوجة "أوْ" إلى ضمة طويلة بسيطة ممالة، وانقلبت الحركة المزدوجة "أيْ" إلى كسرة طويلة بسيطة ممالة، والأمثلة على ذلك، في اللهجات العربية، كثيرة، منها على سبيل المثال :

1- الحركة المركبة "أوْ" ← ضمة طويلة بسيطة ممالة :

نَوْم : nawm	←	نُوم : noom
لَوْن : lawn	←	لُون : loon
صَوْم : sawm	←	صُوم : soom

2- الحركة المركبة "أيْ" ← كسرة طويلة بسيطة ممالة :

بَيْت : bayt	←	بِيت : beet
لَيْل : layl	←	لِيل : leel
عَيْن : ayn	←	عِين : een

وربما ساعد على هذا التحول الصوتي وتدعيمه، في كثير من اللهجات العربية، أن معظم الكلمات، التى جرى فيها هذا التحول الصوتي كانت تتألف من المقطع الطويل ذي الاغلاق المضاعف : ص ح ص ص، وهذا المقطع قليل الاستعمال ومستثقل في النطق، وينفر منه الناطقون في اللهجات العربية بعامة، ولقد تحول هذا المقطع، بعد التحول الصوتي، إلى مقطع طويل مغلق من نوع : ص ح ح ص، وهذا المقطع أكثر من سابقه في الشيوع والاستعمال في الفصحى والعاميات على حد سواء.

ويبدو أن هذه الظاهرة لم تقتصر على اللهجات العامية فقط، وإنما كانت تمثل مظهراً من مظاهر التطور اللغوي في العربية، فقد جاء في إصلاح المنطق لابن السكيت عن الأصمعي قوله : "يقال هو الضَّوْء ، والضُّوء" (ص : 91. وانظر أيضا المعجم الوسيط : ضوء)، وعن الكسائي قوله : " يقال إن بني فلان لفي دوكة ودوكة" (ص : 113)، وجاء فيه أيضا (ص : 114) قول ابن السكيت : "وحَوْبَةُ الرجل : أمُّه، وقال بعضهم : حُوبة".

؟

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- وضّح السبب الذي يكمن وراء التطور الصوتي في نطق الحركة المزدوجة، ويحولها الى حركة بسيطة في معظم اللهجات العربية.

2- بيِّن أشكال الحركة البسيطة التي تنقلب إليها الحركة المزدوجة في معظم اللهجات العربية.

3- بيِّن أهم الفوارق بين الحركة المزدوجة، والحركة البسيطة من ناحية عضوية.

7. تغيرات الواو والياء والهمزة

1.7 تصدير

عزيزي الدارس،

مرَّ معك، في مراحلِ دراستك السابقة، أن اللغويين العرب قد تناولوا، في درسهم الصرفيِّ للعربية، دراسةَ موضوعِ التغيُّرات التي تحدث في أصوات الواو والياء والهمزة، ومعها ما أطلقوا عليه مصطلح الألف، وذلك في أثناء معالجتهم لبعض البِنَى اللغوية، في إطار ما يعرف بموضوع الإعلال.

وليس ثمَّة شكٌّ لدينا، عزيزي الدارس، في أنك على علم ودراية بالمقصود بهذا المصطلح اللغوي "الإعلال"، من حيث كونُه مُصْطلحاً صرفياً يتناول، بالدرس، ما تتعرض له الحركات vowels ، وأنصاف الحركات Semi vowels ، في بعض البنى، من تغيُّرات تتمُّ بحلولِ بَعْضِها مَحَلَّ بعض، وهو ما يسمَّى "الإعلالَ بالقلبِ"، أو بسقوط بعض هذه الأصوات، أو تغير موضعها في البنية، وهو ما يسمَّى "الإعلالَ بالنقل أو التسكين"، أو بسقوط هذه الأصوات بكاملها من البنية، وهو ما يسمَّى "الإعلال بالحذف".

عزيزي الدارس،

ونحن بمتابعتك لنا، في هذا الجزء من الوحدة التاسعة، سنقومُ، بإذنِ من الله تعالى ومشيئته، بدراسة جانبٍ من جوانب الإعلال في العربية، وذلك من خلال العلاقة القائمة، في هذه اللغة، بين الدَّرْسين الصوتي والصرفي.

ومن الجدير بالملاحظة، في هذا المجال، أن معظم التغيرات، التي تعرض للبنى اللغويّة، في موضوع الإعلال، والموضوعات المشابهة له، كموضوع الابدال، هي من قبيل التغيرات الفونولوجية، أو الوظيفية Phonological/Functional changes ، التي تستتبع تعديلاً فونيمياً في البنية اللغوية، والتي تهدف، منفردةً، ومجتمعةً، إلى توفيرِ قَدْرٍ من الانسجام بين الأصوات المتجاورة في داخل البنى اللغويّة، وذلك من أجل تحقيق السهولة في النطق، والخِفّة في الأداء. وقد نصَّ علماؤنا القدماء على هذا الذي نذهب إليه عندما قالوا: إنَّ التغيرَ الذي يلحق الأحرف، التي سَمَّوْها أحرفَ العلّة، إنما يتمُّ «لطلب الخفة، ليس لغاية ثقلها، بل لغايةِ خفتها، بحيث لا تحتمل أدْنى ثقل». (شرح الشافية 68/3).

عزيزي الدارس،

ولكننا، طلباً للايجاز، وعدم الإطالة، سنقصرُ دَرْسَنا معك، لهذا الموضوع المتعدد الجوانب، على بعض التغيرات التي تلحق أصواتَ الواو، والياء، والهمزة فقط. ولكننا نرغب، ونحن في مستهل هذه الدراسة، أن نُنَبِّهك إلى أمرٍ لا نعتقدُ بأنه غائبٌ عنك، أو بعيدٌ عن مجال ثقافتك اللغوية، وهذا الأمْرُ هو أنَّ الهمزة، التي أدخلها اللغويون العرب القدماء ضمن الأصوات، التي يجري بينها التبادل في إطار موضوع الإعلال، ليست من الحركات، أو

أنصاف الحركات، وإنما هي صامت مستقل، لا يرتبط مع أصوات "العلة" بأيّةِ عَلاقةٍ صوتية، سواءٌ أكانت في مستوى المخرج، أم في مستوى الملامح التمييزية Distinctive features . ولسنا، في هذا المجال، بصدد البحث عن الأسباب التي دفعت اللغويين القدماء إلى إدراج الهمزة مع تلك الأصوات، التي اصطلحوا على تسميتها بالعلّة، ثم قاموا بدراسة التبادل الممكن فيما بينها في مستوى التشكل الصرفي للبنية في اللغة، فهذا أمر نَأمُلُ أنْ تطّلعَ عليه، في إطارِ نشاطِك الثقافي اللغوي العام.

عزيزي الدارس،

إِن بوسعنا توزيع التغيرات الصوتية، لكل من الواو، والياء، والهمزة، في داخل البنية، إلى الأقسام التالية:

1- تحول الواو أو الياء إلى همزة.
2- تحول الهمزة إلى واو أو ياء.
3- تحول الواو إلى ياء.
4- تحول الياء إلى واو .

والآن، وبمشاركةٍ حثيثةٍ منك، عزيزي الدارس، سنقوم بدراسة البنى الصرفية لهذه الأقسام، وذلك من خلال ما يقدِّمُه لنا الدرس الصوتي من معطيات، من شأنها أن تجلّيَ جوانبَ لا يستهانُ بها في مجال الدرس الصرفي للغة.

نشاط (5)

عزيزي الدارس،

لقد عدّ اللغويون العرب القدامى الهمزة، ومعها الألف والواو والياء، من الأحرف التي تدور حولها بحوث الاعلال وموضوعاته.

ولكنك تعلم، عزيزي الدارس، أن الهمزة تعدُّ من الصوامت، وليس من الحركات، أو أنصافها، فكيف تفسر ذلك؟ ولمساعدتك، في هذا المجال، فإننا ننصحك بقراءة بعض المراجع الصوتية الصرفية التي عالجت هذا الموضوع. ونحن نقترح عليك قراءة ما جاء في كتاب «المنهج الصوتي للبنية العربية» ص: 172، للدكتور عبدالصبور شاهين، فلعلك تجد فيه الكفاية والغَناء.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1- وضّح المقصود بالإعلال، ثم بيّن أنواعه.

2- حَدِّد المقصود بالإبدال، ثم بيِّن الهدف من ورائه.

2.7 تحول الواو أو الياء إلى همزة

عزيزي الدارس،

لعلّ من المفيد أن نتذكّر معاً، ونحن في مستهلّ حديثنا عن تغيرات الواو والياء إلى الهمزة، الحالاتِ التي توردها كتبُ التراث الصرفي، وتُقلَب بموجبها الواو أو الياء إلى همزة، وهذه الحالات هي:

1- أن تتطرف إحداهما بعد ألف زائدة، نحو: سماء، وبناء، وأصلهما: سماو، وبناي، على التتالي.

2- أن تقع إحداهما عيناً لاسم فاعلٍ فِعْلٍ أُعِلّتْ عينه نحو: قائل، وبائع، وأصلهما: قاول، وبايع على التتالي.

3- أن تقع إحداهما بعد ألف صيغة منتهى الجموع "مفاعل" وشبهه، وقد كانت مدّةً زائدة في المفرد، نحو: عجائز، وصحائف، فالمفرد فيهما هو: عجوز، وصحيفة، والواو في الكلمة الأولى، والياء في الكلمة الأخيرة، مدّتان زائدتان، أي أنّهما ليستا من بنية الكلمتين: عجز، وصحف.

4- أن تقع إحداهما ثاني حرفين ليّنين بينهما ألف مفاعل، سواء أكان اللينان ياءين، نحو: نيايف، جمع نيِّف، أم واوين، نحو: أوائل، جمع أوّل، أم مختلفين، نحو: سيائد، جمع سيّد، التي أصلها سَيْود. ففي هذه الأمثلة تقلب كل من الواو والياء الثانية إلى همزة، فتصبح الكلمات: نيائف، وأوائل، وسيائد، على الترتيب.

5- إذا اجتمعت في أول الكلمة واوان ثانيتهما متحركة مطلقاً، أو ساكنة متأصلة الواوية، نحو: أواصل، وأوّل، وأولى، وأصلها: وواصل، و: وُوَل، و: وولى على الترتيب.

6- إذا وقعت الياء بين ألف وياء النسب المشددة ما نحو: غائيّ، ورائيّ، وأصلهما: غاييّ، ورايي على التتالي.

عزيزي الدارس،

إذا حاولنا إعادة النظر معاً في أمثلة حالات الإعلال السابقة، من ناحية صوتية، فإننا نجد ما يلي:

الحالة الأولى:

وقعت، في أمثلة هذه الحالة، كلٌ من الواو والياء، وهما نصفا حركة Semi vowels، في نهاية مقطع طويلٍ مغلق: ص ح ح ص ، وكانتا مسبوقتين بفتحة طويلة، وذلك على النحو التالي: سماو: Sa + maaw ، بناي: bi + naay .

ومن المعلوم، في الدرس الصوتي، أن الواو (w) ، والياء (y) تشتركان مع الحركات الصرفة vowels ، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، في الملمح التقاربي Approximant feature ، ويقصد بهذا الملمح، عزيزي الدارس، اقتراب عضو نطق من عضو نطق آخر، دون أن يصل هذا التقارب بينهما حدّ الاحتكاك. ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات مصطلح الصوت المستمر غير الاحتكاكي Frictionless continuant. بَيْدَ أن الفارق بين نصفي الحركة، الواو والياء، من جهة، والحركات الأخرى كالفتحة، والكسرة، والضمة، من جهة أخرى، يكمن في أن ممر الهواء ، في القناة الصوتية، في أثناء إنتاج الأصوات الأولى، يكون أقلّ اتّساعاً من الوضع الذي يكون عليه ذلك الممر في أثناء إنتاج الحركات، ولكن الجامع بين هذين النوعين من الأصوات، هو أن مجرى الهواء في أثناء عملية الانتاج الصوتي، يكون أكثر انفتاحاً واتساعاً مما هو عليه في أثناء الصوامت الاحتكاكية Fricatives . وقد ذهب الدكتور ابراهيم أنيس إلى أن «الياء والواو يمثلان المرحلة التي عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن (أي الصامت) إلى صوت لين (أي حركة)» (الأصوات اللغوية، ص:42). ولهذا السبب فقد ذهب بعض اللغويين إلى أن الواو والياء "ليستا كسائر الحروف" (المنصف لابن جنّي 223/1، 224، وشرح الشافية 95/3)، وأنّهما صامتان ضعيفان (العربية الفصحى لهنري فليش، ص: 39، والقراءات القرآنية للدكتور عبدالصبور شاهين، ص: 43-44)، أو نصفا صامت كما يسميهما بعضهم (علم اللغة العام، الأصوات للدكتور كمال بشر، ص: 86)، بل إن برجشتراسر يعدّ "الواو والياء بين الحركات، أو الحروف الصائتة، vowels لا بين الحروف الصامتة" (التطور النحوي للغة العربية، ص: 46).

وبناءً على ما سبق، فقد اجتمعت في نهاية المقطعين الأخيرين لكلمتي: سماو، وبناي، وما كان على غرارهما من الكلمات، أصوات يجمع بينهما الملمح الحركي vocalic feature ، فعلى الرغم من أن كلاً من الواو والياء تقوم، من النّاحية الفونولوجية والوظيفية، بدور صامت، إلاّ أنّها، من الناحية الفوناتيكية، تنقصها بعض الخصائص التي تتّسم بها الصوامت الأخرى مثل الاحتكاك والانغلاق.

ومن ناحية أخرى، فقد اختتم المقطعان الأخيران للكلمتين السابقتين، كما ذكرنا، بصامت ضعيف، وقد زاد من ضعفه وقوعه في نهاية المقطع (سر صناعة الإعراب 93/1، 97)، وقد قرّر بعض اللغويّين أنّ الصوت الذي يقع في نهاية المقطع يكون في وضع أضعف من ذاك الذي يقع في بدايته. (ينظر رأي موريس جرامونت في هذا الصدد، في كتاب أثر

القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 234).

عزيزي الدارس،

وإذا ما أعدت النظر، ثانية، إلى المقطع الأخير في تلك الكلمات، موضع الدراسة، فإنك ترى تتابعاً صوتياً غير مرغوب فيه، في العربية، ونعني به تتالي حركة الفتحة الطويلة مع نصف الحركة الواو أو الياء، من هنا فقد كان لجوء اللغة العربية، أو لنقلْ الناطق العربي، إلى استبدال الهمزة بالواو أو الياء "وسيلة للهروب من تتابع الحركات، ومن ثمّ لتكون مقطع عربي سليم". (المنهج الصوتي للبنية العربية للدكتور عبدالصبور شاهين، ص: 175).

ولعلّ السبب الذي دفع الناطق إلى إغلاق المقطع الطويل بصامت انفجاري شديد هو الهمزة، بدلاً من الابقاء عليه مغلقاً بصامت احتكاكي، أو شبه احتكاكي ضعيف، أو بصوت قريب الشبه بالحركات - لعل السبب في ذلك يعود إلى أن الصوت الانفجاري يتمتع بصفة قوّة تميّزه من الصوت الاحتكاكي الرخو (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 137/1، والرعاية، ص: 117، 118، والنشر في القراءات العشر 202/1). وعلاوة على ذلك، فإن النطق بالصوت الانفجاري قد يكون، كما ذكر بعض اللغويين، أسهل على المرء من الصوت الاحتكاكي، ذلك أن «اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاءً محكما ينحبسُ معه النَّفَسُ ما يكون مع الأصوات الشديدة، من أن تقفَ حركَتُه عند مسافة قصيرة من الحنك ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة». (الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، ص: 236).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن استبدال الناطقين للهمزة بالواو أو الياء، في أمثلة هذه الحالة من الإعلال، يعود، فيما يبدو، إلى أن الأصل في الوقف هو السكون (شرح المفصّل، لابن يعيش 67/9)، ولهذا فإن "العربية تكره الوقف على مقطع مفتوح، ولذلك تتجه إلى اقفاله بوسيلة ما" (القراءات القرآنية للدكتور عبدالصبور شاهين، ص: 78، 81). وهذا الاتجاه للإغلاق المقطعي موجودٌ في العربية، وليس غريباً عنها، فقد حدث، في بعض الكلمات، إغلاقٌ لمقطعها المفتوح، كما جاء في كتب التراث، وها هو ذا سيبويه يَنُصُّ على أن الخليل قد زعم «أن بعضهم يقول: رأيت رَجُلأْ فيهمز، وهذه حُبَلأْ ... وسمعناهم يقولون: هو يَضْرِبُهأْ، فيهمز كلَّ ألف في الوقف... فإذا وصلتَ لم يكن هذا، لأن أخذك في ابتداء صوتٍ آخَرَ يمنعُ الصوتَ أن يبلغ تلك الغاية في السمع" (الكتاب 176/4-177، وينظر أيضاً سر صناعة الإعراب 74/1)، كما جاء في معجم لسان العرب أيضاً قول ابن منظور، في أثناء حديثه عن أنواع الهمزة:«ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل، لغة لبعض دون بعض، نحو قولهم للمرأة: قولئ، وللرجلين قولأْ، وللجميع قولؤ، وإذا وصلوا الكلام لم يهمزوا، ويهمزون " لا " إذا وقفوا عليها". (لسان العرب 21/1).

عزيزي الدارس،

ونودُّ أن نضيف إلى ما سبق أمراً آخر قد يسهم في تفسير هذه الظاهرة، وهو أن للهمزةِ المستبدلة بالواو أو الياء هنا «فضلاً عن مهمتها كوسيلةٍ لإقفال المقطع المفتوحِ وظيفة أخرى هي: تقوية النبر، فعلى الرغم من أنه نبر طول فإنّ اختتام المقطع المنبور بصوت نبريّ يمنح النبرَ قوةً أخرى، وهذا يعني أن الناطق قد شعر بضرورة تقوية النبر الطولي في الكلمة، فعمد إلى تقويته بنبر الهمزة (القراءات القرآنية، ص: 86-87، وعلم الأصوات، لمالمبرج، ترجمة د.عبدالصبور شاهين، ص: 198).

وعلى هذا، فإنّ كلّ ما حدث، في هذه الحالة، يتمثل في قلب الواو والياء إلى صامت قوي هو الهمزة، كي يتحقق بذلك إغلاق حقيقي للمقطع عن طريق الصوامت لا أنصافها ، أو أنصاف الحركات:

Sa _ maaʔ : سماء ← Sa + maaw : سماو

bi + naaʔ : بناء ← bi + naay : بناي

والمعادلة الصوتية المقطعية التالية توضّح ذلك:

a aʔ ← a ay - a aʔ ← aaw

تدريب (7)

1- ما التفسير الصوتي الذي يمكن تقديمه لقلب الواو والياء في بعض البنى، مثل: دعاو، وبناي إلى همزة.

2- ما الخصائص والملامح التي تميز الواو والياء، باعتبارهما نصفي حركة، من الناحيتين الفونولوجية، والفوناتيكية ؟

الحالات الثانية والثالثة والرابعة:

عزيزي الدارس،

وقعت، في هذه الحالات، كلٌّ من الواو والياء، في بداية مقطع متوسط مغلق: ص ح ص في حالة الوقف، أو مقطع قصير ص ح في حالة الوصل، ووقعت هذه الأصوات، في الوقت نفسه، مسبوقة بمقطع متوسط مفتوح: ص ح ح ، ومعنى هذا أن نصف الحركة، في أمثلة الحالات الثلاثة المختلفة، وقعت بين حركة طويلة سابقة، هي الفتحة الطويلة، وحركة قصيرة تالية، هي الكسرة القصيرة، وذلك على النحو التالي:

قاول : qaa + wil ، بايع : baa + yic

عجاوز : ca + Jaa aa + wiz ، صحايف : sa + haa + yif

أواول : a + waa + wil   نيايف : na + yaa + yif
سياود : sa + yaa + wid

عزيزي الدارس،

يتّضح لك، من خلال استعراض هذه الأمثلة، وما كان على غرارها، أنّ النسيج المقطعي لها جاء مشتملاً على سلسلة طويلة ومتواصلة من الأصوات التي يجمع بينها الملمح الحركي، وفي أثناء النطق بهذا النوع من الأصوات يتسع الممر الهوائي في القناة الصوتية، ولا شكَّ في أنّ في هذا التعاقب الصوتي المؤدي إلى اتّساع الممر الهوائي، على نحو متواصل، في أثناء عملية النطق، نوعاً من الصعوبة، ولهذا فقد عمد الناطق إلى قلب الصوت الأوسط، في تلك السلاسل الصوتية، وهو الواو أو الياء، إلى صامت انفجاري "نبري" قوي هو الهمزة، بهدف تلافي ذلك النوع من التعاقب الصوتي، وقد أدى ذلك إلى إغلاق القناة الصوتية في مرحلة متوسطة من مراحل انفتاحها، على النحو التالي:

1- في الأمثلة الأربعة الأولى:

قاول ← قائل ، بايع ← بائع ، عجاوز ← عجائز، صحايف ← صحائف

..aa + ʾi ... ← ...aa + yi ... ، ... aa + ʾi ... ← .. aa + wi ..

2- في الأمثلة الثلاثة الأخيرة:

أواول ← أوائل، نيايف ← نيائف ، سياود ← سيائد

ويتّضحُ التعاقبُ الصوتي ذو الملمح الحركي، في هذه الأمثلة الأخيرة، عزيزي الدارس، على نَحْوٍ أشدّ مما هو عليه في الأمثلة السابقة:

... a + waa + ʾi ... <---- ... a + waa + wi ...

... a + yaa + ʾi ... <---- ... a + yaa + yi ...

... a + yaa + ʾi ... <---- ... a + yaa + wi ...

وعلى هذا، فقد أدى الهمزُ، في هذه الأمثلة، في مجموعها، إلى تحقيق هدفين:

الأول: التخلص من تعاقب الحركات، وأنصاف الحركات وتتابعها.

والآخر: نبْر بعض المقاطع بالهمزة، وتحويل نبر الطول إلى توتّر.

ومن ناحية أخرى، فقد جاء المقطع الأخير، في بنى الأمثلة الواردة في هذه الحالات، مبدوءاً، كما ذكرنا، بنصف حركة تقوم، من الناحية الفونولوجية والوظيفية المقطعية، بدور صامت، غير أنها، من الناحية الفوناتيكية، تنقصها خصائص بعض الصوامت كالاحتكاك والانغلاق، على نحو ما ذكرنا في الحالة السابقة، فضلاً عن كونها؛ أي نصف الحركة، الواو أو الياء، صامتاً ضعيفاً في ذاتها، وضعيفاً في موقعها، حيث جاءت متوسطةً بين حركات،

مما أدّى إلى زيادة ضَعْفها. وقد نصّ هنري فليش على أن الواو والياء، هما صامتان ضعيفان، وقعا بين مصوتات (أي حركات) فزاد ضَعْفُهما، كما أن كلاً منهما قد تلاها مصوت (أي حركة) مكروه من جنسها أو مغاير لها... ويعدّ موقع ما بين المصوتات (أي الحركات)، بصفة عامة، وضعاً ضعيفاً بالنسبة إلى صامت ما. (القراءات القرآنية، ص: 61 والعربية الفُصحى، ص: 46-47)، وخاصةً إذا كان هذا "الصامت"، في ذاته، ضعيفاً مثل الواو والياء.

وزيادة على ما سبق، فإن بداية المقطع، الذي يُفترض أن يكون متّسماً بالقوة، نظراً لاهتمام عضلات النطق بإصداره، كما يقول جرامونت (أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص: 234) جاء مبدوءاً بصوت ضعيف هو الواو، أو الياء، الأمر الذي أدى إلى ضرورة البحث عن صوت بديل يَتّسم بالقوة، فكان صوت الهمزة "النبري".

عزيزي الدارس،

ونود أن نشير، علاوة على ما سبق، إلى أن في تغيير إحدى الواويين أو الياءين، إلى همزة فيّ المثالين: أواول، ونيايف، نوعاً من المخالفة الصوتية، التي يفرّ إليها الناطقون، في بعض السياقات، لتحقيق قَدْرٍ من الانسجام في مكونات السلسلة الصوتية لبعض البنى اللغويّة، وفضلاً عن ذلك، فان اجتماع واوين، أو ياءين، أو واو وياء، وهما صامتان ضعيفان، كما ذكرنا غير مرّة، من شأنه أن يزيد ضَعْفَ البِنْيَة، فكان اللجوءُ إلى استبدال صامت "نبري" قويّ، هو الهمزة؛ بأحدهما، وسيلة من وسائل إكساب البنية الخفة مع القوة في آنٍ.

الحالة الخامسة:

عزيزي الدارس،

جاء النسيجُ المقطعيُ لأمْثلةِ هذه الحالة على النّحو التالي:

واصل : wa + waa + ṣil ، وول: wu + wal

وُولَى wuw + laa

فقد وقعت الواو، في المثالين الأولين، في بداية مقطع قصير: ص ح ، كما وقعت، في المثال الأخير، في مطلع onset مقطع متوسط مغلق: ص ح ص وخاتمته coda أيضاً.

ولما كانت الواو، مَثَلُها في ذلك مَثَلُ الياء، صامتاً ضعيفاً في ذاته، وضعيفاً في مَوْقِعِه، إذْ وقع في بداية مقطع يفترض أن يكون قوياً، كان لا مفرّ من تغييره وقلبه إلى صامت «نبري» قوي هو الهمزة.

وعلاوة على ذلك، فإن الواو، كما ذكر مكيُ بنُ أبي طالب، وغيره من اللغويين العرب أيضاً «ثقيلة إذا تحركت»، كما هو الحال في هذه الأمثلة، ولكنّ هذا الثقل يزداد إذا كانت الحركة التي عليها ضمة (الرعاية ص: 235)، أو على حدّ قول هنري فليش كراهة النطق

بالصوامت الضعيفة - الواو والياء - مشكلة بمصوتات (أي حركات) من جنسها". (العربية الفصحى ص: 48).

وقد نصّ صاحب الرعاية أيضاً (ص: 236) على أن الواو "إذا ثقلت الحركة عليها سارعت إلى أن تبدل همزة، وعلاوة على ذلك، فان اجتماع المثلين المتحركين في أول الكلمة، كما قرر اللغويون العرب مستثقل (ينظر، على سبيل المثال، شرح الشافية 76/3، 114، والممتع في التصريف، لابن عصفور 332/1)، ولما كانت الواو أثقل حروف العلة، وكانت الضمة أثقل الحركات، كما قرر اللغويّون العرب أيضاً (ينظر، على سبيل المثال، شرح الشافية 76/3، 166، 167، 168، 194، وسرّ صناعة الأعراب 585/2) فقد أدى اجتماع واوين، في بداية أمثلة هذه الحالة، إلى مضاعفة الاستثقال، مما أدى إلى قلب الواو الأولى، في تلك الأمثلة، إلى همزة، وذلك بهدف إجراء تغيير من شأنه أن يخفّفَ من ثقل اجتماع الواوين في البنية.

ويؤيد ذلك، عزيزي الدارس، ما ذهب إليه ابن جنّي عندما قال بأنه "إذا التقت واوان، في أول الكلمة، لم يكن من همز الأولى بدّ"، (سر الصناعة 98/1)، كما نصّ هو نفسه على ذلك أيضاً عندما قال في موضع آخر: "إذا اجتمعت واوان في أول كلمة فلا بد من همز الأولى منهما"، (المنصف 217/1)، كما نصّ أيضاً على "أن الواو إذا انضمّت فَرُّوا مِنْها إلى الهمزة". (المرجع السابق 284/1).

عزيزي الدارس،

لو أعدت النظر، مرةً أخرى في الأمثلةِ السابقة، لوجَدْتَ المقطعين الأوليْن في الكلمتين الأولين: wa + waa و : wu + wa ، والمقطع الأول في الكلمة الأخيرة ... + wuw - مكونة من تتابع حركي على النحو التالي:

نصف حركة + حركة قصيرة + نصف حركة + حركة طويلة، و : نصف حركة + حركة قصيرة + نصف حركة ، وهذا التتابع المتّسم بالملمح الحركي من شأنه أن "يضعف النظام المقطعي ... ولأنّهُ يجعل النطق ثقيلاً من وجهة نظر القدماء، (المنهج الصوتي، ص 174، والقراءات القرآنية، ص: 79، وسر الصناعة 22/1) وخاصةً أنَّ هذا النظام يرفض، في العربية، البَدْءَ بالحركة، ولهذا فقد جرى النطق العربي لهذه الكلمات "على نبر مقطعها الأول، تفادياً للنطق بحركة في بدء الكلمة" (القراءات القرآنية، ص: 92).

وزيادة على ما سبق، فإن استْبدال الهمزة، وهي صوت انفجاري «نبري» قوي، بنصف الحركة، الواو، من شأنه أن يحدث نوعاً من المخالفة الصوتية بين الأصوات المتجاورة. وتعدُّ المخالفةُ الصوتية نوعاً من التغيير الصوتي في بَعْض البنى، وذلك من أجل تجنُّب بذل المجهود العضلي الناجم عن تكرار صوتين متماثلين في كلمة واحدة. (التطور اللغوي للدكتور رمضان عبدالتواب، ص: 64).

عزيزي الدارس،

ومن المفيد أن نشير، في هذا المجال، إلى أن الناطق العربي قام، في الكلمة الأخيرة، فضلاً عن قلب الواو الأولى همزة wuw + laa ----> ʔuw +laa،. بخطوة أخرى، تمثلت بقلب الواو الأخيرة إلى ضمة قصيرة، كوّنت مع الضمة القصيرة السّابقة عليها، ضمّة طويلة، مما أدّى إلى تجنب إغلاق المقطع بصامت ضعيف، هو الواو، وتغييره إلى حركة قصيرة ألفت مع سابقتها المماثلة لها حركة طويلة: ʔuw + laa ----> ʔuu + laa، وهي صوت انطلاقي قوي يخرج من "منطقة الفم بعيداً عن الحنجرة والحلق واللهاة، ثم هي أصوات مجهورة، بل هي أعلى الأصوات إسماعاً. (المنهج الصوتي، ص: 172 وينظر أيضاً الأصوات اللغوية ص: 27، 43).

وقد ترتّب على ذلك، إعادةُ تشكيل النسيج المقطعي للبنية، إذْ تحول المقطع المتوسط المغلق: ص ح ص إلى مقطع متوسط مفتوح: ص ح ح ، وهذا يدعمُ كون الصوت الأخير، في هذا المقطع، ضمة طويلة، وليس واواً، كما اعتقد علماؤنا القدامى، بناء على نوع الرسم الكتابي العربي، الذي لم يكن يفرق بين الواو، بوصفها نصْف حركة، والواو بوصفها ضمّة طويلة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن النسيج المقطعي الجديد قد تخلص من الحركة المزدوجة Diphthong، وهي حركة مؤلفة، في المقطع الذي تمّ التخلص منه، من ضمة قصيرة، وواو (uw). ويعدُّ النطقُ بهذا النوع من الحركات، بعامة، أمراً صعباً بالقياس إلى النطق بالحركة البسيطة، كما يعدّ النطق بالحركة المزدوجة الواردة في المقطع السابق (uw) بخاصة، أكثر صعوبة نظراً لأنها مؤلفة من ضمة متلوّة بواو، وقد نصّ القدماءُ على أن "الواو المضموم ما قبلها ثقيل على ثقيل "(شرح الشافية 168/3). ولهذا فقد وجدنا النطق اللهجي يلجأ، في الأعم الأغلب، إلى تحويل هذا النوع من الحركات إلى حركة طويلة بسيطة، ومن الأمثلة على ذلك، كما مر معك، عزيزي الدارس في بند رقم (6) ، من هذه الوحدة، تحول الحركتين المزدوجتين (aw) ، و (ay) وإلى حركتين بسيطتين طويلتين ممالتين هما: (oo) و (ee) على التوالي، كما في كلمتي: لَوْن lawn ← لون loon ، وبَيْت bayt ← بيت beet .

أسئلة التقويم الذاتي (6)

عزيزي الدارس،

على ضوء دراستك لظاهرة المخالفة الصوتية، فإن بوسعك تقديم تفسير لقلب الواو والياء في بنى لغوية مثل: أواول، و:نيايف، و: وواصل، و: وول، و: وُولى، وغيرها إلى همزة.

عزيزي الدارس،

حاول ذلك مستعيناً بما درسته في موضوع المخالفة الصوتية ودورها في إحداث الانسجام بين الأصوات المتجاورة في داخل بعض البنى اللغوية.

الحالة الأخيرة:

وفي أمثلة الحالة الأخيرة، جاء النسيج المقطعي فيها، عزيزي الدارس، مؤلفاً على النحو التالي: غايِيٌ ɣ a a + yiyy و: رايِيٌ raa + yiyy .

فقد وقعت الياء، وهي نصف حركة، أو صامت ضعيف، في هذين المثالين، وما كان على غرارهما، في بداية مقطع طويل مزدوج الإغلاق، وقد عمد الناطق العربي إلى قلب الياء التي تعدّ، وهي متحركة، ثقيلة إلى صوت "نبري" قوي يستهل به المقطع، هو صوت الهمزة، الذي أدى - فضلاً عن استهلال المقطع بصامت حقيقي قوي - إلى إحداث مخالفة بين الأصوات المتجاورة:

غايِيٌ : ɣ aa + yiyy ← غائيٌ: ɣaa+ʔiyy

رايِيٌ : raa + yiyy ← رائيٌ: raa + ʔiyy

وفضلاً عن ذلك، فقد وقعت الياء الأولى، وهي نصف حركة، بين حركة سابقة، هي الفتحة الطويلة. وحركة تالية، هي الكسرة القصيرة، وقد مرّ معك سابقاً، عزيزي الدارس، أن وقوع نصفي الحركة، الواو والياء، وهما صامتان ضعيفان في ذاتهما، بين الحركات، يزيد من ضعفهما. زدْ على ذلك أن الياء الأولى، في أمثلة هذه الحالة، جاءت متلوة بحركة من جنسها، وهي الكسرة، وقد عرفت، فيما سبق أيضاً، رأي هنري فليش (القراءات القرآنية، ص: 55-56) حول الكراهة النطقية الناجمة عن أداء الصامتين الضعيفين، الواو والياء، مع حركة من جنسهما، كما هو الحال مع الأمثلة السابقة.

وتجدر الاشارة إلى أن الإغلاق المقطعي لأمثلة هذا النوع من الكلمات، جاء مؤلفاً من ياءين مدغمتين. وقد اقتصرت عملية الإعلال، وقلب الياء إلى همزة، على الياء الأولى، دون الياءين الأخيرتين، أو إحداهما. ويعود السبب في ذلك، عزيزي الدارس، فيما يبدو لنا، إلى طبيعة هذا الاغلاق للمقطع، فقد اجتمعت في نهاية هذا المقطع، كما عرفت، ياءان، وهما صامتان ضعيفان، ولكن التشديد أو التضعيف من شأنه أن يقوي الحرف، بل إن من شأنه أن يحول نصف الحركة ويصيّره «كالحرف الصحيح». (شرح الشافية 78/3، 192).

3.7 تحول الهمزة إلى واو أو ياء

عزيزي الدارس،

إن أول ما يجدر بك معرفته، في هذه الحالة، هو أن الأمثلة فيها تسير على نحو مغاير لتلك الأمثلة التي وردت في الحالة السابقة؛ أي أنّ الهمزة، وهي صامت، وليست حركة، أو نصف حركة، هي التي تكون موضع تأثر، فتنقلب إلى واو، أو ياء، وهو ما يطلق عليه، في الدرس اللغوي الحديث، مصطلح: Vocalism أو :Vocalization (معجم علم اللغة النظري، للدكتور محمد علي الخولي، ص: 302-303).

لقد عالج علماء الصرف العرب أمثلة هذه الحالة في موضوعين من موضوعات الإعلال، يعنينا منها، في هذه الدراسة، موضوع واحد، هو حالة التقاء همزتين في كلمة واحدة. ففي هذه الحالة تكون الهمزة الثانية هي موضع الإعلال والقلب والتغيير، ولا تخلو هذه الهمزة، عزيزي الدارس، من أن تكون ساكنة، أو متحركة:

1. فإذا كانت الهمزة الأولى متحركة، وهذا هو شأنها دائماً، والثانية ساكنة، فإن الهمزة الثانية تقلب إلى حركة من جنس الحركة السابقة عليها، ومن أمثلة ذلك، الكلمات:

آمن، وأومن، وإيمان، وأصلها هو: أأمن، أأمِن و: إئمان، على التوالي.

2. أما إذا كانت الهمزتان، الأولى والثانية، متحركتين، فإنهما تردان على النحو التالي:

أ- أن تكون الهمزتان مفتوحتين، نحو: أوادم (جمع آدم) وأصلها: أءادم

ب- أن تكون الهمزة الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة، نحو: أُوَيْدم (تصغير آدم)، وأصلها: أأيْدم.

جـ- أن تكون الهمزة الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، نحو: أيمة (جمع إمام)، وأصلها: أئِمّة

عزيزي الدارس،

1. إنّ أمثلة الحالة الأولى تقدم لنا البنى المقطعية والصوتية التالية:

أأمن: ʔa ʔ + man ، أؤمن: ʔu ʔ + min ، إئمان: ʔii + maan

فقد استهلّ النسيج المقطعي لهذه الكلمات، وما كان على شاكلتها، بمقطع متوسط مغلق: ص ح ص شغلت فيه كل من الفتحة، والضمة، والكسرة، على التوالي، موقع القمّة أو النواة Peak/Nucleus، في حين شغلت فيه الهمزة موقعي المطلع Onest، والخاتمة Coda معاً، ولعلّه لا يغيب عن ذهنك، عزيزي الدارس، أن النطق بصوت الهمزة منفردة يعدّ، كما وصفها اللغويون، "من أشقّ الأصوات" لأنها تحتاج "إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أيّ صوت آخر" (الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس، ص:90، 236)، كما "أن النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية" (في اللهجات العربية، للدكتور إبراهيم أنليس، 77)، وقد نصّ برجشتراسر على أن "الهمزة أصعب إخراجاً من غيرها من الحروف،

فينبغي لإخراجها تغليق فم الحنجرة، وهو مفتوح في غيرها، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام " (التطور النحوي، ص: 42). وقد لمس القدامى من اللغويين العرب هذه الحقيقة، التي ذهب إليها المعاصرون، فأجمعوا على صعوبة الهمزة وآستثقالهم لها [شرح المفصل، 107/9، 116، 134/10، والرعاية، ص133، 145، 149، وسر صناعة الإعراب 71/1)

ولكن المقطع الذي بين يديك، عزيزي الدارس، والذي تضمنته الأمثلة المدروسة، جاء مشتملاً على همزتين لا تفصل بينهما سوى حركة قصيرة، مما يزيد الأمر صعوبة واستثقالاً (سر الصناعة 579/2)، "ولذلك لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل كلمة" (الرعاية، ص146)، وذلك لأنه " استثقل الجمع بين همزتين في كلمة، حتى إن أكثر العرب لا تستعمله، لأن الصوت في ذلك يتكرر بتكلف شديد". [المرجع السابق، ص133]. وقد نصّ ابن جنّي على أنه "إنما لم تجتمع الفاء والعين، ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة.. فكان النطق به تكلفاً، فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهُمْ باستكراه الثنتين ورفضهما .. أحرى". (سر الصناعة، 71/1). وإلى ذلك ذهب أيضاً كلٌ من صاحب المفصل وشارحه ابن يعيش (116/9)، وصاحب المنصف (52/2).

عزيزي الدارس،

إن كل ما حدث، في أمثلة هذه الحالة، التي استثقل فيها اجتماع همزتين قد تمثل في إحداث مخالفة بين "حرفين متماثلين، لكن يختلف هذا التخالف عن الأنواع الأخرى، بأنّ نتيجته تسهيل النطق .... إذْ إن الهمزة أصعب إخراجاً من غيرها من الحروف". (التطور النحويّ لبرجشتراسر، ص42).

ولقد تجسد هذا التخالف، الذي كان نتيجة للاستثقال، ووسيلة للتيسير والتسهيل، تجسد بقلب الهمزة الثانية إلى حركة قصيرة من جنس الحركة القصيرة السابقة عليها، وذلك على النحو التالي:

أأمن: ʔaʔ + man ⟵ آمن: ʔaa + man

أؤمن: ʔuʔ + min ⟵ أومن: ʔuu + min

إئمان: ʔiʔ + maan ⟵ آمن: ʔii + maan

وقد ترتّب على هذا التغيّر الصوتي إعادة تشكيل النسيج المقطعي للكلمات المعلّة، حيث استبدل الناطق بالمقطع المتوسط المغلق: ص ح ص، مقطعاً متوسطاً مفتوحاً: ص ح ح. ومن الجدير بالمعرفة، عزيزي الدارس، أن الهمزة التي تعرضت لعملية القلب والتغيير، في الأمثلة السابقة، لم تقلب إلى ألف، أو واو، أو ياء، كما ذكرت لنا كتب التراث الصرفي، وإنما قلبت، كما يوضح لنا التحليل الصوتي، إلى حركةٍ قصيرةٍ هي: الفتحة، والضمة،

والكسرة على التتالي، فكوّنت كلّ حركةٍ من هذه الحركاتِ مع الحركةِ السابقة عليها، والمجانسة لها حركة طويلة Long Vowel، هي الفتحة الطويلة، والضمة الطويلة، والكسرة الطويلة على التتالي، وبعبارة أخرى، فقد تمّ استبدال الحركة القصيرة بالصامت، وهو الهمزة الثانية، ولم يتم استبدال الألف، أو الواو، أو الياء بالهمزة، كما ذكرت كتب التراث.

عزيزي الدارس،

لعلك تشاركنا الرأي في أن السبب الذي أوقع علماءنا القدامى الأجلاء في هذا الوصف غير الدقيق لعملية القلب والإعلال، في هذه الحالة والحالات المشابهة أيضاً، يعود إلى اعتمادهم، في عملية التحليل والتفسير والتقعيد، على الشكل الكتابي المُحْدثْ للّبس، لا على النطق الواقعي للأصوات.

2. أما أمثلة الحالة الثانية، فإنّها تقدم لك، عزيزي الدارس، البنى المقطعية والصوتية التالية:

أأدم: ʾa + ʾaa + dim ، أئمّة: ʾa + ʾim + mat ، أأيدم: ʾu + ʾay + dim

لقد استثقل المتكلم النطق بهمزتين متواليتين لا يفصل بينهما سوى حركة قصيرة، فعمد إلى التخفيف من شدّة الهمز المتكرر عن طريق قلب الهمزة الثانية إلى نصف حركة، أو، لنقل، إلى "صامت احتكاكي ضعيف"، من شأنه أن يحدث توازناً وتعديلاً للحدة الناجمة عن نطق همزتين متتاليتين، وكان هذا الصوت هو الواو المتلوّة بفتحة، كما في المثالين الأول والثالث، والياء المتلوّة بكسرة، كما في المثال الأخير (الممتع في التصريف، لابن عصفور 366/1، 367) وذلك على النحو التالي:

أأدم: ʾa + ʾaa + dim ⟵ أوادم: ʾa + waa + dim

أئمة: ʾa + ʾim + mat ⟵ أيمة: ʾa + yim + mat

أأيدم: ʾu + ʾay + dim ⟵ أويدم: ʾu + way + dim

تدريب (8)

عزيزي الدارس،

1. لقد ذكرت كتب التراث الصرفي أن الهمزة الثانية، في مثل: أأمن، وأؤمن، وإئمان، قد قلبت إلى ألف، وواو، وياء على التتالي.
والآن، عزيزي الدارس، ما رأيك في هذا الأمر على ضوء دراستك الصوتية؟

2. ما التفسير الصوتي لعملية قلب الهمزة الثانية في بنى مثل:
أأمن، و: أؤمن، و: إئمان، وأمثالها إلى حركة من جنس سابقتها؟

4.7 تحول الواو إلى ياء:

عزيزي الدارس،

ننتقل بك الآن إلى الحالة الثالثة من حالات التغير الذي يلحق بعض الأصوات العربية، وذلك في إطار ما عرفت في مستهل هذا الجانب من الوحدة، وهو الإعلال، وتتناول هذه الحالة دراسة التغيرات التي تلحق صوت الواو، وتحوله إلى ياء.

عزيزي الدارس،

لعلك ما زلت تذكر الحالات الكثيرة التي درستها في كتب الصرف العربي، والتي تتناول البيئات البنيوية المختلفة التي تقلب فيها الواو ياء.

ولكنّنا سنحاول، فيما يلي من صفحات، تجميع الحالات المختلفة التي تربطها، أو تجمع بينها أحكام واحدة أو متقاربة في هذا المجال، ويمكننا إجمال ذلك لك على النحو التالي:

1 . وقوع الواو إثر كسر، نحو: رَضِيَ، وأكْسِيَة، وصِيام، وانقِياد، ودِيار، وحِياض، وأصلها: رَضِو، وأكْسِوَة، وصِوام، وانقِواد، ودِوار، وحِواض، على التوالي.

2 . وقوع الواو ساكنة غير مشدّدة إثر كسر نحو: مِيزان، ومِيعاد، وأصلهما: مِوْزان، ومِوْعاد.

3 . وقوع الواو والياء متصلتين في كلمة واحدة، شريطةً كون أولهما أصيلاً ساكناً، نحو: طيّ، وسيّد، وريّان، وأصلها: طوْي، وسيْود، ورَوْيان، على الترتيب.

4 . وقوع الواو لاماً في صيغة اسم المفعول من الفعل الذي ماضيه على وزن (فَعِل)، نحو: مرضيّ، وأصلها: مرضوو، أو وقوعها لاماً في صيغة فعول، نحو: عصيّ، وأصلها: عصوو.

فقد قلبت الواو الأخيرة، في هذين المثالين، وما كان على غرارهما، ياءً، فأصبحت البنية هكذا: مَرْضوي، وعصوي، ثم قلبت الواو الأولى ياءً، وأدغمت في الياء الثانية فأصبحت البنية، بعد ذلك، مُرْضُيّ، وعُصُيّ ثم كسر الحرف السابق عليهما فأصبحت البنية، في صيغتها النهائية هكذا: مَرْضِيّ، وعِصِيّ.

5. وقوع الواو متطرفةً رابعةً فصاعداً، ومسبوقة بفتحة، نحو: أعْطَيْت، وزكّيْت، وأصلهما: أعْطَوت، وزكّوْت.

6 . وقوع الواو لاماً لصيغة فُعْلى، نحو: دُنْيا، وعُلْيا، وأصلهما: دُنوا، وعُلوى

عزيزي الدارس،

إذا حاولنا إعادة النّظر، معاً، في أمثلة حالات الإعلال السابقة، من ناحية صوتية، فإننا نجد ما يلي:

الحالة الأولى:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية التالية:

رضو: ra + ḍi + wa ⟵ رضي: ra + ḍi + ya

أكسوه: ʾak + si + wah ⟵ أكسيه: ʾak + si + yah

صوام: ṣi + waam ⟵ صيام: ṣi + yaam

انقواد: ʾin + qi + waad ⟵ انقياد: ʾin + qi + yaad

دوار: di + waar ⟵ ديار: di + yaar

حواض: ḥi + waaḍ ⟵ حياض: hi + yaaḍ

ففي هذه الأمثلة، كما تلاحظ، عزيزي الدارس، وقعت الكسرة، وهي حركة قصيرة، في نهاية مقطع، متلوّة بمقطع آخر مبدوء بواو، وهي نصف حركة، وهذا يستدعى انتقالاً مباشراً من منطقة نطق الكسرة، وهي منطقة أمامية - يرتفع في أثناء النطق بها الجزء الأمامي من اللسان في اتجاه الغار Palate، دون أن يؤدي هذا الارتفاع إلى إعاقة في مجرى الهواء الصادر من الرئتين- إلى منطقة نطق نصف حركة، الواو، وهي منطقة خلفية تقترب، في أثناء النطق بها، مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق Velum اقتراباً يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور دون إحداث احتكاك مسموع، وقد نصّ هنري فليش على أنه "عندما تلتقي الواو بالكسرة قد يحدث أن ترى نوعاً من تكلف النطق وثقله. فلكي ننطق بالواو تستدير الشفتان، ولكي ننطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان" (العربية الفصحى، ص: 204).

ولا شك في أن هذا الانتقال، مع ما يصاحبه من آلية استدارة وانفراج متعاقبة للشفتين ينطوي، نسبياً، على شيء من الصعوبة، نظراً لكونه انتقالاً بين أصوات متخالفة، لذا، فقد عمد الناطق إلى تحويل الواو إلى نصف حركة من جنس الكسرة السابقة، ونعني بها الياء، وذلك بهدف إحداث نوع من التجانس والتماثل بين الأصوات المتجاورة على النحو التالي:

... i + wa ⟵ ... i + ya

... i + waa ⟵ ... i + yaa

الحالة الثانية

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة، عزيزي الدارس، البنى المقطعية والصوتية التالية:

مِوْزان: miw + zaan ⟵ ميزان: mii + zaan

مِوْعاد: miw + aad ⟵ ميعاد: mii + aad

وفيها وقعت الواو في نهاية مقطع متوسط مغلق: ص ح ص، وكانت مسبوقة بكسرة قصيرة، وقد نتج عن ذلك حدوث حركة مزدوجة Diphthong مؤلفة من كسرة قصيرة ونصف حركة هي الواو (iw).

ويعد النطق بهذا النوع من الحركات، كما ذكرنا لك غير مرة، أمراً صعباً بالقياس إلى النطق بالحركة البسيطة.

إن كل ما حدث في أمثلة هذه الحالة، يتمثل في أن الناطق قد عمد إلى حل الحركة المزدوجة عن طريق قلب نصف الحركة الواو -التي أضعفها وقوعها في نهاية المقطع ساكنة، والتي عدّها اللغويون القدامى "أثقل حروف العلة" (شرح الشافية 76/3، 167، 194)- إلى كسرة قصيرة تتّسم، بالقياس إلى أنصاف الحركات، والصوامت أيضاً، بالقوة والوضوح السمعي، فضلاً عن وصف اللغويين القدامى لها بأنها أخف من الواو، ولقد أدى التقاء هذه الكسرة القصيرة، التي استبدلت بالواو، مع الكسرة القصيرة السابقة عليها، إلى تكوين حركة طويلة بسيطة،، هي الكسرة الطويلة: iw ←—— ii، التي تعد، بطبيعة الحال، وكما علمت، عزيزي الدارس، سابقاً، أخفّ من الحركة المزدوجة، وقد ترتب على هذا التحوّل الصوتي تغيير مقطعي، حيث أصبح المقطع المتوسط المغلق مقطعاً متوسطاً مفتوحاً:

ص ح ص ←—— ص ح ح، فضلاً عن حدوث تجانس وتماثل بين الأصوات المتجاورة.

وعلى هذا، فإن الآلية التي حكمت عملية التغير الصوتي، في هذا النوع من الأمثلة، تمثلت في حذف الصامت الضعيف في ذاته، الذي ازداد ضعفاً بوقوعه ساكناً، ونعني به الواو، من آخر المقطع، وإطالة حركة الكسرة القصيرة القوية في ذاتها وفي موقعها، أوْ قُلْ: عزيزي الدارس، إن شئت، إنها تمثلت في تأثر الواو الضعيفة، الواقعة ساكنة في خاتمة المقطع، بالكسرة القصيرة القوية الواقعة في نواة المقطع تأثراً تقدمياً، مما أدّى إلى قلب الواو إلى حركة مماثلة للحركة القصيرة السابقة عليها، ونعني بها الكسرة القصيرة، وتكوين حركة طويلة هي الكسرة الطويلة.

وبناءً على ذلك، فلا وجه للقول، عزيزي الدارس، بأن الواو قد قلبت إلى ياء، كما تذكر لنا كتب التراث، ولا شك لدينا ولديك أيضاً ، في أن طريقة الكتابة العربية، التي لم تكن تفرق بين الياء، بوصفها نصف حركة، والياء، بوصفها كسرة طويلة، هي المسئولة عن مثل هذا الخلط في الوصف والتفسير والتقعيد

أسئلة التقويم الذاتي (7)

1- وضّح السبب الذي تقلب من أجله الواو إلى ياء في بنى لغوية، مثل: دِوار، وصِوام، وسِواقة، من ناحية صوتية.

2- ذكرت كتب التراث الصرفي أن الواو الساكنة، في مثل: مِوْزات، ومِوْقات، قد قلبت إلى ياء، لإحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة.
ما رأيك، عزيزي الدارس، في هذا الكلام، على ضوء دراستك له من ناحية صوتية.

3- انطوت عملية تسهيل النطق بكلمة "مِوْزان"، وما كان على مثالها، بالإضافة إلى قلب الواو الساكنة إلى كسرة قصيرة كوّنت مع مثيلتها السابقة عليها كسرة طويلة -انطوت على عملية تسهيل نطقي آخر.
والمطلوب منك، عزيزي الدارس، هو أن توضح هذا الجانب من جوانب تسهيل النطق الذي حدث في هذه الكلمة وأمثالها.

الحالة الثالثة

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة، عزيزي الدارس، البنى المقطعية والصوتية التالية:

طوْي : ṭawy ⟵ طيّ: ṭayy

سيْود: say + wid ⟵ سيِّد: say + yid

روْيان: raw + yaan ⟵ ريّان: ray + yaan

ففي هذه الأمثلة، وما كان على شاكلتها، وقعت الواو والياء، بوصفهما نصفي حركة، متجاورتين، ودونما فاصل، داخل مقطع واحد من النوع الطويل المزدوج الإغلاق: ص ح ص ص، كما في المثال الأول، ووقعتا متجاورتين أيضاً، أولاهما في نهاية مقطع متوسط مغلق: ص ح ص، وثانيتهما في بداية مقطع آخر، أحدهما متوسط مغلق، والآخر طويل مغلق، كما في المثالين الأخيرين..

إن كل ما حدث في الحالة الأولى، يتمثل في تأثير الياء في الواو تأثيراً رجعياً، وذلك رغبة من اللغة، أو الناطقين بها، في إغلاق المقطع المستثقل، في حد ذاته، والذي زاد استثقاله بإغلاقه بنصفي حركة مختلفتين في المخرج، وفي أوضاع اللسان والشفتين -بنصف حركة مضعّفة متماثلة، ليكون العمل، على حدّ قول ابن جنّي "من وجهٍ واحد" (سر الصناعة 685/2، ولما في ذلك من سهولة بالقياس إلى إغلاقه بنصفي حركة مختلفتين. وعلاوة على ذلك فإن الياء تعدّ أيسر في النطق من الواو، وبخاصة في نهاية الكلمة.

أما في أمثلة الحالة الأخيرة، فقد أثرت الياء في الواو تأثيراً تقدمياً في بعضها، وتأثيراً رجعياً في بعضها الآخر، وذلك بهدف إحداث نوع من التجانس والتماثل بين الأصوات المتجاورة.

عزيزي الدارس،

وزيادة على ما سبق، فإن الواو والياء، وهما، كما عرفت، صامتان ضعيفان، يستثقل اجتماعهما معاً، ويُلجأ إلى تخفيف ثقل اجتماعهما بالإدغام (شرح الشافية 139/3 - 140، 192، والممتع في التصريف 333/1-334)، ومن شأن هذا الإدغام أن يكسب الحرف قوة، فضلاً عن تحويله؛ أي الإدغام، الصوامت الضعيفة (الواو والياء) إلى صوامت قوية، أو، على حدِّ قول - رضيِّ الدين الاستراباذي شارح الشافية، إلى صيرورتها كالحرف الصحيح". (78/3).

ولعلك تتساءل الآن، عزيزي الدارس، عن السبب الذي أدى إلى قلب الواو إلى ياء، وليس العكس، ثم إدغام الياءين معاً. وللإجابة عن هذا التساؤل نقول: إنَّ الياء والواو اللتين استثقل اجتماعهما "ليستا بأثقل من الواو المضعفة". (المرجع السابق 140/3)، كما يعود السبب في ذلك أيضاً إلى "خفة الياء وثقل الواو، فهربوا (أي الناطقين) إلى الأخفّ". (سر الصناعة 585/2). ولهذا فقد قلبت الواو، ولو كانت ثانية، إلى ياء، وإن كانَ القياس في الادغام، كما ذكر الرضيّ (شرح الشافية 140/3)، هو قلب الأول إلى الثاني، وذلك لأن الواو المضعّفة ثقيلة بالقياس إلى الياء المضعّفة.

الحالة الرابعة:

تقدم لك، أمثلة هذه الحالة، عزيزي الدارس، البنى المقطعية والصوتية التالية:

عصوو: cu + suuw ← عصوي: cu + suu y ← عصيّ : ci + ṣiyy

مرضوو mar + ḍuuw ← مرضوي: mar + ḍuuy ← مرضيّ: mar + ḍiyy

لقد مرت بنية هاتين الكلمتين، وما كان على غرارهما، كما هو واضح، بالمراحل التالية:

1- اجتمعت في المقطع الأخير من البنية، وهو مقطع طويل مغلق: ص ح ح ص الضمّة الطويلة ونصف الحركة، الواو، وهذا يعني أن المقطع الأخير في الكلمة ختم بتتابع حركي من شأنه إضعاف النسيج المقطعي للكلمة، ويعدُّ اجتماع الضمة والواو أو العكس، وخاصة في الوضع المتطرف، أمراً مستثقلاً من ناحية صوتية (المرجع السابق 146/3، 166، 168، والممتع في التصريف 333/1)، لذا فقد حدثت مخالفة بين الأصوات المتجاورة عن طريق قلب الواو، التي تعدّ أثقل أحرف العلة، على حدِّ وصف القدماء لها، إلى ياء تعدُّ، عند القدماء أيضا، أخفَّ منها. ويعود ذلك، إلى أن ترك الواو على حالها يؤدي إلى ثِقَلٍ مُفرط، وبخاصةٍ في الطَّرَف الذي يناسبه غاية التخفيف، والواو ثقيلة بنفسها، وزاد من ثقلها وقوعها مسبوقة بالضّم.

2- وبعد ذلك حدثت مماثلة صوتي رجعيّة أثرت فيها الياء على الضمة الطويلة فقسمتها إلى نصف حركة مماثلة لها مسبوقة بكسرة قصيرة لمناسبة الياءين، ثمّ أدغم نصفا الحركة (الياءان) معاً مما أدى إلى إغلاق المقطع بصامتين ضعيفين تمّت تقويتهما بالتضعيف، فتحقق بذلك نوعٌ من التجانس والتماثل الصوتي.

3- ولتحقيق المزيد من التماثل بين الأصوات المتجاورة، فقد قلبت الضمة التي ختم بها المقطع الأول في كلمةُ عُصِيّ" إلى كسرة، وذلك من أجل إحداث تناغم بين الحركات المتجاورة Vowel harmony في المقطعين فأصبحت: عِصِيّ.

الحالة الخامسة:

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية التالية:

أعطوت: ɔac + ṭawt -----> أعطيت:" ɔac + ṭayt

زكوّت : zak + kawt ----> زكيّت : zak + kayt

عزيزي الدارس،

وقعت الواو، في هاتين الكلمتين، وما كان على شاكلتهما، في نهاية مقطع مستثقل في النطق، وهو المقطع الطويل المزدوج الإغلاق: ص ح ص ص ، وقد جاء هذا المقطع مشتملاً على الحركة المزدوجة (aw) ، مما زاد في استثقاله وصعوبة نطقه، ذلك أن الواو، كما نصّ القدماء، وذكرنا لك، عزيزي الدارس، غير مرّة، "أثقل أحرف العلة" الأمر الذي أدى إلى إغلاق المقطع بالصامت، وهو التّاء هنا ، مسبوقاً بالواو الثقيلة، ولهذا فقد عمد الناطق إلى إجراء تعديل صوتي من شأنه أن يخفف من صعوبة النطق بالمقطع الطويل المزدوج الإغلاق المشتمل على الحركة المزدوجة "الواوية" إذا جاز لنا هذا التعبير، وذلك عن طريق قلب الواو الثقيلة إلى نصف حركة أخف منها، هي الياء التي تعد "أيسر نطقاً من الواو، وبخاصة في نهاية الكلمة". (المنهج الصوتي، ص: 190)، وهذا الموضع، أي التطرّف، يتطلب غاية التخفيف، كما تذهب إلى ذلك الدراسات الصوتية والصرفية. ولقد ترتب على ما سبق استبدال الحركة المزدوجة (ay) بالحركة المزدوجة (aw) ، ولعلنا، عزيزي الدارس، نلتمس الدليل على خفّة هذا التغيير، والقلب الصوتي، في النطق اللّهجي لمثل الكلمات التي يُمَثِّل بها الصرفيون لهذه الحالة، إذْ نجد الناطقين اللهجيين، في كثير من مناطق التوزيع اللهجي العربي، يحولون الحركة المزدوجة (ay) ، في هذه الكلمات وأمثالها، إلى حركة بسيطة طويلة ممالة (ee) فينطقون الكلمات السابقة على النحو التالي: أعطِيت ɔac + teet، وزكّيت: zak + keet ، ومن المعلوم أنّ التطور الصوتي الذي يلحق الحركة المزدوجة (ay) ، في النطق اللهجي، في الأعمِّ الأغلب، يتمثل بحركة بسيطة، هي الكسرة الطويلة الممالة (ee) .

الحالة السادسة:

تقدم لنا أمثلة الحالة الأخيرة، من حالات قلب الواو إلى ياء، البِنَى المقطعيّة والصوتية التالية:

دُنْوا : dun + waa ----> دنيا : dun + yaa

علوى: C ul + waa ----> عليا: c ul + yaa

فقد انقلبت الواو الواقعة في بداية مقطع متوسط مفتوح: ص ح ح، في هاتين الكلمتين، وما كان على غرارهما، إلى ياء. ولعل السبب في ذلك يعود إلى ما قلناه سابقاً، عزيزي الدارس، وهو أن النطق بالياء أيسر من النطق بالواو، وبخاصة في حالة التطرف، والوقوع في نهاية الكلمة.

5.7 تحوّل الياء إلى واو:

ذكرت لنا كتب الصرف حالات متعددة لقلب الياء إلى واو، وهاك، عزيزي الدارس، أهَمَّها:

1- إذا وقعت ساكنة وغير مشدّدة بعد ضمة في كلمة غير دالة على جمع، نحو: موقِن، وموسِر، وأصلهما: مُيْقِن ، ومُيْسِر.

2- إذا وقعت، وهي عين لصيغة "فُعْلَى"، بعد ضمة ، نحو: طوبى، وأصلها: طُيْبى.

3- إذا وقعت، وهي لام لصيغة "فَعُلَ" نحو: نَهُوَ، وأصلها: نَهُيَ.

4- إذا وقعت لاماً لاسم على وزن "فَعْلَى"، نحو: تقوى، وفتوى، وأصلهما: تقيا ، وفتيا.

إن التحليل المقطعي والصوتي لبنى هذه الأمثلة يطلعنا، عزيزي الدارس، على ما يلي:

1- وقعت الياء، وهي نصف حركة، ساكنةً في الحالتين الأوليين، في نهاية مقطع متوسط مغلق: ص ح ص ، وكانت مسبوقة بضمة قصيرة على النحو التالي:

أيقن : ɔay + qan ----> ميقن: muy + qin طُيْبى : ṭuy + baa

لقد أدت صعوبة النطق بالحركة المزدوجة المؤلفة من ضمة قصيرة، ونصف حركة، هي الياء (uy) ، وما يترتب على ذلك من تغييرات في المخرج وفي أوضاع اللسان والشفتين، بالإضافة إلى كون الياء ضعيفة، زاد من ضعفها وقوعها ساكنة في نهاية المقطع - نقول لقد أدى ذلك إلى تأثر الياء الضعيفة بالضمة القوية تأثراً تقدمياً نتج عنه تحويل الياء إلى ضمة قصيره كونت مع مثيلتها السابقة عليها حركة طويلة بسيطة، هي الضمة الطويلة، مما أدى إلى حدوث تجانس وتماثل بين الأصوات المتجاورة.

مُيقن: muy + qin ----> موقن: muu + qin

طيبى: tuy + baa ----> طوبى: tuu + baa

وقد ترتب على ذلك، عزيزي الدارس، إعادة تشكيل البنية المقطعيّة الأولى في هاتين الكلمتين، إذْ أصبح مقطعاً متوسطاً مفتوحاً: ص ح ح مشتملاً على حركة طويلة بسيطة سهلة في النطق بعد أن كان مقطعاً متوسطاً مغلقاً: ص ح ص، مشتملاً على حركةٍ مزدوجة مستثقلة في النطق: uy ... ----> uu ....

وهذا يعني، أن الناطق العربي، الذي درج على السهولة في النطق، في الأعم الأغلب، عدَل في معْمار الصيغ البنيوية بما يتفق وسهولة النطق حتى يحقق لها مبدأ الانسجام، وتساوق النغم، والموسيقى اللفظيّة، "ومن ذلك امتناعهم من تصحيح الياء في نحو: موسر، وموقن ..." (الخصائص 262/1).

وهكذا فإن الآلية، التي حكمت عملية التحول الصوتي، في هذه الحالة، تمثلت في حذف الياء من آخر المقطع، ثم إطالة حركة الضمّة القصيرة، أو قل، عزيزي الدارس، إن شئت إنها تمثلت في قلب الياء إلى حركة قصيرة مماثلة للحركة القصيرة السابقة عليها، وهي الضمة القصيرة، مما أدى إلى إحداث تناغم بين الحركات المتجاورة.

وبناء على ذلك، فلا وجه للقول إنْ الياء قد قلبت إلى واو ، كما ذكرت لنا كتب التراث، ولاشك لدينا، ولديك أيضاً، عزيزي الدارس، في أن طريقة الكتابة العربية، التي لا تفرق بين الواو، بوصفها نصف حركة، والواو بوصفها ضمة طويلة، هي المسئولة عن هذا الخلط في الوصف والتفسير.

2- وقعت الياء، في الحالة الثالثة، في بداية مقطع، ومسبوقة بمقطع مُنْتَهٍ بضمة قصيرة على النحو التالي: نهي: na + hu +ya ----> نهو: na + hu + wa .

ومن المعلوم، كما مرَّ معك، عزيزي الدارس، في موقع سابق، أن بداية المقطع تحتاج إلى صوت قوي، ولهذا فقد تأثرت الياء الضعيفة اللاحقة بالضمة القوية السابقة تأثراً تقدمياً، مما أدى إلى قلب الياء إلى صوت قوي، بل إلى أقوى الحركات، كما ذكر القدماء، وهي الواو. وقد ترتب على ذلك تماثل، أو، قل إن شئت، تناغم بين الحركات المتجاورة:

u + ya ... ----> u + wa ... مما أدى إلى سهولة عملية النطق.

3- أما في الحالة الأخيرة، فقد وقعت الياء في بداية مقطع على النحو التالي:

تقيا : taq + yaa ----> تقوى: taq + waa

فتيا : fat + yaa ----> فتوى: fat + waa

إن ما جرى، في هذه الحالة، عزيزي الدارس، شبيه إلى حد كبير، بما جرى في الحالة السابقة، ذلك أن بداية المقطع تحتاج، كما مر معك في تلك الحالة، وفي غيرها من الحالات السابقة أيضاً، إلى صوت قوي، وعلى هذا فقد تم استبدال نصف الحركة الياء، بنصف حركة أقوى منها، ونعني بها الواو.

تدريب (9)

1- ما التعليل الصوتي للإعلال الذي جرى في كلمة كوي، فحولها إلى: كيّ؟
2- ما التعليل الصوتي للإعلال الذي جرى في كلمتي: سِوْيان، وجَيْوِد فحولهما إلى: سيّان، وجيِّد؟

تدريب (10)

1- ما السبب الذي أدى إلى قلب الواو إلى ياء في نحو «سَيْوِد» وأمثالها، وليس العكس؟
2- ما السبب الذي أدّى إلى قلب الواو إلى ياء في نحو: أعطوت، وزكوت وأمثالهما؟

أسئلة التقويم الذاتي (8)

1- ما التفسير الصوتي لعملية قلب الياء الساكنة في كلمة "مُيْنع"، وأمثالها إلى حركة قصيرة من جنس سابقه، وهو الضمة القصيرة؟
2- ذكرت كتب التراث الصرفي أن الياء في مثل "مُيْسر"، وما كان على غرارها، قد قلبت إلى واو، بهدف إحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة.   وضح رأيك، عزيزي الدارس، فيما ذهب إليه القدماء من اللغويين، في هذا الصدد، وذلك على ضوء دراستك الصوتية له.

8. الخلاصة

عزيزي الدارس،

تحدثت هذه الوحدة التاسعة عن (الظواهر التعاملية في اللغة العربية) ويقصدون بها: المماثلة الصوتية والادغام والمخالفة الصوتية وتقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة وانقلاب الحركات المزدوجة إلى حروف مد، والتغييرات التي تطرأ على الواو والياء والهمزة.

وقد عرفت هذه الظواهر بالاعلال والابدال والادغام في الدراسات التقليدية، ولكنها في هذه الوحدة عولجت معالجة صوتية بعد أن كانت تعالج من قبل كسب الظاهرة اللغوية دون التدقيق في أسبابها الصوتية، وتأثير الأصوات بعضها ببعض. وقد اشتملت الوحدة أيضاً على عدد من التدريبات وأسئلة التقويم الذاتي.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- يقصد بالمماثلة الجزئية Partial assimilation تفاعل الأصوات المتجاورة في البنية، وتأثير بعضها في بعض، وما ينجم عن ذلك من إحداث تماثل بين تلك الأصوات في بعض الملامح دون بعضها الآخر.

ومن الأمثلة على ذلك كلمة «زحم»، فعند بنائها على وزن «افتعل» تصبح «ازتّحم». وفي هذه الحالة، يتأثر صوت «التاء» المهموس، بصوت «الزاي» المجهور، تأثراً تقدمياً، الأمر الذي يؤدي إلى قلب التاء إلى مقابله، أو نظيره المجهور، وهو صوت الدال. ومن شأن هذا أن يؤدي إلى تحقيق مماثلة بين الصوتين المتجاورين.

2- يقصد بالمماثلة الكلية Total assimilation تلك العملية التي تؤدي إلى تفاعل الأصوات المتجاورة في البنية، وتأثير بعضها في بعض، وما ينتج عن ذلك من إحداث تماثل تام بين تلك الأصوات في كلّ الملامح.

ومن الأمثلة على ذلك كلمة «دعا»، فعند بنائها على وزن «افتعل» تصبح «ادتّعى». وفي هذه الحالة، يتأثر صوت التاء «المهموس» بصوت «الدال» المجهور، تأثراً تقدمياً، الأمر الذي يؤدي إلى قلب التاء إلى مقابله، أو نظيره المجهور، وهو صوت الدال. وقد ترتّبَ على ذلك حدوث إدغام في الصوتين المتجاورينْ (د + د) اللذين تماثلا، بفعل التأثر، في كل الملامح، في داخل بنية: ادْدَعى، لتصبح: ادَّعى.

3- الملامح والصفات التي تكسب الصوت قوة:

1- ملمح الجهر مقابل ملمح الهمس.

2- ملمح الانفجار مقابل ملمح الاحتكاك.

3- ملمح التفخيم مقابل ملمح الترقيق

4- ملمح الصفير المتمثل في أصوات: ز + س + ش + ص .

5- ملمحا الاستطالة والتّفشّي المتمثلان في صوتي: ض + ش.

6- ملمح الأنفية (الغنّة) المتمثل في صوتي: م + ن .

7- ملمح التكرار المتمثل في صوت : ر.

8- وبالاضافة إلى ذلك، فإن الصامت الذي يرد في البنية متحركاً، يعدُّ صامتاً متمتعاً بملمح قوة يستمدها من حركته، وذلك بخلاف الصامت الساكن، حيث يعدُّ السكون ملمحاً يضفي على الصامت المُلابسِ له نوعاً من الضّعْف.

تدريب (2)

1- تكونُ المماثلةُ تقدميةً Progressive assimilation عندما يؤثِّرُ الصوت الأول، في البنيـة، في الصوت التالي له. ومن الأمثلةِ على ذلك تأثير الضاد المضخم في البنية «اضترب» بصوت التاء المرقّق، وتحويله إلى مقابله المفخم، وهو صوت الطاء، فتصبح البنية: اضطرب.

ولكنَّ المماثلةَ تكونُ رجعيـةً Regressive assimilation عندما يؤثر الصوت الثاني، في البنية، في الصوت السابق عليه. ومن الأمثلة على ذلك تأثيرُ صوتِ التاء القوي بملمح الانفجار، وحركته، بصوت نصف الحركة، أو الصامت الضعيف الساكن الواو، في البنية: "اوتَعد"، الأمر الذي يؤدي إلى قلب الواو إلى تاء ، وإدغام الصوتين المتماثلين هكذا: اتّعَدَ.

2- يعود ذلك إلى أمرين:

الأول: قرب الأصوات التي تدغم فيها لام التعْريف أو اتحادها معها في المخرج.

الثاني: اتّصاف الأصوات، التي تدغم فيها لام التعريف، بملمحٍ أو أكثر من ملامح القوة.

ومن هذه الملامح:

1- ملمح التفخيم، ويتمثل ذلك بأصوات: ص + ض + ط + ظ .

2- ملمح الأنفية (الغنّة)، ويتمثل ذلك بصوت النون.

3- ململح التكرار ، ويتمثل ذلك بصوت الراء

4- ملمح الصفير، ويتمثل ذلك بأصوات: ص + ز + س + ش .

5- ملمح الانفجار، ويتمثل ذلك بصوتي : د + ت .

تدريب (3)

- الإدغامُ في اللغة: هو الإدخال؛ أي إدخالُ شيءٍ في شيء. أمّا في الاصطلاح: فيعني وصلَ حَرْفين متماثلين غير مفصول بينهما بحركة، أو وقف. وشرط الادغام أن يكون المِثْل الأول ساكناً والثاني متحركاً.
- والهدف من الادغام هو التخفيف، وبذلُ الحدّ الأدْنى من الجهد الفصلي الذي يبذله اللسانُ وسائر الأعضاء النطقية، عند إصدار الحرف المكرر، وذلك عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها.

تدريب (4)

من هذه الأمثلة جمع المؤنث السالم. ذلك أن ضبط آخره يجري على قاعدة المخالفة الصوتية. ففي حالة الرفع يضبط آخره بالضمة، نحو: مؤمناتُ = muʔminaatu ، وفي حالة الجرّ يضبط آخره بالكسرة، نحو: مؤمناتِ = muʔminaati . أما في حالة النصب فقد عُدِلَ عن الضبط القياسي له، وهو ضبطه بالفتحة، إلى الكسرة، نحو: مُؤْمِناتِ= mu'minaati، وذلك من أجل تطبيق المخالفة الصوتية، في هذه الحالة، بين الحركات المتجاورة، كما تمّ تطبيقها في الحالتين السابقتين؛ أي حالة الرفع والجر.

تدريب (5)

من الأمثلة على ذلك قولنا، في حالة الإفراد: ناصرُ الدِّين: naa + ṣi + (rud + diin وفي حالة الجمع: ناصِرو الدين : naa + si + ruud + diin . فلو قُصِّر المقطع الطويل المغلق، غير المتطرف، وغير الواقع في حالة وقف، "ruud" لأدى ذلك إلى حدوث التباس بين المفرد والجمع.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الكلمة "جادّة" jaad + dah بمعنى طريق فلو قصِّر فيها المقطع الطويل المغلق، غير المتطرف، وغير الواقع في حالة وقف، "jaad" لأدّى ذلك إلى تكوين البنية "جدّه" jad + dah بمعنى: والدة الأم.

تدريب (6)

تتمثل هذه الحالةُ في الفعلِ المُضارع المسند إلى ضميرِ التَّثْنية، والمؤكد بالنون الثقيلة، نحو: يكتبانِّ = yak + tu + baan + ni

وقد سمحت العربية بهذا المقطع ، على هذا النحو، وفي هذا الموقع، مخافة الالتباس بحالة توكيد الفعل المسند إلى المفرد.

تدريب (7)

1- يمكن تفسير ذلك بعدة أسباب منها:

1- الهروب من تتابع سلسلة من الأصوات التي يجمع بينها الملمح الحركي.

2- إغلاق المقطع، الذي يردان في خاتمته، بصوت انفجاري يتمتع بصفة قوة تميزه من صامت احتكاكي، أو شبه احتكاكي ضعيف، أو بصوت قريب الشبه بالحركات.

3- تكره العربية الوقوف على مقطع مفتوح، ولذلك فإنّها تميلُ إلى إغلاقه بوسيلة ما، هي، في الغالب، الهمزة.

4- تقوية النبر الطولي في البنية، عن طريق اغلاق المقطع المنبور بصوت نبري قوي هو الهمزة.

2- تقوم الواو والياء من الناحية الفونولوجية بدور الصوامت، حيث يمكنهما الوقوع، مثل الصوامت الأخرى، في مطالع المقاطع ونهاياتها، كما يمكنهما تبادل المواقع مع الأصوات الصامتة، وما يترتب على ذلك من تفريق بين المعاني. ويمكننا ملاحظة ذلك، بوضوح وجلاء، من خلال مقارنة أمثلة كثيرة، مثل:

وصل - حصل.

يَصل - نصل.

أمّا من الناحية الفوناتيكية، فإنّ هذين الصوتين تنقصهما بعضُ الخصائص والملامح التي تتّسم بها الصوامت الأخرى، مثل الانغلاق والاحتكاك. ولهذا فإن هذين الصوتين يصنفان ضمن مجموعة الأصوات التقاربية Approximants التي تشتمل، بالاضافة إليهما، أصوات الحركات vowels .

تدريب (8)

1- الصواب أن يقال: إن الهمزة الثانية قد قلبت، في هذه الأمثلة، إلى حركة قصيرة هي: الفتحة، والضمة، والكسرة على التتالي، فكوّنت كل حركة من هذه الحركات مع الحركة السابقة عليها والمماثلة لها، حركة طويلة الفتحة الطويلة، والضمة الطويلة، والكسرة الطويلة على الترتيب.

ويعود السبب، في هذا الوصف غير الدقيق، لعملية القلب والاعلال، في هذه الحالات وأمثالها، إلى الرسم الكتابي العربي الذي لم يكن يفرق بين الواو والياء بوصفهما نصفي حركة، والواو والياء بوصفهما حركتين طويلتين.

كما يعود السبب في ذلك، أيضاً، إلى اعتماد العلماء القدامى، في عملية التحليل والتفسير، على الشكل الكتابي المحدث للّبس، لا على النطق الواقعي للأصوات.

2- يعود ذلك إلى أن صوت الهمزة يعدُّ من أشق الأصوات، نظراً لما يحتاج إليه من جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أيّ صوت آخر. ولكن هذه الكلمات، وما كان على شاكلتها، جاءت مشتملة على همزتين مما أدّى إلى زيادة الصعوبة في تحقيقهما في داخل البنية.

تدريب (9)

1- أغلق المقطع الطويل المزدوج الإغلاق، وهو مقطع ثقيل في حدّ ذاته، - أغلق بنصفي حركة مختلفين في المخرج، وفي أوضاع اللسان والشفتين، مما أدى إلى زيادة استثقال النطق بهذا المقطع. ولهذا فقد عمد الناطق إلى اغلاق هذا المقطع بنصف حركة مضعف متماثل، ليكون "العمل، على حدّ قول ابن جني، في سر صناعة الاعراب، من وجه واحد"، ولما في ذلك من سهولة بالقياس إلى إغلاقه بنصفي حركة مختلفين، وبالاضافة إلى ذلك، فإن الياء تعد أيسر في النطق من الواو وبخاصة في نهاية الكلمة.

2- استثقل النطق بنصفي الحركة، الواو والياء، المجتمعين معاً في داخل هاتين الكلمتين، الأمر الذي أدى إلى تخفيف هذا الاستثقال بالادغام الذي من شأنه أن يكسب الحرف قوة، فضلاً عن تحويله الصوامت الضعيفة، الواو والياء، إلى صوامت قوية، وصيرورتها كالحرف الصحيح، كما يقول رضي الدين الاستراباذي، شارح شافية ابن الحاجب.

تدريب (10)

1- يعود السبب في ذلك إلى أمرين هما:

أ - أن الواو المضعّفة أثقل من الياء والواو اللتين استثقل اجتماعهما في كلمة "سَيْوِد" وأمثالها.

ب- أن الياء أخف من الواو، مما أدّى إلى لجوء الناطقين إلى الياء هرباً من ثقل الواو.

2- قلبت الواو في نحو: أعطوت وزكّوْت، وأمثالهما، إلى ياء، نظراً لكون الياء أخف في النطق من الواو التي عدّها الصرفيون العرب «أثقل أحرف العلة». وبالاضافة إلى ذلك، فإن النطق بالياء أيسر نطقاً من الواو وبخاصة في نهاية الكلمة.

وتجدر الإشارة إلى أن استبدال الياء بالواو في هاتين الكلمتين، وما كان على غرارهما، من شأنه أن يخفف صعوبة النطق بالمقطع الطويل المضاعف الاغلاق، المشتمل على الحركة المزدوجة "الواوية".

10. مسرد المصطلحات

- المماثلة الصوتية (Assimilation)

التعديلات التكييفية التي تعرض للصوت بسبب مجاورته دون أن يكون هذا التجاور مباشراً بالضرورة لأصوات أخرى في السلسلة.

- المماثلة الجزئية (Partial assimilation):

الظاهرة الصوتية التي تؤدي إلى أحداث تماثل بين الصوتين المتجاورين في بعض الملامح دون غيرها.

- المماثلة الكلية (Complete/Total assimilation)

الظاهرة الصوتية التي تؤدي إلى احداث تماثل تامّ بين الصوتين المتجاورين في كل الملامح.

11. المراجع

أ - المراجع العربية:

1- ابن أبي طالب، مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تحقيق د.أحمد حسن فرحات، عمان: دار عمّار، 1984.

2- ابن أبي طالب، مكي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق د.محيي الدين رمضان، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1974.

3- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. نشره علي محمد الضباع، دار الفكر (د.ت).

4- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، 1952.

5- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب. تحقيق د. حسن هنداوي، دمشق: دار القلم، 1985.

6- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني. تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة: طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954.

7- ابن السّكّيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحق، إصلاح المنطق. تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف، 1956.

8- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن، الممتع في التصريف. تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979.
9- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، معجم لسان العرب. تحقيق عبدالله الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف، 1981.
10- ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين، شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب، والقاهرة: مكتبة المتنبي، (د.ت).
11- الأزهري، خالد بن عبدالله، من شرح التصريح على التوضيح. القاهرة: المطبعة الأزهرية، 1313.
12- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1975.
13- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية ط6. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1984.
14- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية ط3. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1965.
15- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر. القاهرة:عالم الكتب، 1983.
16- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية. تصحيح وتعليق رمضان عبدالتواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، والرياض: دار رفاعي، 1982.
17- بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، الأصوات ط7. القاهرة: دار المعارف، 1980.
18- الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري. بيروت: مكتبة لبنان، 1982.
19- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه ط3. تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت: عالم الكتب، 1983.
20- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو. حيدر آباد الدكن، 1359.
21- شاهين، عبدالصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987.
22- شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. القاهرة: دار القلم، 1966.
23- شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية. القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1977.
24- عبدالتواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه. القاهرة: مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.
25- عبدالتواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي القاهرة : 1967.

26- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب، 1976.
27- الفارابي، اسحق بن ابراهيم، ديوان الأدب. القاهرة: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1974.
28- فليش، هنري، العربية الفصحى. تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين، بيروت: دار المشرق، 1983.
29- اللغوي، أبو الطيب عبدالواحد بن علي، الإبدال. تحقيق عزالدين التنوخي، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1961.
30- مالبرج، برتيل، علم الأصوات. ترجمة عبدالصبور شاهين، القاهرة: مكتبة الشباب، 1984.

ب- المراجع الأجنبية

1- Al-Amin, Salman, Arabic phonolgoy. Mouton: Indiana University, 1970.
2- Beeston, A. F.L The Arabic Language Today, London: 1976.
3- Brosnahan, L.F. and Malmberg. B., Cambridge, Introduction to phonetics, 1970:
4- Ladefoged, peter, A course in phonetice. New York: Harcourt Brace, Javanovich, Inc., 1975.
5- Malmberg, Bertil, Phonetics. Dover, New York: 1963.
6- Nida, E.A. Morphology, The Descriptive Analysis of words., Michigan, 1978.
7- O'connor, J.D. phonetics. England: Penguin Books, Harmonds worth Middlesex, 1982.

مكتبة ومطبعة دار الأرقم
غزة - شارع الثلاثيني مقابل الجامعة الإسلامية
تلفاكس المكتبة : 2821075 2822059